



الرسالة الملحة

وهي الرسائل التي كتبها علي ادروبا



رئيس قلم بمجلس النظار

ومستشار السكرتير العام في الجمعية الجغرافية الخديوية



على الارض والقضاء كتاب
تأقراؤ معاشر الاذكاء
(ا. صبري)

سافقرا تصعدوا وتغفرا
(حديث كريم)

الطبعة الثانية

بالمطبعة الكبرى الاميرية بيولاقي مصر المحمية

سنة ١٣١١ هـ
١٨٩٤ م



١٤٤٠

قررت نظارة المعارف العموميه بناء على رأى اللجنة العلمية استعمال
هذا الكتاب لتدريس المطالعة فى بعض مدارسها الثانوية
والخصوصية والعالية

(حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نبجان الذي أسرى عبده ليسان المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى * وصلاة وسلاما على نبي الهجرة الذي اختصه مولاة بحامه
لاستقصى * وعلى آله وصحبه الذين اشرروا في الامصار * وطافوا
ابقطار * فرفعوا للعلم اعلى منار * وضربوا للناس الامثال
فاصبح التمرن كما نراه جليس المقدار * ساء الاقبنار
وبعد فان لكل عامل غاية يتوخاها ولكل مرتاد ضالة يشدها
وضالت التي نشدتها في هذه المجموعة العناية بتجليل ماشاهده العيان
من المناظر الشائقة والمرائق الرائقة تجميلا تتجلى به للقارئ موائل
يتقراها بيده ويسيرها بساعده فاني حاولت ان امثل له تأثير الحس
وانفعال النفس اذ الباصرة تمقل والتخيل يتقل والمفكرة تخبر
والضمير يسير فتتفعل الحواس فتعمل على اليراع بحسب مايقع عليها من
التأثير وحكمها في ذلك راجع الى مزاج الانسان وطبيعته ومشربه
وتربته فقد كنت اعرف قبل تطواني ببعض البلدان أمورا كثيرة
اكنني لما طرحت في الايام الى تلك النواحي تناسبت الصور التي كانت

مرسمة في مخيلتي فتلهالي الاثغال النفساني بصورة توافق أو تخالف ما كنت أعرفه فهذا هو التأثير النفساني الذي ابتغيت المبادرة بتمثيله بوقته في رسائل هذه قبل ان يضع شيء منه أو يعرض مؤثر آخر عليه حتى إنني كنت اكتب رسائل هذه وأنا بين حل وترحال بطوح في الاسفار ولا يستقر لي قرار وليس لي من الوقت ما يكفي للمراجعة والتنقيح واعدة النظر والترجيح لأنني كنت أخذت على نفسي قبل السفر ان أمضي نهاري في التنقل من مكان الى مكان أصعد الى أعلى كل مدينة نزلت بها وأدخل في جميع آثارها وأطوف كل شوارعها وأزور كافة متاحفها وبالجملة أشاهد كل ما يمكن مشاهدته في اليوم وأقضي شطرا من الليل ليس بقابل في إتمام ما يتسنى أو تلزم رؤيته بالليل وتعليق المفكرات وكتابة البريد وكنت في كل لحظة متخوفا من فوات القطر حتى لقد صدق على قول بديع الزمان الهمذاني

إسكندرية داري * لوقر فيها قراري

لكن بالشام ليلى * وبالعراق نهاري

أوما قاله عبد الله بن أحمد بن الحرث شاعر ابن عباد

يوما بجذوى ويوما بالعقيق وبالسعدية يوما ويوما بالخليصاء

وتارة أنتهى بنجدا وآونة * شعب العقيق وأخرى قصر قباد

بل قد كان وقتي من أقصر ما يكون حتى لقد كنت أسعى في توفير الزمن

وتكثيره بانعاب نفسه وحرمانها من الراحة فافضل السفر ليلاً في أغلب الأحيان الا اذا لم يكن ذلك في الامكان ولقد صدق رسول الله الكريم في قوله (عليكم بالبلحة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار)

وقد افرغت وسعي في التحقيق والتدقيق كما يشهد به المنصفون من الناظرين في هذه الرسائل التي يعلى من رايها ويرفع من ذكرها أنني جرتها وأنا أنظر الاشياء بعيني مصري بحث يتقن بانفة مال المصريين ويكتب للمصريين فلم أعجب بقول مصنف غربي ولم ألتفت الى نبأ مؤلف عربي الاحياء تدعو الضرورة الى تحقيقات جغرافية أو علمية وذكر بعض الاحتمالات وفيما عد ذلك أشهد الله اني لم يكن لي من معتمدي استكناه الحقائق واستجلاء الماهيات سوى شعوري المصري الخالص من أثر الشوائب والاستفسار ممن يوثق بعلمه وخبرته من أهل هانك الديار هذا وقد باشرت طبعها بنغاية العناية وأوردت بالجل التي كانت حذفت في غيبي أثناء طبعها في الجرائد لاسباب اقتضاها الزمان فرددتها كما كانت يوم كتبها باوروبا بالتمام غير اني أضفت هنا كثيراً من الحواشي والتعليقات لزيادة التحقيق والتدقيق في بعض المواضع وأنى آتية القارئ الى أن الرسالة الكبيرة على باريس لم يسبق طبعها في الجرائد سوى وكالة الرسالة الاندلسية في بيان امتزاج العرب بالهجم في اسبانيا والاستشهاد على ذلك بالاعلام وكذلك الخاتمة فضلاً

عن الزيادات الكثيرة والاضافات الوفيرة وانى أستلقت النظر الى رسالة باريس الثانية (وهي الخامسة عشرة) فانها تصور تلك المدينة للقارئ تصويرا وافيا جامع بحيث ان من تمنعها واستكمل قراءتها عكته ان يقول انه يعرف باريس وما تحويه مما قد لا يعرفه كثير من المقيمين بها سواء كانوا من أهلها أو النازحين اليها أو كثر ما يقف عليه السائح الذى قد يقيم فيها شهرا أو أكثر من شهر وأما كالة الرسالة الاندلسية فهى تستحق من العناية ما لا يقل عن ذلك وحسبى انى طرقت بها بابا جديدا توصلت منه الى منهاج من التحقيق يشهد الله بمقدار ما نمت فيه من التعب والتنقيب والمراجعة وكل ذلك لا يخفى على فطانه أهل الأنصاف ومحبي الحقائق العلمية

وأقول ان مادونته في هذه الرسائل هوشى قليل في جانب ما عندى من البيانات والمعلومات التى عنيت بتعليقها وجعلها لتدوينها فى الرحلة الكبرى وغاية سؤالى لللاك المتعالى ان يشدرنى على إتمامها وييسر الطريق الى طبعها وتعيمها فانى عزمت على إدارتها سياجها وانتاج منهاجها بحيث يكون موضوعها علميا محضاً أتجرى البحث فيها بصفة كوفى مسلما شرقيا يعنى من عملى التنقيب عن آداب الشرقيين والغربيين والمقارنة بين اخلاقهم وعلاومهم ومذاهبهم ونحلهم ومبلغ ارتقائهم ومقدار تأثير

الاولين على الاخرين أو الاخرين على الاولين في القديم أو الحديث
ووفر جمع ذلك في الاغلب الى دواوين الفلاسفة ومصنفات الجهابذة
من الفريقين والله الهادي الى سواء السبيل



مقدمة الطبعة الثانية

هذه الطبعة الثانية أقدمها للافاضل الاجواد الناطقين بالضاد في
جميع البلاد وقد كان السبب في بروزها حضرة الوزير الخليل
والمشير الخطير الاخذ بناصر المعارف المؤيد لابناء الوطن ممد
السبيل لكل مجتهد في الكسب والتحصيل معين المشتغلين بعبءه
القوى المتين محط رحال الآمال صاحب الدولة والاقبال مصطفى
رياض باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية الخليفة والمعارف
العمومية حفظه الله وأبقاه وأكثر من المستظلين بحمائه
هذا واني أجترئ عن الرسائل الكثيرة والتقاريف العديدة التي
وردت لي أو ظهرت في الجرائد العربية والافرنكية بالتبذة الآتية
التي كتبها رئيس المنشئين ونخر الكاتبين حضرة الاستاذ الفاضل
الشيخ عبدالكريم سلمان وكيل ادارة الجرائد الرسمية قال حفظه الله

قوائد السفر ولولغيرالمؤتمر

أراني وأنا أقص على قومي مثل هذا القصة قد أحدثت عن معلوم وأعرض لبيان مفهوم ولكني مع ذلك لا إخالهم الاموافقين على أن في الاعادة افادة وعلى أنه ربما سئخ للتأخر من فكرنا تقدم بعض لوازم كانت غيرينة فادركها ثم صاعها على أسلوب. ريد فراقنا للناظرين ولكل زمان مقال كما أنه لكل مقال مجال

القرآن الشريف والسنة النبوية يحضان على الرحلة من دار الائمة الى غيرها من الديار (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) (أولم يسيروا في الارض) (قل سيروا في الارض) الى غير ذلك من الآيات وعمل النبي صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة رضوان الله عليهم من بعده أكل وأجلى في الاستدلال

الحكمة في مشروعية هذا الامر مينة في الانى الكريمة وهي تذكر حال الماضين والاعتبار بما كان لهم في زمانهم وما انتهى اليه أمرهم من عمار أو دمار وليس هذا الا ليزداد النكر تنورا والعقل تبصرا وينسخ أمامه مجال النظر والتصرف وترتيب المسيمات على الاسباب سنة هذا الشرع الحنيف فيما كلفنا به من الاعمال أتذكر أنه وأنا في التاسعة أو العاشرة كان يفد الى مقر ققامتي مع والدي وأهلي سفن شراعية كبيرة فيها تجار من الأفرنج يبيعون

بغلى أهل شواطئ النيل أمتعة المنازل وزينتها وحاجات الحياة
فكنت ممن يخرجون مع آبائهم للشراء ولكن غرضي وغرض
أبي غير ما كان للوالدين فلم نك لنقصد المشاهدة تلك السفن
وكان اسمها عندنا (القليون) وتعرف من فيها من الباعة الأفرنج
أن كانوا من جنسنا وعلى زينا كما يقول آبائنا أوهم على ما في خيالنا
بنا الفوننا في الطول والعرض والصورة والوضع فلما كانوا طبعوا طبق الأصل
كما أخبرنا لالمخالفين كما تخيلنا نرجع وقد استفدنا بانتقالهم اليها
وانتقالنا اليهم في سفينتهم شيئا جديدا ما كان يتأتى لنا لو لم يحضروا
عندنا أو بقينا في دورنا واندفع عنا ذلك الخيال قبل أن نصل الى
سن الرجال فهذه فائدة صغيرة تناسب ذلك السن سن الاطفال
المشاهد أن أهل القرى وهم طبقات كثيرات يكون أولادهم
مختلفين في النجابة والذكاء الفطريين ولكن النجباء منهم يمتازون
بالتاجر من بينهم بان له معلومات أوسع من سواء قتره يحدث أترابه
بماليس لهم به علم اذا رجع مع أبيه من بعض الاسفار ينهم بان
البلد الذي كان فيه مع أبيه أطول بناينا وأوسع عمراننا وباعمال
البيع والشراء والكيل والميزان وغير ذلك من أطوار الأدميين
مما يسعه عقل الصبي في صباه وكذلك نجد طلاب العلم في الأزهر
والمدراس في مصر وبقية المدائن يحصلون شيئا آخر غير ذلك العلم
الذي طلبوه فنجدهم وهم من أهل الريف يقبسون معلومات عن

أحوال الناس وعشرتهم ليست من مقولات الكتب ولا مباحث تلك العلوم وكذلك نرى البدوي وهو في بيته الشعر وعيشه الضيق ليس حوله غير الاجمال تنوء بالاجمال يتغير حاله اذا ترك البادية وحل بالحاضرة وتطر المزارع والزراع والدور والمناع ولو غادرها وعاد ذكر لقومه أسماء ووصف لهم مادلت عليه من السميات التي هم عنها بمعزل بعيد وكذلك توجد في قطرنا قرى يشط مزارها ويتباعد جوارها ليس لأهلها بالناس اختلاط ولا للناس بهم ارتباط فرى أهلها كأنهم قريون من أول الخليفة أو حوالى زمن الطوفان وهذا على العكس من حال القرى المتجاورة وأهلها المتزاورة فانهم أوسع مدارك وأكثر معلومات ونرى الفرق بين كل طبقة مما تقدم وبين مقابلها بمقدار الانتقال عن المواطن عدما ووجودا وقلة وكثرة والتفصيل في هذا مما لا يحمله المقام فلا بد من الرجوع الى الاجمال

القائدة العائدة من الانتقال ليست قاصرة على ذات المتقلين ولكنها من الامور المتعدية للاخرين نعم انها لنفس المتقل أكبر وأجمع فانه وحده الذى يمكنه التلذذ بالمناظر اليهجة والتأثر بالبصريات الغريبة والانفعال فى الرائن أشد منه فى السامعين الا أن هذا انا رجح لقومه وحدهم بما رأى عن علم وكال توصيف أوجد عندهم شياً مماذاقه وبث فيهم روح الطلب الى

خير بما هم فيه من حيث المعيشة ولوازم الحياة الطيبة وقد يجتهد
بهم السير الى اختيار الحسن مما سمعوه واجادة التقليد فيه فما
تهي الا أرمان قلائل حتى يعرف الحسن في البلاد وتتسابق اليه
الهمم فتنتشر المنفعة ويتقدم النفع كلما تقدمت الاجيال

• الامة بالقياس الى غيرها من الامم لا تختلف عن القرية بالقياس
الى سواها من القرى فان كانت احدى الامم راكدة في موطنها
ليس للكثير من أفرادها تردد على مجاورهم كانت أقل معلومات
وأقرب الى السذاجة عن سعة الادراك فكانت كالقرية البعيدة
المزار المتناحية الجوار وحالها ما قدمناه من وقوف حركة الافكار
فانما لم تشاهد ما ينيها الى الجولان وان كانت واحدة من الامم قد
نجب فيها اقوام وهموا بنيل الاوطار فاكثروا من الاسفار استفادوا
عالم يعتادوا فاقادوه مواطنهم وانتشرت بذلك بين أهلهم أخبار
مجاورهم فأخذوا أحسنها وترقت الامة بتمامها من حال الى حال
الشاهد على صدق هذه القضايا هو حال أمتنا المصرية في
زمانها الغابر والحاضر فانها لما كانت غربية في باب الحضارة وأقل
تنورا مما هي عليه الآن كان أمر السفر منها الى غيرها يعد من
الاعاجيب ولانسى أننا كنا نقرع غرابية اذا قيل ان فلانا منا سافر
الى (بجربرا) أو قدم منه كان هذا اللفظ عندنا عنونا على ماسوى

ديارنا سواء كان من البلاد الأوروبية أو الآسيوية (عدا الحجاز) أما الآن وقد تنورت العقول فقد بدلت تلك الغرابة عند العامة بشبه العادة وكثير تردد أهلينا على تلك الديار الخارجية عنا وعرفت الفائدة مما نقلوه لنا من أحوالهم العامة والخاصة وقد رأينا أن التقدم والتأخر في حركة الفكر والاقبال على الانتقال والتناكص عنها متلازما الحصول حتى كأن كلا منهما علة لوجود الثاني والفصل بينهما من المحال

المأخوذ مما تقدم أن فائدة السفر تعود على المسافر نفسه وعلى قومه وقد ترجع أيضا على البلاد التي إليها السفر وليس ذلك بالامر البعيد على الإدراك ولا يذهب في التمثيل له إلى غير هذه البلاد المصرية فإن أهل السيار الأوروبية كانوا لا يعتقدون فينا إلا أننا من متوحشة الأفريقيين فيصدقون عنا كل خبر سمعوه ولا يروون منا إلا قوما عطلا من كل فضيلة وكان لا يكتفيهم ما ينقله لهم عنا رجالهم لنا من أننا مثلهم في قابلية الكمال فلما كثرت ردودنا إليهم في ديارهم وخالطوا رجالنا فيهم ورأوا منهم أناسا مهذبين ورجالا عارفين بخوضون معهم في كل حديث عن القديم والحديث يضربون في كل علم عن دراية وفهم أيقنوا بأن الانسان واحد في الغرب والشرق وسواء بيننا وبينهم في الحكم بأشياء من نوع

واحد يجوز على أحد المثليين مايجوز على الثاني من العلم بعد الجهالة ومن التمدن بعد الوحشية ومن الرفعة بعد الضعة والانحطاط فهذه فائدة لهم باتقانا اليهم عرفونا بعد ما جهلونا يحكوا صوابا بعد أن كانوا خاطئين ثم اتنا شاركاهم في هذه الفائدة فقد صرنا في أعين الغائبين عنا من نوع الانسان لنا مالهم وعلينا ما عليهم من الحقوق والواجبات فكانت الفائدة من سفر المصريين الى الديار الاوربية مزدوجة بين الطرفين وهذا مايعظم شأوا الاستفار ويجعلها هينة على النفوس وان كان عذابها لايحتمل وفيها ما لايطاق من الاهوال

البرهان على أن هذه الفوائد حصلت من أسفار المصريين وعلى حصرها في السفر أن البلاد التي لم تجر رحلتنا اليها ولم يشاهد لنا فيها شبح قد بقيت فينا على ذلك التصور ولم يعلم أهلها من أخلاقنا غير أخبار النقلة خطأ كان أو صوابا يدلنا على هذا ما رواه بعض الصينيين الموجودين في ديارنا الآن من أنهم جاؤا مصر وهم على عقيدة أن المسلمين لا يقتلون من يحل في ديارهم وان كان من المسلمين ولما شاهدوا غير ما سمعوه من لطف المعاملة وكرم المجاملة لم يسمهم الا الاقرار بالمرودة العربية وقالوا اتنا سننشر ضد ذلك المسموع ونديعه في أشعاه بلادنا وبذلك ربما ارتقع الوهم

عن النفوس ولا ترتاب في أن بعض البلاد المشرقية التي لم يتعرفها
سواها ولم يشارف أهلها غيرها من الديار الأوربية قد بقيت على
حال لا ترى معها في أعين الغائبين عنها إلا بما كانوا يسمون به نحن قبل أن يكثُر
سفرنا إلى الديار الأوربية ويرتفع مقدارنا فيها من أنهم لا يقبلون الكمال
بجمال من الأحوال وكذلك لأنشك في أن أهل تلك البلاد المشرقية
الباقية على الجمول لو انجحت رغباتهم إلى ما اتجهنا إليه من الاسفار
لا ترتفع ذلك الحجاب عنهم كما ارتفع عنا وأخذوا من قلوب القوم مكانا
وكذلك لو زادت رغبتنا نحن في الاسفار إلى غير ما شاهدناه من الديار وكثر
رحلتنا في أقاصي الأرض وجوانبها من مشارقها ومغاربها الاستجلبنا من
الفوائد واستجمعتنا من الثوارد ما يجعلنا في الوجود كبارا وينقل أقدامنا
في سبيل الاجتماع المدنى خطوات بها نحل محل الاعتبار والاجلال
الفضل كل الفضل في اتصال العالم ببعضه وتمكن الانسان
من مجاوزة أرضه لما تجدد من المخترعات البخارية برية كانت أو
بحرية فأهل الاجيال الاول كانوا معذورين ولا نحسبهم مقصرين
إذا لاحظنا طول المسافات ووعورة المسالك فقد كانوا مع ذلك
يتجشم بعضهم المشقة على بعد الشقة ويخترق البحار إلى القنار
تحمله الناقة وزاده وزادها ويضطر إلى الاقتصاد منها خوف ضارية
الجوع على الحامل والمجول ولا يعود الا وقد صاحب الأرب وترؤد

الادب ورجع الى أهله فعلهم ما علم وأفادهم ما غم (فلولا نفر من
كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم) وكفى بقرض الحج على كل المسلمين والسفر اليه
جهد غياليهم ومعين على هاتيك الاسفار الصعاب التي هي في الحقيقة
قطعة من العذاب وساعد على تحمله أيضا مشروعيته لطلب العلم
(اطلبوا العلم ولو بالصبى) وسرى ذلك الى كل الامم المختلفة فكان لكل أمة
النصيب الكافي من السفر الى غيرها على قدر الاستطاعة في تلك الازمان
وان كان لا يحسب شيئا فيما هو حاصل في هذا الزمان ثم ان الاسفار
في زماننا هذا تعد قليلة بالنسبة لسهولة الاتصالات وقلة النفقات فلا بد
أن نرى الامم كلها أو غالبها يوما من الايام كأنها أمة واحدة بما يكثر
من تردد أفراد كل واحدة على الثانية في ديارها وتبادل المنافع
بينها وتعرف كل منها أحوال صواحبها وهناك تكون الفائدة
الحقيقية من الاسفار وتحل الحقيقة محل هذا الخيال

المُظنون أن قد تبينت فوائد السفر في هذه النبذة الصغيرة
وان كان ذلك على وجه مجمل بغاية الاختصار ولما كان المناسب
في هذا المقام أن يذكر بعض الفوائد الخاصة لبعض الاسفار الخصوصية
رأيت أن أذكر طرفا مما يناسب هذه الرحلة التي كانت لاحد الشبان
الأفاضل من المصريين الى الديار الاوربية وما ينجم عنها من الفوائد
في حد ذاتها مضافا الى تلك الفوائد العامة للاسفار العمومية

فأما الراحل فشهرة بالفضل واقباله على العمل وأعماله المنتشرة بيننا مما يغنينا عن الاطناب في تعريفه والتنويه بتوصيفه وأما الرحلة فآلى مجتمع العلوم الشرقية سنة ١٨٩٢ في مدينة لوندرة وأما الغرض منها فالنيابة رسمياً عن الحكومة الخديوية في هذا المؤتمر وأما الفائدة منها فبينها موجزة ولا نطيل فيها المقال

الواجب على هذا الراحل ليس الا الوصول الى مكان الاجتماع في وقته المعين وتقديم شئ من التأليف العربي الى هيئته وحضور جلساته على الانتظام وابداء رأيه فيما تدور عليه المذاكرة فيه وان يظ من قبله بعمل أتاه على الوجه المطلوب كما أجمع عليه رأى أهليه هذا كل ما كان يلزم حضرة هذا المندوب المصرى وانذا أراه كما وجب فقد خلص من تبعه التقصير واستحق الثناء من مرسله عليه الا انه لم يكتف بهذا الواجب بل أحاطه بنوافل أداها قبلة وبعده وفي أثنائه كان القصد منها استفادة ما عليه أصناف الانسان الآخرون من حيث عملهم في دنياهم وعيشهم وبنائهم وصناعتهم وعلومهم وكيفية التربية عندهم ومآلهم من الاخلاق والعادات والمشارب والمعتقدات وما هم فيه من نعمة ورضاء وشغل وعناء وما يجدونه من المخترعات الى غير ذلك مما هم عليه من جميع الاحوال النوافل التي أداها حضرة هذا الفاضل كان يتأنى له مشاهدتها

بمزان تقتصر عليه لذاتها ولما يعود يحدثنا عنها حديث الرايين
ولكنه لم يرد أن تكون المنفعة من رحلته قاصرة عليه أو معدية لنا
ولن يمكن لاتبقي بعدنا لا بناً فلذلك قيد كل مارآه من الاوابد
والنشوارد وبعدرجوعه ضمها الى بعضها واستخرج منها هذه الرسائل
الفعالة في النفوس الا آخذة بجماع القلوب عجباً واستغراباً ولقد
كان من الممكن أن يأخذ في سفره هذا طريقاً واحداً في الذهاب
والاياب وأن لا يتغيب عن بلده أكثر من الزمن الذي يستلزمه
ما كلف به فيقتصد من زمانه وماله ولكن أحب استجماع القوائد
فجبا منهي للسائحين الاقدمين واختار أن يشهد له الطريقان
طريق الغدو وطريق الرواح وقد أخذت الاقطار أمامه في رجوعه برقاب
بعضها فكلاما خلص من بلد تذكّر الثاني فانساق اليه بحكم حب
الاستطلاع وان لم يكن في طريقه ولا في حساباته وقت مبارحته دار
اقامته الاولى وطوحت به الرغبة في الاستكشاف الى أن عرج على
بلاد الابدلس العربية الاصل وليست من احدى طرقه الى بلده
وأضاف اليها بلاد البرتقال وهي كذلك لم تعين طريقه وتغيب عن
بلده تلك الشهور الطوال

المعجب في كتاب هذه الرحلة هو استنهاض همة قومه كالمراى
لذلك فرصة وتنبههم على ماجر العظمة والفخار لاوئلك الاقوام ومقابلة
أعمالهم بأعمالنا والتنبية على مواضع انتقاصنا واستحسان بعض

العوائد عندنا مع مقارنتها بما هم فيه واستجتماع ملاك البيان في التوضيح،
بعبارات كأنها فوتغراف، نقلت الينا صور معانيهم بالتدقيق فلم يقتضنا بما
تجمل الاحاطة به فائتة وكان هو عندهم حاكيا معاصرنا اليه من التقدم
ومحبة التعلم واجتلاء الحقائق على ما هي عليه والرغبة في الاستفادة
والتقاط الحكمة من أى طريق وان هذا لهو السحر الخلال

المستور في عبارات هذا الكتاب أن مؤلفه الفاضل أخذ عنى نفسه
أن يفصل رحلته الى تلك الديار في كتاب أوسع من هذا يأتي فيه على ما لم يتح
له في هذا الكتاب من مقابلات الاخلاق والعوائد والبحث في أصولها
ومرجع اللغات والاعلام وما أخذها بعبارات علمية مؤسسته على البراهين
العقلية والنقلية ولا ظنه الا فاعلانه عودنا لجد والنشاط وقد استبان
مع ذلك ما توخينا من الفائدة الخاصة بهذه الرحلة في حد ذاتها كما يفهمه
القارئ مما تتخلل عباراتها من حكمة وضعها وأسلوب صنعها وما قصده
واضعها منها نسأل الله أن يوفقنا واخواننا الى معرفة الفضل لذويه وأن
يكثر من أمثال هذا الفاضل في البلاد حتى تتجسم منافع السفر للعيان
وتتشرىها الارواح والابدان فيزداد فينا عدد السائحين والغادين
والرائحين ويعمل كل منهم على نشر ما استفاد من السياحة في البلاد
فيكون كنا عوننا الاخيه في الخط والترحال ونصل الى ما قصدناه من الكمال

عبد الكريم سلمان

الرسالة الأولى

عن نابولي في يوم السبت ٢٧ محرم سنة ١٣١٠

(٢١ أغسطس سنة ١٨٩٢)

لقد صدق من قال انه "إذا كان للعالم مجال فلا مجال ألف مجال" فراق الوطن وان حقائق الأشياء، وهي في عالم التصور، أقل منها بكثير حينما تبرز الى حيز الوجود، وتجلى في مظاهر الشهود - فطالما قرأت ما أتى به الكتاب من الآيات البينات، وما ترنم به الشعراء من الابيات الآيات، في الحنين الى الاوطان، والتشوق الى الاهل والخلان، والتوجع من مفارقة المؤلف، والتفجع من مبارحة الديار، والربوع، ولم تكن بنفسى تتأثر من ذلك الا بقدر اعجابها ببراعة الكاتب، واقتدار الناظم على صوغ المعاني في أجمل القوالب، وسبك الالفاظ على أبدع طرائق وتمثيل التخيل بما ترتاح له النفس، وينشرح منه القوادى، وكنت أظن أن ذلك انما مصدره تميق الكتاب، وتزويق الشعراء، حتى قضى على طالب المعالى بمفارقة مصر السعيدة المحروسة، وديارها المحبوبة، المانوسة، فانتجت لي هذه العواطف الجليله في أجمل تجلياتها، ووجلت هذه الشعائر الحميدة في قوادى باحلى معانيها، فتمنيت حينئذ لو كنت من المنشئين المجيدين، لاصور لك أيم القارئ العزيز والمواطن القطين، حب الوطن بحسبها في أجمل حال، وعلى أكمل منوال، ليكون ذلك

باعنا يرفعك الى عزيز شأنه، والسعي بما في قدرتك على رفع مناره،
والاجتهاد بما قسمه الله لك من العرفان في تهذيب أبنائه، وبث نور
العلم في انحاءه، فاني وعينيك حينما اقترب الوقت المضروب لمبارحة
القاهرة (يوم السبت ١٣ أغسطس سنة ١٩٢٢ م محرم سنة ١٣١٠) كنت
أمتع الطرف وأزود الناظر، بما في القاهرة من باهر المناظر، وأجثلى
محاسنها الكثرة بعد الكثرة، وأزود من رؤية معاهدتها المرة بعد المرة،
ليكون في ذخراتها الى أن أعود اليها بسلامة الله وحسن توفيقه -
وما زلت على هذه الحال، مشغول البال، هائج البال، وأنا كالباهت
الحيران حتى حان وقت السفر وحل يوم الرحيل.

احتفال
الاخوان
فاحتشد الاخوان الافاضل والخلان الامثال لتوديعي على
محطة العاصمة وكان الكثير منهم يقول « انما جئنا لتودعك حتى
تتقوى بنا عزيزتك وينشرح برؤيتنا صدرك فتبذل قصارى
ما عندك في حسن القيام بالأمورية الجليلة التي عهدت اليك
وتأتي بأصدق برهان على ان في مصر من الشبان من اذا سلمهم
بنظره الكريم أمير مصر مولانا العباس أصبحوا من أرفع الناس
للناس وجعلوا للوطن العزيز بين الامم المتدنة مقاما محمودا وفضلا
مشهودا»

فكنت أنتظر الى نفسي ومن أنا ثم أردد الفكر في هذا

الإحتفال وفي أمثال هذا المقال فأرى أن هذا التظاهر العظيم وان
هذا الإحتفال والتكريم انما يقصد به اعلاء كلمة الوطنية واتحاد
القلوب على تنشيط كل من يقوم بعمل يربحى منه نفع البلاد بقطع النظر
عن مقام القائم بهذا العمل في هيئتنا الاجتماعية صغيرا كان أو
كبيرا فإني لم أبلغ الى الآن ما يجعل القوم يتقاطرون على بيته
الحفاوة فلا ريب في ان الباعث لذلك الإحتفال والاجلال هو
الإخلاص في التكاتف على تأييد كل مسعى علمي وتفضيد كل عمل
وطني وان اخواننا أيدهم الله بروح منه قد أحسوا بوجوب
الدعوة الى رفع شأن الوطن وتميزه فلهم من وطنهم أم أخلص
الشكر وأجرل الثناء اذ ليس في وسعي ان أوفهم حقه من
الاعتراف بجميل فضلهم

ولقد لاقيت في الاسكندرية (عروس المشرق وعنوان المغرب)
عند مدهمى اليها وقيامى منها مثل ما لقيت في القاهرة وفي ذلك
برهان قاطع على ان الشعور بحب الوطن والدأب على استمرار
حركة النهضة الوطنية قد سرى في عامة الفضلاء سريان الارواح في
الاجساد وكيف لا يكون الامر كذلك واميرنا الهمام وولي نعمتنا
المقدم مولانا ألباس وطد الله دعائم ملكه ونشر في الخافقين ألوية

مجده لنسبه أحسن أسوة وأتم قدوة فإنه أول من يسعى في النهوض بالوطن المحبوب الى ذروة العز ومنصة الشرف

وقد قال لي حينما تشرفت بلثم أيديه الكريمة وشكرأياديه العيمة ان بعضهم اعترض على تعييني في هذه المأمورية العلمية العلية بانى مازلت في دور الشبية والفتوة فأجاب بلفظه العاخر المنيف

شرف المتول
بين يدي ولى
التم

«ان هذا هو ذات الواجب وعين الصواب فان زكى من نوابغ الشبان وبه يمكننا أن نبرهن العلماء أوروبا على ان عندنا من الشبان من يجارونهم في ميادين الفضل والعرفان»

فكيف لا أتبه فخارا وأختال ابتهاجا بهذا القول الذى هو أفضل من جميع علامات التشرىف ودرجات التكرىم وكيف لأدأب على البحث والاجتهاد حتى يبقى اعتقاد ولى النعم فى عبده المخلص هكذا على الدوام وكيف لا يكون فى ذلك المقال أعظم تنشيط لامنائى من الشبان يدعوهم الى أطراح الكسلى وترلا الخمول والاقبال على كل عمل يرفع شأن وطنهم ويستوجب رضا ولى نعمتهم ولئلا هذا فليعمل العاملون ويمثل هذا فليتنافس المتنافسون

ر كوب البحر
وزيادة الامتحان

قت من الاسكندرية فى صباح يوم الثلاثاء ١٦ أغسطس سنة

١٨٩٢ فى باخرة من بواخر شركة اللويد النمساوية اسمها فورورد قد

سجفت الى النظافة أسباب الراحة بحيث لم يكن يتقصنا فيها شيء مما
شراه في المداخن سوى قرب تناوله وسهولة الحصول عليه بمجرد الضغط
على الجرمس الكهربائي ولم يكن فيها كثير من السواح ولكنها
أقبلت بعد الوقت المضروب بربع ساعة على التقريب وسارت
الهيونا الى ان خرجت من بوغاز الاسكندرية وابتعدت عن الشطوط
المصرية فكنت أحقق النظر المجرد ومستعينا بالنظارة المقربة إلى
رؤية أطراف الاراضي المصرية حتى سترها حجاب الافق واذنالك
أخذتني كآبة ويولاني حزن وتماكني انقباض مما لم يكن لي به عهد
من ذي قبل فاعرورقت الدموع في فؤادي وتلهفت نفسي الى
معاهد بلادي ولم تذهب عنى هذه اللوعة الابدان أطأت الفكرة
في انى أسعى الى مجد مؤمل قديد ركه أمثالي وأعود الى وطنى سالما
غانما راجعا راجعا يا ذن الله تعالى فشاغلت نفسى عن تيار هذه
الانكار بالنظر الى تمايل السفينة ذات اليمين وذات اليسار وتلاعب
الامواج وصفاء الماء الذى اكتسب فيما أمام الاسكندرية لونا
أزرق باهيا جعل اللجة كأنها قطعة واحدة من الفيروز
الجبل

وما زالت السفينة تولى سيرها حتى أتى ميعاد الطعام فاكلت تمب البحر
قليلا منه لاني عجزت عن الاتمام ولم يك وحقتك من القادرين بسبب

ما عتراني من دوار البحر وان كانت الدوخة خفيفة جدا فقد
أخبرنا أهل الخبرة ان هذه الحالة من اخف السياحات شدة
على من ليس لهم عادة بالاسفار في البحار ولكن هذا القول لم يكن
من الامتناع عن الاضطجاع على فراشي فلما حان العصر خرجت
الى ظهر السفينة لاجرب الحالة فعاودتني الدوخة ودوران اراس
فقلت مجعلا الى مضجعي ولم تيسر لي الاستراحة الا بعد ان
صارت معدتي صفراء من الصفراء مدة الليلة الاولى واليوم الثاني
والليلة الثانية ولم اتمكن من تناول شئ سوى قليل من اللبن
بالقهوة وبعض الفاكهة وقد كان صاحبي حضرة الشيخ محمد راشد
قد أصابه ما أصابني فلبثنا في ججرتنا مضطجعين على الاسرة متقابين
فكنا في هذه الحالة أشبه بالمرضى في المستشفى المساوي ووجه
الشبه الجامعة في الجنسية بين المستشفى والباخرة ونظافة الخدمة
واتقانها وقيام عامل من صنف واحد بها وقد شعرنا بشدة اضطراب
السفينة وتزايد ارتجاجها (أو توداتها أو ميدانها) حينما اقتربنا من
جزيرة كريد (١)

(١) كنت تصورت أن اشتقاق لفظة القندعني السكر عند العرب من اسم هذا الجزيرة
الآن الذي هو كندا لأشهرها بالاصطناع العسل الجيد ولو أن علماء اللغة نصوا على
ان القندعريية وارد في الشعر الفصحى وقال بعضهم انها فارسية ولذلك تحريت
للحقيقة فعملت بعد البحث والتنقيب أن المسلمين لما فتحوا هذه الجزيرة في سنة ٢١٠

وفي اليوم الثالث مررنا أمام سواحل اليونان وبين بعض جزائرها وكان من معنا من بنى الاغريق (الجرىج) فرحين مبتهجين برؤية سواحل بلادهم يرون اليها بالخط متوال والانشراح ملء قوادهم ثم مررنا قبالة جزيرة كورفو Corfu (قرقس في كتب العرب) ذات

اختطوا بها مدينة سموها **الهندق** ثم تحريف الروم والافرنج هذا الاسم الى كنداوت وعارفة العرب بهذا الاسم وتناسوا الاسم العربي القديم كما حصل مثلاً في «دارالصنعة ودارالصناعة» فله اسم عربي معتبر يدل على المكان الذي تصنع فيه السفن ذكره بهذا المعنى القري وان بطوطة وابن الانسير والادريسي وابن خلدون وابن جبير والمسعودي وغيرهم وهو عند العرب يدل أيضاً على المكان الذي تصنع فيه ثياب من الأثياب ولكنه بالسفن أخص حرفه الأسيانيون الى Darsena و Aterzana و Arsenal وقلها الطليانيون هكذا Arsenale و Darsena والانكليز الى Arsenal والفرنساوية الى Arsenal و Darse ومن المعلوم ان أهل مصر في هذا الزمان أي من أيام محمد علي استعملوا فمياً يتعلق بفن البحر كلمات كثيرة نقلوها عن اللغات الافرنجية وأخصها الطليانية فلم يلتفتوا الى أن كلمة Darsena أصلها عربي بل أضافوا لفظة (خانة) التركية وقالوا ترساخانه لاعتيادهم على اضافة «خانة» الى أسماء جميع الاماكن العمومية الاميرية جرياً على الاصطلاح الخاص باللغة التركية ثم انهم أحسوا بعض المخالفة بين لفظي (ترساخانه) و (دارسنا Darsena الطليانية) فخذوا خانته واقتصرواعلى قولهم «ترساخه» ومثل هذه الكلمة كثير نقله الافرنج الى لغتهم ثم استرجعها العرب من غير أن يعيدوا لها شكلها بل أبقوها بكيفية لا يكاد يتعرفها الباحث وليس هذا محل استقصائه وأرجع الى الموضوع فلوردناه، فأنتفضني

المنظر الجميلة والحدائق الغناء التي اشتهرت في السنة الماضية بقيام
أهلها على بني اسرائيل وقتكهم بهم الفتح الذريع
وصول برندى ومازال البحر صاحبا والهواء موافقا والشهية حاضرة فعرضينا
ماقاتنا من الطعام وخسر متعهده ما أكسبه اياه اشتداد الجوع في
اليومين الاولين حتى وصلنا في ذلك اليوم الى برندى واسمها في كتب
العرب ابرندس وعند الفرنسية برند (Brindes) وعند الرومانيين

به حصرة صديق المهذب محمد افندي كامل تيمور من اعيان التجار بالاسكندرية تكون
هذه الجزيرة وطنه وله بها علم تام - كانت هذه الجزيرة تسمى عند قدماء اليونان
(ابدا) لتكون أعلى جبل فيها كان معروفا بهذا الاسم ولما كان طولها بضاهى عرضها
سبع مرات أو ثمانية سميت باسم (الطول السعيد) ثم سميت باسمناه (نات الهواء)
لكونها هوائها جيد وخالفا لغيره ثم أطلق عليها اسم جديد سميناه (العظمة) لكونها
أعظم جزائر بحر الروم وفي آخر الامر سماها الانارقة (كريت) تسمى بها لكون
زوجة أحد حكامها كانت تسمى كذلك - قد وردت هذا الاسم في تاريخ يوناني
قديم ألفه من هذا الجزيرة أحد الفلاسفة والمؤرخين واسمه باكو فاثون - وقد قال
حسين بك كافي في تاريخ كريت الذي ألفه باللغة التركية ان العرب حرفوا كلمة
(كريت) الى اقريطس والعثمانيين الى (كريد) لسهولة التلفظ بها

ولمناسبة كون العرب بنوا في مدينة ايراقليو (Hiraklio) المعروفة
الآن باسم (قسنطينة وكندية) خنادق وطوابق جسيمة لازالت موجودة الى الآن
حرفا الروم والاورباويون لفظة (خندق) الى كندك ثم الى كنديه وجعلوا هذا
الاسم للدلالة على خزمن الجزيرة فبجاء البنادق وأطلقوه عليها كما هو بقي ذلك مستعاراً
صدا لإفريقيج الى الآن

برنتسيون أو برنزيوم (Brintision و Brindisium) وكما
نعتمد أننا نجد من وكلاء كوك فيها أعظم مساعدة فلم يتحقق
أملنا وأقول انه اذا كان جميع عماله في الجهات الأخرى من
الكسل والخمول مثل ما هم عليه في هذه القرية فلاحسن
للغريب أن يسترشد بكتب الدليل ويياشر شؤنه بنفسه ولعلمهم
لا يكونون كذلك في بقية المدن التي سنمر عليها وقد سمعنا عنهم
خيرا كثيرا ونحن بمصر وسنكتب عما شاهدناه منهم بعد ذلك ان
شاء الله

كان وصولنا الى ابرندس أو ابرنطس (كما سميها العرب) بعد قيام قطار
الصباح (الساعة السادسة) المتوجه الى نابولي عن الطريق القريب
فخرنا بين المقام في هذه المدينة الحقيمة (بالنسبة لأوروبا) وبين
اتباع الطريق الخفى مع القطار الذي يقوم الساعة تسعة وخسة
وعشرين دقيقة فضلنا الرأي الثاني لكي نتخلص من أخلاق أهل
برنديس وأخلاقها الذين هم أخط في المدينة من جمعية مصر
وأرذل من سفهائهم وأشد الخافا والحاطا من شعائى السيدة
زيديب

فتوجهنا الى المحطة وكان مع رفيق شنتنان ومعى أيضا ثنتان الطريق من
برنديزى الى
نابولي رجال المحطة الا أن يكون ارسال ثنتين منها بعد دفع الاجرة

عنهما فامتلتنا ودفعنا نحوها من سنة وثلاثين قرشا وهذا ليس من الغرابة في شيء بل الاغرب ان أحد مستخدمى المحطة (وهو الذى ألزمتنا بحمل متاعنا الى المخزن) جاء الينا بعد أن تبوأنا مقعدنا من القطار وطلب أن نحفضه بشيء من النقود فقلت له عجا منك ومن فعالك تغرنا ما ليس بواجب علينا للسكة الحديدية ثم تجيء وتطلب منا الاحسان ولكنه أظهر المذلة والمسكنة وباه فرحا مبتهجا حينما أتحفضه بنصف فرنك ثم قام القطار فانا الارض حوالى ابرندس ~~مكتسية~~ بحملة خضراء مزينة بأشجار ورقاء كل ذلك وهى صخرية قد أذابت الامطار قشرتها وأودعت فيها الخصوبة والبركة باذن الله بحيث اتسكا نرى كثيرا من الاشجار نابسة بين شقوق الأعمجار ونرى الاراضى بارترفاع وانخفاض واستواء وانحدار وكلها مجللة بنباب سندسية فى غاية البهاء وقد رأينا الكرم فيها وفى بعض جزائر افرىقىة (Grèce) * (أى بلاد اليونان) لا يرتفع عن شبرين فكان منظره كنبات الخس فى مصر ولكنه يأتى بالحصول الكثير والعنب الجيد اللذيذ على ما بلغنا من أهل هاتيك الديار وهذا دليل على ان اتخاذ العروش والتكايب لأشجار الكرم مما لا يجديها نفعا بل قد يترتب عليه قلة المحصول لان العصاره تنصرف فى ساق السات وأغصانه بدلا

من ان تتكون ثم احنا ومع ذلك فالحكم لعلمه السات فقد دتقال ان
الغيب متفان

وبعد ان ابعدنا عن ابرندس (برندى) رأينا الارض قاحلة فيها
نبات شائك شاهدنا المقوم بحرقونه في بعض الجهات لتسميد الارض كما
يفعل بعض أهل مصر ولما تجاوزنا هذه البضوحى برأينا السهول
قاحلة ساحلة ثم مررنا على بلاد عامرة وكان مرورا على ساحل
البحر الادرياتيكي (المعروف عند العرب ببحون البنادقين) وكانت
معنا في الواور فرقة من الجنود فلما مررنا على محطة أوستوني
(Ostuni) رأينا فيها كثيرا من النساء العجائز ينتظرن من
لهسن من الاقارب فكن يودعنهم ويقبلنهم بيكاه وانتحاب مثل
ما يراه الانسان ببعض محاط مصر سوى انهن لا يولولون بالعويل
والصياح وما زال الواور يسير بنا بين جبال وتلال وقيعان
ووديان حتى قدمنا مدينة نابولى الزاهرة الباهرة بعد ان اخترقنا
ثلاث مقاطعات فى الجنوب والشرق الشمالى لجنوب ايطاليا
وكلها تستقى من مياه الامطار تخزنها فى صهاريج ورأينا فيها
سواقى ونواعير وآبارا يشبه ماؤها مياه الآبار فى مصر وقد علمت
ان المهندس (زنبارى) قدم مصر وعا مقتضاه شق ترعة تأتى بالمياه
من نهر سبولى (Sete) الذى يصب فى خليج سالرنو (Salerno)

لترتوي منه مقاطعات فوجا وباري ولتشي (و Foggia و Bari و Lecce وفي كتب العرب فوج وباري و ليج) وان نفقاته تبلغ مائة مليون ليرة طليانية (والليرة الطليانية تعادل فرنكا فرنساويا فتكون مساوية بنحو من ستة وعشرين جزءاً من الجنيه المصري) قدم هذا المشروع من نحو ١٥ أو ٢٠ سنة ولكنه لم يبرز الى حيز الوجود لقلّة المال وعدم تيسر الحصول عليه هذه بحالة تسيرة من أمور كثيرة علقّت بها مذكرات ومفكرات سأفصلها في الرحلة ان شاء الله

السلسلة الثانية

عن رومه في يوم الاثنين ٢٩ محرم سنة ١٣١٠

(٢٢ أغسطس سنة ١٨٩٢)

لعلني أكون أحرزت برساتي الأولى رضا حضرات القراء فوائده السفر
الالباء والافان العذر واضح لكون كتابتها كانت بعد تعب شديد وتسهلته
عابته من سفر ثلاثة أيام في البحر تناولها عشر ساعات بلا انقطاع
في باخرة البر وليس في ذلك من غرابة لعدم العادة وإقده كان سمي
ينبوع من مقال القائل (بل العذاب قطعة من السفر) فلما حقق
الخبر الخبر زال عني الاستكفاف مما كتب أحسبه ضرباً من المجازفة
في المبالغة خصوصاً وان أسلافنا لم يكن لهم ما أقاضه عرفان هذا
القرن (التاسع عشر) على أبنائه من تسهيل الاستقبال وتأمين
الارتمال وتقليل المسافات وتناهي الجنس في النفقات بالنسبة لما
كان ينبغي صرفه في هاتيك الاوقات وتيسير أسباب السير والنظر
والتأمل في آثار من غير ومضوعات من حضر وتوسيع دائرة العقل
بالاطلاع على نتائج أفكار الغير إلى ما هائله من الفوائد المكاسب
في المتاجر والمصانع مما لا يشكره الا المكابر وان ذلك فاني بعد المقارنة
أحسب هذا التعب راحة وهذا الشقاء نعيماً فلم أتر بص حتى يجيئني

الانباء من الاصدقاء كما كان لها كورة رسائلي من الشأن عند الانباء
فاني (على كل حال) أشعر في نفسي بما يدفعني بالرغم عني الى
الكتابة حتى أكون كافي بين الخلان والاختدان فقد وجدت
مجال القول ذاسعة وألقت مقام الكتابة صالحا فاقول .

فابولي وروية ان نابولي والحق يقال لتستحق أن يكتب عليها مجاد ضخمة
أول مدينة من اوروبا لاصفحات ألميلة تتلى (أولاتي) ثم تطاير في الهواء وذلك لانها ضمت
الى بهاء المنظر جمال الطبيعة وقرنت بين حسن الصناعة
ونشاط السكان مما يجعلها جديرة بان تشهد اليها الرحال وينزل بها
أولو البصائر والأبصار الايام الطوال بل الشهور بل الاعوام

عود لوصف والذي يضاعف حبها في نظر القادم اليها من الطريق التي
الطريق الى نابولي اتخذناها (طريق فودجا) انديوافها بعد أن يقطع كثيرا من الفيافي
والقفار ويسير خلال الجبال الموحشة والارض اليباب وتحت الانفاق
(Tunnels) المنقورة في الصخور وفوق القناطر القائمة على الوديان
والاغوار وبين الواويات الخاويات وكل ذلك يجعله غير مستأنس
ولابنفسه متوجسا خيفة من كل ما يحيط به حتى ان الخيال
(أو الحقيقة) ليصور له ان باخرة البرذات قد انتعشت بقوة الحياة
فتولاه الرعب وتماكها البلزع فأخذت تلمس في مشيتها وتسبب
الهُوبنا (لاعن تختتر) بعدان كانت تسعي على عجل فينقاب

أبغضنا لما رجع من صدرها زحيرا يمازجه صوت أبح خافت يعاون
على إكمال الوحشة وابعاد الاثتناس وهي في غضون ذلك تنساب
فوق الوهاد وتحت النجاد كأنها الافعوان (يخرج ليكون قانلا أو
مقتولا) ولا يزال هذا حال الراحل وحال مطيته حتى يصل بالسلامة
الى نابلس الغرب الاوروبي ولكن (شنان بين مشرق ومغرب) فيجهد
غيب السرى اذ يرى نفسه في مدينة هي في الحقيقة كالحديقة
الانيقة ناعم البال منشرح الفؤاد ويصدق قول من أنشأ (وبضدها
تميز الاشياء) ولكني أترك الاسترسال مع هذا التيار فقد ألقيت
عضا التسيار وقرت العين باجتلاء محاسن هذه المدينة اليبانة
الرائعة الناصعة ومعاهدها الباعرة الزاهرة الفاخرة وخدمتي حديثا
وبجيزا على عجله وانتظر اذا أردت التفصيل في الرحلة

* هذه المدينة أسسها أقدم قدماء الاغريق في الزمان بحالة على نابولي
العتيق وسموها بلسانهم نيبوليس (Neapolis) أي المدينة
الحديثة وكان لها اسم آخر غير شائع وهو پارثنوب (Parthenope)
وقد حرف الطليانيون اسمها المشهور الى نيبولي ثم نابولي
(Napoli و Naples) والفرنساوية الى نابل (Neapoli)
وعرب هذا الزمان الى نابولي وقد ورد اسمها في كتب
الجغرافية العربية القديمة (نابل ونابل الساحلية ونابل الكنان

لكثرة هذا الصنف ومنسوجاته بها في قديم الزمان) واما نابلس (أو نابولس) المعروفة في الشام فقد أطلق الرومان عليها هذا الاسم غصبا وألقوا اسمها القديم وهو شكيم (Sichem) الوارد في التوراة وقصص الانبياء ولقد أخذ خطأ بقوت الرومي حيث جهل الاصل اليوناني لهذه التسمية فاتخذ لها اشتقاقا من عذباته أو نقلها من غير تثبت فقال في مجبه انها مركبة من « ناب » أى سن ومن « لوس » أى التين بلسان السامرة فيكون الحاصل من معنى اسمها « ناب التين »

وليس أهمية هذه المدينة وبهجتها بسبب أقدميتها وما بقي بها من آثار أهلها السابقين فانها خلوص الخلفات والاطلال التي يقصدها عادة الزوار في المدائن القديمة العهد مثل نابولي وانما هو موقعها الذي لا يزيد عليه في العالم كله سوى موقع القسطنطينية وحسبى هذا التمثيل للدلالة على انها جمعت المحاسن الطبيعية الشائقة والمناظر البهيجة الرائقة فهي على هيئة مدرج ينحدر على سفح تلال تنهى الى البحر وفي شرقها بركان فيزوفيو (Vesuvio) المعروف عند العرب بجبل النار) وحواليها تلال ترى المنازل نازلة من أعلى قلها ترى الى منتهى سفحها فاذا ارتقى الانسان احدها نظر الى المدينة بجملتها فرأى من شوارعها الصاعد والتازل والمنحدر

بالمستوى والمنحط والعالى ومع ذلك فالهواء فيها كلها جيد والحركة
مستديمة لانهم من أهم موانى هذه الديار وأكثر مدائنهم فى العمار
ويعتبرها أهل السياحة والانسفار من أجل الامصار وأهمج
مواقع الدنيا على الاطلاق وقد كان خليجها العجيب • يجذب الى
نواحيها الاغراب من جميع الاصقاع وما زالت الآلاف منهم تتردد
أيضا فى هذا الزمان على ربوعها الغناء وحدائقها الفخاء
للرياضة والنزاهة ومن الغريب أن حسن سوقها جعل الاجانب
يطفحون اليها كما ان رخاء العيش فيها أوجب رخاوة أهاليها فلم
يذودوا عن حياتهم ولم يصدوا الفاتحين وغاراتهم فتوالى عليهم حكم
اليونان فالأوسكيين (Osques) فالرومانيين فالقوط (Goths)
فالبورنطيين (Byzantins) فالنورمانديين (الذين يذكركم العرب
باسم الجوس) فالالمانيين فالاسبانيين

ومدينة نابولى المذكورة هى مدينة كبيرة ذات شوارع واسعة
ومبان شاهقة تفرجنا فيها على مربي الاسماك (Aquarium)
ورأينا معيشتها وهى فى نفس ماء البحر على أشجار الصخر وفى خلايا
الاعشاب المائية بشكل غريب ومنظر محبب وتفرجنا على
القصر الملوكنى وقد كان تشييده فى سنة ١٦٠٠ وفيه من الصور

والرسوم والتماثيل والموائد ما يدهش الاظهار ويحير أفكار أولى
الالباب ويقضى بالعجب العجاب وهو متنوع الارجاء فيه منازة فسيحة
جدا ترى فيه الاشجار منضوذة على شكل الاسوار وهيئات
المثلثات والربعات والمخينات وأغصانها مشبكة محببكة منضوذة
ممدودة مقصوصة مرصوصة بحيث تتكون منها أشكال
وتراكيب على طراز غريب وترتيب عجيب ورأينا فيه مربى للطيور
ولكنه ليس بالشئ العظيم ورأينا الاشجار الباسقة والمياه الدافقة
والخضرة النظرة التي تشهذعراها الاذهان وتكحل بطلعة نورها
الاجفان فلا عجب اذا كان بنو الطليان من أجود أهل الارض في
اتقان الشعر واجادة التصوير واحكام الرسم والبلوغ في الصنائع
لمستطرفة والفنون الجميلة غاية لا تكاد تدركهم فيها أمة أخرى
فقد رأينا في هذا القصر الطائل من الرسوم والنقوش وأساليب
العمارة والتفنن في النحت والاغراب في التمثيل والتخييل ما لا تفي
هذه العبالة بعشر معشار ما يستحقه من البيان ثم جلنا في شوارع
المدينة صاعدين هابطين متأملين اقتدار الاهالي وشغفهم بتجميل
أماكنهم وتزيينها بما يستوقف الاظهار ويقضى علي الناقد المنصف
بان يقضى لهم بسلامة الذوق وحسن الاختراع

وهنا أستطيعك أيها القارئ أن تقف معي برهة امام الجمال الحليظة في
وتؤذي له واجب الاتاوة مقرونة بالتسيح والتليل والتكبير (سبحان المحسن
الله - الله الله - ماشاء الله - الله أكبر)

فاننا من عهدنا بآرخنا الاسكندرية وفارقنا سانسنا فو (ماتق
الغادات الحسان ومجمع الغانيات المحجبات) لم يستقر طير نظرناعلى
شئ من اغصان الملاحه سوى اتنا كنا نرى في طريقنا من برندى
الى فودجا الى نابولي بعض أشباح يتسبين الى حواء ولانسبة وهن
من قبح الصورة وسماجة الوجه بحيث لورا هن شيخ الابالسة امدل
عن الوسوسة واستبدل الاعراء بالفرار والاعرب من ذلك ان
وجوههن تكون جافية واقدامهن حافية وشهورهن متسوفة
ورؤسهن مكشوفة ومع ذلك فلا بد لهن من العظامة وما يقوم
بمقامها كأن تآزر الواحدة بالفستان وتتشح بالصدار لانظها رقد
هو أشبه بالقدر وما زلنا على هذه الحال حتى ظننا ان أوروبا انما
ترسل الى بلادنا أفضل ما فيها من العيون الناحرات الساحرات
والمحافظ القاتات الفانكات فلما قدمنا هذه المدينة رأينا غير ما ظننا
ولقد كان منظرنا وخصوصا الرفيق الموافق والصديق
الصادق الشيخ محمد راشد يستري منهن الانظار فكان لى بذلك
فرصة اعتمتها لتعويض مافات والتأمل فى صنع ربك ذى الجلال
والاكرام فكانت الواحدة تحملق الينا فترسل سماما من فخر

الاحباط والاخرى تستغرب من شكلنا فيفتتر فها عن دبر يأخذ
بجبات القلوب ومنهن من كانت تترك علمها الذي خرجت لاجله
من كنام او تسمى خلفنا تستغرب شكلنا بينما نحن معجبون بشكلها
ومنهن من كن يطلن من الشبايك فيشكن القواد ولا جرج
عليهن ومنهن من كانت الخواتم بخصورهن أليق من الحياصي وغير
ذلك مما يطول شرحه ويقصر راعي عن بيانه حتى اتنا لم نرحيله
للتخلص من شرالك هذه الشباك سوى التجميل بالرحيل فقط صدنا
المحطة

ع وعذابه
سفر

قوة معنا في شبكة لم نكن لنا في حسابان ولم نتحظر لنا عنى
بال وذلك ان عمال السكة الحديدية أبوا الا أن يدفعونا الرسم على
ثلاث شملتات من متاعنا وابقاء شنطة واحدة تحت يدنا فأظهرنا
لهم شدة الغرابة من تنوع المعاملة في برندزي أولا وفي نابولي ثانيا
وقلنا لهم أليس القانون واحدا في ايطاليا كلها أم هل يختلف
تطبيقه بحسب الازمنة والامكنة والاشخاص فكان جوابهم لنا
(برندزي هي برندزي وأما نابولي فهي نابولي) فلم نربدا من تقديمهم
ما طلبوا ولكنى حررت هذه الجلمة في مذكراتي واذ لم يكن لي من
الوقت ما يكفي للتعق في البحث عما حوته هذه الكلمة الجامعة
من دقائق المعاني وعويص الافكار آثرت أن أطرحها الآن على

حضرات علمائنا الاعلام ليجعل لهما موضوعا للتون والشروح
والحواشى والتقييمات والتكاملات والتذييلات والتعليقات والاخذ
والرد والتوجيه والاعتراض والقيـل والقال حتى اذا رجعت
السلامة ووقفت على خلاصة الابحاث أخذتها عن الثقات غنمة
باردة وزينت بها صفحات الرحلة

ثم سارت بنا باخرة البرالى رومة في طريق تحف به من الجانبين الطريق لرومه
أشجار مدت أغصانها فاشتبكت فكانت أشبه بعدارى الجان خرجن
من الجبال المحيطة وتميان للرقص على أجل منوال قدت كل واحدة
منهن ذراعها الى أختها ذات اليمين والى تربها ذات الشمال ووقفن
فى انتظار القطار حتى اذا اقترب منهن تحركن حركات منتظمة
مجبسة بقدود مياسة وأصوات مطربة واستمر الحال على هذا
المنوال بين الجبال السماء تتخللها الخصرة الزهراء والاشجار
الشماء حتى بلغنا رومة بسلام وتوجهنا الى الفندق واسترحنا

الرسالة الثالثة

رومة (١)

من فلورانس في الثلاثاء عرصة صفر الحبر سنة ١٣١٠

(٣٣ أغسطس سنة ١٨٩٢)

الامهات
من رؤية
رومة
فأمة
رومة

يا للعجب يا للعجب كأنني نسيت الكتابة بلسان العرب أو كأن مقامي
بهذا البلد أضع اللب وأذهب الرشد فكيف العمل فكيف العمل
وأنا كلما حاولت التحرير أو أخذت في التجميع استعصى القلم
وحزن جواد التفكير وإنما تولى المطالب أنها لا يجعلني أعرف
بم يجب الاستهلال ومتى يكون الختام وكيف أتخلص الى تلخيص
شيء من المذكرات الجملة والمفكرات العديدة التي اقتطفها أوجعتها
على هذه المدينة المختلة في حلال الهاء والجمال المجللة بما أودع فيها
من آثار العظمة ومشاهد الجلال ففيها العمار الفاخرة الفاتحة
والقصور الواسعة الشاهقة والمزارع المتعددة المتنوعة والبقايا
الكثيرة مما خلفه فيها القياصرة والامبراطرة والقناصل والامراء
والاشراف والكبراء والسادات والباباوات فانها من يوم نشأت الى
الآن ما زالت عاصمة السياسة والحل والعقد وكعبة الديانة الوثنية

(١) رومية ورومية الكبرى ورومية الملائكة في كتب العرب وبشقها نهر

التير (Tevere و Tibra) المعروف عند العرب بنهر الصقر

ثم النصرانية وكل من تولى الامر فيها يسعى بما في وسعه لتوسيع نطاقها ويذل جهده في زخرفتها بما يوجب له الفخار ويستبقى ذكره على ممر الايام فلذلك ترى شوارعها فسيحة وميادينها أنيقة وفي كل ساحة فسقية يتدفق الماء منها وفيها باشكال مهيبة وأصوات مطربة وقد نصبوا فيها كثيرا من المسلات التي استجلبوها من بلادنا مع أن عاصمتنا القاهرة خلومنها بالمترة (والذي بقي عندنا من المسلات ما زال في موضعه يتدب التمدن الذي كان حوله ويتحسر على عدم العناية به مثل أمثاله في أوروبا وأمريكا)

وللباني في رومة منظر رائق بهيج بالوان زاهية براقية تجذب النظر غرام أهلها وعلى جميع جدرانها أبوابها ونوافذها ومطلاتها وشرفاتها وأفاريزها ^{بالتحصيل والتجميل} ترى التماثيل من النقوش البارزة والتصاوير المختلفة والرسوم المتعددة كأن كل واحد من أهلها أراد أن يستوقف السائحين والجائئين والرائحين والجائئين بل هذا غرام قام بهم وشغف لازمهم فلا مندوحة لهم عنه لانك ترى حتى الجزائر (القصاب) يزوق حافونه بأغصان الاشجار ويعرض اللحم على الانظار مقطعا قطعاً ملتفا أعلاها بقرطيس من الورق الابيض الناصع تنضم ثباته الى بعضها فتجمعهما زهرة من الزهر المختلفة الالوان ومثله بائع الخضار في حسن الترتيب

وجمال العرض ولا يتقص عنهما غيرهما فكل واحد يتفنن فيما يلزم الخلائق بالاقبال عليه (والى ما يشتري يتفرج)
كنائس رومة وقد اغتنتنا فرصة مقامنا بهذا البلد لزيارة قما به من الكنائس التي يضرب بها المثل في الضخامة والفخامة والمناطة والحلالة والتناهي في الابداع واللاتناهي في الاغراب والتشييد الهائل والزخرفة التي تلهي ولاشك المتعبدين والمتعبات وتشغل المتسكين والمتنسكات بالنظر اليها (والى بعضهما خصوصا) وإن العقل ليجار في كيفية تشييدها ويدعن باقتدار ذلك الذي صورها بالقلم على القراطيس ثم أبرزها مجسمة على سطح البسيطة حاوية كمال التناسق وقام التناسب واحكام الصنع واتقان الوضع في كل نوع من جدرانها وعمدانها وسواربها الى عقودها الى سقفها الى قبابها حتى انه لم يترك مقالا لقائل ولم يدع مجالاً لاستعمال ليت ولو وفوق ذلك فان للقوم بحفظها عناية لا بعدها ولا قبلها ففي كل كنيسة منها سلام للتمير والترميم والتجبير والتعيم ومع كثرة الكنائس والبيع بها (فانها تكاد تناذر نصف الالف) رأينا القوم مشتغلين بتشيد غيرها وأنت تعلم ما حاق في هذا الزمان بالحكومة البابوية والسلطة الدينية من الضعف والاضمحلال في بلاد أوربا على العموم وايطاليا على الخصوص

هذا وقد زرنا معرض الصور والرسوم ومصنع الفصوص بعض مشاهد
وأفسيقفسا في قصر القاتين وكان ورأيناهم من الغرائب والعجائب التي رومة
تقصر عن تفصيلها هذا الاجال ثم شاهدنا ما بالمدينة من آثار القديما
والمتاحف والمارض والقصر الملوكي والاطلال القديمة والسراديب
المنقورة في قلب الجبل حيث كان النصارى في مبدئ أمرهم يلجئون
اليها أيام الاضطهاد ويتقون بالاختفاء فيها شرعياد الاوثان

وقد رأينا في كل ساحتها وياحاتها وبياديتها وبساتينها وفي كافة
الإرجاء من منازلها وشوارعها تماثيل كبارهم عذائهم الذين
قاموا بخدمة الوطن وترقية شأن البلاد ونعزير مقام الأمة بحيث
ان ذكرهم لا يمكن أن يمحوه الزمان وبذلك عرف الالهون عالمهم
وجاهلهم كبيرهم وقبيرهم مقدار الاجر العظيم الذي يصيبه من
ينفع الوطن من أى وجهه كان وبأى عمل كان ووقف السكان
وما على تواريح أولئك الذين استفادت منهم البلاد فائدة حسنة
أو معنوية قليلة أو جليله واتخذوهم نموذجا لتهديب الابناء
الناشئين وتربيتهم على السير في جاذتهم ومحاسنهم في خدمة
الاطوان

وهنا ينبغي لي ان أقف قليلا كاسف البال متحسرا على
كون أهل بلادنا جهلون تخليد ذكر من له فيهم منفعة باية وسيلة
تكون مع انه وایم الحق هو أفضل الاعمال وأجل ماتشد ذكرهم
تأسف على عظماء مصر
واهمال

لاجله الرحال فان الذي يعلم أنه اذا خدم وطنه عرف قومه قدره وأجلوا ذكره وشادوا له الأثار والمباني التي تضمن له عمرا غير العمر الفاني وتستديم حياته الى كل جيل لاشك انه يضحي النفس والنفيس ويواطب على السعي والعمل لنيل هذا الشرف الذي ليس بعنده شرف . ألا ترى أن الكثير من علمائنا وفضلائنا قد انقرض ذكرهم بمجرد دخولهم في رسمهم اللهم الا أن يكون لهم كتاب متداول مشهور (وهم الاقلون) وهل يصح لي أن أعرف بنى وطني الكرام بان السعي في تخليد ذكر الاماجد الامائل الذين يخدعون الوطن هو أكبر باعث ينض بالنفوس ويحرك العزائم ويحدد القرائح ويوجب اقدام على العظام فتغتمن الامة والوطن أجل المغانم ويربحان باجتاد أفرادهما وسعي أبنائهما من غير أن يكونا على الدوام في حاجة الى الاجنبي والدخيل لانسير الابعسكة فورهما ولا تهتدي الابهديتهما وارشادهما أما أن لنا أن ننظن الى هذه الحقائق ونترك ماوراهما من المنافع فنطرح الحسد منا لبعضنا ونسعي جميعا في وجهة واحدة لصالح الوطن العزيز كل بقدر ما عنده ونعضد بعضنا لتكون كالبنيان المرصوص فاعل أهل بلادنا تهزم الاريحية المصرية وتثور فيهم الثورة الوطنية والحمية الاهلية فيتشبهون بأمم أوروبا لنوال التلاح والنجاح

أواه . يتحدثني نفسى عند كتابة هذه السطور بان الكثير من القراء لابد أن يستخف بهذا المقال ولكنى أناذى من له حياة أو كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فتلک لعرك عواطف وطنية واحساسات قومية وددت لو يشعربها أهلى كما تلکنى

حينما رأيت الخاصة والعامة فى هذه المدينة واقفين تمام الوقوف ^{نهوض} على جميع ماجريات أولئك العظاماء الذين أقيمت لهم التماثيل ^{اطاليا} والانصاب وتزينت بصورهم قصور الملوك وقاعات الدواوين حتى ^{فى طريق} كان ذلك باعثا للامة الطليانية على مباراة الامم العظيمة ففتحت المعامل الكبيرة وألفت الشركات الجليلة وأقدمت على مهام الاعمال حفظت ثروة البلاد فى البلاد وروجت الصنائع الوطنية فاكسبت أعيان اكساب نعم لانكر أن الدولة الطليانية واقعة الآن فى أزمة مالية وقد برك فيها جل الفقر ولكن لها عذر واضح من حيث انها فى وقت قصير انشأت موانى حربية بحرية وأنجزت كثيرا من الاعمال العظيمة ذات المنفعة العمومية لكي تضلهى الدول الكبيرة والامم المثرية فكانت كالزراع ينفق كل ما عنده ثم ينتظر الغلة والريع وقد بدأت تجنى ثمار ما عرست وأخذ الخريد يدر عليها وأظن أنه لا يمضى عليها نحو النصف مائة حتى تنفض ما عليها من غبار الفاقة وتفوق مما حاق بها من الارسالك والاعسار

أمور نافوية
والقيظ
بأوروبا

وكان في بك أيها القارئ قد علمت من هذا الاستطرد ووتة مني بدل ذلك ان اكلشفك بما رأيت في هذه البلاد من الامور العرضية النافوية التي قد يكون وراءها فائدة مجتة جرئية يمكن ادخالها في بلادنا مثل العربيات والسكة الحديدية والبريد والتلغراف والبواخر والشرطة (البوايس) وما أشبه ذلك من التنظيمات من انهم يضعون اسماء الشوارع على رقع مربعة من الرخام لكي لا يتطرق اليها البلاة بسرعة كما حصل عندنا في الاخشاب التي وضعها نظارة الاشغال في القاهرة بمصاريف باهظة ولكني أقول لك ان الحرس شديد جدا واني أقاسي منه أكثر منك من عهد مبارحتي للاسكندرية الى هذا اليوم حتى كأي ذهبت الى اسوان أو السودان فعافني من ذلك الآن عافاك الله واعتقد أن الحرفي هذا العام بأوروبا أشد منه في كل عام بل لم يهد القوم له مثيلا قبل الآن ولقد كنت أستغرب ذلك في أرض أوروبا حتى قرأت في جريدة التريونا الصادرة في يوم الاثنين ٢٢ أغسطس تلغرافا من باريس ينبئها بان اشتداد الحرف فوق العادة قد أتلف صحة الجنود الذين في المناورات في جملة جهات وآخر من ويانة يقول ان القيظ مستمر فيها وأنه وردت عليها الإخبار من جملة مدائن ان الحرف سبب وفيات كثيرة وان سبعة من العساكر

بهفت أرواحهم من اشتداد الحر بينما كانوا في المناورات وأن
الفلاحين قد اضطروا لترك أعمالهم وأن الفاكهة قد أصابها أضرار
بليغة فيكيف لانشفق علىّ مع ذلك كله وقد كنت أيضا بالامس
(نوم الاحد) أترى في رومة ورأيت في منازلها من رأيت
وما رأيت وحسبك منى هذه الاشارة لانك لبيب ففهم

الرسالة الرابعة

مدينة الورانسة

تأسف لفران رومة : لولا وجوب الوجود بلندرة في يوم موعود وميقات محدود لحضور احتفال مشهود والاشترالك في مؤتمر معدود لأطلت المقام برياض رومة الغناء وأكثر من التجوال في ساحاتها النجباء ولكني تزودت من شهيم عرارها ونشبت من محاسن آثارها فودعتها بالعين والنفس متطلعة اليها والقلب شغف بها ورددت الدعاء لدولتها بانثروة واليسار وما ركبت القطار حتى بادرت فأعقبت ذلك بالدعوات الصالحات المستجابات لوطني وخلاني وأهلي ونفسي وذلك لانه خيل لي أن الدعاء مقبول في هذه الاقطار لاني ما خرجت منها الا بعد أن التزمت بالمساعدة على إنعاش ماليتها (وأول ما يجيني على المراهجهاد) فان عمال المحطة قالوا لا بد من دفع أجرة النقل على الشنطات الاربع التي مع رفيقي ومعى فأفهمت ناظر المحطة ما وقع بيرندزي ثم بتابولي من أخذ الاجر في الاولى على اثنين ثم في الثانية على ثلاث فقال ان هذه الشنطات تزيد طولاً وعرضاً في القياس عما يبيحه القانون لافراد الناس فأخذ العجب مني كل ما أخذ اذ لم يكن لي ذلك في حساب وقلت لعل القوم لا يعرفون الهندرة وقد آتقنوا

عذاب
المتاع

المثولة العديدة من علم الحساب فتوليت الدفع في المدينة الثالثة
من ايطاليا على الشنطات الاربع ووظنت نفسى على اتباع هذه
الخطى في كل محطة حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا

١٠ ثم سار بنا القطار بجوب البلاد جوبا وينهب الارض نهبها الى وصول
فلورانس فلورانس
ان بلغ بنا مدينة فلورانس المصطلح على تسميتها عند أهلها بمدينة
فيرنزا التي تكلم عليها الشريف الادريسي في زهة المشتاق وسماها
فلرنسة من غير إشباع (كما نفعل نحن اليوم تقريبا من اللفظ الافرنجي)
فربلنا فندقا لبثنا فيه ريثما استرحنا ونقضنا غبار السفر (هذه
العبارة من باب المجاز لوجهين الاول ان سفرنا كان بالليل والثاني
ان البسكة الحديدية في ايطاليا لا تثير قط عثرا مهما كانت سرعة
القطار لان المصلحة معتنية كل الاعتناء بوضع الرلط والحصاء على
طول الطريق فهي نعمة للمسافر تتمه بما يسدو أمامه من المناظر
من غير ان يخشى ضررا ما على التواظر) وبعد ذلك خرجنا لتروح
الروح بارواح ريحان هذه المدنة ونزه الطرف في طرفها القدمة
وطرفها الأثمنة

فأخذنا عربة قلنا لسائقها ان يداننا على دليل خبير فخيرنا
بين شاب وشيخ كبير وقال لنا ان الثاني أفضل لمعرفته بالمدينة
وطول ممارسته لهذه الصناعة فأخترناه على بركة الله راجين منه
الأفادة بالدلالة اللفظية والمعنوية ولكن وقار الشئ كان مستوليا

عليه أكثر من دلالة اللزوم حتى أزمه السكوت والسكون فكان
جالسا امامنا كأنه ثالثنا بل رابعنا (بحسب العريحي) يحيل
ناظره ذات الشمال وذات اليمين يتأمل ويتفكر تشبها بالتصوفين
أو المتفلسفين ولا يجيب عن أسئلتنا المتعددة إلا بما فيه ذليل
الفائدة فأسفنا على اختيار الاختيار ورجعنا على أنفسنا باللامه
ولات حين ندامة ولكنا تسلينا أملا بان غيرنا يكون له خير موعظة
بما جرى لنا والعاقل من اتعظ بغيره

هيئة فلوراسة وعاسنها
أما المدينة فلها من الداخل منظر بعيد عن الرشاقة مجرد
من الملاحظة لانك ترى القصور القديمة فيها شاهقة متواصلة
والعمائر الجسيمة شامخة هائلة وعليها من الرزاقية جباب ومن الجودة
والجفوة أبواب ليست قائمة من الخارج على أعمدة ولا أبواب معقدة
ولا أمامها أشجار نضرة أو خضرة مزدهرة حتى تروق خاطر الخطار
وتقر ناظر النظار فهي بالعقل والمخاضن أشبه منها بما كان
المساكن شادها سادات المدينة وأشرافها في القرون الوسطى للتعزز
بها والاتجاه إليها ولكنك إذا هرت بعيدا عن سر المدينة سررت
برؤية الرياض الأريضة والجنات الطويلة العريضة والساحات التي
هي أكثر من أن تحصى والميادين الشائقة بما حولها من الأشجار
والإزهار التي أوجبت تسميتها بمدينة الأزهار فترى حينئذ عليها

من الجمال حلة باهية ومن المحاسن ما تختال فيه كالغادة الهيفاء
خصوصا اذا ارتقت ربواتها أو قصدت منزلاتها ولا سيما المنتزه
الكبير فإنه من أنزه المنازه التي رأيناها وأبهج المباحج التي عرفناها
أذ هو من الاتساع والامتداد وجمال المنظر ورونقة الترتيب بحيث
يجيد الفكر ويحسن الذوق ويجلو صدى العقل ويغذى الروح
ويصني القرائح فلا عجب اذا تفرد أهلها في تعشق الطبيعة وبرعوا
في الفنون الطريفة

ولابدع اذا قلت في هذا المقام ان كل طلياني لا بد أن يخلق نابعا استعداد
بالطبع في الرسم والتصوير والنقش والنحت والتعمير أو التعبير
والتحرير أو الموسيقى والاعاني ونظم القريض والمعاني فقد
زرت معرض الصور المعروف بالرواق ورأيت فيه آثارا صناعية
جديدة وبصيا فنية جميلة مما لا تكاد تضاهيه مجموعة
في الدنيا القديمة والحديثة حتى لقد ملت من كثرة التأمل
والمشاهدة وتعبت من الاستمرار في التسيار مع تيار هذا المعرض
العريض الطويل فعدلت (المعجز لالتقص) عن اتمام مناظرة ما به
من التحف الثمينة العجيبة وعولت على الخروج منه مجبأ بما فيه
قادرا اياه حتى قدره ثم طقنا بالمدينة وتفرجنا على ما فيها من بدائع
الصناعة وعماث الطسعة مما أتخرشحه للرحلة

عناية الافرنج
بالصغار
فرايت في منزلهما هرما صغيرا مبنيا بالاخجار الكبيرة
حسبته من مصنوعات اجدادنا المصريين وقد نقل الى هذه الديار
كما نقل غيره من احاسن الآثار ووضع بجانب المنزه عناية به
وحفاوة ولكني علمت من التماسل أن بعض العمال ابتناه على
ثقته لاصطناع الثلج وحفظه به فحجبت من هذا التفتن في
الاتقان واستغربت من اقتدار بني الانسان وعلى ذكر الثلج
والثمن اذكر أني رأيت رجلا يبيع الماء المثلج في برميل
لطيف ظريف نظيف خفيف ذي حنفتين من الخارج وأنبوبة
لوضع الثلج من الداخل يحمله على ظهره ويسمى به لبيع الماء من
غير عناء أينما شاء واحدى الحنفتين مخصصة لغسل الكاس التي
يستقى منها الناس وقيل لي ان الرجل اخترع ذلك الطراز منذ عشرة
أيام وأما غيره فلا يزال يبيع الماء المثلج في أحواض من الاخشاب
يقف بجانبها ولا بد للظمان من الورود اليها وقد رأيت في جميع
المناط التي مررت عليها شبانا وفتيات بل فتيات وشبانا يحملن
ويحملون بأيديهن وأيديهم وعاء مبركا من اسلاك يتقسم الى عيون
عدتها ثمان أو عشر فيها أكواب متربعة يمررن ويمرون بها على
القطار لئلا يذوب الماء المثلج لمن شاء من المسافرين في نظر سلكي
واحد (أكثر من ملايين بشى قليل)

وما رأيته بهذه المدينة رجل مقعد سطح ولكنه يسعى بنفسه
كإيسى غيره بقدمه ويستمنح الاحسان من كل انسان في أى
مكان فانه اتخذت عربة صغيرة بقدر ما يجلس عليها ولها أربع
عجلات وبمأن الشوارع منتظمة والارض ممهدة والسير يسير في
جميع أنحاء المدينة فما على صاحبنا الا أن يضغط بيده على الارض
قليلا لتحريك العجلات والتنقل من طريق الى طريق وقد استغنى
بهذه الكيفية عن اتخاذ أعمى يحمله ويسعى به في نظير ارضه اياه
على الطريق ومقامته ما يهيبه من الرزق ولا شك عندى أنى سأرى
رفيقه الاعمى (بحسب ما جاء في حكايات شارح المقامات الشريشى
الاندلسى وفلوريان الفرنساوى) يدبر له وسيلة يتوصل بها الى نوال
الحسنة من غير احتياج لنظر المقعد وتكلفه حمله على كتفه لان
أهل هذه البلاد بلاد أوروبا أهل حركة وعزيمة وتقن واقدام
وهنا أستوقف القلم مرة ثانية بالرغم عن البواعث الكثيرة التى
تجيش في الصدر كغليان القدر فتدعوه للاندفاع فى هذا التيار
وانى لأعاني هذا العناء خشية على القارئ من الملل وسفقة
على نفسى

فقد يرحب بالتشوق الى الاوطان واشتدبى التشوق
الى الاخوان لعدم استقرارى فى مكان وتعذر استطلاعى للوطن

الاتجار التي تنوق اليها النفس ويحوم حولها الفؤاد فيالله من
البعاد ويائه من غالب شعرائنا كيف يصفون وهم في
مستقرهم عواطف واحساسات لا يشعرون بها ولكنها تجيء كلهما
طبق المراد أهذا من صدق الحدس أو من سلامة الفطرة
وياليتني كنت تخرجت في الشعر حتى كان ينفتح أمامي المجال
ويتسع لي المقال

الرسالة الخامسة

(مدينة بيزا Pisa)

لقد أبدعتم يا أهل البديع في تنويع الطباق فهو لعمركم من نأو على علم
رؤية مدينة
سلامة الاختراع ولقد برعتم يا أهل المنطق والكلام في بيان البندقية
التناقض والتضاد ومعاني الاجتماع والارتفاع فان وقتي على كل حال
أعتبره غمينا نفيسا ولكني أجده الآن طويلا قصيرا - أما الأول -
فلكثره الشجن بالحنين الى الاهل والوطن - وأما الثاني - فلتقصيره
عن مساعدتي على زيارة مدينة البندقية (نفسيا) فاني كنت
بفلورنسه وليس بيني وبينها سوى ست ساعات ومع ذلك لا يصح لي
أن أتعب وأقول ان المشتى قريب وما اليه وصول فان الطريق
ميسر والوصول أسهل من أن يدبر والبضار مسخر والقطار حاضر
ونكن الوقت سلطان قاهر فكيف لا أتمكن من زيارة تلك المدينة
التي قامت فيها الخلبان مقام الحارات والجداول مقام الشوارع
والمرابك مقام المركبات والزوارق مقام العربات والمقاذيف
والمدارى مقام الخيول الجوارى . . . ألا ان الوقت محسوب
والقيام الى جنوة أمر محتموم فالبدار البدار الى دار الوفاة والمجل
المجل لتأدية واجب الرسالة

ولكنى استعصت عما فأتى بقسمة طريقى الى قسمين للوقوف فى
بيشة أكثر من ساعتين كأتانى الحقيقة أبرك من يومين فاتخذت
دليلا من أهل الشباب معدن القوة والفتوة وأمل المستقبل
فطاق بنا المدينة وأطلعنا على حماسها فعوض علينا ماخه بنا
بسبب اختيار الشيخ فى فلورنسه رأيت أمورا كثيرة فى هذه المدينة
الصغيرة (التي لا يتجاوز عدد سكاتها ٤٠٠٠٠ نسمة ومصرنا
القاهرة فيها نحو ٤٠٠٠٠٠ نفس) وانى أحيط علم حضرات
القراء بالنبا القليل من غير تفصيل

مخالفة على بيشة هذه المدينة تسمى فى كتب الجغرافية العربية القديمة بيش
ويشة وقد وردت باسم بيزا فى بعض كُتُب الشريفة الادريسي مر
عليها حين من الدهر كانت فيه خاضعة للملك نوتس فى أيام دولة
الموحدين (أو الملمين لا أتذكر الآن ذلك بالتحقيق) فأتى رأيت
يدار المحفوظات فيها التي تشبه الدقرخانة المصرية عندنا (من
غير تشبيه ولا تمثيل) صكوكا كثيرة وعهودا متنوعة وإجازات غير
قليلة وبعضها يتضمن الضمان لاهلها بالحرية التامة والامان فى
كافة المعاملات واقامة شعائر الاديان وهى صادرة لهم من أولئك
الملوك (وقد اعتنى العالم الظليانى أمارى بشعرها وترجمتها) ورأيت
اسم البلد فيها هكذا - بيشة - وقد شاهدت فى هذه الدار

أفضا غير فلان من الاوراق الرسمية التي اتخذتها كل دولة نوات
عليها أو كان لها علاقة بها ورأيت فيها على صغرها كثيرا من القاميل
التي تحبي ذكر أهم رجال ايطاليا أخص منها عمال الطيب
الذكر فكتور عما نوبل مؤسس الدولة الطليمانية الحالية الملقب
عندهم بأبي الوطن ولكنه كان كله مغطى بالاشباب المنضودة
بجيت لا يرى منه شئ ما وذلك لانه أقيم حديثا وسيتم نقل بازاحة
الستار عنه قريبا بحضرة الملك والمكة والاسرة الحاكمة ورجال
الدولة وأهل الحل والعقد

ثم زرت المدرسة الجامعة ومكتبتها العظيمة ورأيت فيها نظام المكتبة
منن النظام ما يوجب الإعجاب بها مثال ذلك ان الكتاب الذي والمتاحف
يستعار منها يوضع مكانه قطعة من الخشب بقدر حجمه
وعلى شكل الكتاب وتكتب عليها غرته وعنوانه الى أن يرد
الكتاب الى محله وفي ذلك قائدتان أولاهما حفظ نظام الكتب
وعدم ميلها على بعضها بسبب الخلل بينها مما يضيع استقامتها
واعتمادها وثانيتها التنبه على أن هذا المكان يشغله كتاب
مستعار الآن مع حفظ عنوانه وغرته لاعلام من يريد ان
يجيل ناظره على الكتب فقط ورأيت فيها أيضا صناديق من
الخشب على شكل الكتب يوضع فيها المجلات الدورية وأخرى
لحفظ الكراريس والاجزاء التي تظهر في أوقات معينة من كتاب

واسع كبير حتى لا يتولاها التلف والضياع ومتى نت الكراسات
والاجزاء جلدوها مع بعضها وأودعوها في المحل اللائق بها ثم زرنا
مدرسة المعلمين العلبيا وتفربنا على معرض التاريخ الطبيعي
وهو وان لم يكمل لكنه حاو لكثير من التحف والطرف وفيه كثير
من الحيوانات النادرة الغريبة من حشرات وديابات وأطياف
وأعمال ومعادن وأحجار ونباتات وأشجار وثمار وأزهار وغير ذلك
مما يدخل في هذه الدائرة

الرج المائل
وغرائب
الصدى

ثم زرنا كنائسها وبيعها وأغربها كنيسة بجانبها برج
للقوس منعزل عنها وهو شامخ في الهواء لا باعتدال يل بانحراف
فانه يميل بكتيبته على سطح الارض بمقدار خمسة أمتار أى انك
لو أنزلت من أعلى قته خطا عموديا على مستوى الارض لكانت
المسافة بين نقطة مسقطه وبين جدار الاساس خمسة أمتار
بالقياس ثم عمدنا الى قبة التمجيد وهي بناء آخر مستدير بجانب
الكنيسة من الجهة الاخرى وبينما نحن نتأمل في عجيب تركيبها
وبديع هندامها وحسن نظامها واتقان رسومها و... و...
و... الخ واذا بالدليل صفق بيديه مرتين تبتين فانزعنا منها
انزعاجا شديدا لا يخطر على البال اذ أعقبهما دوى ولا قصيف
الرعود وهزيم أين منه فرقة المدافع المتواليية في ساحة الوغى

حتى ظننا أن القيامة قد قامت وأن الأرض زلزلت نظرنا لها
وأخرجت الأرض أثقالها وأن اهلبال اندكت والسماء انفطرت
(واه وطمراه . . . وامؤتمراه . . .) واستمر الصدى على هذا المدى
عشر ثوان فبعيننا كل الاعجاب من هذا الصنع المحكم الذي
لايحيا كيه صنع في العالم

وقد كما رأينا شيئاً مثل ذلك في كنيسة رومة من حيث
تدبير الهواء في صلب البناء اذ يقف الانسان بجانب حارية من
سواربها ويكلم صاحبه من خرق صغير فيها فيسمع كلامه واضحا
ظاهرا من خرق آخر في السارية الثانية أو أن يقف بجانب
باب في أعلى القبة ويسمع صاحبه وهو يتاجيه بجانب الباب
المحاذي له على مسافة تقرب من المائتي متر ولكن ذلك كله ليس
شيأ في جانب ما رأيناه في بيثة ثم أخذ الدليل يوءوء ويوهوه
على عادة الافرنج في المغنى والصدى يجييه باجل أسلوب وألطف
معنى

ثم تفرجنا على قرافة المدينة ويدعوها (كامبوسانتو) أى حمانه نشة
الميدان المقدس أو ما أشبه ذلك فرأينا فيها رسوما كثيرة بارزة
ومجوفة وقبوراني صلب الشيطان وتحت الاقدام وان كان ذلك
ليس من الغرابة في شيء بل الغريب أن في وسطها مربعا كبيرا

طينه كله مجلوب من أرض بيت المقدس (أورشليم) جلبته من الشام ٦٦ مر كما من سنائنهم تبركا بتلك الطينة الطيبة ولكني يكون في بلادهم قطعة من الأرض المقدسة تخرج الأزهار والاعشاب الخاصة بتربتها في معدنها الاصلى وقد دعاني الدليل لاخذ شئ من تلك الأزهار على سبيل التذكار

كنيسة حجة وقد رأيت أيضا بيعة صغيرة على حافة النهر لا يشعلها عن الماء شئ وهى فى غاية الابداع والجمال مبنية بقطع صغيرة من المرمر المختلف الالوان على شكل معجب وأسلوب جميل وأغرب ما فيها أن سقفها من الداخل يشبه السقوف المصرية العربية القديمة من حيث التطعيم بالخشب والابنوس والتلقيم بالصدف والعاج ولكنه ايس كذلك بل كله من الحجر المركب مع بعضه على شكل الفص والفسيفساء فله منظر جميل بهيج يزيد فى محاسن المنزه الكائن على الضفة الاخرى من النهر وهو فى غاية الحسن

احسن بيته وبودى أن أختم هذه الرسالة بذكر شئ من الجمال فى بيته فلا شك عندى انه كان أكبر شفيح لنوالها الحرية والامان من ملونه وتوس أيام كاتت خاضعة لهم ولا يمنعنى من الافاضة فى هذا الموضوع سوى خوفى من أن تتناول على ألسنة السوء ولكنى

أقطعها واستريح منها حتى لا تبقى لي بالمرصاد، فيما ربما ينساق
إليه الحديث في غير هذه المدينة مما لا يرى الكاتب بدا من ذكره
من باب الإحاطة ليس الا فقد كان مرورى عليها وقت الظهيرة
وقت القيلولة وقت اشتداد الحرارة ومع ذلك رأيت الغايات
الرائحة والغادات الغايات المشوقات المشوقات الهائفات
المهفهفات ذوات القسود والحدود والصدور والنحور والخصور
والشعور و . . و . . وغير ذلك مما ألقبه على الشعراء ذوى
الوهم والخيال ليكتفوا بشرح حقيقة الحال



الرسالة السادسة

مدينة جنوة

فراق يشته ووصف الانفاق
لم أبارح مدينة من إيطاليا وفي جوانحي من اللفظ عليها
والشغف بها مثل ما حصل لي في يشته حتى ان قلبي قد طغى على
ويود أن لا يتكلم الا عليها ولم يكن في وسعي سوى مفارقتها ولساني
يكسر على جزاني ما في وطابه من قليل الاشعار الخاصة بالغزل والنسيب
والغرام والتشبيب ولكن أين ذلك كله مما كنت أشعر به ومما
زاد توجعي على مفارقة محاسنها وأحاسنها أن القطار صار يسير
بين الجبال وعلى حافة البحر بالتمام فينما هو يجرى تحت الجبل
وفي ظلام حالك اذ ترى نوافذ منقورة في الصخر الذي يحيط بك
من الجهات الست ترسل النور الى النفق والامواج الى جسر السكة
والطمأنينة والسكينة الى الباخرة ومن فيها فتجدد فيها وفيهم
عوامل القوة وتدب روح النشاط

ثم استمر الامر على هذا النهج نخرج من نفق فندخل في
نفق يوصلنا الى ثالث يتبعه آخر فالآخر وهكذا والمسافة بين كل
واحد والذي يليه قدر الدقيقة أو أقل ترى الواو يرتب فيها
من الطود الشاخ اقترابا شديدا حتى كأنه يستند عليه أو يأوي اليه
ليعصمه من الارتلاق في بحر الروم ولكنه متى دخل النفق

يجل السير واندفع بسرعة كأنه نجا من خطر لاقل منه أولشجاعة
أوجدتها فيه العادة بل . . . في المسافر الذي مر تحت كثير
من الاتفاق فما بقي يعبا بها أو يسأل عنها فضلا عن أن أرضها
مهددة مطهنة وليست متحذرة كما في جنوبي ايطاليا والخاصة أننا
وصلنا جنوة ونزلنا بها لتفرج علينا أولا ثم على مظاهر الاحتفال
الذي سيقام بها احياء لذكرى أحد بنينا وهو المخلد الذكر
كرستوف كولب مكتشف قارة أمريكا

اسم جنوة
هذه المدينة تسمى جنوا (Genova) في لغة أهلها وحين (Gènes) اسم جنوة
عند الفرنسيين وورد اسمها كما رسمته في كتب الجغرافية العربية
القديمة وان كان أبناء العرب في هذا الزمان يكتبونها جنوا
أو جنوى وكثيرا ما كان اسمها موجبا للخلط بينها وبين مدينة
جنيف (Genève) في سويسرة عند بعض الذين لم يتادوا التحقيق
والبحث بالتدقيق أمال الذين وقفوا على الفرق وعرفوا وجوب التميز
فيسمون الثانية (أي مدينة سويسرة) جنيفة أو جنيفا ولكنها
وردت في كتابة الشريف الادريسي هكذا (جنبرة) وسأين لك
تعليل هذه التسمية وكثير من أمثالها بالتفصيل في الرحلة ان شاء الله

لما منظرها ففي غاية البهجة والجمال ولا أقول مثل كتاب الافرنج منظر جنوة
أو الذين حدوا حدوهم من أبناء العرب انها على شكل نعل الفرس

أوحدونه بل أقول انها كالنون وجوفها هوجونها ومتى خيم الليل ترى هذه النون ساطعة كالهلال بل تتلاقى من طرفيها بأضواء السفائن الراسية فيها فتكون حلقة مفرغة قد ملئت من الانوار ثم ألقى بها في تيار البحار ولا يقرب من مشابهتها فما أعلم سوى مدينة دمياط في أيام الزينة والمواسم الكبيرة

ولما أصبح الصباح نزلنا من نزلنا واتخذنا دليلا لنا (من الشبان) فشاهدنا عظمة المعدات وجمال الاحتفال الذي سيكون لمن جعل العالم توأمين وبلغنا أن الاسطول البريطاني بعد أن رسا قبل غيره على مقربة من المدينة أقلع على نية الرجوع قبل الاجل المضروب ولم يكن في المينا سوى ثلاث مراكب ظليانية وواحدة هولندية فوطنا النفس على زيارتها في عصر النهار

ثم طفنا المدينة صاعدين هابطين وشاهدنا حصونها وأبراجها وآثارها ومخارها ثم دخلنا دار البلدية فأنستنا نظيرتها في الاسكندرية فان كل غرفة من غرفها وكل قاعة من قاعاتها مفروشة بالاثاث الفاخر ومزينة بالنقوش الاصلية البالغة في الاتقان وفيها من التماثيل والرسوم والابسطه والستائر والموائد والمعدات ما يجعلها أشبه بديار التحف منها بديار الادارة والسياسة ورأيت في إحدى قاعاتها تمثال كرسنوف كولب وتحت التمثال صندوق من

براهين
الوطنية
في أوروبا

المرمر معلق منيع فيه كتابات الرجل ورسائله التي كتبها بخط
يده لكنهم لاجل أن لا يحرّموا الناس من مشاهدتها وقرأتها
أخذوا صورها بالفوتوغراف وعرضوها على الانتظار تحت ألواح
من الزجاج ثم انك ترى صور وقائعه وأسفاره واكتشافاته وكل
ما قامه في آخر أيامه مصورا محفوظا فيها بحيث انك بمجرد
الاطلاع عليها تعرف تاريخه ومآثراته عن ظهر قلب وفي دار
البلدية المذكورة غير ذلك من تماثيل العظماء مما لا أرى حاجة
للكلام عليه الآن غير أني أقول ان القصر الفاخر الذي هي فيه
كان ملكا لاحدى العائلات الكبيرة فتنازلت عنه لها وعلى
ذكر ذلك أقول أيضا ان أعظم منزه في وسط البلد كان لعائلة
غنية أخرى فتنازلت عنه للبلدية وهي جعلته منزها للعامة
ومرّبي لبعض الاطيار الغريبة والازهار النادرة ومقعدا للتاريخ
الطبيعي ولقد بلغني أن احدى السيدات تبرعت للمدينة أيام
حروبها بمبلغ يوازي ٢٠٠٠٠٠ فرنك لتعزيز الحصون وتقوية
القلاع والمحافظة على أكبر أبواب المدينة فأقامت لها البلدية
بعد موتها التماثيل والانصاب اقرارا بفضلها على وطنها وأشهارا
لحبها لقومها وعلى ذكر ذلك أقول وأقول وأعيد وأعيد ما ستره
مفصلا في الرحلة وان عند الناظره قريب

غير أني أسألك كلمة واحدة ثم أنتقل من هذا الموضوع وذلك
أنى قرأت توارىخ بلادى ووقفت على وقائع قويمى وتحسرت لما
رأيت أنى لا أتذكر شيئاً يشبه ذلك أو يقرب منه فان كان على
بالك أمر من هذا القبيل أو أقل منه يقليل فانى أناشدك الوطنية
الاما أنتحفتنى به لتزول عنى الغصبة وليكون فى تذكار القوم به
أعظم أسوة

العمامة والطربوش فى أوروبا
هل أحدثك بحديث العمامة والطربوش فى أكبر كنائس
هذه المدينة فانه يدل على أنه لم يزرها أحد قبلنا بشكنا وان
قسومها لم يبرحوا قطعها . دخلنا هذه الكنيسة وقلنا لصائق
العربية ينتظرننا ولكنه لما رأنا دخلنا من الباب ولم نرفع عمائرنا
(العمارة فى اللغة كل ما يوضع على الرأس من طربوش وعمة وطرطور
وبرطول وقلنسوة الخ وتقالها بالفرنسوية لفظة Couvre-chef
و Coiffure) أشار الينا باتباع هذه السنة فلم ألتفت اليه ولما
دخلنا تبهنا الدليل الى ذلك فأضفت جهله الى جهل السائق
وأفهمته أن ذلك غير لائق وبعد خطوتين جاء الحارس يتختر فى
ملبوسه الارجوانى وأزراره النحاسية ويتوصكأ على صولجانه
وقال لنا لا بد من كشف الرأس احتراماً للعبد الكاثولىكى فأفهمته
أن هذه عادتنا فى بلادنا فذهب وأحضر لنا شماساً أو شكت أن

أفنعسه ولكن رأنا المطاران فأقبل إلينا ووافق على ملاحظات
أولئك فقلت له ياسيدى اتنا والله الحمد نعرف واجب الادب في
كل مقا ونعتبر كشف الرأس اخلالا بالا-ترام فلاندخل قط على
عظيم أوفى مسجد الاورؤسنا ،مغلاة ولا شك أنه سيقدم اليكم
كثير من أمثالننا بمناسبة الاحتفال بمهرجان كرس-توف كولب
وكلهم يصنعون صنعنا

فأظهر الاقتناع ثم قال لى سلمنا بذلك لرفيقك فان شكله شرفى
فح وأما أنت فانك بالملايس الاوروية وحيث انك قد اخترت
ملبوس الافرنج على ملبوس بلادك فأقتد بالافرنج في نزع القبعة
قلت له كلا فهذا هو الشكل الرسمى في بلادنا وهذا الذى على
رأسى ايس بقبعة وقد زرنا قبل الآن كثيرا من الكنائس
وأهمها كنيسة مار بطرس برومة خيانا رهبانها وأكرموا مثوانا
وكلونا بالهرية وأطامونا على ذخائرها ونفائسها وفرجونا على
الاعدة الرخامية التى أرسلها اليها ساكن الجنان أندينا محمد على
باشا حينما احترقت وساعد ملاك الارض على اقامتها وحينئذ
اقتنع تماما وقال للبحار يطلعنا على ما عندهم من الذخائر القديمة
العجيبة من سلاسل وأخشاب وغير ذلك مما لا يحتمل المقام
تقصيله .

الضرر في
تخاد الملابس
الافرنجية

ثم خرجت من الكنيسة وفي نفسى غصة من ملبوسى هذا الذى
ترتب على اتخاذه فى بلادنا إماتة كثير من صنائعنا وصناعاتنا
واحياء بعض صناعات الافرنج السريعة العطب ومساعدة التجارة
الاجنبية على انتزاف مابقى لنا من قليل الثروة فضلا عن أن
الحداء الافرنجى يوجب فى الارجل سقاما قد تكون سببا فى
تكسد العيش ومرارة الحياة اما البنطلون المحزق والصدىرى المضيق
والسترة أو الحلكتة أو السالك والرديجوت أو السموكن أو الفسرائر
والقميص المكوى ورباط الرقبة الملوى وغير ذلك من الازياء
والانواع فانها ليست موافقة لطبيعة الاقليم فى بلادنا بالمره وأما
الطربوش فليس فيه من مزية سوى حبس الهواء فوق المخ وعدم
تمكينه من الخروج لاحتياكه أطرافه على الرأس فهو أجود وأنفع
فى البلاد الباردة وليس وراه الا الضرر فى البلاد الحارة وأما العمامة
وخصوصا اذا كانت مقرونة بالعذبة فانها مفيدة جدا للصحة تمنع
تأثير الشمس وأوارها عن الوجه وعما يجاذبه من الخلف خصوصا
وأن البياض أوفق الملابس فى البلاد الحارة ومن جهة أخرى
فان عرب مراكش لا يزالون الى الآن (وهم على ما هم عليه
من التمسك بالاسلام) يلبسون على ما بلغنى شيئا شديدا بالقبعة له
حواف تمنع وهج الشمس عن الوجه وعن نقيضه

هذه ملحوظات عنتملى إثر دخولى الكبيسة وقد كان شئ
شيمه بهادار فى رأسى حينما رأيت ان الملبوس الشرقى أجلب
للانتظار (كما وقع فى نابولى وغيرها) فكنت أودأن أكون
معا كلاً لرفيقي بعمامة وقفطان وجبة مرخاة الاردان ولا أبقي
على هذه الحالة التى اختارها أهل بلادنا فكافوا أشبهه بالغراب
أراد أن يتشبهه بشية طائر جليل (هو الطاووس أو غيره) فلم
يتمكن من التقليد ونسى سيره القديم - لكن الطربوش
والحق يقال جعل لى فى أوروبا مزايًا كثيرة منها ان القوم
كانوا يصفحون لى فى كل مكان واذا أقبلت على حانوت قابلوني
بالباشية والاكرام ولا بد أن يكون السبب فى ذلك أن بعض
أغنيانا وكبرائنا يتوجهون بشكل مثل شكلى وينة قون
الدرهم والدينار من غير حساب يأخذون ما حصلوا عليه فى بلادهم
بأية الوسائط وينة قونيه فى أوروبا من غير فائدة لهم ولا لوطانهم
بل فى قضاء أوطار باطلة وخلاعات زائلة تبقى بعدها حسرات
متواصلة والشواهد أكثر من أن تعد وانى لأشكرهم مطلقا على
كونهم جعلوا أهل التجارة يرحبون بى ويوسعون لى مقاما محمودا
بل كان أولى لهم ثم أولى لهم أن يتخبروا الصريف فى نفس بلادهم

بما هو أفضل لهم وأجدي لوطنهم كما رأينا في مدائن أوروبا -
هذا موضوع يدوخ منه رأس الكتاب والقارئ فأتركه لغيري
وأريح منه نفسي

ولما كانت مدينة جنوة متفردة على غيرها باصطناع الشفتني معامل
توجهنا الى أحد المعامل ورأينا كيفية الاصطناع من أولها الى الشفتني
آخرها من أخذ الفضة وهي كلمة قاعة واصطناعها أسلاكاً
مختلفة في الحجم تتراكم مع بعضها بجميع الاشكال مما ينددهش
له العقل خصوصاً وان القائمين بها أطفال وطفلات تحت ادارة
معلمين ومعلمات وسأكتب عليهم بالتفصيل عند التيسير.

ولما خرجنا من المعمل تلاقينا بغتة برجل لايس طربوشاً فوقه أولرؤية
ووقفنا ثم تبادلنا التحية بالعربية وحصل لنا برؤيته فرح كثير اذ سلم باوروبا
لم نصادف أحداً من أبناء الشرق من يوم خروجنا من الاسكندرية
الى ٢٥ أغسطس يوم وجودنا بجنوة ثم عرفنا انه السيد محمد بن عبد
الغنى وكيل سلطان مرا كس في ايطاليا وأراد أن يستضيفنا فاعتذرتنا
لان الوقت لايساعدنا وبعد ذلك أردنا ان نزور المائت البحرية
فأخذنا زورقاً كانت الامواج تصدهه والتيار يمنعه الى أن أقررنا
بوجوب الرجوع وسليتنا النفس باننا سنجد في انكلترة ما هو أعظم
وأكل وكل الصيد في جوف الفرا

نصفين حتى لا نفوتنا الفرصة من مشاهدة هذه المدينة الفارقة التي
تسمى في كتب قدماء العرب طرون وطرونة واطرونة وحتى
لانتعب من طول الطريق

منظر نوري نو فعملنا بتصيحته وكنا أرسلنا متاعنا الى باريس مباشرة فدخلنا
المدينة وقد أرتخى الليل سداله وجر الظلام أذناه قرأنا شرارها
أنسقة تضيء الكهربائية أرجاءها فتساعد على زيادة جمال المباني
الفخيمة التي تحفبها وأمضينا بقية الليلة بقياب النهار حتى أنا أصبح
الصباح (وانتشر نوره ولاح وأشرق الشمس على جميع البطاح
وانتعثت بنورها الارواح الخ قافية الحاء) قنا من التندق وطلبنا
من البواب أن يتحفنا بدليل من أولى الابواب فاحضر لنا (١)

(دليل عجوز) شيخا يقاد ردا درديسا مع كونه أنما حد حاسوسا أصعل أصلع سلنلع
أصلع مسموع وله جفن أمرط وحاجب أطرط وجبين أبهق وصدغ أقهب
بأذان مسترخاة فيها أو بارمدلاة يبرز من وجهه أنف فيه الفقس والحنس
وفوقه نقبان ملوزان كأنهما عينان جاحظتان يعتريهما الحوص والحوص من كل
مكان وتحت ذبذ الخراطوم مشفر مشوم أحلى ما فيه الهدل وأخف ما فيه النقل
وهو محشور بنظام نخرة أو أبحار مكسة بحجرة بمثابة الاسنان في بقية بني الانسان
ولكنها ما لقم تميزت وأنواع الثعل فيها تميزت خلق شواربه للتحفيف وزين هذا الوجه

(١) أرجو القارئ أن يميل أن يوجهه الى سهام الاتقاد والملام أن يتفضل ويصبر على
تلاوة هذا الوصف حتى يأتي على آخره ثم ينظر الى القاموس الذي وضعته في آخر هذه
الرسالة من صحيفة ١٧٧ الى ١٨٥ يعلم دخيلة الامر ويقف على مواطن السر

اللطيف بما رضين كالخفيف وجعل لذقه حلية باعدام اللحية فصارت حمراء
مستبردة أشبه بشئ في الحمامة بل في الفردة. وقد أقبل علينا بهذا المحبا اللطيم والحلق
الستيم وهو ساهم من العبوس والهم يرفع القدم بعد القدم ويدب حتمه لامتثال من
الهم فكله في مجبسة في اللسان ورنة في البيان وأقف مع مقلة وغنمة وحنة
وحكمة وطعمة فراعني منظره وهالني خيره وكدت أردد من حيث أتى وأبحث
لي على قتي ما ذلقت من هذا الشيخ الأتس الانس ذى الظهر المقوس والمنظر
المخنيس فقد أخلفت حدة وحبت نضرتة وأظلم ضياؤه وذهب بهائه ونقض
الدهر مرته وأذهب كذته وأكل عليه وشرب ونحلته حتى احدوب قد تكسرت
قواريره وساهم صيره فأصبح كالشيخ الباطل أو الظل الزائل بل العفريت
ذى الرجل المسلوخة أو الغول ذى السحنة المسوخة أو أبو خيشة وأبو غرارة
المشهورين في كل حارة أو «بركة الله والعافية» الذى يخوفه كل غلام
أو الجشوم المعروف عند العوام أو البعيع وأبو زبيح أو الخيدع والخيلع
والخوام أو المكنك والكنكع فنظرت اليه نظرا المزدري ولكنني
حرت في أمرى حينما رأته قد أتبع لونه وأتبع وأتبع قدبت في نفسى حينئذ
عوامل الرافة والحنان ونحرك عندي عواطف الشفقة والاحسان وقلت
لاسلك انه قد ألجعت الحاجة الى الاخلاق الديباجة ولعل هذا الرجل المستطار
المفقع المدقوع خلفه صبية يتضورون من الجوع الذي قوع البرقوع بجاء
يحث لهم على عفة وبرأى لتخفيف ما ألم بهم من الضنك والشظن والمضاض
فرتيت حينئذ لحاله هذا المتجع وتحنت عليه فأذهبت عنه الروح وآمنت
خيفته وخفضت جاشه وأنجزته حاجته وأدر كنهه طلبته

ثم ركبنا عربة وهو معنا نتفرج على المدينة وما فيها من
الغرائب وكانت كلها تزيد في عيني جالا واعتمدا وليس الفضل
في ذلك لمنظر صاحبنا فقط بل لانها في الحقيقة تحتوى بعدا، شكهم
(عاصمة السويد) على أجل حدائق الدنيا وقد طافنا منازلها
وارتقينا ربواتها وأهم مرتقى صعدنا اليه هو جبل شاخ يكاد
يكون رأسيا عليه أربعة قضبان كشريط السكة الحديدية وفوق
كل اثنين منها عربة يحملها السقاية كبيرة والعلوية صغيرة جدا
بحيث يكون الجالس على هذه العربة كأنه على الارض المنبسطة *
ومتى دق الحارس الجرس الكهربي صعدت بانتظام من غير أدنى
ارتجاج تجذبها قوة الغاز ثم ترسلها الى مكانها الاول عندما
تجىء الاشارة وسأصف لك هذه الآلة في رحلتي فقد كتبت الى
مختبرها أطلب منه البيان الشافي ولانسنما ذروة هذه الربوة رأينا
متحفا فيه الحيوانات والاجار والاعشاب والازهار الخاصة بالقسم
من جبال الالب انجاور للمدينة ثم صعدنا على سطح المتحف فرأينا
النظارات المقربة قد قربت لنا الجبال حتى كأنها صارت تحت
يد المناول وقد كال الثلج هاماتها فكانتها هربت من طول العهد
إذ ترى السحب فوقها متراكمة على الدوام ولكن سفحها مازالت فيه
قوة الشيبية والابنات فتراه مجللا بالحلال السندسية البديعة

م هبطنا عن هذه الربوة وقصدنا مناحف المدينة ولاأذكرمنا
الآن الاالقسم المصرى فقد رأيت لهم عناية تامة بحفظ الآثار
التي صرفوا في جلبها من بلادنا الابيض الوضاح والاصفرالزنان
ورأيت فيسه مجموعة كاملة من ورق السبردى المزين بالاشكال
والرسوم الباهية فيها تصوير الاحوال التي تمر على المصرى القديم
من يوم منبته الى يوم منبته الى يوم دينوته الى يوم مستقره (في جنه
أوجهنم) ثم نزلنا تحت الارض في قاعات طويلة فيها الآثار
المصرية الضخمة كاسلة وصورة لابي الهول وهي في غاية الجمال
واقى لا عجب كيف يصح اطلاق لفظ أبى الهول على هذا التمثال
الذى وجهه وجه غادة حبشية مفرطة في الملاحظة اللهم الآن
يقال ان حسنه بهول من يراه كما يقال في لغتنا الواسعة (لهذه
النساء محاسن رائعة) ولولم يكن التمثال الهائل الذى بجانب الاهرام
ما كان هذا التعبير يصح في الازهان ولكن قد كان ما كان فالاجدر
بأن نحمل هوله على ما به من فرط الحسن وصباحة الحميا

ثم خرجنا من هذا المتحف الى غيره مما في المدينة فشاهدنا
أسواقها عامرة وحواريها مشحونة باصناف البضائع ثم إن الفاكهة
فيها بعل في شكل ايطاليا من أجود ما يكون حتى انى رأيت
البرقوق فيها بحجم الكثرى بحيث لا يصح أن نسمى نظيره في

بلادنا الا بلفظة بريقيق (بالتصغير) ثم خرجنا منها قاصدين بلاد
« فرانسيس الغراء » فسار القطار تجرّه باخرة من الامام وتدفعه
أخرى من الخلف لان الارض كانت آخذة في الارتفاع

وقبل أن نصل الى مدينة مودان الفاصلة بين تخوم فرنسا
وابطاليا دخلنا نَقًا منقورا في جبل يناطح السحاب فدخلى
منه خوف شديد ورعب زائد فانجرت الساعة بنوع من
الالهام لكثرة فرعى من هذه الكتلة المتناهية في الجسامه
والضخامة التي ستكون فوقنا وقد كنت أحسب نفسى قد
تعوّدت على السير في الاتفاق فاذا الامر ليس كذلك لان
القطار صار يسير ويتعثر في مشيته ثم يحقف من وطأته ثم يستريح
ثم يصفر ثم يتهد ثم ينحدر فيكتم نفسه خوفا من الانزلاق على
المنحدر وينقل على قضبان نوشك ان تكون مخرسة لحفظه من
السقوط وقد استطال السير حتى كادت النفوس ترهق من انحصار
الهواء ومن الرعب الشديد الذى قد تضاعف بمرور باخرة أخرى
يجانبنا مالبت ان بارحتنا وتركت باخرتنا كالفرس أجهدها الضنى
وحضرتها ساعة الوفاة ومع ذلك لا يرحها الفارس بل ينحسها
ويستترق ما تبقى فيها من حول وقوة (ولاحول ولا قوة) وكنت
وأنا تحت هذا الجبل المتعالى أخشى أن يسقط حجر واحد منه

نَقَّ جبل
سبب

فإنهار ويروح القطار شهيد هذا الدمار الذي ليس بعده دمار
وكنت أخشى أن يصح على السائق نص الحديث النبوي
(لأرضاً قطع ولاظها أبقى) وكان الطل متساقطاً والنور في العربة
أسفرباهتا (مثل فانوس اللصوص) فتوسلت الى الله جل شأنه
أن يهيئ لنا الخروج من هوة الظلمات الى فضاء النور فنقبل
الدعاء وأنعش أرواحنا بالضياء وليس هذا الوصف الحقيقياً
بجانب الحقيقة على الإطلاق وان لم تصدقني فتعال ايطاليا ومر
بهذا التفوق (ولانس بيثة) فانك ستمضي به ان شاء الله تعالى
أكثر من نصف ساعة وتري أكثر مما جاء في هذا البيان وليس
الخبر كاليان *

ولقد اعترفت حينئذ بصدق من قال ان الحوادث تمر على
الانسان ثم يساهها حتى كأن لم يكن منها ما كان وانه عرضة للنسيان
في كل زمان ومكان فاني بعد الخروج من هذا المسلك المرح
افتكرت اني نسيت أمراً خطيراً وذلك اني خرجت من ايطاليا
ولم أتناول شيئاً من المكرونة أو المعكرونة أو المقرونة (طعامها
المشهور) حتى وددت لو رجعت اليها لا كل منها بالارطال أو بالامتار
(فقد بلغني وأنا بمصر انها تؤكل في بعض النواحي من هذه البلاد
بالامتار) ولكن هيئات هيئات رد ما فات خصوصاً وقد خشيت

عودة المرور من ذلك الطريق في النفق المضيق ومع ذلك فقد سهل الامر لاتي تذكرت حينئذ الجران بار (أرجوك السماح فان المقرونة مقرونة فيه بالانقار)

عند جنوب فرنسا
ولما وصلنا الى مودان نزل الركب بهيئاً بعضهم بعضاً على السلامة من ذلك الجبل المريع واستنشقتنا حينئذ هواء فرنسا وقد كانت رائتنا في احتياج اليه وتسلنا عمال السكة الحديدية الفرنسية ثم سار بنا القطار بين جبال شاهجة شماء يشقق من أعاليها الماء فيكون غدراناً وانهاراً تنساب بجانب الواوور وتحتة بمنظر رائع جميل والهواء صاف عليل يروح النفس ويرد اليها الحياة ولا أعلم لماذا اعترقتني هزة الفرح ونشوة السرور وأنا أمر بينها معجبا بهذه المحاسن الطبيعية وقد رأيت في بعض حقولها وفي بعض مزارع ايطاليا شادوقنا المصري بالتمام ولولا وجود الجبال وكون الذي يسقي الارض بالشادوق لابسنا القبعة والبنتالون لظننت اني في أرباب مصر أشاهد فلاحنا المعهود

وستان بين ماديته في جنوب ايطاليا مما قبض الصدر وضيق على التلب وبين ماشاهدته في جنوب فرنسا مما يسر خاطر ويقر الناظر . أما المسدائن التي مررنا عليها في جنوب فرنسا فانما هي قرى خالية ليس فيها شيء من الجمال الذي رأيناه

في مدن إيطاليا وكثت عند كل محطة أجمع القوم وخصوصا النساء يماؤن الافواه عند النطق باسم باريس فيقلن (باري والا كثر ياغي بغتة ومدة فيها الترخيم الرخيم) ثم أقبل الليل فشددت حلقة في أعلى الكرسي فانقلب سريرا بل فراشا وثيرا فمت متوكلا على الله ولسان حالي يكرر ما يقوله المصريون (على قلبها لطيلون) وبعد ١٩ ساعة قضاها الواور في السير الحثيث وصلنا مدينة باريس.

وقبل أن أنتقل الى الكلام على هذه المدينة الحسناء أرى من الواجب على أن أوفي بوعد قد أخذته على نفسي وهو ذكر ما ألقىه من عمال كوك فاني لا يسعني الا أن أوفهم هنا حقهم من الثناء فقد قاموا بخدمةنا في جميع المدن التي نزلنا بها أحسن قيام وساعدونا في كل طلباتنا فوق المرام وأمدونا بجميع أنواع التسهيلات والايضاحات خصوصا في فلورنسة وبورنوختي محوا الهفوة التي وقعت بيرندزي فله در كوك أحسن الله مثواه يقدر احسانه الى نفسه والى العالم كله

القاموس

اعماخرت هذا الوصف الكريه لزيادة التكريه في بيان القشويه ولزبادنا التنفير فيه حتى يشترك القارئ في جميع مواطني وتبسم له الحقيقة كما ينبغي وكما ينبغي وهناك ملحوظ أهم وأدق أريد أن أستلفت اليه الا نظار من أرباب

الاقلام والافكار وهو أننى أكره طريقة الكتابة بمثل ما نحوته في وصف ذلك الرجل ونفورى منها أشد ولا شئ من نفور القارئ منى عند مروره على ذلك الفصل ولكننى أرجوه ماء على ذلك أن يمنع ويمنع عن اتخاذ مثل هذا الأسلوب المريب كتابته حتى لا تكون مثل ما أقدمت عليه كثيرا الالفاظ فارغة المعنى مشحونة بالحشو مزدانة بالعموم وشموله بالعناية مصحوبة بالزائفة فان هذا الأسلوب الغبض الخلف الفاسد النسخ الخيف التركيب فيه من الدشاعة والشاعة ما يجعله مستهجنا مرفوطا مذموما مردودا ولا عروا أن التكلف والتصنع في التقييد في شعر القاموس عن الالفاظ المستنقفة المستنقفة المتوعدة المتنقفة «المجرفة» لا يكون فيه أدنى دليل على العلم باصول اللغة والتبحر فيها بل هو دليل على سخافة ذلك المتكلف المتصنع وجهاته وحماته بل هو برهان قوى على ما عبر عنه العوام بالثغور والخشصة ونحن اليرم في عصر تعرف فيه قيمة الوقت فيا حبيذا لو يظن الادباء الى تغير الالفاظ الملائمة وجدها في خدمة المعاني المطلوب التعبير عنها لا كما يفعل البعض (وخصوصا أهل الصحح) من جعل المعنى أسير اللفظ يجرى حثما آراء لا حثما أراد الفتى ولقد تنبه الى ذلك نفس أئمة الانشاء فقال أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ في كتاب الصامتين «وقد غلب الجهل على قوم فصاروا لا يستعيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه بكذ ويستقصونه اذا وجدوا ألفاظه كزغليفة وجائئة غريبة فلا يخبر المعاني اذا استكرهت قهرا وفي الالفاظ اذا جرت قهرا» وقال ابن الانبار المتوفى سنة ٦٣٧ في المثل السائر «ان أرياب النظم والنثر غر بلوا اللغة باعتبار ألفاظها وسرر ووقموا فاختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونفقوا القبح فلم يستعملوه» فلما عرفوا السهل السلس المستجاد منها قالوا بوجوب اعتبارها واستعماله وأبقوا الباقي في أمهات اللغة ويطونها الرجوع اليها بقصد تعرف كلام الاعراب في بوادهم وتفهم مقاصدهم ليس الا = هذا ولولا أننى أردت ان القارئ يستهجن هذا الأسلوب بجميع حواسه لما سمحت لنفسى بالاعتماد على هذه الالفاظ التي ترتب على عدم معرفتها اضعاف الوقت سدى ولكن أضقت هذا القاموس تلافيا للضرر وبعض الشرا هو من بعض

الالف

الآتين = الكثير الانين وهو التأوه من الالم

الباء

البرأض = القليل الزهيد اليسير

أبتقع = (انظر امتقع)

الأبيق = ذوالبياض الرقيق في ظاهر البشرة

التاء

الأتعس = المشؤم المتعوس

الشاء

التعل = زاكب الاسنان على بعضها

الجيم

بجوظ العين = مظمة المقلبة وروزها

الجدة = ضد البلى

الجسوس والجعشوش = القصير السيم

مَجَسِّرٌ = صار مثل الجير والجير خطأ صوابه الحِيارُ واممه عند العرب
الصاروج أيضا والنكس بماء معرب عن اللغات الأفرنجية
الحاء

الحُبْسَةُ = تعذر الكلام عند ارادته
أحدودب = أحقوف أي أعوج كظهر المعسر بمعنى حرج ظهره ودخل
صدره وبطنه

الحسكلة = نقصان آلة النطق حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال

الحوص = ضيق مؤخر العين حتى كأنها خبطت
الحاء

الخراطوم = الأنف

الخلق = الفطرة

أخلق = بلى وتناهى واضمحلت وتلانى

إخلاق الديباجة = الأطلاع على دخيلة الأمر الذى يستكفم من كشفه

فهو يدل ماء الوجه في السؤال على التشبيه بقولهم
«أخلق الثوب»

الخنفس = لفظ اشتقاقه لصم وود الصم البارد من قولهم «الحنابس» بمعنى
الذكر به المنظر والرجل الصم تعلمه كريمة أي فصم

الْخَيْسُ = تَأَخَّرَ النَّفْسُ مِنَ الرَّوحِ مَعَ ارْتِفَاعِ قَلِيلٍ فِي الْأَرَبَةِ

الْخَيْفُ = أَرْدَأُ السَّكَّانَ الْبَالِي

الْخَيْسَةُ = أَنْ يَشْرِبَ الْحَرْفُ صَوْتِ الْحَشُومِ بِشِدَّةٍ

الْخَوْصُ = غُورُ الْعَيْنَيْنِ مَعَ الضَّيْقِ

الذال

الذَّيْبَاجَةُ = الرَّوْحَةُ

*
الذَّحَّاحُ وَالذَّحْدَحَةُ وَالذَّحْلُحُ وَالذَّحْلُحَةُ
وَالذَّحَّاحُ وَالذَّحِيدِحَةُ وَالذَّوْدُحُ
} الْفَصِيحُ وَالْمُسْتَعْرِبُ الْمَلَمُّ

الذَّرْدِيْسُ = الدَّاهِيَةُ وَالشَّيْخُ وَالْجُوزُ الْفَانِيَّةُ كَأَنَّهُ مِنَ الْمَدْرُوسِ

الذَّرْدِيْحُ = الشَّيْخُ الْهَمُّ

الذَّقُوعُ = الرَّجُلُ يَذَلُّ فِي فِتْرَةٍ حَتَّى يَلْصِقَ بِالذَّقْعَاءِ وَهِيَ التَّرَابُ

الذَّقُوعُ = الْجُوعُ الشَّدِيدُ كَقَوْلِهِ (جُوعٌ يُصَدِّعُ مِنْهُ الرَّأْسُ دِقْقُوعٌ)

الذَّمِيمُ = الْقَمِيحُ

الراء

الرَّئِيَّةُ = تَمْنَعُ أَوَّلَ الْكَلَامِ فَإِذَا جَاءَ تَمَّتْ مِنْهُ اتِّصَالٌ

البرفوع = الجوع الشديد

السين

الاسراع = دواسة أى نتيجة وبلغ الرجل صار أبرص

السانطع = المتعته فى كلامه كالمجمون

السممع = الرجل اصعب الرأس والمرأة الكالحة فى وجهه الانسان المولودة فى أثره

الساهم = الصامر المتعبر

الشين

الشَّجَّ الماطل = الهباء

الشَّجِيم = الكريه ائوجه

الشَّطَف = الضيق والشدة والبؤس و يبس العيش

المشْفَر = نفة البعير وقد يستعمل للخيل والناس

الصاد

أصلع = دقيق الرأس والعنق

أصلع = الذى انخر شعر مقدم رأسه

الضاد

الضنك = الضيق من كل شئ يقال للمذكر والمؤنث مثلا « عشة ضنك »

قَضُورٌ = تَأْوَى مِنْ وَجَعِ الْجُوعِ

الظاء

الاطْرَاطُ = الخفيف شعر الماجيين

الطَّمَامَةُ = كون الكلام شبيهاً بكلام العجم

المستطار = المذمور

العين

العُقْلَةُ = التواء اللسان عند اعادة الكلام

الحسين

العِشْقَةُ = البلغة من العيش

العَمْغَمَةُ = أن تسمع الصوت ولا تبين لك تقطيع الحروف

القفاء

الفطس = نظام من قصبة الأنف وانتشارها أو انقراش الأنف في الوجه

المفقع = الذي تنهى سوء حاله في الفقر

الفقم = بروز الشئ العليان من الأسنان إلى الخارج فلا تقع على السقلى

الشفاف

الاقهوب = الذي فيه حمرة فيها غبرة وكدورة

الكاف

الكِدْنة = النعيم والنعيم

اللام

أَلْفَج الرجل = أفلس ودعب ماله ولرق بالارض من كرب أو حاجة اضطرر للالتجاء
الى غير أهله وذهب غواده قرًا وذا

الَلْف = ادخال حرف في حرف

مُلَوَّزَان = يقال ذلك للعينين المشقوقتين مثل اللوز

الميم

المِرَّة = قوة الحاقق وشده وبتفض الدهر مرته بمعنى أزالها وأعدتها

الأمراط = ذوالشعر المتوف الساقط

المُضاض = الماء لا يطاق ملوحة ووجع بصيب الانسان في العين

أَمْتَقِع = (على بناء المجهول) تغير لونه واختلف من حزن أو فرح أو ريبية

وكذلك أَمْتَقِع وَأَمْتَقِع بالميم أجود

التون

التنجع = الذي يقصدك طابا المعروفك

الإفحس = الكثير الثوم

شَلَّ = صار ناعلاً هزياً لا يشيلاً

أَشَقَّ = (انظر امتقع)

اليساء

الهدل = استرخاء الشفة أو المشفر

الهمم = بلوغ أقصى الكبر

الواو

الوجيل = الكثير الحوف

اليساء

اليفن = الشيخ الكبير الطاعن في السن

ذيل القاموس

أكل الدهر عليه وشرب = إشارة إلى استهانة الدهر به ونسكائه به

تكسرت قواريره = إشارة إلى أن عظامه صارت كالزجاج وقد تكسر

العفريت وأبورجل مسلوخة والغول

وأبوغراة وأبوخيشة و «بركة الله والعافية»

واليحشوم وأبوزبيجع والبجع والجدع

والخولع والخليع والعكنكع والكعكنكع

وتخذها الامهات وبعض العوام لتخريف الاطفال فتعربي فيهم ملكة الجن والهلع ونبت العادة

الرسالة الثامنة

باريس

(الانهار من)
(رؤية باريس)
هذه باريس تحفة الدنيا وزهرة العالم وزهرة الكون . هذه
باريس جنة الجنائن ومدينة المدائن وعاصمة العواصم . هذه
باريس منبع البهاء والمحاسن ومرتع الأطباء الاحاسن . هذه
باريس تمال الفخامة والجلال وشخص الخفة والرقه والجمال .
هذه باريس معدن العلوم ومركز دائرة العرفان في هذا الزمان .
هذه باريس التي مهمما بالغت في الوصف والمقال فاني بعيد
عن حقيقته الحال بعدا ليس له مثال ولا يكاد يخطر على بال
فليس لي حينئذ الا الاكتفاء بانها فردوس الفراديس

بل هي هي باريس

قدمت اليها في بكرة النهار (من يوم ٢٧ أغسطس) ورأيت
فيها من الحركة والنشاط ما هالني وراعني وأزمني الاقرار بالعجز
عن التعبير والحيرة في التحرير فكيف يتسنى لي أن أوافيكم يا قوم
بما شاهدته فيها من التناهي والبلوغ الى غايات الكمال في كل
موضوع وباب واني اذا أرخيت للفكر العنان ومكنت القلم
من الجولان في أي ميدان أملى عليكم ما يلا الاوراق ويدهش

البراءة والى كفى أو جعل التلخيص الى عودتي اليها بعد اتمام
المأمورية والتنقل في بعض مبادئ الانكليز لكي تكون كتابتي
عليها عن تحقيق وتدقيق فانها تملك فؤادي واستوت على ابي
حتى اني فارقتها مضطرا بعد ما قضيت بها يومين وما قضيت منها
وطرا موطن النفس على الرجوع اليها واستجلاء مشاهدتها
ومعاهدتها . وهل تكنفون بذلك مني الآن أم تريدون
أن أوافيكم بمجالة فيها نبأ له شان

أريد أن أنكم على أحسن نصف في بني الانسان أهمية المرأة
ولكني أخاف اللوام فاسمحوا لي بالله عليكم هذه المرة بمعاودة ^{في الوجود}
الكلام على المرأة وأعدكم أني لأعود وما عهدتوني انتقض
العهود وكيف ألام على الدخول في هذا الموضوع الحرج
الواسع وقد كان للمرأة ولا يزال لها الشأن الاول واليد الطولى في
الانقلابات الدولية والنظامات السياسية والترتيبات الدينية بل في
كل شأن من شؤون العمران وفي كل عمل من أعمال الانسان فاننا
اذا صرفنا النظر عن أم الامهات وتصفحنا التاريخ العام وجدنا
لها أثرا ظاهرا وعلا معروفا في كل الاديان التي نزل بها الوحي
أوزينها الوهم واخترعها الخيال وهذه الاشارة الوجيهة تكفي من له
أقل اطلاع

ثم اذا نظرنا بوجه الاجمال الى تاريخ القدماء من مصريين
وأشوريين ويونانيين ورومانيين وغيرهم وجدنا المرأة هي دون
سواها سبب التقدم والارتقاء أو على التهقير والانحطاط وعلى يدها
تم تشييد الدول العظيمة أو تبيد سطوتها ونحو أثرها من الوجود
وظالمنا اشتبك القتال وتنافى الأبطال لأجل امرأة واحدة، وكذلك
الحال في تاريخ الامم الحديثة حتى قال بعض العلماء اذا أراد
الله أن يقضى خيرا على الارض قبض له امرأة فسكانت الوسيلة الى
اجرائه واذا أراد الشيطان أن يقضى شرا توسل اليه أيضا بامرأة
هكذا أمر كان وكان ويكون الى يوم تحشرون وانى أذكركم
ما يحضرنى الآن من الشواهد مثال ذلك دلوكة العجوز في التاريخ
المصرى القديم والمرأة التي كانت سببا في حروب تروادة الشهيرة ولو كريس
وفرجنيا في التاريخ الرومانى وتلك الغادة الكيمائية التي جاءت في بعض
الروايات أنها كانت سببا في القبض على انبياء الافريقى قائد قراطاجه
بعد أن أذاق الرومانيين من العذاب ما أذاقهم ثم ريني (Irène) وتيودورا
في تاريخ برزطيا (Byzance) وتلك الحسناء الفلسطينية التي
احتالت على سيمون الجبار فأخضعته وأوقعته في يد أعدائه بعد
أن أوقع بهم وعجزوا كلهم عنه بمفرده وتلك الفتن التي أثار
غبارها نساء داود عليه السلام في آخر أيامه وتوصلت احداهن
بالحيله والديسيسة (على ما جاء في التوراة) حتى ألزمته بان يجعل
ابنهما سليمان (عليه السلام) خليفة له، والبسوس والزباء في تاريخ

العرب وطوميرس ملكة المساجيت التي طلب كورش ملك فارس أن يتزوج بها فاستنعت فأقام عليها حربا كانت عاقبتها وبالاعليه وعلى قومه. واليضا مؤسسه قرطاجة وكايو بطرة ملكة مصر الشهيرة ودخول العرب في الاندلس وخروجهم منه كان سببه المرأة (١) وهذه النساء في صدر الاسلام وشجرة الدر وغيرهن في تاريخ الاسلام وقتك الرشيد بالبرامكة على ما في بعض الروايات سببه المرأة ولانتس زوجة الزنجشري فانها على ما يروى عنها هي التي أرجعته بالبرهان النعلى لالقولى عن التولى بخلق الافعال (٢) واجنيس سوريل التي كانت سببا في سقوط الدولة الفرنساوية ثم جان دارك راعية الغنم التي طردت جيوش الانكليز من أرض فرنسا والشواهد أكثر من أن أتذكرها الآن وأنا في بلاد الانكليز

(١) قاله الماقتضى رذرى بان الاندلس بكارتابنة شوبليان عامه في برالعدونة قال
هذا الرجل مع موسى بن نصير وقومه وسهل لهم سبيل الفتح - ولما اقتربت الملكة
ايزابلا مع الملك فرديناند قويت شوكة الاسبانيين على العرب فغلبوا عليهم ولولا خرم
الملكة ايزابلا ما مكن اخراجهم من الاندلس فضلا عن كون بعض الملوك الاخيرين
من بني نصر تزوج ببعض شريقات الاسبانيين بعد أسرها فكان في ذلك سبب آخر
لاضطراب المملكة في الداخل وسأسر ح ذلك في الرحلة (٢) هذه المسألة لا بد أن
تكون مكذوبة إذ لا يقع مثله على هذا البرهان مع خروجه عن نقطة النزاع بينه وبين
أهل السنة

وكان احد القضاة في أوروبا كلما نيطبه بحقيق واقعة جنائية
يقول للشرطة (اجنثوا عن المرأة) وبذلك كان يصل لاكتشاف
الحقيقة على الدوام مهـما كانت وقائع الدعوى تصرف الظنون
عن وجود اصبح للمرأة فيها ولم يكن فعله هذا من ضروب النبوة
أو الاطلاع على ما وراء الحجاب وانما هو من قبيل الاستقراء
والاستنتاج ومن تمام معرفة تأثير المرأة في أعمال الناس ولقد
أحدن شاعرنا العربي اذ يقول

اذا رأيت أمورا * منها الفؤاد تهنت

فتس علمها تجدها * من النساء تأت

وإذ كررتين آخريـن يختصان بالمرأة لأدري أيهما الاحق

بأن يقال عنده صدق . أذلك الذي قال

ان النساء شـ.....ياطين خلقن لنا * أعوذ بالله من شر الشياطين

أم تلك التي أجبته في الحال وأجادت في المقال

ان النساء رياحين.....ين خلقن لكم * وكلكم يشتمى شم الرياحين

أما أنا فأحـكم بعد الخيرة الطويلة بارجحية القول الثاني

وليس من شيمتي أن أستبد عليك لموافقى بل أثر كل حـرّا فاختر

لنفسك ما يحلو

ولاشك أن الفرنسيين نظروا الى كل هذه الملاحظات وما المرأتى فرنسا
سها بنظر الناقد البصير والتدبر الحكيم فارتسوا مثلثا نقلته

وإياه (إن ما تريد المرأتى يريد الله. Ce que femme veut Dieu veut.)

لذلك كان لها عندهم الكلمة النافذة والامر المطاع فلا يقدم الرجل
منهم على أمر لا يرضاه زوجته ومتى أقدمت هي على عمل أو
تعلقت به مشيئتها وجب عليه الرضا به والاقرار بوجوده والقول
بأنه لا مسدوحة عنه وهم يبالغون في اكرام المرأة والتأدب في
حقها (ولو ظاهرا) بما يفوق الوصف وفي تثقيف عقلها بجميع
أنواع العلوم والمعارف (حتى التي لا يقدم عليها الاخول الرجال)
ولذلك ينبغ منهن الكاتبات المحررات الشاعرات الخطيبات
المصورات المشخحات المحاميات الطبيبات المحترعات في كل أمر ذى
بال أو غير ذى بال

الرهنا أنبه قلبى للعدول عما استعارد فيه الى ما ينتظره أحسن
منه بعض القراء عقيب ما صدرت به الكلام من التخوف من اللوام غابغة بولونيا
باريس في

وقد تعلقت آمال ذلك البعض (إذا صح التعبير) ببعض عن
الكل) بان أحدثه على فسحى في باريس يوم الاحد الرابع
من أغسطس بعد أن أمضيت الاحد الثانى منه في سان ستيفانو
مالاسكندرية والثالث في منزله رومة وخبائنها السنديسة

ولعمري انه يحق لهم ذلك الانتظار ولا يحق لي أن أبجل عليهم بعض مشاهدته اذ الاحاطة متعسرة بل متعذرة فاني أمضيت يوم السبت وصيحة ذلك اليوم الاحد اليهيج في السؤال عن كثير من العلماء الذين سبقت لي بهم معرفة بالذات أو بعض العلاقة الادبية ولم يسعدني الحظ بمقابلة أحد منهم على الاطلاق لانهم كلهم قصدوا الخيلوات طالبا للرياضة والتمتع بالسكينة والهواء السليم (و ربما كان هــ ربا من الهواء الاصفر وقي الله بلادنا منه) ولذلك أخذتني الغيرة منهم فاحسبت أن أنشبه بهم في استنشاق النسيم وامتاع النواظر بروية العيون المراض الصحاح ومشاهدة مآقي الطبيعة والصناعة من باهى المحاسن وباهر الاحاسن وما هو الا أن حانت ساعة النزهة حتى علوت عربة تومت في سائتها الفهم والنباهة وركب على عيني رفيق الاستاذ الشيخ حمد راشد وقتنا لسائق العربة أن يغدو بنا الى حيث يخرج القوم بحجة النزهة والرياضة وترويح الفكر وإراحة البال فأرسل الخيل تعدو في شوارع منتظمة عامرة آهلة حتى اذا اقتربنا من غابة بولونيا أخذ يسير الهويينا ونحن نتمتع النواظر بروية الوجوه النواضر واللحاظ الفسواتر والثغور البواسم والحدود النواعم والقصدود المياسة والخصور النخيلة الى ما وراء ذلك مما هو وراء

الوصف والبيان وقد كان ممن الخاطرات بالدلال والاعتماد
في حلل الهباء والجمال وملبوس أنغر يزيد الملاحمة بجلا يقدر
ومشية متوازنة بحركات متجانسة مزوجة برقة و إعجاب
لا يصح أن تسمى بالتجتر ومنهن الراكبات في العربات ويجانبهن
أو أمامهن رجال من عائلاتهم (أو غيرها) ولكنهن لا ينظرن اليهم
ولا هم ينظرون اليهن بل كل من الفريقين مشغول عن صاحبه
(الذي تملكه اليد) بن يسعي أمامه أو يمر بجانبه أو يعدو خلفه
وكل واحدة من هذه الجوارى المملكات المالكات تبدل غاية
جهدها ومنتهى قنهلها لكي تتجلى في مظهر أنيق رشيق يسبي
ويصبي ثم لانكتفي بخطف العقول والارواح بل هي فوق ذلك فتاكة
فتاة (والفتنة أشد من القتل) وما زلنا ننقل من منظر الى أبداع
الى أروع الى أبهج الى أبهر حتى انهبرنا واندهشنا وضاعت
مناصيح أفعال التفضيل التي كنا حنظناها مثل هذما القرصة
وقد كل البصروارتة الطرف حيرا ففكرت حينئذ أن البخار
تكفل بتقريب المسافات فأغنانا عن استعارة أجنحة القطا
للطيران الى موضع الحب والهوى ولكني في عوز زائد الى كثرة
النواظر لان العينين اللتين منحهما الى الباري لانكفياي لرؤية
هذه المناظر التي أمأى وناسفت على كوني لم أتزود قبل الرحيل

بشيء من العيون التي كانت تنفعني وتنفع أصحابها في مثل هذه الحال التي ليس بعدها حال ولكن لله الحمد فان البلب مازال مفتوحا والامر ميسورا لاني سأرجع الى باريس وأقيم بها نحو من أسبوعين أو أكثر كل من همزه النوق لاستجلاء هذه المحاسن بنفسه من غير أن يتحلل عن مجلده فليساعدني بما هو لازم (ع) ومتى انصرفت عن هذه المدينة أرجعت اليه العين بالعين فحمدته بما رأت ونؤ كدله صدق من قال ومارء كن سمعا

فلما رأيت مارأيت من السهاى في التبرج والبهرجة والتغالى في التزويق والزبرقة والتهاالك على التماكة وانخذرة خطر على بالى أنى لو كنت من قدماء اليونان الذين يعتقدون بتعدد الآلهة لكنت أقول ان إله الجمال بالغ في الاتقان وبذل كل ما في وسعه من حسن الصنع عند ما كان مشغلا بالخلقة في هذه البلاد ولكنى بفضل الله من المؤمنين الموحدين المسلمين الذين يقولون تبارك الله أحسن الخالقين

وقد تذكرت حينئذ عبارة لاتينية كان القدماء يكتبونها على الساعات رمزا الى انقضاء الحياة بمرور الاوقات وهذه ترجمتها (كلهن جارحات والاحيرة تقتل Vulmerant omnes ultima necat) ولو كنت من الشعربمكانة القادرين على سبكه والمجيدين بلجيكه

لصغت هذا المعنى في أبيات بديعة في الكلام على النساء ولكنني
لأن تصورانه فات شعرا عانا بالغا

أقول الحق اني لم أستغرب بعد ذلك كاه من تلف بعض
الشبان الذين توجهوا الى أوروبا فان المجرى والمكعب والمقعب
والخلاب والمعقد وخصوصا الشريط الذي يعقد على الخصر
ويتطاير في الهواء من وراء المعروف عند الباريسيات بما معناه
(اتبعنى يا فتى *Suivez-moi, jeune homme*) كل ذلك يجراى
الغرور من غير شعور ويهوى باهل الهوى الى هاوية الغواية
والشورور إلا من عصم ربك وهم وقته الحمد كثيرون . وقد قال
لناسائق العربية ان ما رأيتاه ليس بالثنى الذى يذكر لان المدينة
الآن صفر من أهاليها المتصودة بالذات وأكبر القوم كلهم فى
الخلوات

وهنا أنتقل من هذا الموضوع الى موضوع آخر له تمام وجوب حجب
الارتباط وهو أنى من أهل المذهب القائل بعدم اطلاق الحرية
للنساء الى هذه الدرجة التى تجاوزت الاعتدال الى التطرف فى الافراط
فان المرأة بعد كل تعليم وتهذيب أراها ضعيفة مبالغة أكثر من
الرجل لذاتى الشهوات والتساقى فى الملاذ فالواجب أن تكون
الحرية لهن كالمخ فى الطعام فان التعام ليس بقادر أن ينزع منهن

هذه الاميال وان نزع منهن الخرافات التي يبثنها في عقول
الاطفال

أقول ذلك بمناسبة ما رأيت في (تقويم ترويح النفوس
Calendrier Amusant) المكتوب باللغة الفرنسية عن
سنة ٩٣ القادمة . قال في النهر الثاني من صحيفة ٢٣
والأول من صحيفة ٢٦ ما خلاصته : ان العلامة كستنر
(Kestner) أحد أساتذة ليبسيك وصاحب التصانيف العديدة
المشهورة نشر كتابا فيه اجاث علمية دقيقة مستوفاة تكلم فيه على
حركة ازدياد المواليد ونقصها في البلدان المختلفة مستندا
على الارقام وقد أدته ملحوظاته وحساباته الى اثبات النتائج
الاتية بحسب التعديل المتوسط وهي

ان المرأة الالمانية تحون زوجها ٧ مرات والبلجيكية ست مرات
وأربعة أخماس المرة (بحسب التعديل المتوسط كما قلنا) والانكليزية
خمس مرات والنمساوية أربع مرات ونصف مرة والهولندية
أربع مرات والسويدية أو الدانيمركية مرتين والاطليانية مرة وخمسة
اسداس المرة والفرنساوية مرة واحدة والاسبانية سبعة اثمان
المرة والبرتغالية واليونانية خمسة اسداس المرة والاصرية والبشناقية
والتي من الجبل الاسود والباغارية ثلثي مرة ثم التركية (ويعنون

بهذه اللفظة المسلمة وغير المسلمة من الشقيقات) عشر المرة

الواحدة. ١٠١ (١)

فاذا سلمنا بهذا الحساب الذي استنتجته ذلك الاستاذ الالماني
رأيتنا أن في التجب وفيما يقرب منه فائدة عظيمة في صيانة
الاعراض

وبعد أن طفقنا هذا المنتزه مرتين رجعنا الى فندقنا فعلمنا زيارة سفير
باريس حضر لزيارتنا وترك لنا ورقة الزيارة وقد كنا توجهنا الى
السفارة في صبيحة ذلك اليوم (الاحد) البهيج وحظينا بمقابلة دولته
ولبتنا معه مدة انصرفنا بعدد ما شاكرين مالاقيناه من لطفه
وبشاشته وجميل مؤانسته ولطف محادثته

ثم أمضيت الليلة وأنا أحلم أنى في غابة بولونيا وانه لا تصح
مؤاخذتى على وصف مارأيتيه فيها الا بعد أن يؤاخذ بهاء الدين
العاملى على وصف النساء في الارجوزة الشهيرة التي كتبها على
رحلته في بلغ وأوردها في أوائل الجزء الثمانى من الكشكول

(١) هذا الحساب المحفوظ فيه شموع لافراد وائس الحصر فيه ان كل فرد يعمل هذا
العمل بل هو عبارة عما عمله البعض قليلا كان أو كثيرا ويعوز على المجموع في الحساب
الاحصائى

وبعد ان يؤخذ الكثير من قول العلماء وأكابر الاتقياء الذين لم
يأنفوا ورود هذا الروض الالف وهكذا الى ان أشرقت الغزاة
فهللنا أمتعننا ثم ركبنا القطار السريع فاصدين لندرة عاصمة
بلاد الانكلز التي لا تغرب الشمس عن ممالكها ومستعمراتها



الرسالة التاسعة

من باريس الى لوندرة

وخلاصة وجيزة على المؤتمر

اشتهر الانكليز عند الخاص والعام بالاختصار في الكتابة وصف بحر
والكلام والهجوم على المقصود من غير تقديم مقدمة أو استفتاح ^{المانش والأطل} الانكليزي
بقائحة وساتكلم عن أخلاقهم بالتفصيل في الرحلة وأكتفى الآن
بمجاراتهم في هذا السبيل

قت من باريس الى ديبب (Dieppe) أحد ثغور فرنسا في
الشمال الغربي وركبت الباخرة وأنا مرتجف من هول بجر المانش
وذواره إذ أنى قرأت في كل كتب السياحة انه من أشد الابحر
اضطرابا وهيبانا لانحصاره بين شطوط فرنسا وانكلترا وانذفاع
السيار فيه ولذلك كان الاوربيون بل الامريكيون أنفسهم
يعترفون بشدة هولهم ويفزعون دائما من اجتيازه حتى لقد حل
ذلك بعض المهندسين من فرنسا على تقديم مشروع مقتضاء خرق
تفق تحت قاع البحر تسير فيه السكة الحديدية للسهولة والراحة
وتقريب المسافة ولكن انكلترا عارضت في إنجاز هذا المشروع
خوفا من تهدي قوة حربية برية عليها من فرنسا فجاءهم كما يقول
الفرنساويون) . واقدم ازداد رعي حينما سألت أحد المسافرين

وأجابتني بأكثر مما قرأت ثم تمكن الفرع منى كل التمكن بعد أن
أندرتني القبودان نفسه بأضعاف ما أفادني الاول فكاد يفعل بي الوهم
ما يقصر عنه دوار البحر لولا انى تجللت واذ كنت مضطرا للسفر
وايس لدى من المراكب سوى ركوب هـ هذا المركب ولا يمكننى
الانتظار حتى تعترف انكثرة بفائدة النفق (كما اعترفت بفائدة
قنال السويس فيما بعد) فقد اعتمدت على الله وعملت بصيحة
بعض الخبسين الذين تعرفت بهم فى باخرة البر فبادرت بطلب
الطعام قبل قيام السفينة حتى يـسـكون فى المعدة شئ يقاوم
تأثير الدوار بادئ بدء فلا يقع على الامعاء مباشرة

جاءنى الغلام وكلمنى بالانكليزية وكنت قد نسيت اليسير الذى
تعلمته قبيل سفرى من انقطر المصرى بسبب استعمالى الطليانى فى
ايطاليا والفرنساوى فى فرنسا فضلا عما فى رطانة الانكليز من
الصعوبة والادممة والتعقيد والهمهمة واهمال المقاطع الاخيرة من
الكلمات فلم أفهم منه شيئا المرة ولكننى تذكرت أن أحسن طعام يجيد
القوم صناعته هو الرزيبف والبفتيك (أو البكتيف بحسب رواية
البعض فى بلادنا) فذكرت اسم اللون الاول فعاد الغلام ومعه
قطعتان كبيرتان حوالهما من الدهن سواران بل سوران ويجانبهما
قليل من شبه المرق فمست لمة فى هذا السائل ثم وضعتها فى فنى

فكادت تحدث عندي ماهو أشد من دوار البحر ودوخة الرأس واضطراب الامعاء لولا أن تداركت نفسي فأهريت الى في بكية عظيمة من الملح والقلقل والجردل وذلك لان الانكليز يصنعون ما كلهم من غير ملح ويتركون تليجها للاكل بقدر ما يريد وخلاصة القول اني أكلت كما أكلت (لاهنياً ولا مريثاً)

وأما رفيقي فقد آثر النوم على كل شئ إلا بما اكتسبه من التجربة في بحر الروم.

ثم اني سعدت على ظهر السفينة لا تتمتع بنظر البحر ومشاهدة المدينة ولو أن ذلك يزيد في أعراض الدوار ولا أصف اعتدال الجوق وفيه السماء وصفاء اللجة وجمال المدينة واجرافها الصخرية الشاخنة التي تتأطم الامواج تحت اقدامها بل أقول اني كنت أستغرب من تحسن الحال كلما تقدمت السفينة الى الامام وأنا لا أشعر بالاضطراب ولكن القبودان كان يقول لي (بالفرنساوية) تر بص قليلا ربما تعارض السفينة التيار فهناك كل الهول . وما زال الحال على هذا المنوال حتى بدت لنا شطوط انكثرا والفرح يداخني قليلا قليلا الى أن دخلنا مينائيو هافن (New Haven) بسلامة الله تعالى وحسن معونته بعد مسير أربع ساعات ونصف وكان عدد المسافرين ١٤٠ في الدرجة الاولى و ٨٠ في الثانية

ولم يؤثر الدوار الاعلى ستة من السنوات واثنين من الخواجات وقد
أجمع الخبيريون على ان مثل هذا اليوم لايجب الا فيماندر غير اني
قلت لعل هذا من كرامات المؤتمر

دخولنا مكة: ثم نزلنا في المدينة فاستقبلنا أعوان الكرك بسألوننا هل معنا
شيء من الدخان والسجائر ثم وضعوا أمتعة المسافرين على كثرتها
في مخزن كبير بحسب ترتيب عددها في التسييل ووضعوا النمرة
على الارض بالطباشير لكل متاع مسافر مع بيان عددا يتبعه من
الشنطات وغيرها لكي يتوجه كل أحد بحسب تذكرته الى
موضع غمرته فيرى متاعه بدون أن يكون ازدحام أو اختلاط أو ضجة
أورجة فأعجبني هذا الترتيب وبعد التفطيش باللطف والمجاملة
سار بنا القطار الى لوندرة فيما بين حقول خضراء ناضرة ومراع
واسعة زاهرة

وصول لوندرة فلما وصلنا المحطة المقصودة من لوندرة في مساء ١٩ أغسطس
تلقانا عامل من بيت كوك ومعه كثير من مكاتب اخواني الذين
تركهم في مصر وصلت قبل وصولي فحفظها لي عامل كوك وقد
تلقاها بأشفاق زائد قبل ان اتقل خطوة واحدة وحمدت المولى
على هذه النصف مشاهدة مسرورا بها شاكر الله ذا كراماتهم
من الفضل والعناية ثم ركبنا العربة فاصدين الفمندق فاذا

المدينة **كبيرة** ضخمة جسيمة هائلة لا يصح أن تسمى مدينة أو عاصمة بل هي قطر كبير وإذا حق لي تسمية باريس (جنّة

الدنيا) فلا بد لي من تسمية لوندرة **موسوعات العالم**
وقد نزلنا في أهم فندق بأهم حي من أحياء هذا النطاق اعلاء
لشأن الأمورية وإجلالا لمقام حكومتنا السنية وهو المعروف
ب(الجمار هوتيل) وهو من الطبقة الاولى ولا ينزل به أحد من
المسافرين الا بتوصية أوتقديم وكان نزلا لاعضاء العائلات
الملوكية الذين جاؤا الى هذه الديار وقد كان النور الكهربي
فيه طوع بنائي طول الليل وطول النهار وان الرياح لعاجز عن
وصف ما عليه الفندق ولكني أقول ان بذل الدنانير الوفيرة أجرة
للتزول فيه كبذل الدراهم في غيره وسأصفه بما في المقدور في
الرحلة ان شاء الله تعالى

وفي صباح النهار نزلنا الى قاعة الاستقبال فرأينا ثلاثة من بعض زيارتنا
أبناء بلدنا قد حضروا والسلام علينا وكالات توقع أن أحدا يعرف
مكاننا في تلك الساعة فحصل لنا برؤيتهم ومكالتهم مزيد السرور
وهم من التسلامدة الذين أرسلتهم الحكومة الخديوية للتعلم
في بلاد الانكليز وقد صدر لهم أمرها بمقابلتنا وإرشادنا

ثم حضر لزيارتنا في الفندق سعادة الجنرال السير غرنفل باشا
سردار الجيش المصرى سابقا فاستقبلنا سعادته بواجب الاحترام
اللائق بمكانته من الفضل والعلم وهو الذى ساعدنا فى مأموريتنا
هذه كما سيمر على نظر القارئ ثم حضر لنا رفيقنا الثالث وهو
الدكتور فولرس وقد رددنا هذه الزيارات بعد ذلك

أعمال المؤتمر
بغاية الاعجاب
فلما جاء يوم افتتاح المؤتمر أرسل لنا سعادة سردارنا
السابق عربته لتقلنا الى محل الاجتماع فلما وصلناه رأيناه
يوج بالناس ولا يجهل القارئ ان جميع من يضمه المكان هو
من مشاهير العلماء ونخبة الفضلاء من كل أمة ولم يحضر المؤتمر
أحد من العائلات الملوكية بل كلهم اعتسروا برسائل برقية
وغير برقية

وافتح حضرة الرئيس الاستاذ مكس ملر أعمال المؤتمر
بخطبة قد كانوا طبعوها فى ٦٣ صحيفة ووزعوها علينا وكلها
غرر ودرر وربما نلخصتها فى الرحلة أما الرئاسة الادارية فقد كانت
فى يد اللورد نورثبرول (الذى كان حاكما على الهند وقد جاء مصر
من زمن غير بعيد) ولاحظ الجميع ان الوقت المقرر قد مضى ولم
يتم العمل المحدد فى البيان الرسمى ليوم الافتتاح بل انه لم يتكلم
أحد غير الرئيس وآخر أثنى عليه وثالث تكلم بالطليلية وعلى

ذلك انفضت الجلسة الافتتاحية وفي المساء كانت مأدبة اللورد نورثبروك لاربعة وعشرين مدعوا من أهل المؤتمر لم يكن بينهم شريك غيري وقد اجلسوني على المائدة والى يميني الدكتور بوهلر وهو من أشهر مشاهير العلماء في أوروبا والى يساري السيد غر نفل باشا وكانت المأدبة أشبهت بما تدب الملوك على ما سمعت لا ما عرفت

وفي الايام التالية كانت الاقسام تشتغل بمباحثها وفي جلستها الفرع الثاني من القسم الثاني الخاص بالساميات الذي كنا فيه فلما جاء دورنا تكلم الدكتور فولرس على رسالة كتبها في الاصوات العربية مستندا على مارواها بن يعيش شارح المفصل وما جاء به سيبويه للبحوي ثم تلاوته بالفرنساوية مبينا اجمال ما في الرسائل التي قدمتها للمؤتمر (١) ثم قام حضرة الاستاذ الشيخ محمد راشد وتكلم على رسالته التي كتبها في الكلام الدارج بمصر القاهرة وأورد كثيرا من أزجال العوام وألحانهم وموشحاتهم وموالياتهم وأدوارهم ثم قدم شرحا مطولا كتبه على خطبة مقامات الحريري

وفي اليوم الرابع عينوا لجنة دولية للنظر في شؤون المؤتمر الآتي والاقرار على وقت انعقاده ومحلّه وتعينت فيها عضوا نائبا عن الديار المصرية وكان الحاضرون ٢٥ بما فيهم الرئيس فتليت الخطابات الواردة في هذا الشأن ودارت المذاكرة على

(١) انظر خلاصة الخطبة في آخر الكتاب

تعيين وقت انعقاد المؤتمر الآتي فقال الكونت داجو بيرانتى مندوب إيطاليا ان اللازم عقده بعد ثلاث سنوات حتى يتيسر للعلماء في خلال هذه المدة أن يحضروا مباحث يقدمونها فيه فقلت حينئذ (ان القاعدة التي تقررت في أول الامر لاجل عقد المؤتمر كل ثلاث سنوات انما كانت لقله المستشرقين وأما الآن فقد انتشروا حتى كان لهم من أمريكا مشاركون كثيرون والواجب علينا أن نوجد لهم فرصا كثيرة يعرضون فيها أعمالهم لئلا يزداد الشقاق بين أجزاء هذه الجمعية فتضيع القاعدة الأولى بالكلية وتذهب ثمرات هذا الجمع أدراج الرياح ويصير علماء كل دولة على عقد مؤتمر في عاصمتها كل عام أو عامين فيتفرق العمل شذرا منذر ولهذا فاني بمناسبة الشقاق الحاصل الآن في لسبون أرى وجوب الاقرار على عقد المؤتمر في سنة ٩٤ أي بعد سنتين فقط) فطرح الرئيس هذين الرأيين على الاعضاء وحسبت الاصوات فاذا هي متساوية في كل فريق ١٢ عضوا وبقى الترجيح له فأطال الامعان ثم انحاز الى رأينا وتقرر الاجتماع في سنة ٩٤ ثم قرر أن يكون مركزه مدينة جنيفا (جنبره) ببلاد السويس ثم تقدم مشروع خاص بتنظيم أعمال المؤتمرات في المستقبل وجعلها تسير على وتيرة واحدة فتقرر بعد بعض تعديلات

ولما حبل اليوم المحدد لانفضاض المؤتمر اجتمع فيه خلق
أقل من الذين حضروا يوم الافتتاح ودارت المذاكرة على ماقرنته
اللجنة الاولى التي سبقت الاشارة اليها ثم أعلنوا بالاختتام

وفي المساء توجهنا الى مأدبة أعدتها اللجنة لتنظيم المؤتمر لجميع
الاعضاء في قاعة (هوتيل منرپول) وهو من أكبر فنادق لوندريه وكان
عدد الحاضرين فيها ٣٠٠ مدعو وكان السير غرنزل باشا على يميني
والاستاذ الفاضل الشيخ محمد راشد على شمالي ولا يخطئ من
يشبه هذه الحفلة ببرج بابل من حيث اختلاف الالسنه الا أنها
يالغة في الكمال والانتان جعت أصنافا كثيرة من بني آدم وبالغات
متخاففة تكلم بها القوم الواحد بعد الآخر وقال رفيقي شيأ يناسب
المقام ثم تكلمت بالعربية حسب مقتضى الحال

واعلم انه ~~كبير~~ هذه المدينة واتساعها لم يظهر فيها أثر ما
لانعتاد مؤتمر المستشرقين بل ولا أقل أثر لمؤتمرات غيره كانت
منعقدة في الوقت الذي انعقد مؤتمرنا فيه وهي مؤتمر للعملة (بفتح
الميم) ومؤتمر للعامل وثالث للصحة وكل هذه منزوية في غضون
جوف هذه المدينة التي تسمى عند العرب (لندرس) كما هو اسمها
الآن عند أهل اسبانيا وأمالاسمها في لغة أهلها فهو لندن (Londres)
ولكن الفرنسيون يسمونها لوندري (Londres) ويضعون في

آخرها سيناليتطبق بها فاذا أرادوا النسبة اليها رجعوا للاصل اللاتيني الذي يقرب من اللفظ الانكليزي فقالوا لندنيان (Londonien)

وفي الاسبوع الذي كان المؤتمر منعقد فيه (من ٥ الى ١٢ سبتمبر) دعينا لما آدب كثيرة ونزه مفيدة للجسم والفكر (بسمونها رياضة رياضية وبلغتهم جاردن پارتي (Garden Party) لكنهم ينطقون بها (جاردن پارتي) بجسيم وألف مخمتمين ونون لاتكاد تظهر وكذلك الباء الفارسية والالف في التفخيم والتاء والياء في عدم الظهور (فهذا درس من اللسان الانكليزي وان كنت لأعرف منه الآن الا قليلا)

ولأذكر من هذه الرياضات الرياضية في هذا المقام سوى مادية ضيافة عند فتي انكليزي أعددها لنا اللورد امهرست (وهو غير الذي كان حاكما على بلاد الهند) فقد دعانا في يوم ١٣ سبتمبر الى قصره الكائن على مسافة أربع ساعات من لوندرة فركبنا القطار ووزننا عند وصولنا في عربات فاحرة أرسلها لنا رب الضيافة ومنزله أشبهتني بمدينة عامرة فيها الرياض الغناء والمنازة الفجاء ومن أطف ما يروق النظر فيها أما كن أعددها للعب فسيحة الارعاء مفروشة بالاعشاب الطبيعية وفيها الغابات والبحيرات لصيد الطيور والاسماك ومعمل للغاز وآخر الكهربيائية واخر لاصطناع العربات وتزيم آلات الزراعة وخزانة للاسلمة

وعبر ذلك مما يدل على تمكن الحضارة ونخامة الثروة واصالتها
وأذكريته جع في روضته هذه كثيرا من الاشجار النادرة الغريبة
من اقاصى المشرق والمغرب وله عناية بالازهار والقواكه فوق
العقل وقد رأيت عنده صنفا من العنب كبير الحجم لذيذ الطعم
أيض اللون وله خاصية الرائحة الذكية فيضوع أريجه عند
أكله

وقد اصطنع فيه زهرية على مثال بستان الازهار الذى كان
في قصر الحمراء بغرناطة ايام دولة عرب الاندلس وشكلها آخذ
بالبصر بهجة ورونقا

• أما داخل القصر فحدث عنه ولا حرج وقل ما شئت ففيه دار
تحف مصرية وبابلية وعبومية ولاجل أن يتصور القارئ مقدار
التحف التى فيه وعظيم أهميتها أقول انه يوجد لديه ١٣ صندوقا
كبيرا كلها مشحونة بأثار مستخرجة فقط من تل العمارنة في ديارنا
قريبا من ملوى بمديرية أسسوط وهو ينظر الآن في بناء محل متسع
لعرض هذه الأثار فيه

وأما المكتبة فهى كبيرة جدا وفيها نسخ كثيرة بخط اليد من
المصاحف الشريفة وكثير من الكتب العربية والفارسية والهندية
عماله قيمة وذلك عدا الكتب الافرنجية المنسوخة بخط اليد المعلاة

بالصور والرسوم البائغة حد الاتقان والكذب التي كانت باكورة
اختراع المطبعة في أوروبا وفي انكلترة وهي الآن نادرة الوجود
وقلما توجد في المكتبخانات العمومية التي من الدرجة الاولى وأحسن
شيء رأيناه نسق وضعها وترتيبها المدهش للعقول وقد أعد للكاتب
النادرة المئال خزائن من الحديد خشية عليها من الحريق اذا شئت
البار وان كان متحفظا على جميعها كما ينبغي

وفي المنزل غرفة ورقها من الجلد الاندلسي القديم وعليه
أشكال ورسوم صورها أحد المعلمين النابغين وأما الآنية والفرش
والاثاث والاستعداد وكثرة الرسوم والطيور والحيوانات المصبرة
فذلك مما لاحد لوصفه ولا تسمل بعد هذا عن بقية قاعات النوم
والجلوس والاكل وما تحتوي عليه من الاثاث والنور والاشكال
والاوضاع فكله من وراء مقدر اليراع وفي الدار كلها اسطوانات
عليها اعلانات تفصيلية بكيفية استعمالها بالسهولة لاختاد النار اذا
شئت في أي مكان وخلاصة القول انه اذا كان في الدنيا نعيم فهو
في منزل هذا الرجل

أما دمانة أخلاق حضرة الورد وحسن معاملته لنا هو وزوجته
وبناته الست فذلك بمقدار ثروتهم وحضارتهم وقد أحرزوا من
شكرنا بمقدار ما كان لهم من مكارم الاخلاق

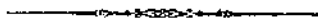
ومن بناته ثلاث أو ثنتان جنن مصر والباقيات لم يزرنها ولكنهن
يقران الحروف العربية ويقدرن على كتابة بعض الكلمات بخلاف
أخواتهن الآخر وقد كان بوجهه العائلة الكريمة أن تبقىنا عندها
أياماً كثيرة ولكننا مع وجود أعظم من رغبتهم عندنا اعتذرنا لأن
حضرة الشيخ كان لابد من رجوعه الى مصر في يوم ١٦ سبتمبر
فزدعناهم بعدان أخذت احدى كريماته صورتي بالفتوغراف وبعد
ان استكتبونا أسماءنا بالعربية والافرنجية

• أما زهتنا في لوندرة فلا أتكلم عليها الآن وانما أذكر أنى
شفت الغليل برؤية شبه مدينة البندقية في احدى ضواحيها
وهو محل متسع اسمه (Venice) فيه تياتر ورحب ومعمل للزجاج
يشبه معامل البندقية وفيه شوارع مائة ومراكب ومراكبية
تمثل للانسان مدينة البندقية بالتمام

فمدت الله على هذه الفرصة التي جعلت لي فكرة على
هذه المدينة المائية حتى كاني شاهدها بالعين فما لا يدرك كله
لا يترك كله

وقد تويجهنا في يوم من الايام الى معرض التاريخ الطبيعى
البريطانى وكان مرشدنا فيه حضرة وطنينا القاضى المتفرد
بالشهرة في هذا الفن الدكتور عثمان بك غالب فاستغدننا من
معرض التاريخ الطبيعى

دقائق المعرض وحقايقه أشياء كثيرة وأقول الآن ان الحكومة تنفق عليه وحده في السنة أكثر من ٤٤ ألف جنيه انكليزي في نظير ماهيات العلماء والعمال فقط أى خلاف المشتروات وصيانة المكان وغير ذلك من النفقات الكثيرة التي لا يمكن أنها تقل عن هذا المقدار وقد كان في الاول فرعا من المتحف البريطانى فلما اتسع نطاقه وازدادت معروضاته نقلوه الى هذا المكان المخصوص وهو في غاية الترتيب ونهاية الجمال



الرسالة العاشرة

لوندرة

بودى لويتيسرى أن أكتب الآن ولو كلمتين على هذه عظمة لوندرة
المدينة بل على هذا القطر الواسع الذى يسمونه لوندرة ولكنى وجسامتها
أقف امام هذا الموضوع الهائل شبيها بالتملة بجانب مسجد
السلطان حسن أو كالزورق الصغير فى البحر المحيط وأنى له أن
يهتدى الى بر السلامة فعلا م أكذب وماذا أصف وفيه
أخوض فلقد اشتمت متاجرها على جميع الأصناف والمحصلات
كما أن بضائعها ومعاملها بلغت من الانساع والاتقان فوق ما يتصوره
الادراك حتى إن مجرد الدخان الذى ينبعث منها الى سمائها
يتحد مع ضبابها ويزيد فى تكديرجوها ثم يتساقط على مبانيها
وعمارها وتمايلها وأنصابتها فيجعل منظرها أسود قائما كئيبا
محزنا تتقبض منه النفوس وينهب بالانشراح أذراج الرياح
وفيهما من الاقبال على الشؤون واغتنام الفرص ومعرفة قيمة
الوقت ما يحير الافكار ويهر الابصار ورجال الشرطة فيها بلغوا
من الانتظام وحسن الدراية وكال الدربة ومعرفة الواجبات
ملايكاد يضاھيم فيه غيرهم فى الكون بأسره حتى صار لهم مهابة

في النفوس وسيطرة حتمية على كافة الافراد بحيث ان أقل إشارة منهم تكفي لمنع أي خلل أو اضطراب

حركة تولد - أما استمرار الحركة في شوارعها فما لا يتصوره الانسان

الابعد المناظرة بالعيان قاسها في أقل الايام (ماعدا يوم الاحد) تشبه يوم مهرجان النيل أو ليلة احتفال الاجسام في العاشر من محرم الحرام أو موسم المولد النبوي أو الاحمدى (أو كل ذلك مجوعا الى بعضه) فترى العربات العمومية زوات العجلتين وذوات الاربع تتقاطر وراء بعضها ويجانبها عربات الاومنيوس شبيهة بالمنازل والدور كسلسلة متصلة الاطراف والانس ينبع بعضهم بعضا كأنهم يساقون الى المحشر الى غير ذلك مما يقتضى التعريف به أن تظهر الحقيقة فوق الاغراق والغلو في المبالغة ولكني لا يصح لي أن أعتذر بعتذر الاطاعة بأطراف هذا الموضوع عن كتابة ما شعر به الوجدان وتأثر به الجنان واني أحاول ذكر قليل مما تيسر لي الوقوف عليه من الاجاليات ومن أمور شتى ومنشورات متنوعة تصور للقارئ بعضا من كل من جسامه هذه المدينة العظيمة واتساع

نطاقها وامتداد أعمالها وكيفية الحركة فيها

وابورات تولد - فأول شيء يؤثر على عقل القادم اليها ما يراه فيها من حركة الوابورات وسرعة مسيرها وكثرة عددها وتنوع اتجاهاتها واختلاف

أوضاعها في الارتفاع والانخفاض حتى يكاد يعتبره دوار في الرأس
يشبهه ذوخة البحر ويدخله خوف شديد من امكان حصول
الاصطدام في كل لحظة أو خروج القطار عن الشريط في كل
خطوة حتى اذا وصل المحطة زادت الدهشة مما يراه فيها من الاتساع
وكثرة الارصفة وحسامة المباني وتعدد صفوف المخوقات وتناهي
صفوف العربات مما يضيع اللب ويذهب بالرشاد ثم متى دخل
في شوارعها وسار في طرفاتها ومسالكها بهت وبلغ الاضطراب
منه منتهاه

ومهما وصفت ومهما شرحت ومهما بالغت فاني لا أبلغ
عشر معشار الحقيقة ولذلك رأيت أن الطريقة المثلى هي أن
أكتفي الآن بذكر بعض أمور متفرقة تجعل للقارئ فكرة صغيرة
عن عظمة هذه المدينة الكبيرة

ولكني أقول قبل ذلك ان الشركات والجمعيات وما بينها فوائدها
من المزاحة الممدوحة والمناظرة المحمودة هي روح هذه الحركة وأساس
هذا الارتفاع فهما نظر الانسان الى أى عمل من الاعمال رآه في يد
شركة من الشركات وليس للحكومة دخل في شئ مما سوى المراقبة
العالية والسيطرة المعنوية التي تجعل الجمهور في أمان من اغتيال هذه
الشركات وفيما عدا ذلك فان الامة قاعمة بنفسها مكدة في طلب

المكاسب والمعالى بما يفيدها ويرفع شأن دولتها من غير أن تتنازل
وتقد يدها لامداد الحكومة ماديا أو معونتها معنويا حتى ان
الانسان ليتساءل بعد ما يراه من تنوع الشركات وتناولها كل شأن
من شؤون العقليات والمحسوسات كيف ان مثل البوستة
والتلغراف والكمرك والدخولية والبوايس والجيش ليس في يد
الشركات نعم فقد كانت البوستة والتلغراف خاضعين لهذا القانون
العام في هذه البلاد بلاد التعاقد على الاعمال والتباعد عن الخمول
والاهمال ومعرفة ثمرات الاجتهاد والاتحاد والاقتدار على انهاء
المال ولقد كان فتح الهند كما لا يخفى وازادتها للدولة الانكليزية
على يد شركة تجارية وأمثال ذلك كثيرة

جهاد الافراد وذلك لان أفراد الامة البريطانية يرون أنهم لم يخلقوا الا للعمل
أح المجموع والاكتساب ولقد بلغت محبة الاستقلال فيهم مبلغا لا يكاد
يتصوره العقل حتى ان بعض البنات في العائلات الكبيرة تذهب
لرسم والتصوير أو التطريز والتدبير أو التعليم والتدريس
لتكتسب بنفسها ولا تكون كالأولاد على عوانق أهلها مع ما هم
فيه من الثروة والرفاهة ومنهم من يؤثرن التغرب في بلاد الهند
واستراليا وكندا بصفة وصانف أولى من البقاء في منازلهن
خاليات من العمل منغمسات في البطالة والسكسل وذلك شأن الشبان

أيضا حتى لقد جاء في أمثالهم أنه (لاشيء يفلح مثل الفلاح) وذلك يشبه من بعض الوجوه المثل الفرنسي (الغاية تهر الواسطة) وهم يعتبرون الفقر عيبا بخلاف سائر الامم ولذلك يشتغلون كلهم مثل النحل ولو كان الرجل منهم ابن غني يملك القناطير المقنطرة فلا بد له من التكسب بعرق جبينه

وحبهم لوطنهم ولا أنفسهم ولا أبناء جنسهم أمر لا يكيف استشار
الانكليزي كل شيء
مثال ذلك أن الرجل منهم اذا كان يعرف لغة غير لغته الاصلية
فلا يتكلم بها الا عند الضرورة القصوى واذا رأى منك أنك
تعرف من الانكليزية مبادئها أخذ يخاطبك بها ويحتمدني
منعك من مكالمته باللغة المشتركة بينك وبينه لانها غير انكليزية
وكذلك السكة فلا يتعاملون بغير النقود الاهلية مطلقا ومثلها
المقاييس والمكاييل والاوزان ومع ان العقلاء منهم بهترفون
بأفضلية الطريقة الاعشارية لكنهم لا يزالون متمسكين بطرائقهم
المتعددة المخالفة التي ليست على أساس ثابت

ومثال ذلك أنك اذا توجهت لاي مخزن وطلبت صنفا
أو محصولا مما اشتهرت بعض البلاد الاجبية بصناعته واتقانه
فان رب الخانوت يجيبك بأنه موجود عنده ولكنه ينصحك نصحاً
مكرراً بأخذ الصنف الانكليزي قائلاً انك انه أجود وأفضل من
جميع الوجوه

تصور الوطنية الحقة بأوروبا وهذا الموضوع يجتزي الى الاستطراد بذكر كلمة واحدة على الوطنية في بلاد أوروبا التي أتيج لي زيارتها الى الآن وهي إيطاليا وفرنسا وانكلترا فهي التي جعلت هذه البلاد ذات سطوة عظيمة وبأس شديد فانهم يتظرون الى من يخدم الوطن باعتبار أعماله العمومية المفيدة للبلاد ويجلون ذكره على الدوام من غير أن يتظروا مطلقا الى أعماله الشخصية وأموره الداخلية ومهما كان فيها من موجبات الانتقاد فان ذلك لا يمنعهم من اعتباره واحترامه ورفع صيته الى أعلى عليين ألا ترى أن (غاربالدي) الذي يهتزل اسمه قلب كل وطني طلياني قد خدم الدولة الطليانية وأوجد وحدتها فأحله أهل بلاده المحل الاول من الاعزاز والاعظام ولم يلتفتوا الى ماتناقله بعضهم عنه من الاعمال المنكرة التي ارتكبتها زوجته الفتاة وقد اتخذها بعد ان صار طاعنا في السن ومثال ذلك (غامبنا) رجل الجمهورية الفرنسية فان قصته مع عشيقته معروفة وهي التي أطلقت عليه الرصاص فنقلته الى غير هذه النار ومع ذلك فهو موضوع الإعجاب عند الفرنسيين يلهجون بذكره ويتمدحون بما آثره ويحتجون بأقواله ويستشهدون بأعماله وقد أقاموا له في أعظم نقطة من باريس حيث كان قصر الامبراطور جهة ميدان الكاروسل تمناالا نفيما رفيها اكتب الاهلون

لاقامته على أنفر مثال وهم يأتون لزيارته من كل أنحاء فرنسا
يضعون عليه الاكليل والتيجان كأنه كعبة آمالهم

وأما لوندرة ففيها تمثال أمير البحر (الاميرال نلسن) الذي كسر
الدونامية الفرنسية ونهضها في كل البحار وفاز بالانتصار في وقائعه
وخصوصا في الجهة من الاندلس المعروفة في كتب العرب باسم طرف
الاعغر (التي حرقها الافرنج الى ترافالجار Trafalgar وقد خبط أعيننا
المرجعون في نقلها الى العربية فقالوا ترافالجار أو طرف الغار)
فقد أقاموا له تمثالا فأخرا على عمود شامخ يشرف على كل مباني
لوندرة ونظروا الى ما اكتسبه منه الوطن ولم يلتفتوا بأى وجه الى
علاقاته السرية مع امرأة أخرى (كان لها بعل فيما بالغنى)
حتى انه حينما أدركته الوفاة أثناء الواقعة البحرية في طرف
الاعغر كان أول شيء اهتم به هو السؤال عن نتيجة القتال فلما
بلغه ان النصر لدواته سكر بخمرة الفوز وهو في سكرات الموت
ولم يلتفت بعد ذلك لشيء سوى انه أوصى باعطاء سيفه ووشاحاته
الى خليلته وقد نقشوا على قاعدة العمود كلمة مأثورة عنه كان يتمثل
بها كثيرا وهذه ترجمتها (ان المجلدة تنتظر من كل فرد من أبنائها
انه يقوم بما عليه)

ولقد يذكر في ذلك بالملكة كاترين امراطورة الروسا فان

التاريخ يثبتنا بأنها كان لها محبوبون معلومون ولهم مرتبات
وعلوفات رسمية بهذه الصفة في ميزانية الحكومة حتى انها بلست
الحداد رسميا بعد وفاة أحبهم اليها مدة سنتين ومع ذلك فلا يزال
الروس يباطؤون لذكرها الرؤس ويفتخرون بها ويعبدون اسمها
لان دولتهم في أيامها وباجتهادها بلغت من التقدم وعلو المكانة
ما جعل لها جانباً مهيباً في أعين الدول الأخرى

فهكذا يكون حب الوطن وهكذا يكون السعي في تشجيع
الفضلاء على خدمته فان النظر الى السفاسف وتعتب الهفوات
التي لا يترتب عليها ضرر للامة والوطن لا يكون من ورائه الا إهباداً
العزائم وتبسيط الهمم فتتعمد القرائح النيرة وتنطق الافكار الوقادة
ويقعد المجتهدون وأصحاب الاماني عن الكد وراء المعالي ولا يصيب
الوطن من ذلك الا خسران رجال ربما كان له من وراء أعمالهم
فائدة جليلة

ولقد ساقني الكلام على وطنية الانكليز الى هذا الاستطراد
فأسأل القراء عفواً لاني أرى نفسي وجوارحي وقلبي وفكري
تندفع بالرغم عني الى ذكر شيء من هذا القبيل عسى أن يكون
له صدى في بلادنا فيكون من ورائه النفع العميم

وأرجع الآن الى الكلام على لوندرة التي يتعسر على احصائيات
الانسان أن يقول أين مبدؤها وأين منتهائها ومن المحتمل انه لم
يتفق لأجد أنه رآها كلها وان ذلك لن يتفق في الاستقبال لما يستوجبه لوندرة
المشروع من الصعوبة والانعاب والخيرة والاضطراب فان
مسطحتها ٣٥٠ كـلـمـتـرا مـربـعا من غير ضواحيها وارباضها
وقدروا أطول دائرتها ٩٠ كيلومترا وان طولها من الشرق الى
الغرب ٢٥ كيلومترا ومن الشمال الى الجنوب ٢١ كيلومترا
وطول طرقها ١٥٠٠ ميل وطول بالوعات امصارها ٢٠٠٠ ميل وكان
عدد سكانها في أول هذا القرن أي سنة ١٨٠١ عبارة عن ٢٣ و٨٦٤
نفسا وفي سنة ١٨٢١ صاروا ١,٢٢٧,٥٩٠ ولما جاءت سنة
١٨٧٠ بلغوا ٢,٢٥٤,٢٦٠ يسكنون في ٤١٧,٧٢٧ دارا وفي
سنة ١٨٨١ أثبت الاحصاء الرسمي أنهم ٣,٨١٤,٥٧٠ بما في
ذلك الضواحي المتصلة بها تمام الاتصال ويتضح من التقرير
الابتدائي عن حركة السكان في سنة ١٨٩١ ان عددهم في شهر
ابريل من تلك السنة كان ٥,٦٣٣,٣٣٢ وعدد المنازل ٧٩٧,٦٧٩
وعدد الاغراب المتوطنين بها ١٥٥,٠٠٠ ولها وحدها في مجلس
البرلمان ٥٨ عضوا يتوبون عنها

ولكنك اذا نظرت الى ذلك الانساع الهائل وتلك المسافات وسائط النقل

المساعمة الشاسعة تراها معدومة وكانها لم تكن فان المدينة
قرية الاطراف اسهولة التنقل وكثرة الوسائط من كل نوع ففيها
أكثر من ١٥٠٠٠ عربة بمجلتين وحصان واحد والسائق من
خلف (وايها هَنَسَم وهي مثل عربات الاوتيل كوتيننتال في
القاهرة) أو بربع عجلات وحصانين لركوب هذه الخلائق
المتزاجمة أما عربات الامنيوس فلا تقل عن ٢٥٠٠ عربة
تسير في ٢٠ خط متميزة عن بعضها أنشأتها شركات متعددة
وبلغ عدد الركاب في عربات احدى هذه الشركات (وقدرها
٨٦٠ عربة) ٦٠ مليوناً من النفوس في سنة ١٨٨٢ وفي كل
عربة منها ٢٦ مقعداً ١٢ في الداخل و ١٤ على ظهرها وفي
أكثرها زيادة على ذلك مكانان بجانب السائق وفي ضواحي المدينة
وبعض جهاتها عربات الترامواي التي تجرها الخيل على قضبان
حديدية وهي لا تربع شركات ولا يمكن ادخالها في المدينة لكثرة
الازدحام فان المقرر أن عربتين تسيران الى الامام وعربتين الى
الخلف وقلما تكون جهة من الشارع خالية من الاربعة عربات

وقد أحدثت سكة حديد العاصمة (التي تسير تحت الارض)
عربات الامنيوس توصل بين المحاط وبعضها وتميز عن عربات
الامنيوس الأخرى بان السائق تكون فوق رأسه مظلة كبيرة

عليها اسم الشركة ويجوز لكل انسان صادفها في طريقه أن
يركب فيها

وفيهاء أيضا عربات تسمى (ماى كوتش) تسير بالسواحين
والمترجمين الى بعض مدائن النزهة القريبة

وفيهاء شركة تتكاف بجمل الأمتعة والرزم والطرود التي
لا يتجاوز وزنها ١٠٠ رطل الى أية جهة من جهات لوندرة
وضواحيها ولها أكثر من ١٢٠٠ مكتب فرعى متوزعة في كل
أنحاء المدينة وعن النقل زهيد جدا وقد تأسست شركة أخرى
لنقل البلائد مثل بالات الاقطان والبراميل بأنواعها والبضائع
الكبيرة الحجم وأهم هذه الشركات فيها ٧٠٠٠ مستخدم
و ١٠٠٠٠ حصان وهنا أقول ان سائقي العديرات في لوندرة
يفوقون في صناعتهم جميع أمثالهم في سائر أنحاء الارض

وهناك أيضا شركة خيرية تألقت لمساعدة العساكر البرية
والبحرية الذين قضوا مدة الخدمة فانها تكتنفهم وتقوم باحتياجاتهم
وتستخدمهم في نقل الرزم والطرود الصغيرة بأجرة لا تتجاوز ١٥
مليما بحسب بعد المسافة وثقل الحمل

ويوجد بها شركات لها زوارق بخارية كثيرة العدد تجرى
في نهر التيمز على الدوام لنقل هذه الجماهير المجهرة من مكان

الى مكان وهى فى البحر بمثابة عربات الامنيوس فى البر ويجوز للراكب فيها أن ينتقل من الواحد لآخر بحسب الجهة التى يقصدها من غير زيادة فى الاجرة وهى لا تتجاوز ١٥ مائما وتقوم المركب كل خمس دقائق ويوجد شركات أخرى لها بواخر تسير بين لوندرة والجهات التى على نهر التيمز وتقوم كل ربع ساعة وكل نصف ساعة (ماعدا أيام الشتاء) وفوق ذلك على النهر مرآكب كثيرة بالتلوع والمقازيف يؤجرها الناس للفسحة على الماء أو للتنقل من جهة الى أخرى ويوجد مرآكب بخارية انشأتها بعض الشركات للسفر من لوندرة الى جميع موانى انكلترا واسكتلندة وارلندة بل وفرنسا والجهات الاخرى من قارة أوروبا هذا بصرف النظر عن المراكب البخارية التجارية الكبيرة التى تخترق فى جميع البحار

وفى لوندرة أكثر من ٥٦٨ محطة للسكة الحديدية أقل واحدة منها (حتى التى تحت الارض) أكثر من محطة القاهرة الحالية اتساعا وحركة وعملا ومنها ما يساوى محطة مصر والاسكندرية وطنطا ثلاث مرات فى ثلاث مرات وقد يمر فى بعضها (مثل محطة كلايهام) أكثر من ١٤٠٠ قطار فى اليوم من غير احتساب

قطارات البضاعة) وأنت تخيل عماد كركم ينبغي أن يكون مقدارها في بلدة تجارية صناعية مثل لوندرة) وفي سنة ١٨٨١ نقلت سكة حديد العاصمة وكلها تحت الارض ١١٠ مليون من الركاب بالتمام وقد ازداد هذا العدد الآن زيادة كلية

ثم ان القطارات كثيرة جدا وسريعة للغاية والعربات مفروشة وصف
القطارات
بلوندرة بكل عناية واتقان حتى ان عربات الدرجة الثالثة هي أحسن بكثير من عربات الدرجة الثانية عندنا وفي بعض اقطار أوروبا ولا يمكن ان يمر على الانسان لحظة واحدة وهو في القطار من غير أن يرى قطارين أو ثلاثة تحت أقدامه ومثلها بجانبه ومثلها فوقه بقليل ومثلها يجري على القناطر والجسور ومثلها بمذئته ذات اليمين ومثلها الى جانب اليسار وهكذا مما يحدث الخيال وذلك كله نتيجة المزاجية وثمرة المناظرة فان الذي يريد أن يتوجه من لوندرة الى مانشستر مثلا يجد أمامه خمسة طرق مختلفة في يد شركات مختلفة وكل واحدة منها تجتهد في ان تضمن للمسافر من المزايا والفوائد والتسهيلات ما يجعله يقبل عليها دون سواها حتى ان الطولات الخشبية المستعملة في الدرجة الثالثة أصبحت لا وجود لها بالكلية وقد تكون عربات الدرجة الثالثة في قطارات الاكسبريس كما

ان بعض القطارات لا توجد فيها إلا الثانية وفي بعضها (وهي السريعة) لا ترى الا الاولى

ولا يمكن أن يمضي على الانسان اذا وقف في مكانه ثلاث دقائق من غير أن يمر عليه ما يريده من عربات الامنيوس أو القطارات أو الزوارق البخارية أو غير ذلك فاصبحت المسافة في هذا البلد الطويل العريض معدومة والابعاد متقاربة لسرعة وسائط النقل وكثرتها وسهولتها وتيسرها

وخلاصة القول أن تعدد الشركات ومنافستها لبعضها التنافس الممدوح يجعل الانسان مهما قلب ناظره في أية جهة من جهات المدينة على وجه الارض أو تحت الارض أو في الجوف فوق أسطح المنازل يرى عددا هائلا من القطارات البخارية منها ما يرفع عقبرته الى عنان السماء ومنها ما يركم نفسه في جوف الارض ويكتفي بالانين

تنضيص
حركة لوندرة
ومن تأمل في حركة هذه القطارات التي لا يقطع دوتها وكلها مركبة من ٢٠ أو ٣٠ عربة كبيرة وكلها مشحونة ببني آدم ثم نظر الى الزوارق البخارية والى سواريتها التي تجعل النهر كغابة بالغة في الاتساع ثم نظر الى عربات الامنيوس وهي تجدد في السير وايس بها مقعد حال ثم نظر الى حركة الشوارع وما فيها

من المركبات المختلفة المقادير والاجسام والاشكال والانواع
وكاها غاصه بالناس وبالضائع ثم نظر الى جانبي الطريق ورأى
الاقوام تمور وتوج كالسيل المنهمر الذي لا يصدده عائق فلا شك
أن يعتربه اضطراب واندهاش وتأخذه الحيرة والاختبال ويحكم
بان هذه المدينة كقرية النمل وليس لها من هذا القبيل نظير في
العالم بأسره على الاطلاق والذي يزيد في الاعجاب والاستغراب أنه
لا يسمع صوتا ولا صياحا ولا ضجة ولا اعترا كما ينسب جزء من ألف
جزء من هذه الحركة بل كل انسان صامت أو هائم مقبل على
شؤنه مكدر في الذهاب الى مقصده وكل شئ يجري فيها كالساعة
المنتظمة ذات الآلات الكثيرة والغايات المتنوعة حتى ان الغريب

ليحكم بأنه بين قوم لا يسمعون ولا يتكلمون

ولا أتقل من هذا الموضوع قبل أن أذكر شيأ يسيرا عن سكة
حديد العاصمة فانها عبارة عن طريقين أولهما يدور حول السني
Nizy) (أعنى المدينة مثل السكرية والغورية وما حوالهما من
الجهات فانها معروفة في مصر القاهرة باسم المدينة أيضا) والثاني
حول البلد كلها وهما متصلان ببعضهما في كثير من النقط
وقد بلغت نفقات الميل الواحد فيما بلغت ثلثة ملايين من الجنيهات
لان الشركة التزمت بدفع قيمة الاراضي والمنازل وحفر الارض

سكة حديد
العاصمة

وبنيان القباب والعقود وغير ذلك مما يوجب صرف المبالغ
الجسيمة وبما أن القطارات في هذه الطرق تسير تحت الأرض
الا عند دخولها في المحاط (فإنها ~~كلها~~ مكشوفة إلى السماء)
فقد رأى مهندسو الشركة أن يصنعوا الآلات البخارية محتوية
على مزيتين مقيدين جدا لمقتضى الحال فأولاهما ان الآلة
مجهزة بحيث أنها تحرق الدخان المتصاعد منها فلا يكون له أدنى
تأثير وثانيتهما أنها تصطنع من الفحم الذي تحرقه زيت الحجر (الغاز
أوالبتروول) اللازم لاضاءة كافة العربات على الدوام والاستمرار
ثم ان القطار يدخل المحطة وهو في منتهى السرعة ويقف
مرة واحدة فيحصل ارتجاج خفيف جدا لا يكاد يشعر به الانسان
والسبب في ذلك أنهم وضعوا في ثلاث جهات من الرصيف ثلاثة
ألواح كبيرة لتوفير الوقت ومكتوب عليها ما معناه (انتظر هنا للدرجة
الاولى أو الثانية أو الثالثة) فيقف ركاب الدرجة الاولى في المكان
المعين وركاب الدرجة الثانية في المحل المخصص لهم ومثلهما
أصحاب الدرجة الثالثة ثم ان العربات في القطر مرتبة وراء
بعضها بحسب الترتيب المعين في رصيف المحطة حتى جاء الواور
وقف في المكان المناسب فلا يكون على المسافرين الا أن يدخلوا
العربات من غير تعب ولا سؤال بل بتحريك القدم خطوة أو

خملوتين بالاكثر وذلك لمنع الاختلاط فان القطار لا يقف أكثر من بعض ثوان وتجد على باب العربات من الداخل عبارة هذه ترجمتها (انتظروا حتى يقف القطار) ولكنى أرى من الواجب على المسافرين أن يشرع في النزول بمجرد وقوف القطار لان أقل تأخير يترتب عليه ان يساق الى المحطة الثانية ثم يرجع مع قطر آخر الى المحطة المقصودة من غير أن يلتزم بدفع أجرة تكيلية بشرط أن لا يظهر على وجه الارض بل يستمر على رصيف المحطة وهذا أمر ينبغي تنبه الغريب اليه فان كثرة الاعلانات في المحطة تمنعه ولا شك من أن يعرف اسمها فلا جدر به والحالة هذه أن يسأل قبل النزول في القطار عن عدد المحاط التي سيكون الوقوف فيها قبل الوصول الى المحطة اللازمة أو أن يجتهد في قراءة اسم المحطة على فوائسها وذلك الانتظار فاتهم المحلان الوحيدان الباقيان للآن في حرز وأمان من هجمات أصحاب الاعلان

وكل انسان يركب في القطار يجوز له أن يؤمن على حياته ونفسه من العوارض والاحطار التي ربما تطرأ في أثناء السفر ففي حالة الوفاة تدفع الشركة ألف جنيه انكليزى لورثة المسافر في الدرجة الاولى الذى يكون قد آمن على حياته بدفع مبلغ يوازي ١٢ مليا زيادة على ثمن التذكرة وتدفع مبلغ ٣٠٠ جنيه لورثة المسافر في

الدرجة الثانية الذي يدفع ٨ مليات زيادة على ثمن التذكرة
ومبلغ ٢٠٠ جنيه للسافر في الدرجة الثالثة الذي يدفع ٤ مليات
زيادة على ثمن التذكرة فإذا كان العارض غير الوفاة التزمت الشركة
بالتعويض بمبلغ نسبي بحسب شدة العارض وخفته

وفي هذا المقام أذكر مارواه بعضهم من أن رجلا من الانكليز
كان يركب على الدوام في الدرجة الاولى ولا ينسى مطلقا التأمين
على حياته وفي كل مرة وصل المحطة بالسلامة أخذ في اللعن والشتم
والسباب لعدم وقوع ما كان ينتظره لعائلته من الثروة واليسار
وحقيقة فان الاخطار قليلة بل نادرة بل لا تكاد تذكر

وقد كان انشاء هذا الخط في سنة ١٨٦١ وله أكثر من
٣٠ محطة وقد امتد الى بعض ضواحي لوندرة (ويكون حينئذ على
وجه الارض) وقد يسير تحت نهر التميز في نفق هو عبارة عن انبوبة
من الحديد وفي كل خمس دقائق يقوم قطار وذلك من الساعة ستة
صباحا الى نصف الليل (ولكن القطر يقوم قبل الساعة ٨ صباحا
وبعد الساعة ٨ مساء في كل ربع ساعة) وثن التذاكر طفيف
جدا فلا يزيد على خمسة قروش صاغ

وأقول بهذه المناسبة ان تسجيل المنافع ليس من أصول السكة
الحديدية في بلاد الانكليز على العموم (لا كما في ايطاليا أو

منها أواها) بل ان المستخدمين يستغربون من الذى يطلب ذلك منهم لان القاعد العامة (وقد يكون لها استثناء لأعرفه الآن) ان الانسان يكتب اسمه واسم المحطة على متاعه ثم ياتر وضعه على عربة صغيرة فى الرصيف ثم فى العربة المعروفة (باسم عربة العفش) ومتى وصل الى المحطة المقصودة نزل وتوجه الى المستخدم وأعلمه عن متاعه فيسلمه فى الحال من غير أدنى تعب ولا اختلاط ونزاع أو عطل أو مماطلة

وعندى كلام كثير على السكك الحديدية وكثرتها وتقدمها فى بلاد الانكليز ولكن لايسمع لى المقام بإيراده الآن وانما لايسمعنى ان أخفى اعجابى بها من كل الوجوه حتى ان الانسان لايتصور كيف أنها لاتنقل هذه البلاد وخصوصا لوندرة الى اية جهة من أقطار المعمورة

ومن أغرب الشركات التى فى هذه المدينة شركتان ليس لشركات الاستدعاء بالكهرباء لهم من عمل سوى الاستدعاء بالكهرباء وذلك أن لكل منهما مشتركين فى جميع جهات المدينة وكافة انحاءها ومنازلهم متصلة بسلك كهربائى بالمكتب الموجودة فى دائرته ويكون فى المنزل شبه منزلة عليها خمسة أزرار الاول للساعى والثانى للطبيب والثالث للعربة والرابع للاستغاثة من الحريق والخامس للاستنجاد بالبوليس فأنا

ضغط المشترك على أحد هذه الأزرار عرفت الشركة مطلوبه فتبعث له في الحال ساعة أو طيبيا (وإذا كان له طيبب مخصوص يكون عنوانه معلوما عندها فتخيره بالطاب) أو عربة للركوب أو طلبات الحريق أو رجالا بواسطة ادارة البوليس لامداده بالقوة اللازمة وهاتان الشركتان مستعدتان أيضا لخدمة غير المشتركين بهما فيجوز لهما ارسال طرودهم وأمتعتهم بواسطة ساعاتها في نظير أجرة لا تزيد عن ١٢ مليما في الساعة وفوائد هذه الشركات ظاهرة خصوصا في المدن الكبيرة

شركة حماية الحيوانات
وهذا الحديث على الشركات يسوقني الى ذكري وجزير
عن شركة حماية الحيوانات وان كان اسمها معروفا في مصر فانها
من أعرب الشركات وأقيدها وهذه الشركة تحت حماية البرنس
دوتال ولي العهد وقد كان لها تأثير عظيم في هذه البلاد بحيث
انك لاترى القوم حتى الذين من الطبقة الدنيا يتجاسرون بأى
حال ولاى سبب على اهانة الحيوان الاجسم واساءته ولها عمال
كثيرون ومن أعضائها جم غفير من أصحاب الوجاهة والنفوذ وكل
من أقدم على هذا العمل المنكر حكم عليه بالاشغال الشاقة
من ستة شهور الى سنة كاملة وكثيرا ما ركبت في عربات
متعددة ولا أتذكر أن السائق رفع السوط على الحصان أكثر من

مرتين بكل خفة وكثيرا ما قطعت المسافات الطويلة من غير أن
يلبس السوط جسد الحصان على الاطلاق ومنزل هذه الشركة لالزوم
لها في بلادنا اذا راعينا الاحكام الشرعية المنروضة كاهو الواجب
علينا .

وقد رأيت في البلاد الافرنكية التي مررت بها قاعات شركات المطالعة
المطالعة ولكنها في لوندرة قليلة وليس للحكومة يد فيها البتة بل ^{والكتبضانات}
قد أنشأتها شركات تجارية متنوعة أو خاصة بطبع الكتب ونشرها
وقد أسست بعض الشركات كتبضانات ترسل الكتب اللازمة الى
منازل المشركين فلا تكلفهم التوجه الى مركزها لانقضاء
الكتب التي يرغبون مطالعتها في منازلهم وقيمة الاشتراك من
جنيه واحد الى خمسة الى ستة في السنة

وفي هذه المدينة غير ذلك من الشركات التي لا تدخل تحت شركات
حصر ولو أردت أن أذكر كلمة على كل واحدة أو أكتفي بمجرد ^{التوريد}
الاشارة الى اسمها لاتسع المجال بما يوجب الملل مهما كان اصطبار
التارئ ومجاملته للكتاب والكتبي أقول اني رأيت فيها كثيرا
من شركات التوريد التي تتعهد للترك بجميع ما يطلبه من
الاصناف والمحصولات اللازمة له ولعائلته ومنزله بانحس الاتقان
ومن أجود الاصناف

النوادى
وغرابة
تنوعها

ثم أنتقل الى الكلام على النوادى (المعروفة بالكلوب) فانها كثيرة جدا وأهمها نحو المائة وكلها فى قصور فخيمة شاهجة باذخة بالغة النهاية فى الزخرفة والاتساع والاتقان والاحتواء على كل ما يطلبه الانسان من مأكول ومشروب وجرائد وكتب وغير ذلك مما يلزم للفكاهة والمساهرة وتمضية الوقت فى نعيم وسرور وكل شئ فيها من أجود نوعه وبثمن المقطوعية (الذى يساويه فقط) وهى معدة لاجتماع الاصحاب والاصدقاء الذين من صنف واحد وأذواق متشابهة وعددها بالنسبة الى لوندرة أكثر منه فى أية عاصمة أخرى من عواصم أوروبا ولا يقبل العضو فيها الا بعد اقتراع سرى دقيق جدا ورسم الدخول من خمسة جنيهات الى أربعين (والغالب ٢٥) والرسوم السنوية من ثلاثة جنيهات الى خمسة عشر - إذا عدا ثمن المأكولات والمشروبات وفى بعضها يجوز للعضو أن يستضيف بعض خيالاته ومنها ماهو للرجال والنساء ومنها ماهو للنساء خاصة أو للعلماء أو للحزب المحافظين أو للحزب الاحرار أو للهنسد الشرقية أو للضباط البرية والبحرية العامة أو للضباط المتقاعدين أو للمستعمرات أو لتحسين نوع الكلاب أو لمدرسة أكسفورد الجامعة أو لمدرسة كبرى يدج الجامعة (ولا يقبل فيهما الا المتخرج منهما) أو للاعب الكرة أو لرجال السياسة

أول للسياحة (ولا يدخل فيها إلا من ساح إلى مسافة ٥٠٠ ميل عن لوندزه) أول رجال الآداب ومن أغرب نواديها ذلك المعروف باسم النادي المتوحش وفيه كثير من أرباب الجرائد والآداب والفنون والتشخيص ومن أعضائه البرنس دونغال ورسم الدخول فيه ٨ جنيهات والرسوم السنوية ثلاثة جنيهات ولأغلب المدارس نوادي خاصة بتلامذتها الحاليين والسابقين وقد زيد أعضاء بعض النوادي عن ٧٠٠٠ شخص

وكل جمعية وكل شركة وكل ناد يولم في السنة وليمة فاخرة وأهم هذه الولائم وليمة جمعية التصوير ويجتمع فيها أكبر أرباب العلم والسياسة والرياسة والجيش والبحرية وأعضاء البرلمان ورؤساء الاساقفة والافوكاتية والبرنس دونغال واخوته وكل من اشتمر في فن أو عمل وقيمة المنقحات في هذه الوليمة تباع من ٤ جنيهات إلى ٨ جنيهات عن كل واحد من المدعوين

وفي هذه المدينة أكثر من سبعة آلاف مطعم (لوكلده) مطاعم لوندزه وخدماتها فيها كلها منظمة جدا ولوان أما كتبها في الغالب ليست بالغة في الزخرفة مثل نظائرها في أوروبا وكثير من هذه المطاعم على مذهب الهنود فلا تجد فيها سوى الخضارات وما تنبت به الأرض وأما اللحوم فلا توجد فيها البتة لأنها محرمة

وفيها نحو ألف قهوة وكلها على الطرز الانكليزي أى ان
الانسان يمكنه أن يتناول الطعام فيها بثمن بخس ولكنه اذا طلب
شيئاً من المشروب وجب عليه دفع الثمن مقدماً لتخادم لكي
يستجضره له من الخارج (وكذلك الحال في بعض الفنادق وفي
كثير من المطاعم) لان هذه الاماكن ليس لها رخصة في بيع
المشروبات ثم ان القهوة عبارة عن قاعة ضيقة تنقسم الى
طوالات من الخشب منفصلة عن بعضها تمام الانفصال ومثبتة
في الحائط والارض مثل تقسيم عربات الدرجة الثانية في السكة
الحديدية فيما كل الانسان فيها وهو معزل عن جاره وفيها تجددوا ما
القهوة والشاي والتسكولاند والكافوا والبيض والجبن

أما كن الاجتماع العمومية
أما القهاوى الكبيرة التي من جهة المدينة (السى) فهي
أشبهه يورص تجتمع فيها التجار والنواخذة (مجهز والسفن
Armateurs) وأصحاب الضمان من الحريق والغرق وسائر
الطوارق والعوارض والسلمرة وأمثالهم فيتعاقدون فيها
ويتبايعون

وفيها بعض محلات يسمونها دواوين السجائر تشبه القهاوى
التي في أوروبا ويكون بعضها عبارة عن قاعة كبيرة فيها نجف
وثرىات وألواح فيها صور ورسوم وعند الدخول يدفع الانسان

شلتنا واحدا (ه صاع) ويكون له حق في سجارة افرنكية وفنجان
قهوة وقراءة أهم الجرائد المطبوعة في انكلترة وفي أوروبا وقد أنشأ
بعض الفرنسيين والظليانيين قهاوى على الطراز الاوروبى
(المتعارف في مصر) ولكن هذين الصنفين من الاماكن العمومية
لا يجوز لهم ابل ولا يمكنهم اوضع الموائد والكراسى على برازيق (١)
الطريق

ومتى سار الانسان على برازيق الطريق رأى فيما بين الحوانيت
كثيرا من مخازن الدخان فانها في لوندرة فوق العدد والاحصاء

وقد رأيت كثيرا من الحمامات فيها الماء الملح الاجاج أو العذب الحمامك
الفرات باردا أو مسخنا على درجات مختلفة وفيها حمامات على
الطرز التركي المتعارف في مصر وقد صار للانكليز الآن بها ولع
وغرام وان لم يكن القائمون بالخدمة فيها على شئ من مهارة أهل

(١) البرزريق يقابل كلمة الترووار الفرنسية (Truitor) الشائعة الآن
راجع شرح القاموس لسان العرب في ترجمة ب رزق تجدان معناه القسم من
الطريق العام المخصص على جانبه للسائرين على الاقدام وأما كلمة فريزالتى
استعملت تحاشيا من كلمة ترووار (أو تل توار بحسب نطق العوام) فهى في غير
موضعها لانها فارسية معربة ومعناها فى كتب اللغة الجزء البارز من أطراف
أعلى البناء فيقابلها لفظ كرينش المعرب عن الفرنسية ومنها قول
لفرنساويين (frise) معناه

بلادنا وفي بعض الجاسات لاتزيد الاجرة عن ١٢ مليما ومع ذلك فان الشركات القائمة بإدارتها تريح ارباحا وافرة

وفيما تبايرت كثيرة وأشهرها ثلاثة وثلاثون وفيها عدد عظيم من الملاهي وقهاوى الغناء والموسيقى وأماكن عرض الصور والبهلون وغير ذلك مما يكون فيه تشخيص الروايات أيضا

التبايرت
والملاهي

وفيها وحدها أكثر من ٤٠٠ جريدة منها ٥٠ للديانة على سائر مذاهبها فان الشيع الدينية في بلاد انكلترة كثيرة متنوعة جدا وهم يحترمون كل الاديان وكافة الاعتقادات حتى انه يصح أن يقال ان كل انكليزى يعبد الله بحسب هواه وقد بلغ عدد الديانات والمذاهب في بلادهم أكثر من ١٨٣ وكل واحدة من هذه الشيع تدعى بالطبع أنها هي التي فازت باكتشاف الحقيقة وهي تتناظر مثل مناظرة الشركات التجارية ومع ذلك ففي كل يوم تظهر شيعة جديدة وأبغض المذاهب الى هذه الامة هو المذهب الكاثوليكي الرسولى الرومانى وبكرهون البنا كراهة التحريم وهذا التعصب المطلق بجانب ذلك التساهل المطلق هو من باب التناقض المطلق

جرائدها
ودياتها

والكويكرز وافكارهم واعتقاداتهم وآراؤهم ومقالاتهم في غاية الغرابة ولايسمح لى المقام الآن ببيان شئ منها ومع ذلك أقول ان منهم طائفة تسمى الكويكرز (Quakers) لايركعون الا لالهى

المتعالى ولا يرفعون قبهتهم لاحد ما (كما هي عادة الافرنج) ويخاطبون الناس قاطبة بالكاف أى لا يعظمون المفرد باستعمال الجمع كما هو المألوف فى أوروبا فلا يقولون حضرتكم أو أنتم أو ما أشبه ذلك بل قلت لك انك فعلت كيت وكيت . . . الخ وهذا النوع من التعبير يسمى عند العرب (المخاطبة بالكاف) وعند الفرنسيين (Tutoyer) ولا يخلفون أبدا حتى أمام المحاكم ويمتنعون من الدخول فى سلك العسكرية لانهم يعتبرون الحرب محرمة وجناية حتى ان جون بریط السيامى الانكليزى المشهور استعفى من وزارة غلادستون فى سنة ١٨٨٢ بسبب الحرب التى وقعت بين انكلترة وأهل الثورة العرباية فى مصر ولهم غير ذلك من الاطوار والاخلاق

وأما جيش السلام فلا أتكلم عليه الآن وانما أقول ان
(نبوخذ نصر) الانكليزى
جاءة من البوذيين الوثنيين جاؤا الى لوندرة بقصد تبويد الانكليزى (اذا
صبح التعبير أى جعل الانكليز كلهم على مذهب بوذه (Boudha)
وبلغنى ان لهم هيكلًا تقام فيه شعائرهم الدينية فى خط وبت شابل
(White Chapel) المعمور بالوف من الحسلاثق وعلمت أن
أعمالهم سائرة فى طريق التقدم وأن بعضا من رجال البوليس
الانكليزيين قد دخلوا فى زميرتهم

استراحة
م الاحد
انكلتره

وبمناسبة الديانة والكلام عليها أقول الآن ان أمة الانكليز انفردت عن سائر سكان الارض بمراعاة الراحة المطلقة في يوم الاحد فهو عندهم يوم مقدس تنقطع فيه الاعمال مرّة واحدة ويستعدون لذلك من ابتداء عصر السبت فترى الخلائق يتناقص والازدحام يقل شيئاً فشيئاً والمخازن تغلق والنواقيس تدق ومتى جن الليل عادت الحركة الى منتهائها ورجع الاضطراب الى اقصاه لكن في الاسواق فقط اذ يتوجه التوم اليها من كل صوب لاخذ المؤنة والذخيرة اللازمة لذلك اليوم الذي يقف فيه دولاب الاعمال وينقطع الاخذ والعطاء والبيع والشراء حتى فيما يتعلق بالقوت اللازم لحياة المفوس ومتى أصبح الصباح رأيت المدينة قفراً بلقعا ليس فيها سوى القليل من رجال الشرطة وبعض نفر منشور في شوارعها وأما المخازن والابواب والشبايك وديارات الحف والامار والسيارات فكلها مغلقة والعربات بجميع أنواعها يقل وجودها بالكليّة وأما القهاوى واللوكادات فتفتح في مواقيت الفراغ من الصلاة فقط أى من الساعة الاولى الى الساعة الثالثة بعد الظهر ومن الساعة السادسة بعده الى ما قبل نصف الليل بساعة والكن الاغرب من ذلك كانه أن البوستة مع أهميتها تتعطل حركتها فلا تباشر أى عمل ما ولا توزع الخطابات الواردة اليها

ولا ترسل المكاتب الصادرة الى الخارج ومثلها التلغراف فان أسلاكه تستريح أيضا في هذا اليوم يوم الراحة العامة إلا في بعض المحاط الكبيرة جدا وكذلك الكرك فإنه يحجز البضائع وأمتعة المسافرين الذين يقدمون الى هذه البلاد في هذا اليوم المشؤم فإنه حقيقة يوم الحسرة على الغريب يضطره للاعتكاف في منزله وتضييع يوم من حياته بلا ثمرة ولا عمل والتضييع الحديدي لا يبدأ أيضا من استراحتها فلا تمشى القطارات عليها أثناء القداس وفي غير هذا الوقت تقل حركتها الى الربع أو أقل وترى في جداول مواقيت السفر خاتمة عمومية لايام الاسبوع وخاتمة خصوصية للتطارات القليلة جدا التي تقوم في يوم الاحد وتلك المحاط التي كانت بالامس عامرة آهلة بالخلائق تصبح وهي ساكنة مطمئنة ويكون منظرها مع عظمتها واتساعها مشوبا بشئ من الايحاش يجعلها أشبهه بتبر هائل وخلاصة القول أن المدينة كلها ينقطع منها الحس وتبارحها الحياة فكانت سراج قد خبا نوره فجأة ولا يتصور المرء أنه مازال في تلك المدينة المتواجبة هذه المخلوقات بل يحظر على باله أنه دخل بلدا جاءها النذير بقرب جيش هاجم عليها فولى أهلها الادبار وتركوا الديار وما في الديار ملتجئين الى الخلووات والقفار وأبقوا بعضا من الرجال يراقب حركات العدو ويعلمهم بأعماله حتى اذا أقبل المساء

ابتدأت الحياة تدب في هذه الآلة العظيمة المعروفة بلوندره فترى بعض الناس يبتدون في الجولان ومتى قابل الواحد منهم صاحبه (من الرجال أو النساء) سأله هل كنت في الكنيسة فيحبه بالايجاب أو يعتذر بعذر قوى مقبول ولاجل ذلك ينبغي للغريب أن يعتم فرصة الاحد في التوجه الى الكنيسة في الصباح ثم يخرج الى أرباض البلد لاستنشاق الهواء الصعيح فانه يكون محتاجا اليه لقلته في لوندرة بسبب الدخان ولكنى أشير عليه بأن يرجع في عصر النهار ويطوف بعض الشوارع ويمر ببعض الحدائق مثل هايدبارك وغيره

فانه يرى فيها كثيرا من الخطباء وأغلبهم من الشغالة واقفين يخطبون في أى موضوع يدور في أذهانهم مثل القوضى والاشتراسة والديانة بسائر أجزائها عندهم وترى الرجل منهم يخطب وحواليه جماهير تنسك كما عليه تنسك كهم على ذى جنه وهو لا يقول لهم افرنقوا بل كلما زاد عددهم رفع عهيره مشيرا الى اليمين والى الشمال مكثر من القيل والقال والاغرب من ذلك ان بعضهم يقف يتكلم بصوت مرتفع ويشير بيديه مع انه وحده وليس حوله من يستمع له ولكنه يوالى الكلام كأنه محاط بالاقوام ويستمر بالايحاء الى من يفرض وجودهم ذات اليمين وذات الشمال ومنهم من يجيء في ركب جليل بالموسيق والاغاني والاناشيد وغير ذلك من

الخطباء في
هايدبارك
وعسيرة

المقدمات التي تصطاد العامة وتجذبهم الى حضور مقالته ومنهم من يطوفون في الشوارع بالالحن والانغام والرايات والاعلام وقد رأيت في بعض الجرائد ذكر حادثه من أغرب ما رواه الراون في هذا الموضوع قد حصلت بلونده في رأس عيد السنة وكنت وقتئذ بلشبونة عاصمة البرتغال ولا أرى بأسا من ايرادها في هذا المقام لتنام المناسبة

ان واعظان أشهر وعاظ الانكليز وأبلغ خطبائهم اعلان أنه عازم أن يعظ البهال الذين لا عمل لهم في كنيسة ماربولس الكبرى بلندن فتقاطر الفقراء الذين ليس لهم عمل يعيشون به الى الكنيسة ووقف رجال البوليس صفوفًا خوفًا من ان يأتوا أمرا مخلا بالنظام ولكنهم دخلوا الكنيسة أفواجا على غاية من الهدوء والانتظام وجلسوا في أما كنهم على الترتيب وعلامات الاحترام والوقار بادية على وجه كل منهم مع انه كان بينهم الفوضويون والاشتراكيون والمحركون على تكدير صفاء الراحة ثم أغاض الواعظ في كلام أناربه اعماق النفوس وحرك العواطف وأقنع العقول فاستمال اليه معظم الحضور من الذين كان يظن انهم جازا مستهزئين فخرجوا مصلين مستغفرين ولكن قوما كانوا يعارضون الواعظ من حين الى حين تارة بعدم استحسان أقواله وطورا بكلام الهزل كانهم في اجتماع عقوده في

حديقة من الحدائق العمومية وجعل المتطرفون من القوصيين والاشتراكيين بينهم يوزعون رسائلهم التوروية على الحاضرين ليقروها ولما انتهى الواعظ خرج موكبهم متجمهرا وسار زعمائهم بالرايات الحرامهم وهم ينشدون النشيد الفرنسي المعروف بالرسيلياز

وبالاختصار ان كل واحد منهم تزين له نفسه الكلام يقف في أى مكان ثم يتكلم بما يريد ويجمع الناس حوله أولا يجتمعون ويكون رجال الشرطة بجانبهم غير مباين بتجمعهم مهما كانت أقوال الخطيب موجهة ضد الدولة أو بالحث على احراق دور الاغنياء وسلب الخازن الكبيرة وما أشبه ذلك فان حرية المقال في هذه البلاد وصلت الى ما هو فوق منتهاها

وفي يوم الاحد يكثر السكر والسرقه أيضا لان الانكليز
لا يعرفون الوسط فان بلادهم بلاد التناقض جمعت الاطراف
فاما التناهي في الغنى واما التناهي في الفقر واما التناهي في
الفضيلة والعفاف واما التناهي في الرذيلة والفجور واما التناهي
في العمل واما التناهي في الكسل الى غير ذلك من الاطراف حتى
ان المدينة اما أن تكون غاصة بالجاهل أو تكون خلوا من العالم
بالرة (في يوم الاحد) وهكذا

التناقض
بانكلثة

واكثره الاصوص وتفنتهم فيها ينبغي بل يجب على الانسان لا تكلم من
أن لا يكلم أحد الا يعرفه وأن يجنب كل من يعرض عليه خدمته ^{لا تعرفه}
وارشاداته أو يبادره بالكلام واذا احتاج لاي أمر من الامور فلا
يسأل الرجال البوليس فانهم يبادرون بالاجابة بمحذوق فطانة أو
يدخل في بعض المخازن ويستعلم فيها عما يريد وقد اعتاد الانكليز
أنفسهم على ذلك فاذا اتفق ثك من سوء الحظ أنك كلمت واحدا
منهم فان كان من أصحاب الادب وأهل المجاملة أجايبك بنعم أو لا
من غير زيادة وكثيرا ما يعرض عن الاجابة ويلزم الصمت ويستمر
في طريقته من غير أن يلتفت اليك بالمرّة وان كان شرسا أعطاك
درسا أو قلع لك ضرسا

هذا وأيضا سار الانسان في شوارع لوندرة رأى حوانيت ^{عموميات}
عليها صناديق للبوستة وفي كل صندوق فتحتان ^{على البريد} كبيرتان
احدهما لوضع المراسلات الخاصة بالمدينة نفسها والثانية للمراسلات
التي يرسم أقاليم انكلترة والسلاذ الاجنبية وفي بعض الشوارع
المتباعدة عن هذه الحوانيت نرى على برازيق الطريق اسطوانات
كثيرة من الحديد الملون بالبوية الحمراء معدة لوضع المراسلات فيها
حتى لا يلتزم الانسان بالتوجه الى المكتب القريب منه وعن تذكرة
(- ١٠ رسائل)

لبوستة للمملكة البريطانية نصف بنس (أى ٢ مايم) وللخارج بنس واحد (أربعة مليم) وعدد مرات التوزيع فى الستة اثننا عشرة مرة فى كل يوم واحدى عشرة فى المواضع التى حول دار البوستة المركزية على مسافة ثلاثة أميال ويتدأ التوزيع من الساعة ٧ ونصف افرنكى صباحا وفى بعض الجهات يكون ارسال المكاتبات بالتلغراف فى قناة يفرغون منها الهواء وعلامة ساعى البوستة أن يدق على الباب دقتين عنيقتين وفيما عدا الجهات المحيطة بدار البوستة يكون التوزيع ست مرات فى اليوم الواحد ويجوز إرجاع طوابع البوستة الى مكاتبها فتخصم من قيمتها ٢ ونصف فى المائة فى تطير العملة والاصدار واعلم أنه يوجد بهذه المدينة شوارع كثيرة لها اسم واحد وقد يبلغ عددها عن كل اسم واحد ١٠ أو ١٥ فلاجل منع الاختلاط الذى يتأتى حصوله بهذا السبب قسمت ادارة البوستة المدينة الى ثمانية أقسام باعتبار الجهات الاربع الاصلية والجهات الاربع الفرعية ووضعت حرفا أو حرفين (ج ش أى جنوب شرقى مثلا) للتمييز بينها بالسهولة حتى لا يحصل عائق أو غلط فى التوزيع ولذلك ينبغى لكل من يرسل أحدا من أهل لوندرة أن يضع هذه الحروف الصغيرة بعد ذكر اسم الشارع والمدينة لسهولة التسليم وعدم التعطيل

أما التلغراف فكان قبل سنة ١٨٧١ اثلاثين شركة ثم عوميات على
التلغراف أخذته الحكومة وجعلته تابعا لمصلحة البوستة ومع أن أقل أجرة
لإرسال أية تلغراف من لوندرة واليهما هي أعلى مما في بلادنا لانها
هنا ست ينسأت (أي خمسة قروش من العملة الدارجة) وهي في
بلادنا قرشان فقط بالعملة الصاغ ولكن القوم يستخدمونه بكثرة
لا يتصورها العقل لانهم يفضلون خسارة القليل من المال واكتساب
الوقت الثمين ومع ذلك فاعمال البوستة أيضا ما زالت رائجة
وإذا دفع الانسان أجرة رد التلغراف وفات الوقت المقرر للاجابة
أمكبه استرجاع مادفعه لهذا الغرض في ظرف ثلاثة أيام من
تاريخ الإرسال ويجوز إرسال الرسالة البرقية الى بجلة أشخاص
مقيمين في مقاطعة واحدة بشرط أن يدفع المرسل ٨ مليمات على
كل نسخة غير النسخة الاصلية ويجوز أيضا إرسالها الى أشخاص
مقيمين في جهات مختلفة بعد دفع نصف الأجرة العادية على كل
نسخة خلاف النسخة الاصلية وهذه التسهيلات المفيدة للمصلحة
وللجمهور غير موجودة في بلادنا

وبمناسبة التلغراف أذكر أنه يوجد بين باريس ولوندرة سلك
تلفوني وأجرة التكلم فيه لاي فرد من أفراد الناس مدة ثلاث
عوميات على
التلفون

دقائق ٨ ثلثات (٤٠ قرشا صاعا) أما التلفزيون الخاص بلوندره وحدها فهوفى يد مجلة شركات

المدارس

ولا يسعنى الا أن أوجل الكلام على التعليم والمستشفيات وأكتفى بأن أقول ان المدارس فى هذه البلاد تفتى عناية عظيمة بتربية الجسد والعقل لان العقل السليم لا يكون الا فى الجسد السليم (Mens sana in corpore sano) ومن مجلة المدارس التى زرتها مدرسة ايرلورث المعروفة باسم (سيو برو رودكوليج) فرأيت النظام فيها بالغاحده وناظرها المستبازنت (Barnett) على غاية الظرف واللفظ وحسن المعاملة ودماثة الاخلاق وعلمت منه وتحققت بنفسى أن تلامذتنا المصريين فيها بلغوا من التقدم والنجاح درجة يعبطون عليها وأنا متأكد من الا أنهم سيخدمون الوطن خدمة جليلة عند رجوعهم اليه بما اكتسبوه من المعارف والآداب ويسرنى بل يجب على أن أورد أسماءهم فى هذا المقام وهم حضرات الافندية أحمد براده ومحمود يوسف ومحمود قاسم

وقد أصدرت نظارة المعارف العمومية أمرها الى وطنينا المجتهد الفاضل حسن افندى توفيق الذى كان فى برلين بالتوجه الى لوندره لتعلم اللغة الانكليزية وغيرها بهذه المدرسة ورأيت

وعلمت منه بكل ارتياح وانشراح أنه ألف كتابا في التاريخ العام وأنه بعد أن يتمه قريبا يشرع في تدوين ما استفاده من أنواع العرفان ووقف عليه من شئنا الفوائد التي تنفع أبناء بلاده ولعلم الحق ان هذه النتائج مما يسر مصر و لكل محب لها ولاهلها وأقول مثل ذلك أيضا عن حضرات الافندية التلامذة على عر وأحمد فهمي ومحمود اسمعيل الموجودين بمدرسة هو مرتن فاني تويت فيهم التجابة والنطانة وتقرست أنهم عند عودتهم الى وطنهم بعد زمن قريب سيبرهنون على أنهم لم يضيعوا أوقاتهم سدى بل اكتسبوا من العلوم ما يجعلهم هم واخوانهم ان شاء الله وساعدتهم العناية في مقدمة العاملين على اتخاف أبناء بلادهم بما يفيدهم في ميدان العرفان (وان غدا لناظره قريب)

وسأشرح لك الكلام في الرحلة على التلامي وطرقه وقرب الوصول الى ثمراته في بلاد الانكليز وعلى مدرسة اكسفورد الجامعة بنوع خصوصى لاني زرتها بالتفصيل وأكتفى الآن بإيراد بعض المربيات التي للاسائذة لتعلم أن مراتب أمنالهم في بلادنا أقل مما يكتسبه الواحد منهم في يوم أو بعض يوم مثال ذلك أن المدرسة الجامعة في اسكنلنדה تدفع لمدرس التكمياء ٨٠

ألف فرنك في السنة أى ثلاثة آلاف ومائتى جنيهه أى مائتين وستة وستين جنهما وثلاثى جنيهه في الشهر الواحد ولمدرس التشريح ٧٥٠٠٠ فرنك ولمدرس الطب ٦٥٠٠٠ فرنك ولكل من مدرس التاريخ الطبيعى والبايولوجيا ٢٠٠٠٠ فرنك ومدرس النباتات مرتبه السنوى ٥٥٠٠٠ فرنك ويوجد في المدرسة الجامعة بمدينة جلاسكو مدرس للتشريح ومرتبته ٥٥٠٠٠ فرنك في السنة وأما المدرسة الجامعة باكسفورد ففيها ٤٦٤ مدرسا يجمع مرتبهم السنوى أربعة ملايين من الفرنكات أى متوسط الواحد منهم ٩٥٠٠ فرنك وفي المدرسة الجامعة بكبريدج ٤٨٣ استاذاً ومجموع مرتبهم السنوى ٣,٣٠٠,٠٠٠ فرنك وفي دبلين عاصمة ايرلنده مدرسة اسمها الترينتى (أى الثلاثى) وفيها ٥٩ مدرسا مرتبهم ٠٠, ٨٠٠ فرنك في السنة فهكذا تكون العناية بالتعليم والقائمين به

الاعلانات
وهولها
ومن الامور التي تدهش القادم الى لندن كثرة الاعلانات التي يراها على جدران المحطة وكل مكان فيها حتى لا يمكنه مطلقا معرفة اسم المحطة وتمييزه عن الاعلانات ثم متى سار في الشوارع رآها كلها اعلانات واذا ركب في عربات الاومنيبوس أو غيرها رآها كلها اعلانات من الداخل والخارج والاسفل والاعلى ولقد كان صدرى

يصيق من رؤيته وهى كأنها تهددنى بوجوب قراءتها والعمل
بماتشير اليه والاستحصال على ما تدل عليه فكنت اذا قابلت
طرفى ينعمة أو يسرة أوقفته الى أعلى أو خفضته الى أسفل
أو حولته الى الخلف أو رجعت به الى الامام رأيت الاعلان واقفا
لى بالمرصاد فاذا أنعمت الطرف لاستريح منه قليلا ثم انتهت فلا
مناص لى من رؤيته على الدوام وفى كل مكان مختلف الصور
والاشكال والرسوم والالوان فاذا أخذت تذكرة للسكة الحديدية
أولعربات الاومنيبوس أو غير ذلك رأيت الاعلان مقتفيا أثرى
وأثر كل من كان فى أى مكان وأى زمان فاذا اشترت كتاباً أو
جريدة أو تعريفة أو خريطة أو ما أشبه ذلك رأيت الاعلان هو
هو على الدوام يضطرنى لقراءته بالرغم عنى قبل أى موضوع يهمنى
فاذا مشيت على برازيق الطريق رأيت الاعلان يتماطر على من
حيث أدرى ولا أدرى فأحترق فى كيفية التخلص منه فاذا بعن
الظلام رأيت الاعلان مكتوباً بالانوار على صفحات الزجاج أو
بواسطة القنوات الخاصة بنور الاستصباح وقد يكون فى ظلمات
الاتفاق والسراديب مرفوماً باحرف فسفورية متألقة
وقد جرت عادة الجرائد أنما تخصص صفحاتها الاولى للفصول
المهمة والمواضيع ذات الفائدة العامة ولكن الامر هنا بالعكس

لان الانجليز يعتبرون الاعلان من أهم الاشياء فترى جرائدهم كلها على اختلاف مواضعها وتنوع مشاربها مشحونة بالاعلان خصوصا الصفحات الاولى والصفحات الاخيرة حتى ان الانسان ليحتمر قبل أن ينظر الى مواضع الاخبار والفصول السياسية اذ لابد من المرور على الاعلان مثال ذلك جريدة التيمس المعروفة بملكة الجرائد تحتوي على ١٦ صحيفة منها نحو احدى عشر صحيفة مخصصة للاعلان وقس عليها سائر رعاياها وقد علمت ورأيت أن بعض البيوت التجارية يتكبد النفقات الطائلة والمصاريف الهائلة لنشر الاعلان على صحائف حديدية في جميع المحطات ثم لانكتفي بذلك فتضع صحائف أخرى في عربات السكة الحديدية (خصوصا التي تحت الارض) ثم لانكتفي بذلك فتشره في عربات الالومنيوم والترامواى في كافة أرجائها ثم لانكتفي بذلك فتشره في جميع الجرائد ثم لانكتفي بذلك فتشره على غطاء جميع الكتب التي تظهر حديثا وفي الصفحات الاولى والاخيرة منها ثم لانكتفي بذلك فتعلقه في جميع أنحاء المدينة ثم لانكتفي بذلك فتستخدم رجالا تلبسهم بشكل مخصوص وتضع أطواقا من الحديد على خواصرهم وأكفاهم لتعليق الاعلان فيمشى الرجل منهم (ويسمونه سندويش Sandwich وهي كلمة انجليزية يراد بها شريحة دقيقة

(القوا نظرة وصلديا الى الذي لا يمكنه أن يردهما اليكم) فكيف لا يحن قلب الانسان وتدفعه عوامل الشفقة الى امداد صاحب ذلك الفسك الحسن ولما جئت لوندرة رأيت العميان قد تفننوا في الاختصار لان الوقت عند الانكليز من ذهب فترى الرجل واقفا حيث تمر الالوف المؤلفة في كل لحظة وعلى صدره صندوق صغير فيه فوهة ومكتوب عليها (Blind) بليِنْدَأى أعمى) ليس الاثمان بعضهم أراح نفسه من الوقوف أيضا فوضع صندوقا بجانب شبانك التذاكر في المحطات حتى ان المسافر بعد أن يأخذ الباقي له يضع بنفسه أو بنسب أو ما يتيسر بكل سهولة من غير أن يتكلف وضع يده في جيبه واخراج الدراهم منه فان ذلك يضيع منه الزمان ويمنعه عن الاحسان . وأتذكر أني أول مرة رأيت الرجل واقفا على قنطرة لوندرة ومعه هذا الصندوق لم أفهم الكلمة التي عليه فوقفت أنظر هذا الامر ولما سألت من معي وعرفت سر الامر - ففرحت كثيرا اذ تمكنت بذلك من الايفاء بوعدي في رسالة فلورانس

مواطن
وطنية

ولكني ما لبثت ان تكدرت لاني سمعت بعض المارين بجاني يقولون عنى لاني أمين باشا (رجل خط الاستواء وهو والد كتورشيتيزر الالماني) فقد تارت في المواطن الوطنية والاحساسات القومية لاني لأرضي أن أشبهه برجل مثل هذا الذي خان حكومتي

وبلادى وباع أو أعطى أملاكها فى خط الاستواء لدولته الاصلية
أو لغيرها بعد أن رفته حكومتنا السنوية الى مراتب العز والشرف
وسهلت له سبيل الثروة والبسار وحسن السمعة والاشتهار ثم
تكلفت النفقات الطائلة (وهى فى احتياج اليها) لامداده وانجاده
وانقاذه فقابل ذلك المعروف وكل هذه المواساة بالسكران وفعل
ما فعل قاله الله (وقد فعل)

وبالاسف انى بعد ذلك سمعت اناسا آخرين يقولون هذا
القول عنى حينما يرون اممرار وجهى واحرار طربوشى

ولقد تبجولت فى بعض مدن الانكليز وسأتكلم عليها وداع وسياحة
بالاختصار فى الرسالة الآتية وأترك التطويل الى الرحلة ثم رجعت ^{بافراد}
الى هذه المدينة وكانت مدة مقامى فيها أولا وثانيا ثلاثة وثلاثين
يوما ولم أشرع فى السياحة الا بعد أن ودعت صديقى الفاضل عثمان
بك غالب وكأنى ودعت معه نفسى أو أودعته روى لشدة الالم
الذى حصل لى من فراقه ولكونى بقيت بعده وحيدا (وما أردت
أن أستعين بالتلامذة المصريين حتى لأشغاهم عن الدرس والتحصيل
وحتى أنعود على السياحة بفرادى)

اخلاق
الانكليز
فن أخلاق الانكليز التى وقفت عليها فى سياحتى فى بعض
مدائنهم المشهورة أن الجراءة والافخام فيهم أكثر منها فى أمة

أخرى فهم يتكلمون كل الاخطار التي تخطر على البال وهم مخلوقون للسياحة والتجوال ومتى خرج الواحد منهم من وطنه قاصداً أى جهة وقابله الصعوبة والمشقات والاهوال والاضطراب فلا يزيد ذلك إلا اثباتاً واقداماً وعندا لانه رسم خط سيره ولا يمكنه أن يعدله أو يرجع عنه وإذا كتب في دفتر سياحته أنه في يوم كذا وساعة كذا يكون في المحل النسلاني فإذا لم تصادفه منبته في الطريق فلا شك أنه يكون فيه في الوقت المعين

وإذا سافر لاقصى أقاصى الارض فعل من غير ضجة ولا رجة ولا حيرة وذلك عنده أسهل من السفر الى القبة والمطيرة لاهل القاهرة والى الرمل لاهل الاسكندرية وانما هنالك سؤال وحيد لا يمكن أن ينساه وهذاهو (هل أرجع من طريق الصين أو طريق أمريكا)

ع الانكليز
رياضات
ولا بد لكل انكليزي من أبناء البيوتات الكبيرة أن يكون عارفاً بقيادة المراكب والخيل والعربات ويتعود من نعومة أظفاره على الرياضات الجسدية فلا يعاب بالثنى مسافة مائة ميل أو بالتقديف في الزورق من لوندرة الى اكسفورد (٦٩ ميلاً) وكثير منهم يذهبون من لوندرة الى ايليمبورج عاصمة اسكتلنده سعياً على الاقدام والمسافة (٤٠٤ أميال) ومنهم من سار على أقدامه ٤٠٠

مرحلة في بلاد السويد وهم يستمرون على المشى بهذه الكيفية حتى يصبحوا طاعنين في السن وترى الشيوخ الهرمين يشون في الارياف كل يوم خمسة أو ستة كيلو مترات ولا يمتنعون عن ذلك الا اذا أصابهم مرض لا بد أن تعقبه الوفاة ومعالم أن غلادستون مازال الى الآن يقطع الاحطاب بنفسه حتى لقد اتفق له في الشهر الماضي (أغسطس) أن بقرة أنطحته وكادت تبقره بينما كان مواظبا على عادته في الغابة

وفيهم **كثير** من الشيوخ يغسلون بالماء البارد صباحا ومساء صيفا وشتاء ولا يتناولون فطورهم الا بعد مشى ثلاثة أو أربعة أميال

ويوجد با كسفورد أستاذ جرت عادته أن يمضى المساحة السنوية مع زوجته في قارب يقوم هو فيه بالتقديف وهي بامساك الدفة (١) ويستمر على ذلك شهرا أو شهرين في كل سنة ومتى

(١) الدفة لفظة مولدة وتسمى في العربية « السكَّان » قال في تاج العروس والسكان كرمان ذنب السفينة عربي صحيح وقال أبو مبيد هي الخيزرانة والكونل (مؤخر السفينة أو سكانها) وقال الازهرى مانسكن به السفينة وتنعق به من الحركة والاضطراب وقال الليث ما به تعدل وأشد لطرقة * كسكان بوضي بدجلة مصعد * (والبوصى ضرب من السفن وهو الزورق معرب بوزى)

أقبل المساء نزل بأحد الخانات التي على ساحل النهر وعند الصباح
يأخذ منه المؤنة ثم يستمر في تجواله وقد ساح بهذه الكيفية على
أغلب أنهار أوروبا

وكثير منهم يذهبون على عجلة الاسلاك (السيكل Cycle)
من إحدى عواصم أوروبا الى الأخرى وقد جرت عادة أغلب
المزوجين حديثنا بقضاء الشهر الأول المعروف عند الأفرنج
بهلال العسل على ظهر هذه العجلة في الوديان والغابات والبراري
والخلوات متقلبين من قرية الى أخرى بدون أن يكون مع
الزوجين شخص ثالث يضايقهما

وإذا سألت الواحد من هؤلاء الاقوام عن سؤال أجابك
لمرصه على الوقت بنم أولا فقط وفي النادر يجيبك بكلام قليل
جدا بحيث انه لا يتخلى عن عمله الذي في يديه أو قراءة جريدته
وكذلك السائل يطرح السؤال ثم يوالى عمله وفي المكاتب الخاصة
بالادارات العمومية أو بالشركات ترى هذا الاعلام (الرجاء منك
أن لاتتكلم الا فيما يختص بالاشغال) وفي المكتبات والمحلات
العمومية ترى كلمة (صه) أو (الكلام ممنوع) مطبوعة في كل جهة
وترى طريق الدخول وطريق الخروج واضحا في كل المحطات وما
أشبهها من المحال العمومية وبجانبه اصبع يشير الى الطريق

محصص
الكلى على
الوقت

وما أصدق الذي قال ان الانكليز لا يشبهون أية أمة أخرى
ولكنهم كاهم متشابهون متجانسون على منوال واحد وطرز
واحد وهم يتحاشون القول الهراء بكل ما في وسعهم فيعبرون عن
الزنا بقولهم (مساورة جنائية) ويستبدلون هذه الجملة (ممنوع اللقاء
القاذورات وممنوع التبول الخ) بهذه (لا ترتكب أى اتلاف)
ويسمون المبولة والمرتفق (مغسلا) ولاجل تأييد هذه التسمية
يضعون طست الغسيل الوجه وفرشا لتنظيف الشعر والملابس ولذلك
يقول الرجل منهم (انى أريد أن أغسل يدي) بدلا من قولنا (أنا
رايح زى الناس أو رايح أزبل ضرورة أو أنقص أو أفك وضوئى)
ولا يقولون عن المرأة انها جبرى بل انها (فى طريق العائلة) أو (فى
حالة تستدعى الاهتمام) وهم يتحاشون المزاح بالمرة أمام النساء وفى
بعض المساول العمومية يكتبون هذا الاعلام (أصلح ملابسك
و بنظفوك قبل الخروج) وهكذا

وفيهم ثقة تامة يعجب بها الغريب حتى فى الاعمال والتجارة
والصدق فيهم منتشر جدا فيكفى الرجل منهم عند الزواج بأن
يعلن عن سنه وانه عزب أولم يتزوج ولا يبرز أوراقا لتأييد أقواله
وإذا كذب الواحد منهم مرة فى الامور القضائية حوكم كمن
يبحث فى يمينه أو يحون عهده وإذا كذب عند أحد الافراد طرد

الثقة
والصدق

في الحال ومن ثقتهم ان عمال الكرك يسألون القادم عما معه
من الاشياء الخاضعة للرسوم ويعتمدون قوله فانما ظهر كذبه صودرت
الاشياء المضروبة عليها الرسوم الكركية بجانب الحكومة وألزم
الكذاب بدفع قيمة الرسوم ثلاثة أضعاف

مبادئ الروح ومتى اصطحب شباب بفتاة كان له أن يعرفها بأصحابه
ويتفرد بها في الفسحة والنزهة والمراقص والسيارات والحنوات
وغير ذلك وقد يبقى عقد الخطبة بينهما سنين طوالا الى أن
يتيسر للشاب القيام بما يلزم من المصروف ومتى حصلت
المفاتيحة في الخطبة فلا يجوز لاحدهما أن يعدل عن الزواج
الابرض الا آخر فلو عدل الشاب طالبته الفتاة وأهلها بالعطل
والاضرار وأبرزوا في الجلسة المخاطبات والمكاتبات التي تبادلها
الحبان وتعترف الفتاة أمام المحكمة بالاقسام التي أغلظها لها
بالبقاء على حبها وبغير ذلك واذا كان العدول من طرف المخطوبة
لا يتأخر الفتى في إقامة القضية واكتساب مبلغ وافر من المال في
تظير العطل والاضرار ولا يُنظر الى أحدهما في هذه الحالة بعين
السخف والاستهزاء بل يرى القوم فعله أمرا طبيعيا أو حقا مكتسبا
أو واجبا لا بد من قضاءه

والآن كلز تمسك شديدا بعاداتهم وتقاليدهم يشبه محبتهم للغتهم شدة تمسكهم
وتفضيلهم لها على ما عداها حتى انهم يحتقرون الغريب الذي ^{بعاداتهم}
يزورهم أو يتوجه الى التياترو أو يجلس في الفندق على مائدة
الاضيايف بغير الملابس السوداء الرسمية المعتبرة عندهم في ليالي
الاحتفالات وأغلب النساء في البيوتات الكبيرة يتكلمن
بالفرنساوية جيدا ومن عاداتهم أنهن يقن عن المائدة بعد تمام
الاكل و يبقى الرجال وحدهم لشرب الدخان وغيره والمسامرة
والمحادثة ثم يتقابل الكل في قاعات الاستقبال أو غيرها وفي
النساء لدى التكلم خفة في الحركة وشم وجرأة واقدام ولولا اني
عدت بعدم الرجوع لهذا الموضوع اشرح الحال وأطأت
المقال وحسبي أن أقول ان الذي يحكم عليهن بحسب العينات
التي يراها في مصر يعترف بأنه أخطأ وجازف متى جاء هذه البلاد
ومن الغرابة أن الواحدة منهن متى كانت جميلة فليس لها مثيل
على وجه الارض ومتى كانت قبيحة فلا يضارعهما في السماحة
انسان وذلك لان الوسط غير موجود في بلادهم في كل الامور
وما ينبغي تنبيه الغريب اليه أن لا ينفرد بالجلوس مع أية احد من النساء
امرأة كانت في غرفة من عربات السكة الحديدية مهما ظهرت
له في مظاهر الاحتشام والوقار والنبل والكمال فلقد تجمّع كثير
(١١ - رسائل)

منهن (كما تجتمع الرجال واشتركوا في التجارة والصناعة) وانفقن
على جعل القطارات ميسرانا لعمالهن فمنه النصابات المحتملات
التشاللات الطرارات ومنهن التي تطالب بمبلغ عظيم وتهدد صاحبها
بأنه ان لم يؤد هذه الجزية عن يد وهو من الصاعرين بلغت رجال
الشرطة عنه في المحطة التالية بأنه فاتحها بما يحل بالاداب وغير
ذلك ومنهن المتدينات المترهبات اللاتي يلازم الرجل بدعوى أنهن
يخاضن روحه ويهدينه الى الصراط المستقيم صراط الذين اتبعوا
المذهب البروتستانتي ثم تأخذ في ايراد الدلائل والبراهين لاقتناعه
برجوب الدخول فيه وفي هذا القدر كفاية الآن

مما في لوندن واعلم ان مباني لوندرة كلها على طرز واحد ومثال متشابه
ومثال متجانس وكلها متسربة بملابس الحداد كأن أهلها يرون
مثل بنى العباس ان (النور في السواد) ويظهر للتأمل فيها أنها
مبنية بالطوب الاحمر ولا تزيد عن الدورين الا في النادر ولكنهما
متى تعدت هذا العدد أو تجاوزت النموذج المتبع عندهم في البناء
فيكون ذلك لاطرف الآخر مرة واحدة فقد شاهدت بعض
الدور فيها ثلاث عشرة طبقة ورأيت من جمال بعض المنازل
والقصور ما جعلني أحكم بانى في احدى مدائن ايطاليا بعيدا عن
لوندرة بمراحل وكي لومترات ومثال ذلك كنيسة ماربولس تراءى على

مسافة ٣٠٠٠ متر مما حولها وفي كل المباني ترى طبقة تحت الارض يستخدمونها للطبخ والخبز والتخزين وما أشبه من اللوازم المنزلية حتى لا يكون ذلك بجانب المساكن بل ان النزول الى هذه الطبقات يكون من سلم على برزوق الطريق فلا يدخل الفحام أو الجزار أو الخباز أو الخضرى أو غيرهم من المتعهدين بالتوريد في المساكن مطلقا ودبروا النور والهواء في تلك الطبقات الارضية بما يجعلها موافقة للصحة ورأيت في بعضها قاعات للجلوس وغرفا للاستقبال في غاية الزخرفة والجمال بحيث انها تروق في عين الانسان وتستميله الى اطالة الجلوس فيها

أما المساكن فان منظرها من الخارج عادى حقير ولكنه من الداخل محفوف بالتأنق وله من التزيين رونق يأخذ بالابصار فترى فيها المفروشات الثمينة والطرف والتحف التي لا تقدر قيمتها وترى الكراسى والمقاعد مختلفة الاصناف والاشكال وترى الامتعة والمراني في جميع النواحي مرتبة بذوق وحذق قد تجرد منها خارج المنزل بالمرّة وهذا أيضا من باب التناقض

وأما بعضهم فعادب (تافه) وفي غاية البساطة فكأنهم لا يزالون على الفطرة لان الاشكال التي يعرفونها قليلة العدد وليس لهم من تنويع أو تعديل بل ما زالوا سائرين فيها على سنة آبائهم

المطبخ
الانكليزي

الاولين ولكنها كلها والحق يقال صميحة نظيفة وقد فاقوا الامم
جميعا في اصطناع الروزيف فانك ترى كتلة من اللحم تزن
ثلاثين أو أربعين رطلا وكلها مساوية بالسواء من الداخل والخارج
ومن جميع الجوانب وهم لا يضعون الملح في الخبز أيضا أما الفنادق
الكبيرة وأغنياء القوم فيستخدمون طبّاخين فرنساويين حتى انهم
يضطرون (مع شدة محبتهم للغتهم) لكتابة وفهم أسماء الالوان
بالفرنساوية ولقد أحسن فولتير حيث قال (ان الناس في بلاد
الانكليز يعبدون الله على خمسين نوعا ولكنهم لا يهبطون البقرى
والضاني الاعلى نوع واحد)

أما الممر المنازل في الشوارع والحدارات فليست منتظمة كافي
مصر بطريقة الشفع والتربل قد ترى الجانب الايمن مبتدئا بعدد ١
ثم ٢ ثم ٣ وهكذا حتى اذا انتهى الشارع بعدد ما رجعوا بالعدد
الذي يليه من نهاية الجانب الايسر فيكون أول الشارع فيه أول
أعداد المنازل من جهة اليمين وآخرها من جهة الشمال وفي
القليل منها قد اتبع القوم طريقة الترتيب الحسنى المتعارفة في
مصر وغيرها من ديار أوروبا

وفي جميع المحاط والمتاحف والاشارة العمومية والاسواق
المهمة والميادين التي بين الشوارع ترى مرتفعات ومباول عمومية

تمير
المساكن

المرتفعات
والمباول
العمومية

بعضها خاص بالنساء والباقي للرجال وكلها في غاية النظافة ونهايه الاستعداد وتضاء بالليسل بالكهربائية وفيها الماء متساقط باحكام على الدوام من أحواض قدرى في بعضها الاسماك المختلفة الالوان يربها الحارس في هذه البحيرة التي يتجدد ماؤها في كل لحظة وكثير من هذه المرتفعات متسع جدا وينزل اليها بدرج لانها تحت الارض (اذلافضاء لها فوقها في هذه المدينة الجسمية كلها) واذا اضطر أحد لقضاء الحاجة ولم يجد المرتفع قريبا منه فلد أن يدخل في أى دكان فطاطرى ويدفع بنسا واحداء ملين للخادم

وقد سبق لى ذكر السقى (المدينة) وسهوت أن أقول انها وصف السقى مركز الصناعة والتجارة للوندره وحدها بل للعالم أجمع تتوارد اليها كنوز الثروة من جميع أقطار الارض وتديرها هي كيف شاءت وترسلها أينما أرادت ومن نظر الى بحوثها تصور أن رتبلاء هائلة جاءت ونسجت خيوطها وأرسلتها في جميع أطرافها فان الاسلاك التلفونية والتلغرافية التي فيها أعسر من احصاء قطرات الامطار ومما يدل على أن الحركة في هذه الجهة من لوندرة قد وصلت الى نهيات التصور أن الرسائل الواردة عن طريق البوستة توزع فيها في كل ساعة من ساعات النهار وان عدد المكاتب التي ترد اليها في كل صباح يزيد عن الالف ألف (وهناك

مخزن واحد يرد له في اليوم أكثر من ثلاثة آلاف رسالة) وعدد سكان السنتي القيمين بها ٣٧,٦٩٤ نفسا ولكنها في ساعات الاشغال تتوافد اليها الخلائق من كل فج عميق حتى يبلغ عدد الذين بها طول النهار أكثر من ٣٠١,٣٨٥ منهم ٢٩,٥٢٠ رؤساء بيوت تجارية و ٢٠٢,٢١٥ مستخدما و ٥٠,٤١٦ مستخدمة و ١٩,٢٣٥ غلاما لا يزيد سنهم عن ١٥ سنة وقد حسبوا أن في ٢٤ ساعة (في يوم ٢٧ ابريل سنة ١٨٩١) دخل الى حدود السنتي ١,١٨٦,٠٩٤ شخصا و ٩٢,٣٧٢ عربية مختلفة الانواع و متى أقبل الليل رجعت هذه الخلائق كلها و تركت السنتي قاعا صاففا حتى اذا انشق النهار رأيت هذه الاقوام تنهال عليها من كل جانب بمئات الالوف كالسيل المنهمر فهي أشبه بالبحر يحدث فيه المد والجزر

وما يدل على ان روح التجارة مجموعة في العاصمة الانكليزية بلوندره روح
تجارة
ان الرسائل التي توزعها البوستة في لوندرة وحدها تزيد عن ربع مجموع الرسائل التي يرسم بريطانيا العظمى كلها بل ان بلاد اسكتلندة (Scotland) (وتعرف عند العرب باسم سقوسية) باجمعها لا يرد لها من الرسائل نصف ما يرد للوندرة كما ان ايرلندة

(وتسمى كذلك في كتب العرب القديمة) بسأر مدائنها ومعاملها
ومتاجرها البحرية لا يرد لها الثلث من هذا القدر

فكيف لاتنهال جداول الثروة على هؤلاء القوم العاملين ^{السعادة}
الذين يعرفون حقيقة قيمة الوقت حتى ان الرجل منهم اذا تفكر ^{بالاجتهاد}
في أى أمر من التسهيل والتيسير وثابر عليه بقليل من الثبات
وساعده حسن جده لا يلبث أن يصير من أغنيائهم وأشرفهم
ونبلائهم مثال ذلك رجل كان يصطنع البيرة (الجمعه) واسمه (باس)
فأتقن عملها وتفنن في طرق التعريف بها حتى انه وصل الآن
الى ثروة لا يمكن تقديرها الا لمن يعلم أنه اشترى الدار التي كان
يسكنها اللورد بيكونسفيلد وزير انكلترا الشهير ثم فرشها بالمتاع
الفاجر وبلغت نفقات الفرس وحده ٦٥ ألف جنيه تقريبا من
ذلك لوحتان قيمتا بعض الصور والمناظر بستة عشر ألف جنيه
ولما وصل الى ماوصل من اليسار توصل الى ان صار من اللوردات
الكبار (اللورد برتون) وعنده الآن سبعة آلاف عامل وله ايرادات
كثيرة ودخله من اللمعة وحدها بين ٣٠٠ ألف و ٤٠٠ ألف
جنيه في السنة الواحدة ومرتب مدير الادارة عنده هو ٥ آلاف
جنيه انكليزي في السنة

ومثله كوك المشهور وتاريخه معلوم في مصر وقد أصبح ليته

الآن أقلام ومكاتب في كافة البلاد المتقدمة بل إن له في لوندرة وحدها نحوًا من ثمانية مكاتب وكلاهما تشبهه بل تفوق المصالح المنظمة المشهود لها بالأجادة ومما يدل على انتظام ادارته وتيقظ ماله لراحة معاملة أئمة أطاعوني في لوندرة على ترجمة شكواي من وكلائهم في برنزي أرسلها لهم وكيلهم في القاهرة نقلًا عن رسالتي الأولى واستفهموا مني عن اللازم ووعدهوني بمعاينة المقصرين حتى لا يعودوا للاخلال بواجباتهم وسأفرد للكلام عليه في الرحلة فصلاً إن شاء الله

ومثله رجلان اسمهما سبيرز و بوند قد الزما بان ينشئا في جميع محاط لوندرة وبريطانيا العظمى سكرانات (١) للأكسين والشاريين من المتردين على القطارات فراجت تجارتها وربحت أعمالهما حتى تعديا هذا النوع الى غيره فأنشئا دكاكين بدالين (بقالين) وخياطين وغير ذلك وعندهما من النساء المستخدمات نحو الخمسةائة امرأة

(١) يؤخذ من كلام شفاء الغليل أن السكردان لفظ فارسي معرب ومن شرحه له يستفاد انه يقابله في اللغة الافرنكية كلمة بوفيه (Buffet) المستعملة الآن في اللغة العربية وحينئذ فالرجوع الى السكردان أولى وأفضل لانه يدل على الحزاة يحفظ فيها الماء كقول والمشروب

ومثلهما كثير غيرهما اتبعوا طريق الجدد في أعمالهم ففازوا
وصاروا من أهل الثروة وأقبلت عليهم الخلائق وأقرت لهم
بالفصاحة والاصالة وصار لهم في النفوس مهابة وجلال حتى ان
كثيرا من المحدثين بهذه الصفة أصبحوا أعضاء البرلمان بالنيابة
عن بعض المقاطعات بل عن بعض المدارس الجامعة وهم كثيرون
لأريد أن أطيل الرسالة بذكرهم ولكني لأرى مندوحة عن
الكلام على رجل اسمه هويتلي Whitely

هذا الرجل كان في مبدأ أمره من طائفة المتسبين يبيع
بعض الاصناف على عربة يدفعها بيده أو يقف بها بجانب
البرزوق فأصبح الآن وهو صاحب مخازن واسعة في لوندرة
لايضاها غيرها في كل البلاد التي رأيتها وقد علمت أنها فريدة
في العالم بأجمعه ولما دخلت هذه المخازن حرت واندهرت وضلت
عن الطريق لتسبب مسالكها وتنوع الاصناف فيها فانك تجد
عنده كل ما يحتاجه الانسان من أى طبقة كان من يوم مولده
الى يوم ممته من جميع الاصناف وكافة الأنواع من ملابس
للجسم وللرأس واليدين وللأقدام داخلية وخارجية للرجال
والاطفال والنساء والبنات جاهزة أو مفصلة بحسب الارادة ومن
أقشة لجميع أصناف الناس للملكية والعسكرية البرية والبحرية

ومن حراير ومنسوجات مختلفة متعددة متنوعة ومن روائح
واعطار ومن بضائع أجنبية من جميع أقطار الدنيا من مصانع
ومجوهرات مختلفة الأقدار والأحجام والأثمان ومن مشغولات
الحديد وكافة المعادن على الإطلاق ومن أخشاب وأحطاب ومن
كتب وورق وما يقتضيه ذلك من جميع الأنواع ومن فواكه
طرية وناشفة وخضراوات جافة ورطبة جنية ومن لحوم الحيوانات
والصيد ومن حيوانات حية وأطيار وأسماك بل تجد عنده الفخيم
الحجري بل الكبريت بل كل ما يتصوره الإنسان يجده في هذه
الديكان وعلى الضمان

ذهب إليه في أحد الأيام رجل من اللوردات وأراد أن
يربكه ويضحك عليه فقال له اني أريد فيلا أبيض (ومعلوم انه من
الندرة بمكان) فتلقاه الرجل بكل هده وسكينة واستوصفه الفيل
اللائم وسأومه الثمن وأخذ عقوانه ثم قال له أنسرب لك موعدا
بعد ثلاثة شهور يحضر مطلوبك فلم يرض الأجل المعين حتى جاء إلى
صاحبنا اللورد كتاب في البوسطة يعلمه بوصول الفيل حائرا لكافة
الشرايط المطلوبة والأوصاف المرغوبة وان هو يتلى مستعد لارساله
إليه في المكان الذي يعينه وبلغني ان عدد الفتيات المستخدمات
في مخازنه يقارب الخمسة آلاف وأمثال هؤلاء كثيرون

فلا يجرب الانسان حينئذ اذا اضطر القوم للاستعمار الغنى والفقر والاجتهاد في جلب الذهب الى بلادهم من كافة أقطار الارض حتى صارت مدينتهم سوق العالم كله وأصبح كثير منهم يكتسبون في الدقيقة الواحدة خمسة أو عشرة جنيهات أو أكثر ومنهم من اراده السنوي يعتبر في بلاد أخرى رأس مال عظيم جدا ومنهم دوك اوف فونشير يملك من الاراضي فقط ما قيمته ثمانية آلاف ألف جنيهه ومع ذلك فان ثروته هذه ليست شياً يذكر بجواب دوك وستنستر التي لم يتيسر حصرها لآن

وبهذه المناسبة أقول ان الباحث المدقق لا يرى في أى نقطة في الكون منظراً أشنع ومشهداً أشنع من الفقر الذى أناخ بكله على جانب عظيم من سكان لوندرة فان ذلك المنظر يوجب لوعة وألماً لا يضاهاهما شئ من الاحران اقر به من تلك الثروة الطائلة وتلك النعمة الكاملة الآخذة في النماء والازدياد بقدر اشتداد وطأة النافة وتناهى الاعسار فهلا يرى الناظر بعد ذلك ان هذه المدينة قد تفردت بالجمع بين الاطراف وانعدم فيها الوسط في كل أمر من أمور الحياة حتى لقد صدق شاعرهم شيلي إذ قال مامعناه

ان جهنم المستعرة * أشبه بمدينة لوندرة

الرسالة الحادية عشرة تجول في بعض مدائن الانكليز

وصف المطر والضباب
قت من لوندرة في يوم الخميس ٢٢ سبتمبر وقد اكهتر وجه
السماء واحتجبت بنمس الضياء وخيمت في المدينة ككتائب
الضباب ثم عزقت ضلائع السحاب فتساقطت الامطار كالانهار
وتسابت السيول من أعالي التلؤل وتتابع الرعد القاصف بحجبه
البرق الخاطف ورأيت الناس يتدؤن في ايتاد النور في الشوارع
والخوانيت والدور فنزلت من العربة الى جهة مستقرية للتفرج
على هذه الحركة المستغربة غير مبال بهاطل الوايل فخيل لي أني
في صندوق كبير من الزجاج القاتم وعلى جدرانته شبه أشجار
منضودة ومياه معدودة وطرائق ممدودة وأشباح في غدو ورواح
وما وصلت الى سكة الحديد الا وقد بلغ الاطلام منتهاه فأسرعت الى
عربة القطار السريع ورأيت الماء ينال من ميازيها كأنها أفواه
القرب ولما استقرت في الجلوس واستأنست بالجلوس ورأيت النفوس
تنفجر من هذا الجوال العبوس فأنحت بعض القوم بهول هذا
اليوم فقال هذا هو الضباب الاسود ولعله يقف عندهذا الحد
فلا يكون طليعة لمرهم الضباب الاصفر فانه هو الموت الاجر

فأظهرت الاشتياق لمعرفة هذا الاقتراق فأخبرني أن الضباب
عندهم قسمان أولهما وهو الذي نشاهده الآن أكثر غرابته وأقل
ضررا للانسان فانه يجعل وقت الظهيرة البهيج كمنتصف الليل
البهيم فيسارع الناس بإضاءة النبراس ومضى كل الضباب في
الطبقات العالية فليس فيه من الضرر ما يستحق أن يذكر ولكنه
على كل حال لا يوجب عطلا في دولاب التجارة وحركة الاعمال وأما
الصف الثاني فهو الاصفر يوتر على الحلق ويهدد الخلق بالخنق
ويوجب التحفظ على الاقام بالاكام وقد اخترعوا للوقاية منه
كامات مخصوصة لا يمكن من التنفس بسهولة وكل من أهمل الاحتراز
بهذا الغطاء أو بهذه الكمامة خرج الدم من فيه مع اللعاب ان
لم تنهق النفس وتذهب الى الرمس وفي الحال يسرجون المصابيح
في الشوارع والحارات والدور والداكاكين ولصكته يستحيل
على الانسان أن يرى النور نفسه ولو كان بحفرة منه وبعضهم
يلتجئون الى العربات فيلبشون بها ساعات وترى هذه الحركة الهائلة
التي تفردت بها لوندرة تقف كلها حمزة واحدة ولا يتجاسر الجرى
على أن يتقدم فترا أو يتأخر شيئا خوفا من الاصطدام بشئ مما لا يراه
وهذا الصف من الضباب لا يظهر الامدة خمسة عشر يوما وأخص
الاقوات به شهر فونبر فقد يمر الاسبوع الكامل كانه ليلة واحدة

قد يتخللها أحيانا شقوق جلات يزيد في الحزن والسكابة المنتشرة على أرجاء المدينة ولذلك كان الانكليز أعرف الناس بمضار الجوفى مدينة هم فيبارحونها في فصل الشتاء (الا من تضطره حوائجهم وأعماله) وبفرا الاعيان والاشراف والاوردانعنها في هذه الاوقات لانها تكون والحق يقال غير قابلة للسكنى بما يغشاها من ركام الضباب المتوالى الذى يمزج فيه ابيض النور والظلام ويزيد في درجة الرطوبة الى حد لا يطاق فمكثرت الرجل على هذه الافادة وأردت أن أحيطد علما باعتدال الجو في بلادنا وبهاء السماء عندنا مما يجعلها جنة تقر النواظر وتشرح الخواطر ولكنى رأيت له لا يعبا الايلاده ولا يلتفت الى غير ماهو في معلومه فأقفلت باب الحديث كما أخذ هو والجماعة في تدخين شبةاتهم القصيرة الشميرة وتلاوة جرائدهم الكثيرة واشتغلت أنا باضافة هذه القوائد على ما علمته من سرعة تغير الجو في لوندرة فان متوسط درجة الحرارة فيها هو ٩٤٥ من درجات سنتيجراد وقد تنزل في الشتاء الى ٣ تحت الصفر

مدينة برمنغام ولم يمض الا قليل من الزمن حتى وصلنا مدينة برمنغام (Birmingham) فنزلت بها وهى مدينة قديمة اسمها الاصلى برومويسام ثم حرفها العامة الى بروماجم واشتهرت الاقن باسمها المتداول المعروف وهى مركز المعامل التى تشتغل باصطناع الحديد

في بلاد الانكليز وفيها ورش للجلوانو بلستيا ولاصطناع الريش
القولاذ التي يستعملها الافرنج في الكتابة بدل الاقلام وللصنوعات
الحديدية الخاصة بالكائنس وعلى مقربة منها ورشة لاصطناع
الزجاجات الغدسية الخاصة بالفتارات البحرية وأخرى لعل العربات
ومن أجل مبانيها دار المدينة وفيها متحف واف ومكتبة أهلية
يقوم بانجدة فيها نساء في غاية الفطانة وفيها غرفة مخصصة
لمؤلفات شاعرهم الفيلسوف الشهير شكسبير تحتوي على مجموعة
فيها كتبته التي طبعت في جميع المطابع وفيها تراجمها الى كافة
اللغات الاور وبابوية وكذلك البوستة يقوم بمباشرة أعمالها نساء
لهن حظ وافر من علم الجغرافية

ثمقت منها الى مدينة دربي (Derby) وتفرجت على مكتبها مدينة دربي
ومتحفها ولكنها ليست الاعبارة عن معامل كثيرة خالية مما يشرح
صدر الغريب أو يستميله لاطالة البقاء فيها وأهم شيء يستحق الذكر
هو أنى حططت بها الرحال (أعنى جعبة ملابسى وقمطر أوراقي)

مدة ٢٤ ساعة

وأسرعت بالقيام منها الى مدينة منشستر (Manchester) مدينة
على القطار السريع فرجت نفق اسمه بيك فورست نوتل وطوله
ميلان كاملان ولكن القطار قطعها ما في دقيقتين وكانت

مدينة
منشستر

فيه بطرية كهربائية لاضاءة كافة العربات بالليل أو عند دخولها
نهارا في بعض الانفاق فقط ومنشستر مدينة كبيرة عاصمة فيها كثير
من المعامل

وأهم شئ تفرغت له فيها مكاتبها الكثيرة المجانية التي أعدت
لتنقيف عقول الاهالي وتشجيع أذهان العمال في أوقات خلوهم من
الاعمال وقد رأيت في أهم مكاتبها مجموعة مستوفاة لانظير لها في
أعظم مكاتب أوروبا حيث احتوت على جميع ما ألفه العلماء في فن
اختزال الكتابة (الستوغرافيا) وفيها مجموعة كاملة لاهم جرائد
بريطانيا العظمى وعمال البرلمان وكتب قديمة نادرة ومعمل للتجديد
ورأيت فيها طابعا يؤثر على الورق من غير حبر استحدثوه حتى
لا يتيمكن أحد القراء من اختلاس بعض أوراق الكتب التي
يكون فيها تصاوير ورسوم أو جداول أو غير ذلك مما يستشره
الغواة للاختصاص به واتلاف الكتاب برتمه وهي طريقة لطيفة
يحسن اتباعها في المكتبات الخديوية حفظا لما فيها من الذخائر
والنقائس حتى ان الذي يستعير الكتاب النادر لانسول له نفسه
تجزيده من بعض الصفحات فيصبح أبقع عديم القيمة
وفيها غرفة للقراءة يجرد الانسان فيها جميع الجرائد التي تصدر
في اليوم وسأشرح الكلام بالتفصيل على مكاتبها التسعة وعرف

المطالعة المتعددة اظهارا لما جابت به من الفوائد التي لا تقدر وعدد سكان هذه المدينة ٧٠٠٠٠ نسمة بما فيها سالفور من ارباضها وهي كما لا يخفى مركز لصناعة الاقطان (وفي متحفها نموذج من جميع محصولات القطن بأنواعه في كافة أقطار العالم) وايست من شئ في حسن المنظر وبهاء الرونق بل هي كسوق يتمون فيه أهل المدائن التي حولها وكل هذه المدائن مختصة بغزل القطن ونسجه وبما يتبعه من الصنائع

وفيها بعض عمائر تستحق الذكر مثل دار أمانة المدينة ودار التجارة الحرة وهي معدة للاجتماعات العمومية تسع ٥٠٠٠ نفس وفيها باستان للنبات في غاية الانتظام وفيها كثير من الاسواق والكائس المهمة وفي شوارعها وميادينها أنصاب لتخليد ذكر مشاهير الانكليز وقد مضى على فيها أحد الاحاد فكانتها ولوندره قد أفرغت في قالب واحد ومما زاد في أهمية المدينة أن شركة تألفت وسافت مياه البحر الاطلانطيقي من ليقربول اليها في ترعة سموها قنال مانشستر لكي يتيسر للسفن أن تدخل في نفس انكلترة حتى تصل اليها بما فيها من البضائع وقد بلغت نفقات هذا القنال نحو ٦ ملايين من الجنيهات والمنظور أنهم بصرفون أيضا أربعة ملايين أخرى

(وقد ورد التلغراف في ٢ يناير سنة ٩٤ وهو يوم طبع هذه المزمعة من الطبعة النائية بان القتال قد تم وحصل الاحتفال به)

لفسرول
وفندق أدنى
ثم أتت منها الى ليفرپول (Liverpool) ونزلت
بفندق اداني وهومن أنغر وأنغم الفنادق التي رأيتها بأوروبا
من حيث الاتساع والاتقان وكال المعدات حتى ان أدنى
غرفة فيه يضيئها النور الكهربي وفيها التلقون للمخاطبة مع ادارة
الفندق وخدمه ولكاملة التازلين به مع بعضهم ومع المشتركين في
التلقون من أهل المدينة

الجمعية
الاسلامية
الانكليزية
وقد تفرجت فيها على المحاكم وعرفت أساليب التقاضي والمعاملة
عندهم وزرت مكاتبهم وامتاحتها وشاهدت آثارها وأنصابتها وتقابلت
فيها مع الشيخ عبدالله ويلم كويليم رئيس الطائفة الاسلامية من
أبناء الانكليز ودعاني لتناول الطعام عنده وأكرم مشواى ورأيت
قائما هو وأصحابه بتأدية الفروض الدينية الشرعية بقدر اجتهادهم
في دار جعلوا فيها قبلة ومحرابا ومكانا للصلاة ومنبر الارعظ والخطابة
وفيها مدرسة اسلامية لتعليم الآداب والفضن الانكليزية على ما يوافق
النصوص الشرعية وهي الى الآن في عهد الطنولية وكلهم متوددون
لبعضهم رجاء بينهم مقبلون على تكسب أرزاقهم يتخاطبون
بالفاظ الاخاء ويحيون بعضهم بتحيةة الاسلام ويزيد عددهم الآن

عن الستين بما فهم بعض النساء ولاشك انهن سيكون لهن اليد
البيضاء في تميم نشر المبادئ الحقّة واطهار مزايا الدين الخنيف
شأنهن في كل عمل أقبلن عليه في أى قطر من أقطار المسكونة
وقد ترجوا بعض السور الكريمة وتظموها في قصائد يرتلوها في
بعض الاجتماعات وعندى نسخة منها ثم انى أدبت معهم فريضة

العشاء في ليلة ٢٧ - ٢٨ سبتمبر وقد اشتد الزمهرير وتنازلت الزمهرير في
الحرارة وارتفعت البرودة بما لم أعهد له مثيلا من قبل حتى
كانت جوارحي تنفض وفرائصى ترعد كآفى العصفور بالله
القطر واستمرت أسناني على الاصطكاك والاحتكاك حتى تحققت
أن برد العجوز في بلادنا ليس بالشئ الذى يذكر بجانب ما سميته
برد الشاب عندهم وكانوا كلهم يقولون أين هذا من البرد الصحيح
مع أننى كنت أشعر ببرد يغير الالوان وينشف الابدان ويجمد
الريق في الاشداق والدمع في الآماق لان هذا اليوم مما جدد
تجره ونجد جره ينقل فيه الخفيف اذا هجم ويحتم الثقيل
اذا هجر وكنت فيه بين أطباق البرد ورجم البرد وكان القوم
لا يستغيثون الا بجر الراح وسورة الاقداح

وبعد أن خرجنا من المسجد صاحبنى اثنان منهم لارشادى على نار السعير
الفسدق وبينما نحن في اثناء الطريق انا بعبادى حريقة في

مخزن خشب فوقنا نتأمل أفاعيل النار مع اشتداد هبوب الرياح
ولم تغض برهة كبيرة حتى ارتفع لسان اللهب الى عنان السماء
وتطير الشرر الى جهة الشرق فأنت على المخزن وبعض البيوت
المجاورة له ولم يتغلب عليها رجال المطافئ مع إقدامهم وبراعتهم
الا بعد أن بلغت النفس التراقي ولولا حذاقتهم وسكون الاهالى
وعدم اضطرابهم واستيلاء الهلع عليهم لكانت أحدثت اتلافا
أعظم مما حدث وسأكتب عليها بالتفصيل وانما أذكر الآن ثبات
الانكليز فاني لم أسمع في الجاهير التي تجمهرت الا صياحا واحدا
من امرأة استغاثت بالقوم لانقاذ ولدها وأقت نفسها في مقدمتهم
لاستخلاص فلذة كبدها وبعد ذلك استولى الصمت والسكون حتى
في أهالى المنازل المجاورة التي كانت ألسنة النار تتناول اليها وبقى
رجال المطافئ مالكين لمريتهم في العمل حتى انقضت هذه القارعة
ولم يمت فيها أحد من الناس والحمد لله

موميات وعدد أهالى ليقربول ٥١٧٠٠٠ نفس وهى أول الموانى
البريطانية بعد لوندرة بل قد تفوق عليها بما يصدر منها الى الخارج
وأخص تجارتها مع بلاد امريكا اذ يجيئها منها كميات من الخبواب
والاقطان وغير ذلك من المحصولات مما لا يكاد يتصوره العقل
ثم تصدرها بعد اصطناعها في معاملها الى جميع أنحاء العالم
وأحواضها أهم ما يوجد في أعظم موانى الدنيا تدخل اليها أكبر

السفائن في كل لحظة وهي متقاطرة صقوفا صقوفا وراء بعضها على مدى ستة أميال وزيادة بحيث ان منظرها يعتبر من عجائب العالم ولا يزالون الى الآن يشتغلون بحفر أحواض جديدة وانشاء مخازن للتجارة البحرية

ومن أهم مبانيها قاعة سنت جورج وهي عمارة ضخمة جليلة بما فيها من الرنق والبهاء وحسن النظام يجتمع فيها القوم أثناء الانتخابات أو الاحتفالات العمومية ورأيت قصر متحف الفنون والصور والرسوم وغرفة المطالعة والمكتبة الحرة والبورصة وغير ذلك من عظام الآثار التي لا يسع لي المقام بالتوسع في الكلام عليها الآن وفيها كما في غيرها من مدائن الانكليز تلك الرياض الهندسية التي تنقي الهواء وتسرع النواذبما فيها من الخضرة والنضرة والمياه المتدفقة والاشجار القليلة حتى يتيسر للنظر أن يمتد الى منتهى الافق وفيها مدرسة جامعة وغير ذلك مما أستبقى شرحه للوقت والمكان المناسبين له

هذا وقد كنت قدت النية على الرجوع الى لندن مباشرة ولكنني عدلت عن ذلك وعوّلت على زيارة بعض مدائن الغال لقربي منها ولعلمي بأنه لم يسبقني أحد من أبناء جلدتي من هذا الجيل في التوجه اليها وستكون موضوع الكلام في الرسالة التالية ان شاء الله

الرسالة الثانية عشرة

تجوال في بلاد الغال

خلق الله الانسان في أحسن تقويم وبرأه على أبداع تكوين
وصوره في أجل مثال وفطره على أكل منوال ثم أودع فيه من
غرائب الغرائز وخبى الاسرار ومكنون القوى ما لا يرتاب في
وجوده الخاذق الفطين أو يتخيله الدراكة الفهيم أو يحظر عن
بال اللبيب الاريب ولا يزال العلم يكشف لنا في كل يوم عن قناع
هذه الخبايا ويكشفنا بما في تلك الزوايا ويطلعنا بقدر تقدم
العرفان على ما في الانسان العاجز من آثار الاقتدار كلما قرن
الارادة بالعمل ووفق بين الفكر والتحقيق في مظاهر الوجود وهذه
كأها قضايا ثابتة عند من قدح زناد القرحة الصحيحة وتدبر في
سلائق الخلائق وأرسل رائد التأمل الى عجائب الارتقاء العصري
وما كان من نتائج سعي العقلاء في الايام الخوالي

نظرة في
الانسان

أقول ذلك بمناسبة ما اشتهر به المصريون من الركون الى
السكون والخلود الى الراحة والقناعة بالكفاف وما ذلك الا لتوفر
العيش في بلادهم البارة بأهلها وتيسر أسباب الكسب ونوال
الرزق من غير ماكد ولا كدح كما هو الشأن في الامم المتوطنة

السبب في
عدم تعرب
المصريين

بالبلاذ الجبلية أو الاصقاع المجدبة القاحلة أو البلاد التي ضاق
ذرعها عن القيام بأود أبنائها حتى اضطروا للزوع عنها الى ما هو
أخصب وأبرك سعيًا وراء القوت أو طلبًا للرفاهية والنعيم

وليس السكون من شؤون المصريين دون من عداهم عن
يدبون على وجه الكرة الارضية فاهم وربك إلاكسواهم من
طوائف المخالقات الذين أفاضت عليهم يد العناية الازلية نعمها
المتراصة حتى جعلت بلادهم مطعما لانظار الغريب عنها بلتجئ
اليها على الدوام ويقرع أبوابها طلبًا للقوى والضيافة

ثم اتنا اذا نزلنا في سلم الكائنات الى الحيوانات رأينا هذه
النتيجة بعينها فانواع الدبابات وأصناف الحشرات وأطيوار الهواء
وأسمالك الماء خاضعة لهذا الناموس الكوني العام فما كان منها
في وسط مشحون بالخيرات تراه من طبيعته ميالا للسكينة وعدم
العنفوان وما كان بعكسه يكون من خلقه البطش والبغى
والعدوان وقد استمر الحال على هذا المنهاج حتى تأصلت هذه
الاخلاق وصارت وراثية في كل من الفريقين يتناقلاها الابناء عن
الآباء والاحفاد عن الاجداد ولكننا اذا قلبنا الموضوع وعكسنا
القضية كما يفعل علماء الطبيعيات ببعض الحيوانات لانتابت
الجيلات ان تنغير والسجايان تتحور والطبائع أن تنتوع وتتحول

والاميال أن تبدل وتعقل بحسب ما يقتضيه الحال ويستوجبه
المقام

لذلك كان البدو على العموم مجبولين على الترحال والضرب
في أطراف البلاد حتى اذا تحسروا أصبحوا كأهل الحضرة أقل
استعدادا للهجرة والتغريب عن الاوطان والابتعاد عن الارض
التي نبتوا بها واستقوا من ماءها وتغذوا بنباتها

السبي ولما كانت بلاد الانكليز كثيرة البعد عن ان يصدق عليها
ولوع الامكليز أنها من الخصب وتوفر الرزق بحيث تكفي لمؤنة أهلها وولده فيهم
بالسياحة

بالضرورة حب السياحة والسبي في مناكب الارض وبذل كل
مافي وسعهم من الوسائط الحسية والوسائل المعنوية لجلب الثروة
من أقطار الارض وأطرافها الى تلك الجزيرة التي يسكنون بها
ثم لما ضاقت عنهم التزموا بالاستكثار من الاستعمار والانتشار في
سائر الاقطار مثل الفينيقيين وأبنائهم القرطاجيين ومثل الاغارقة
(les Grecs) والرومانيين ومثل العرب في أول دولتهم والبرتقاليين
والاسبانيين في مبدا نشأتهم ومثل الالمانيين واليونانيين وغيرهم
من أم هذا الزمان

وبعد ان كانت السياحات للانكليز من أول الحاجيات
أصبحت الآن من ضروريات الكليات لانها ربحت في ملكاتهم

اعدائهم من الاجانب وانما الاعمال محك الرجال فلا يصح للعاقل
المنصف حينئذ الا أن يسخر ويستخف بأولئك السائحين الذين
جاؤا مصر و-كثروا بأن أهلها ليس فيهم اقتدار على السياحة
وطلب العزى التنقل فان أول طواف حول أفريقيا كان في
عهد الفراعنة الاقدمين وعلى سفائن المصريين وبواسطة المصريين
خرجوا من بحر الروم مغربين حتى تجاوزوا بحر الزقاق (بوغاز
جبل طارق) ثم اجتازوا بحر الظلمات (المحيط الاطلانطيقي) الى أن
بلغوا ما يعرف الآن برأس عشم الخير ثم جاؤا البحر الهندى
وألقوا الراسى عند مدينة القلزم (قرية من السويس) ومن
نظر في كتاب (مصر والجغرافيا) الذى وفقت الى اظهاره حديثنا
اذعن بأنهم قد كانت لهم اليد البيضاء فى الاكتشافات الجغرافية
التي حصلت ببلاد السودان وغيرها وان كانت رسائلهم وتقاريرهم
وكتاباتهم لم تنل حقها من الانتشار حتى تكون بهجة فى عين المحب
وقذى فى أعين المبغضين

وان قد صدق الفرنسيون فى المثل الذى أرسلوه حيث قالوا (ان
الشهية تحضروك فى الأكل (L'appétit vient en mangeant)
وأصدق منهم امامنا البوصيرى فيما أتى به من الحكم (ان الطعام
يقوى شهوة النهم) فاقى حينما أتى لى مبارحة الربوع التى ألفتها

الاندفاع
للسباحة

والديار التي عهدتها (وهذه هي المرة الاولى) عرفت مقدار الخنين اليها والتوجه من مفارقتها حتى لقد اشتد بي الوجد عليها وأنا بفلاورانس على مقربة منها ولا يعرف الشوق الا من يكابده ولا يسكر هذه العواطف النبيلة الا من تجرد منها ولا يكتفى ككثير من كلما طوحت بي الاسفار أستأنس الى السياحة وأرى في نفسي ما يجذبني الى رؤيته بلاد كثيرة واقوام عديدة حتى اني لما كنت باقر بول شعرت بميلدفعني الى زيارة بلاد الغال وقد دارت المكالمة بيني وبين بعض الانكليز على ما عازمت عليه من التوغل في هذه البلاد فاستكبر هذا المشروع على شاب من المصريين وقال لي «انه من باب المجازفة سيما مع قلة بضاعتى في اللغة الانكليزية مع كونى لو كنت متقنا لها لما أفادتنى بشئ كثير لان أهل تلك البلاد لهم لسان آخر خاص بهم وهو بعيد عن الانكليزية بعدا شاسعا» فقلت له «ولم تقدمون أتمم الى بلادنا وتكتبون عليها مع عدم معرفتكم بلساننا ولا وقوفكم على أخلاقنا» فقال «اتنا نسمعين بما كتبه اسلافنا الذين خالطوكم وأقاموا بين ظهرانيكم فضلا عن انتشار لساننا في أوطانكم وكثرة التراجمة الذين تستخدمهم في التفهيم والتفهيم» فأجبتته بانى «لا أرى من مانع فى ان أكون لقومى مثل أولئك الاسلاف الذين تشير اليهم وانى

أستعين بترجمان من أهل تلك البلاد يشهني بالانكليزية وعلى قدر الامكان مايس في وسعي ادراكه من لغة قومها فان الانكليز والامريكانين لابد أن يكونوا قدموا اليها وحينئذ فلا شك في وجود نفر من أهلها يكلمونني بالانكليزية على قدر ما أفهم « ثم أحطت صاحبي بشروع سياحتي في الاندلس والبرتغال والى لأفهم كلمة واحدة من اللغة الاسبانية فقال « ذلك سهل عليك لانهم افرية من الفرنسية والطليانية ولا يهمها المصام » فسأت له بسداد هذا الجواب فقال لي « وهناك عوائق أخرى ربما لا تقوى على مقاومتها وهي البرد الشديد والرطوبة الزائدة وتوالي الامطار في هذه البلاد الجبلية » فقلت له « وفوق ذلك فاني عازم على النزول الى مناجم الفحم الحجري » فhez رأسه وبرم شاربيه وتبسم ضاحكاً ثم قال بصوت متقطع (اذا كان الكلام سهلاً على اللسان فالعمل صعب على الانسان) فترجمت له ما قاله شعراؤنا (أنجز حر ما وعد - وان غدا لناظره قريب) ثم ودعته بعد ان وعدته بانى أ كتابه من هاتيك البلاد وركبت القطار في عصر النهار

خول بلادالعال ولما وصلت الى مدينة شستر Chester استدعيت حمالا نقل متاعى الى قطار آخر وأعطيته جنيتها ليستحضر لى تذكرة الى ليجولن Lengollen ويرد لى الباقي فذهب وغاب ثم رجع

مؤنفا بالمراد فأتحفته بما قدرني الله عليه لاني فكرت أنه كان
في وسعه عدم الرجوع ووصلت لتجولن في منتصف الليل أوقبله
بقليل وكان المطر متواليا عليها بما لم أعهده في عمري وأما البرد
فيكفيني أن أقول أنه أهواني بالزكام مدة أربعة أيام وسمعت للياه
خريرا يشبه الهدير والزئير وكانها متدفقة من سخور عالية
متأطمة على جنادل متوالية متساقطة في جداول سافلة وبلغت
التزل كالغريق لا يخاف البلل فأوقدوا نارا حامية اصطليت بها
واستأنست لها وما سمعت آذان الديكة في الايكة وتسيج الاطيار
على أفنان الاشجار حتى وبت الى الشباك وأقيمت نظرا متسارعا
الى ما أمامي من المناظر فاذا جبال شاهقة تكسوها خضرة رائقة
تخللها ازهار شائقة تكنتفها أشجار باسقة تنساب بينها مياه
دافقة لونها ضارب الى الاصفرار والاحرار مثل مياه النيل المبارك
أيام الفيضان فانشج فوادي كأنشج جسمي وقرت عمي بباهر هذه
المناظر وجمال هذه الحال حتى عولت على اطالة الإقامة في هذه
المدينة الصغيرة التي يبلغ عدد سكانها ٣١٣٣ نسمة فأخذت
الى الراحة فيها وترويح البال برائتها بعد أن لاقيت من لفظ
المدائن الكبيرة وضجتها ومتناهي اضطرابها وحركتها ما جعلني
محتاجا لقليل من الراحة حتى يعود لي النشاط لمواولة الساحة

لتجولن
ومناظره

ومن الغرابة أنى علمت بعد مبارحتى لها بزمان ان أهل التجوال
لا يحطون بها الرحال الا للاستراحة

عوميات على
لنجونلن
فانها مدينة صغيرة واقعة على نهر الدى (ومعنى دى باللغة
الغالية الاسود وبالاسكليزية بلاك) وتسمى بلسان أهلها لنجونلن
وان كانوا يسمون اسمها فى الكتابة هكذا (لنجونلن) وعلى نحو
ميلين منها اطلال دارسة لدير قديم وهى أجمل ما بقى من عمار
القدماء فى شمال هذه الاراضى وعلى ميل ونصف منها بقايا
حصون منيعة قائمة بشكل مخروطى على تل مرتفع يطل على
المدينة ويصد عنها المغيرين عليها وقد زرتهما بالتصنيف وشاهدت
أعمال الحفر فيهما وكشف ما كان دارسا تحت الارض منهما
وفيما وراء هذه الحصون يمتد النظر الى مسافة أربعة أميال
تشغلها جبال طباشيرية تتخلها مروج أريجة ومراع فسحة
ويحف بالمدينة من الشمال الى الجنوب وادبها بهج يبلغ طوله
٢٤ ميلا ينعش الفؤاد ويشجى النفس بنوره وزهره وخضرته
وقد آثرت التوجه اليه على عربة فى طريق البر عن ركوب
القطار حتى أمتع باجتلاء محاسنه وتسريح الطرف فى مشاهدته
ورأيت ما أبقاء فيه الدهر من آثار القصور الدارسة التى تتعلق
بما كان اها من المكنة فى الفخامة والجلال وتشهد بان الايام
خلعت عليها ما عندها من الجمال

وقد تتقت من هناك الى قرى كثيرة حول لنجولن وتحققت طباع أهل الغال
في أهل الغال بشاشة وبشرا واتناسا ويسرا مع الطباع الكريمة
والاخلاق الفاضلة النبيلة ولهم بالغريب حفاوة وأى حفاوة فهم
يتها الكون على خدمته والاجتهاد في مرضاته من غير أن تكون
لهم غاية مافي دينار وخلاصة القول اني عهدت فيهم ثلاث السجيا
البسدوية العربية الفاضلة التي تتجلى مظاهرها في الارياف
والخلافات أكثر منها في المدائن والامصار وهذا ما حداني على إطالة
المكث بلنجولن أكثر مما تستحق في الحقيقة وخصوصا ان
الفندق الذي نزلت فيه وهو (هاند هوتل Hand Hotel) قد قام
أهله بخدمتي فوق اللازم ويسروا لي جميع المطالب بما كتب
لهم على صحيفة فؤادي آيات من الشكر لا يحعوها الدهر ولقد
وطنت نفسي على الذهاب الى هذه المدينة اذا ساعدتني العناية
بالقدوم الى أوروبا مرة ثانية

وقد رأيت النساء في بلاد الغال يفقن اضرابهن في بلاد نساء الغال
انجليزية الحقيقية فيما هو من مميزات الجنس اللطيف مع ما هن
عاليه من البساطة التي تستوجبها المعيشة الخاوية وبعدهن عن
التأنق الذي يضطر اليه أترابهن حينما يطلعن في سماء الامصر
والسموات في لنجولن جمعة خاصة بهن في دار هي في الحقيقة

تحفة الناظرين وطرفة للقادمين فقد حوت من آثار الصناعة
وبدائع الاعمال ما لا يمكننى المقام من استيفائه الا ان فاتها كلها
من الخشب القديم المشغول شغلا دقيقا على يد أمهر الصناع وفيها
طرائف قديمة ومجموعات نفيسة من سلى وجواهر رمتاع فاخر
وصور ومناظر وأسلحة ونقوش وأشكال وأوان يليق بها
أن تعرض في أهم المتاحف المعتبرة وفيها رجام قبر من الرخام مكتوب
عليه عبارة باللغة التركية

مامل الصوف وفي هذه المدينة الصغيرة أكثر من اثني عشر مملا لغزل
الصوف ونسجه بديرها التيار والبخار وقد تفرجت على بعضها
ورأيت الصوف كيف يفرز ثم ينظف ثم يغزل ثم ينسج ثم يغسل
ثم يكوى ثم يلف وكل ذلك بواسطة الآلات وتحت مراقبة
شردمة من الغلمان وثلة من البنات

منبع الدي ولا أعلم كيف استولت على الرغبة في التوجه الى منبع نهر
الدى ورؤيته وهو يخرج من البحيرة التي تتجمع فيها المياه
المتساقطة من الجبال تجهز في أهل الفندق بما يلزم وأحضر والى
ترجانا صاحبني في ذهابي بالسكة الحديدية الى مدينة بالا Bala
وسرت مسافة ساعة حول بحيرتها ورأيت الجداول تنساب من
قلل الصخور القرية منهاوتنهال في حياضها ثم تجرى الى الوادى
فيتكون منها نهر الدي

كُلُّ ذلك والمطر متوال لا ينقطع الامتداد خمس دقائق تطلع وصف مناجم
فيها الغزالة ثم لا تلبث ان تختفي وراء حجاب السحاب يكتنفها الفهم الجري
قوس قزح مزدوجا بل قد لآتملها الامطار رينما تختفي عن
الانظار ولقد طاب لي المقام في هذه المدينة الهادئة المطمئنة مع
ما فيها من التغيرات الجوية التي لا تخاطر على بال من تعود اقليمنا
ولكنني ما قدمت في الحقيقة الى بلاد الغال الا طمعا في رؤية
مناجم الفحم الجري اس الصناعة وينبوع الثروة ومحور العمران
في هذا الزمان ذلك المعدن النفيس الذي يجدر بنا أن نسميه الحجر
الـكـرـيـم والاكسير الصحيح فانه فضلا عن فوائده المتعارفة قد
استخرج منه علماء الكيمياء اصباغا باهية متنوعة واعطارا اذكي
من جميع الاصناف المعروفة وسكريات في الصيدليات والدرهم منه
يوازي أكثر من ثلاثين من أجود أنواع السكر المعتاد وقد أثبتوا
أن حجر الماس من الكربون وبذلك يجوز لاهل البيان أن يقولوا
ان الماس من الفحم في الحقيقة والمجاز (وسبحان من يفتق النور
من رفق الظلمات ويخرج الاحياء من الاموات) وفيه غير ذلك من
الجواهر والمنافع والمزايا التي ربما أتعرض لشرحها عند الكلام
على المنجم الذي زرته بالتدقيق والتفصيل فاني قمت من لخبولن

بجسبي ابن ربة التزل حتى وصلت الى مدينة شيرك (Chirk)
على طريق يشبه السكك الزراعية في بلادنا وانعظت منها الى
منجم بقربها

وما تمكنت من زيارته الا بعد عشاء شديد لان القوم
حسبوني في أول الامر رائدا من طرف أصحاب المناجم الألمانية
بحث أسترق أسرارهم وأقف على طرائقهم الى غير ذلك مما يخشاه
أهل الفن الواحد من بعضهم ولكن المدير لما عرف صفتي
ووطنى واطلع على رقعة زيارتي فتح لي الابواب ومهدأمامي الطرق
وأتحفني بكافة المعلومات وأعطاني نسخا من التقارير الرسمية
والرسائل الفنية لاستعين بها على الاشباع في هذا الموضوع ثم
قام بنفسه وطاق معي جميع الاماكن وأحاطني بكيفية العمل
ثم أمر وكيه أن ينزل معي داخل المنجم بعد أن ألبسني رداء
قصيرا من الجوخ الغليظ الخشن وسلمني هراوة أو كاس عليها
وأستعين بها على التمس في السير داخل هوة النفق الخالكة
وأعطاني مصباحا من مصابيح الامان اهتدى به في السير وأستعين
به على النظر ثم قدم لي شيا من المرطبات وقال لي (قد صرت
الآن من عمانا فاحض لنواميسنا فبادر بالعمل بلا مهل) فامتثلت
وانخبت مع الوكيل في أحد الصناديق الموضوعه على المركبة المعدة

لاخراج الفحم من جوف الارض الى وجهها فهوت بنا المصعنة (Ascenseur) وكان سطح الصندوق الاسفل يفر من تحت أقدامى بمناسبة سرعة الآلة في النزول حتى رست بنا على بعد ثمانمائة متر عن سطح البسيطة فاستلمنا أحد العمال وفتش جيوبنا لثلا يكون معنا شئ من الدخان أو الكبريت أو المواد القابلة للافتجار ثم خفض المصباح الذى معنا (وكان الوكيل نفسه خاضعا قبلي لهذا الاختبار) وبعد ذلك سمح لنا بالمرور فسرنا من سرداب الى سرداب صاعدين هابطين مقبلين مدبرين بالتواء وانعطاف بحسب اتجاه عرق الفحم فى بطن الارض وكنا نمر على سلك حديدية عليها قطارات مختلفة الاتجاهات بحسب دفع البخار وجذبه بواسطة المسلسل الحديدية وفي الجهات المطمئنة رأينا خيولا تجر العربات مشحونة بالفحم وتتركها بجانب المصعدة قرفعها هذه الى وجه الارض ولهذه الخيول التي لاتنقص عن الثلاثين اصطبلات فى السراديب فيها كل ما تحتاجه من المؤونة والراحة وفى السراديب حنفيات للمياه وتنانير للنيرون (فى محلات مخصوصة) وآلات للبخار وفوهة كبيرة عليها آلة عظيمة تدخل الهواء بكثرة زائدة الى هذه الهاويات العميقة وهذا المنجم مركب من دورين أحدهما فوق الآخر فالاول تحت سطح الارض بمسافة ثلثمائة متر والثانى تحته

بخصم مائة متر وقد طفت فيهما ثلاث ساعات ولم يتيسر لى أن
أسلك في كل طرفاهما لان ذلك يستغرق يومين أو ثلاثة

ولكننى استعصت عن ذلك بالتوجه الى أقصى ناحية وصل
اليها العمال واقتنعت بذلك ودخلت الى أبعد نقطة في كليهما
حيث رأيت العمال يقيمون الاخشاب لاسماد السقف حتى لا ينهار
عليهم ولما كنت بحكم الشرط الذى اشتراطه على مدير المنجم
أحسب في هذه السياحة الارضية عاملا من عمال المنجم أمرنى
الوكيل بأن آخذ المعول بيدي وأشارك العمال في قطع الفحم
فكان كذلك وأخذت ما قطعته بيدي تداكرا ثم وقفت مجعبا
باقتدار الانسان واذا يتسكر مظلم لولانى فاقشعر منه جسدى ووقف
له شعر رأسى اذمر على ذا كرتى كالسهم الخاطف تاريخ تلك
الكوارث والقوارع الكثيرة الوقوع فى المناجم وتذكرت أحدثها
وهوما كنت قرأته بالجراند الافرنكية فى مصر فى شهر مارس الماضى
من الانفجار الذريع الذى حصل بأحد المعادن فى بلاد البلجيكا
حتى انه اشده الرجة التى احدثها جعل أهل البلاد البعيدة عن
موقع اهذه الطامة بمسافة خمسة كيلومترات يتخيلون حصول زلزال
عتيف ومالبت الخبر أن انتشر حتى نوافد الناس أفواجا الى محل
الوقعة الفظيعة وأخصم أهالى العملة وعمالهم واشتغل أهل الاقدام

والجراحة بترتيب وسائل استنقاذ الارواح من هذا الموت الزؤام
ولكن اجتهادهم ذهب ادراج الرياح وضاعت مساعيهم سدى
فقد كتب الله ان تكون هذه الطامة عامة فانهم شعروا بتزعزع جديد في
بواطن الارض أعقبه صباح رنان (النار النار) وأبصروا الشرر
يتطاير في الهواء من بئر التهوية يحيط به دخان كثيف كان يتسارع
الى وجه الارض نذيرا باعتراك العناصر في احشائها واجتماعها
على اهلاك من فيها من العملة المساكين بشر أنواع العذاب المبين
ثم أشهر أحد جدران بئر التهوية فساعد على اشتداد النيران وقطع
حبال الرجاء في الانتقاذ والفسداء وكان الناس وهم في حالة اليأس
يسمعون زئيرا شديدا يخرج من الاعماق ويشعرون باضطراب
وارتجاج وفي بعض الاحيان كانت تهب عليهم روائح خصوصية
وتهاجمهم أبخرة كبريتية فتعلمهم باشتداد الكرب وتوالى الخطب
وتنبئهم بان الحريق آخذ في الازدياد وانه لا مطمع في استخلاص
ضحايا النار حتى اصفرت الوجوه وذهبت العتول وضاع الضواب
فأقبل كثير من الحاضرين وفيهم جم غفير من النساء يترامون
على البئر وقد أحاط به الجند ولم يتجسروا في صمد المعتوهين عن
اللحوق بابائهم وأزواجهم وأبنائهم وأقربائهم لانقاذهم من مخالب
النار الا بعد أن أشهروا السيف البتار وتكاثفت جوعهم

فزحزحوا الناس بقوة السلاح وهم يتظرون اليهم بعيون زائغة
تنظروا لاترى وأفواه تصطك أسنانها وقد انعقد لسانها ووجوه تولاها
الذهول واعتراها الخيال فصاروا كالاشباح بلا أرواح ولأ تذكر
الآن بالضبط عدد الذين ذهبوا فريسة هذه القارعة ولكنى أذكر
أنه يبلغ المائتين وهذه حادثة واحدة من كثير دونه تاريخ المناجم
وكنت أفكر فيها كلها ولم يخرجنى من هذا الحال الا ساجى العمال
يلسان الغال فأتى لو كنت من البارعين فى فن المنارقات لقلت انه
يتركب بحسب هذا البيان (أى النسخة باعتبار بعض المصريين)
قيراط

ألماني	٨
انكليزى	٢
لاوندى	١٠
يونانى	٢
سريانى	١
عربى وعبرى	١

٢٤ (مجرد)
ممزوجة مع بعضها بنشأ عنها اللسان الغالى
وحينئذ بادرت بالخروج الى وجه الارض وشكرت أفضل
المدبر وأنا أرتجف من هول الخطر الذى ألقىت بنفسى فى تملكته

ولكننى قلبت فى نفسى ان الذى يجيىء ببلاد الانكليز ولا يرى
معادن الفحم الجبرى فلا يصح له أن يقول انه كان فى انجلترا
أوزار هذه الجزيرة

ثم انطلقت من هذه المدينة (شيرك) الى مدينة أخرى
تفرجت فيها على مهمل اصطناع الطوب المطبوخ (الآجر) بواسطة
البخار وهو مهمل كبير يأخذ الطيز اللازم من تل كبير مجاور له ثم
انتقلت الى مدينة أخرى قريبة منها ورأيت فيها العملة يلعبون
بعد خروجهم من المعادن بالكرة بأقدامهم (الفوت بول) وهو لعب
رياضى خاص بالانكليز ولهم فيه مهارة غريبة

ومن هنا ركبنا القطار راجعا الى شتر وهي فيما بين بلاد
الغال وبلاد الانكليز ولكنها تعتبر من الثانية ومع ذلك فسأذكر
عليها الآن تفصيلا قليلا

هذه المدينة قديمة أسسها الرومانيون على مصب نهر الذى مدينة تشسنا
الذى يمر على ليجونان وعدد سكانها ٣٦,٧٩٤ نفس ولا يزال
فيها كثير من بقايا الرومان وأبراجهم وأسوارهم التى هى كشوارع
معلقة فى المدينة اعتماد الاهالى على التزهة والرياضة فيها ويبلغ
طولها ميلين ومن الامور التى انفردت بها ان برازيق الطريق
يكون عليها حوائيت وخلفها مماش فيها دكاكين أخرى وفوق

الحوانيت الامامية يرتفع الدور الاول من المنازل فيكون الشارع عليه من الجانبين صفان من المخازن وخلف كل منهما ممشى فسح مواز للشارع وعليه دكاكين أخرى وسقفه هو أرضية الطبقة الاولى من المساكن وفيها كنائس عتيقة بعضها مشيد بالطوب الاحمر وفيها ميدان فسح تتسابق فيه الخيول في بعض أيام السنة وخلاصة القول أن لها منظرا انقردت به دون المدائن التي مررت عليها ببلاد المشرق وأوروبا وقد اشتهرت بصناعة الجبن وان لم يكن من طبيعة أهائها فقد يبضوا صفحات تاريخهم بالذود عن حياضها أيام كانت بلاد الانكليز منقسمة الى ممالك صغيرة كثيرة في عراثة مستديم وحروب مستمرة

والى هنا أستوقف البراع عن الافاضة في شرح ما عندي من المملقات والمفكرات فان ما ذكرته عن بلاد الغال قليل في جانب ما استحصلت عليه من النوائد والمعلومات ولكن القليل دلييل على الكثير

الرسالة الثالثة عشرة

العودة الى لوندرة

وفيها اءاء بالبحار الى نهر التمس وقناطره والاتفاق التي تحت الارض والحدائق
والكنائس والقصور وبنك إنجلترا ودار الضرب و برج لوندرة ومحلات
البر والاحسان ومؤنة المدينة ومينائها وتنويرها ومطافئها
وشربها ومصارفها وضواحيها (رثمنديبساتينها ووندسور
بقصر الملكة ورياضها) ومعرض « مصر
القديعة » في لوندرة والصناعة الشرقية
العربية فيه واستنهاض الهمم اليها

رجعت من بلاد الغال الزاهرة التي هي في إنجلترا بمثابة
سويسرة بما يتجلى فيها من محاسن الطبيعة ونضرة الخلوات
ونزلت ثانية بعاصمة الانكليز ورأيت فيها ما رأيت مما قصت
بعضه في رسالتي الاولى عنها وهي وان طالت بتسدر ما طالت
فليست في الحقيقة بالنسبة لهذه المدينة الا كالبعوضة بجانب
الطود الشامخ ولا يطاوعنى قلمي على الانتقال منها الى غيرها
ولكننى لايتسنى لى باى حال من الاحوال أن أفيض فى شرح
الكلام على التمس وقناطره الاربع عشرة وأرصفته المنضونة
الممدودة على جانبيه أوالاتفاق التي تمر تحت قاعه كأن

الآلاف المؤلفة من العربات المختلفة الأنواع وقطارات البخار
والترامواي والزوارق التي تجرى على وجه النهر كعدد النمل كلها
غير وافية بحاجات أهل هذه المدينة للانتقال من شاطئ إلى شاطئ
فقادهم ميلهم للاختصار وتوفير الزمن وتسهيل العمل إلى أحداث
هذه الأعمال الشاقة فإن أحدها (تيمزونل) يبلغ طوله ٣٦٦
مترا وهو عبارة عن مشاتين معقودتين متصلتين بيوائٍ واساطين
على مسافات متساوية ويمر تحت قاع الماء بخمسة أمتار وقد
بلغت نفقانه ١٥,٣٥٠,٠٠٠ فرنك وكان في أول الأمر
مخصصا لاتِّراد الناس ينزلون إليه من سلم مظلم منزلق ارتفاعه
٩١ مترا ولكنه لم يحزم من الخلائق اقبالا مع كون أجرة المرور
كانت زهيدة جدا وهي بنس واحد (٤ مليمات) فاشترته شركة
خصوصية في سنة ١٨٧٢ ومدت فيه خطوطا حديدية تجرى
عليها القطارات وتتصل بسكة حديد العاصمة وقد كان انشاؤه
في سنة ١٨٢٥ وأما النفق الثاني فهو بجانب برج لوندرة واسمه
(نور سيموي) وهو عبارة عن قناة من حديد الزهر قطرها متران
وطولها ٣٧٥ مترا ينزل إليه من سلمين حلزوين على ٩٦
درجة موضوعين على شكل من ضفتي النهر (واجرة المرور
نصف بنس أي مليمان) وكان البسده فيه في شهر فبراير سنة

١٨٦٩ واتمامه في شهر ابريل سنة ١٨٧٠ ولم تزد نفقاته عن
٤٥٠,٠٠٠ فرنك

وأما الثالث فقد انشأته شركة السكة الحديدية الكهربية
واحتفل البرنس دوغال بافتتاحه في ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٠
نعم اني خصصت هذه الرسالة لذكر بعض آثار لوندرة وعمارتها
وتحفظها وضواحيها ولكني لأجد متسعاً للقول على حدائقها
العشر التي يضرب بها المثل في العالم كله ولا على بستان البنات
ومافيها من غرائب الحيوانات (وهو ملك لاحدى الشركات) ولا على
كنائسها المهمة مثل القديس بولس وديروسمينستر والهيكل والكنائس
الانكليزية والبيع المنشقة عنها والبيع الكاثوليكية والاجنبية فان
عدد هاتي المدينة وارباضا يناهز الالف ونصف الالف وللهدود فيها
٦. كنيسة الى غير ذلك من أماكن العبادة العديدة التي اقامتها
طوائف دينية لايحصيها الا الله . وكيف يتسنى لي أو لغيري
تلخيص شئ وجيز في مثل هذه المجالة عن قصور تلك المدينة مثل
بار النسدوة (البرلمان) وقصر سان چس وقصر بوكنجيم والويت
هول (وقد كان فيه اعدام الملك شارلس الاول) وقصر مارلبورو
وقصر كنسنتن وقصر بلث (وهو مقر رئيس أساقفة الكنيسة
الانكليزية) وقد رأيت فيه مصحفاً بخط أحد سلاطين مصر

موضوعا في الكنيسة بجانب الانجيل وغير ذلك من قصور الملوك
والامراء أو المخصصة للوادي والاجتماعات وبمثل ذلك أعترف بأنه
ليس في وسعي أن أتى بلع يسيرة عن الأماكن المدنية والعمائر
العمومية مثل جلد هول (الذي هو دار أمانة المدينة) وفي إحدى
قاعاتها ثمانان عظيميان من الخشب المحفور يتدلان بأجوج وبأجوج
وتسع هذه الناعة ٧ آلاف نرس وفيها مكتبة حرة فيها سبعون
ألف مجلد وفيها متحف للآثار والمخلفات الباقية من لوندرة القديمة
وقد عرضوا فيها امضاء شاعرهم شكسبير على صك مبيعة اشتروه
للمتحف بمبلغ لا يقل عن ١٤٥ جنيه وفي الدار تلك العربية التي
يركب عليها اللورد أمين المدينة في التاسع من شهر نوفمبر يوم
الاحتفال بتبتيته وتبلغ التقات اللازمة لترميمها ٢٥٠ جنيه
في كل سنة منذ انشائها في سنة ١٧٥٧ أو المنشن هوس
(هو القصر الذي يسكن فيه اللورد أمين المدينة مدة سنة انتخابه)
أو البنك (ويرد اليه في كل يوم ٥٠ ألف ورقة قيمتها مليون جنيه)
فيمزقون أحد أطرافها ويحفظونها مدة ١٠ سنوات ويصدرون غيرها
للتعامل وفيه مطابع كثيرة كل واحدة تخرج في اليوم الواحد ١٦
ألف ورقة مختلفة القيمة وقد بلغ عدد الورق الذي أرجع الى
البنك في يوم ٨ أكتوبر سنة ١٧٩٢ ٦٧,٤١٧ وقيمته ٢٧٥,٢٧٥,١٥٠

جنيه ورأيت فيه ورقة قيمتها مائون جنيه ولا ناسية لها ورأيت ورقة تداولتها الايدي مدة ١١١ سنة وبلغت أرباحها المركبة ٦٠٠٠ جنيه وفيه ٤٩ مكتبا ويجفزه بالليل قره قول فيه ٣٤ عسكريا وضابط واحد وهو غير قابل للاحتراق وفيه سبائك كثيرة من الذهب الابريز والفضة الخالصة وفيه آلات لوزن الجنيهات تلبقى بالجنيهات الصحيحة في مكان وبالتالي تقصت بالمداولة والمعاملة في مكان آخر وترن في الدقيقة الواحدة ٣٣ جنيها وفي كل يوم من ٦٠ ألف الى ٧٠ ألف جنيه وقد كان رأس مال البنك في أول الامر ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه وصار الآن ١٤,٥٥٣,٠٠٠ جنيه انكليزي وقد بلغ عدد الورق الذي صدره البنك في خمس سنوات ثم عاد اليه ودفع قيمته ٧٧,٧٤٥,٠٠٠ ورقة بنك نوت تملأ ١٣,٤٠٠ علبة واذا وضعت هذه العلب يجازب بعضها بلغ طولها ميلين اثنين وثلاث ميل ولو وضعت هذه الاوراق نفسها فوق بعضها لكان ارتفاعها خمسة أميال وثلاث ميل ولو صفت الى جانب بعضها طرفا لطرف لتكوت منها شريط طوله ١٢,٤٥٥ ميل ولو حسبنا مسطحها لوجدناه يساوي مسطح حديقة الهايد بارك (وسلم ان سطحها ١٦٠ هيكار) وقد كانت قيمتها الاصلمية عبارة عن

١٨٧٥٠، ٦٢٦، ٦٠٠ جنيه انكليزي وثقلها ٩٠ طونفولاطة وثلاثا
طونفولاطة)

ولأذكر الآن شيئا عن البورصة وأعمالها ودار البورصة
والتلغراف والكرك ودار الضرب (ويبلغ عدد العملة التي تصنعها
في الاربعة وعشرين ساعة ٥٠٠.٠٠٠ جنيه انكليزي) وكيف
يتسنى لي التلجج بكلمتين الى برج لوندرة وما فيه من الاسلحة
الفاخرة والحلى المجوهرية أو المتحف البريطاني وقد طار صيته في
الاتفاق بكثرة ما فيه من الذخائر والاعلاق وتنوع النفائس
واختلاف المخلفات مما يجعله في مقدمة متاحف الدنيا حتى ان
غرفة المطالعة فيه لامثيل لها في العالم كله بل ان مجرد المرور
على ما فيه من المحفوظات يستغرق نحو الاسبوع بالتمام بل ان
برنامجاته وفهارسه هي عبارة عن مجلدات ضخام ويجبى به بعسده
غيره من المتاحف الكثرية المتنوعة ومعارض الصور والرسوم
والفنون والعلوم

وماذا عساني أقول الآن على نظام البلدية في هذه المدينة
الواسعة أو على ترتيب الشرطة الذين يزيد عددهم عن ١٤٩٠٠
رجل أو على محاكمها الكثرية العدد المتنوعة الاختصاصات أو
على مدارس الحقوق الاربعة أو على محلات البر والاحسان

ودور النقاها والجمعيات الخيرية المختصة لتربية أبناء الفقراء فان عددها يتجاوز الالف ومقدار المبالغ التي تنفقها بما فيها التبرعات والهبات (والنقود التي تجمع في الكائنس) تزيد عن سبعة ملايين من الجنيهات والمستشفيات فيها على أنواع فمنها ماهو عمومي ومنها ماهو مخصص لبعض الامراض مثل مداواة الطواعين والوقاية منها وعمل الصدر والربو والرمد وادواء العين وغير ذلك من الآفات والعاهات ومنها ماهو للجاذيب (وعدهم في بعضها ٥٠٠ ولاغرابه) ومنها ماهو للاطفال أو للنساء أو للولادة هذا بصرف النظر عن الاجزائانات العديدة التي توزع الادوية احتسابا لوجه الله وعدد الاسرة في هذه المستشفيات يزيد عن ٩٠٠٠ ويدخل بها في السنة أكثر من ٨٠٠,٠٠٠ مريض وهي توزع الادوية مجانا على أكثر من ١,٢٣٠,٠٠٠ نفس وفي بعضها مدارس للطب والتشريح أو الاقرباذين أو غير ذلك من فروع الطب وفيها كتبانات معتبرة ومناحف متنوعة ومعامل كيمائية وغرف للطبيعة و بساتين للنبات ومجاميع بائولوجية وغير ذلك وفيها هراب للايتام قد يزيد عددهم في بعضها عن ٤٦٠ وقد كان أحد الماهرين في صناعة الموسيقى يجيء فيها ويقرع أرغنا في غاية الاتقان أهدها له (وهو فه الى الآن) وكانت الخلائق تنهافت

على هذا المكان من كل فنج لسماع هذا المطرب الفريد وقد
تحصل من أجرة دخولهم مبلغ يزيد على ١٠٠.٠٠٠ جنيه خصصه
للربي ومن فيه من الايتام ولم يأخذ منه بارة واحدة

وفي لوندرة فضلا عن ذلك كثير من الاماكن الطيرية وجمعيات
البر ومساعدة العملة والسعي في نفع بني الانسان وفيها كثير من التسكيات
التي يجبر المتكفنون على الدخول فيها والاشتغال بما هم أهل له
وفوق ذلك ترى هناك كثيرا من المستشفيات المختلفة الانواع لاجل
الجنود البرية والبحرية الذين أصابتهم العاهات

وماذا أقول على المؤنة في مدينة يزيد عدد السكان فيها
عن الخمسة ملايين ونصف مليون وكلهم لا بداهم من الطعام فيها
أربع مرات تقريبا في كل يوم حتى ان ماتستهلكه في العام
الواحد يبلغ هذه المقادير

٨٠٠.٠٠٠ ثور

٤٠٠.٠٠٠ رأس من الضأن والعجول والخنازير

(وقد أثبت علماء الاحصاء ان متوسط ما يستهلكه

التفر الواحد من سكانها في اليوم الواحد يزيد عن

١٤٠ جراما من اللحم)

٩٠.٠٠٠.٠٠٠ من الطيور وحيوانات الصيد

(أما الأسماء مثل سمك المرجان المعروف في كتب العرب باسم طرستوج وعند اليونان طريفلا وعند عوام الأندلس المول. ثم السلباج المعروف بالمارماهيج وبالثون وبالاندليس وبشعبان البحر. ثم التين (واسمه كذلك في الكتب العربية) . ثم السردين واسمه عند العرب العرم. ثم محصولات البحر من الحيوانات الرخوة مثل الجندفلي والقرقله والاسترديا والمحار بأنواعه والسرطان الكبير وأبو جلمبو وأبوتكني والبضالينس وراغيت البحر وبلد، والحلزون والسرطان وقنفذ البحر المعروف عند أهل الاسكندرية الآن باسم رتسا ويسمى عندهم أيضا قنشد (ولاشك عندى أن هذه الالانطة محرفة عن كلمة قنفذ) وغير ذلك من الاصناف العديدة التي لا أعرف أسماءها فاتها تنال على المدينة بمآدير هائلة لا يتصورها العقل يشهد لذلك أن هناك الأفاوآ لاقا من الزوارق والقوارب لا حرفة لها سوى نقل هذه الحيوانات الرخوة القوقعية هي والروبيان المعروف عند الفرنسيات باسم هو مار (Homard) وقال ابن البيطار (ان المصريين يسمونه فرنس وان أهل الأندلس كانوا يسمونه قرون)

هيكنتولتر من اللبن	١٠٠٠٠٠٠٠
بيضة	٢٠٠٠٠٠٠٠
كيلوجرام من السمن والزبدة	١٠٠٠٠٠٠٠
كيلوجرام من الجبن	٢٠٠٠٠٠٠٠
طونولاطه من أصناف الخضراوات المهمة ومنها	٤٥٠٠٠
نبات الحرف فقط (وهو المعروف عند العرب أيضا	
بالرشاد وعند الفرنسيين بالكرسون Cresson)	
مامقداره من ثمانمائة الى تسعمائة طونولاطه	
طونولاطه من أنواع الفاكهة	٥٠٠٠٠

وغير ذلك وغير ذلك وغير ذلك *

أما السوائل التي يستهلكونها فلا تقل عن ذلك بل هي أيضا بنسبة هذه المقادير الهائلة فإنها تتجاوز ١٨٠ مليون لتر في الاربعه آلاف خبارة والسبعمائة ألف بيت خصوصي ويمكن تقدير المشروبات الروحية بنسبة عشر مليوناً من اللترات وإذا قارنا بين النبيذ وبين البيرة (البيرة) وجدناه شيئاً لا يذكر بجانبها إذ لا يشربه الا الاواسط والاعنياء ومع ذلك فكمية استهلاكه في العام الواحد لا تقل عن ٣١ مليوناً من اللترات أما الفحم الحجري فيجيء منه في كل عام كميات تزيد على ١١ مليون طونولاطه

وثلاثة أرباع هذه المقادير الجسيمة ترد عن طريق النهر والباقي في
السكة الحديدية

وأهم أسواقها (وهو سوق سبيثفلد) يشغل مسطحا قدره ٣٧
ألف متر وفيها سوق آخر (اسمه سوق الهائم) قد يسع في
آن واحد ٧٠٠٠ ثور و ٢٠٠٠ بعجل و ٣٥٠٠٠ شاة و ٥٠٠٠
خنزير وقد يكون في بعض الايام مخصصا لبيع الخيول وفيها سوق
آخر للسمنك والقواقع ليس الا وآخر للاطيار فقط وآخر للخضار
والاعمار والازهار دون ماعداها وآخر للخيل وحدها الى غير ذلك
عما يطول شرحه

أما التجارة والصناعة والمينا وأحواضها ومخازنها فهي عالم
كبير مستقل بنفسه ولا أعلم ماذا أقول عنها الآن بعد أن تحققت
أن مينائها هي أهم موانئ العالم وأكثرها محطا للسفن إذ أن
متوسط ما يرد عليها سنويا يبلغ ٧٠٠٠٠ سفينة مجموع جولتها
١٢٠٠٠٠٠٠ طونولا طسه وقيمة ما فيها من البضائع والارزاق
يزيد على مائة وعشرين مليونا من الجنيهات الانكليزية أما
الاحواض ومخازن التجارة فن أهم مناظر لوندرة وأبدعها تجعل
للمناظر (خصوصا اذا وقف على قنطرة لوندرة - لندن بريدج -)
فكرة في أهمية العاصمة الانكليزية وجسامتها واتساع نطاقها بما

مهما من المراكب المتراكبة والبضائع المراكمة والخلائق المتزاجمة ولايسمح لى المقام بتفصيل قليل عن حركتها الهائلة

وفي المدينة ثلاث شركات متعهدة باضاعتها بالغاز وقد قدره أهل المعرفة بمبلغ ٥٦٠ مليوناً من الامتار المكعبة وتستهلك للحصول عليه مليونى طونولاطه من الفحم الحجرى وغاز الاستصباح هــذا يجرى فى قنوات مجموع طولها ٤ مليون كيلومتر وتزيد النفقات السنوية عن ٣,٦٠٠,٠٠٠ جنيه مع أن المبالغ اللازمة لسقى المدينة بالمياه لاتصل الى نصف هذا المبلغ الجسيم وهناك شركات كثيرة تآلفت للاضائة بالنور الكهربائى وكان قبل هذه السنة قاصراً على منازل الافراد ومخازنهم ولكنه فى أول هذا العام صار استخدامه فى بعض الشوارع المهمة والمبادين الاصلية

ويجربى الكلام على النورالى الحديث على الترافقه كان رجال المطافى قبل سنة ١٨٢٣ تحت ادارة شركات خصوصية تجارية أو تابعين لبعض فروع الادارة البلدية وكانت نتيجة هذا الاقتراق وقوع أضرار بالغة لانهم فى أغلب الاحيان كانوا يتركون النار تفعل أفاعيلها وتلتهم المنازل التى لم تكن مؤمنة عندهم أو تابعة لهم ولكن هذه الشركات اجتمعت كلها فى تلك السنة واتحدت وامتزجت ببعضها فألفت شركة عمومية واحدة لمقاومة

الحرائق واعلم أن لعمالها مهارة لا يناظرهم فيها أحد في الكون
الاماعلمته عن رجال المطافئ في أمريكا ويستخدمون في مصطلحهم
١٨ سلكا تليفونيا و ٧٥ سلكا تليفونيا يجمع بينها وبين بعضها
٥٥ مكسبا اداريا فاذا شبت النار في بعض المواضع تيسر لهم أن
يستحضروا من الآلات والاجهزة كل ما يلزم في بضعة دقائق
وتصل هراكر رجال المطافئ بدواوين النظارات والمصالح العمومية
والمناحف والمعارض وغير ذلك من المباني الاميرية بواسطة ٣٨٥
مزولة استغاثة وعدد رجال المطافئ ٧٠٠ ولهم زى مخصوص
معروف وعندهم ٤٧ طلبة بخارية و ٩ طلبات بخارية عوامة
و ٢٢٤ سلم للاستنقاذ من مخالب الحريق وغير ذلك من الاجهزة
الكثيرة المتفرقة في كافة أنحاء المدينة وقد أطفئوا في سنة ١٨٩٠
حرائق بلغ عددها ٢٥٥٥ منها ١٥٣ ذات أهمية عظيمة ومات
في هذه الحرائق ٤٤ شخصا

وبعد الكلام على الناريجي بالطبع الكلام على الماء
فاعلم أن المياه اللازمة للشرب في لوندرة ليست من نهر التيز
بل قد تأسست شركات عديدة بليلها من غدران ونهيرات أخرى
في قنوات هائلة مرفوعة على عمدان عظيمة وقباب جسيمة (مثل
الدوامد المعروفة بالعمون التي كانت تستقر بها قلعة الحمل عصر

في الزمان السابق ولا تزال آثارها باقية الى الآن) ثم تنصب المياه في أحواض واسعة ثم ترشح من قاعها بمرورها على أحجار هشة تعلوها طبقات من الرمل الغليظ والحصى الدقيق وتبلغ كمية المياه الواردة الى المدينة في كل يوم بالتعديل المتوسط ٦٧١,٠٠٠,٠٠٠ لتر منها ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ يستعملها الاهالي في قضاء حوائجهم ولوازم منازلهم فيكون متوسط ما يستهلكه الفرد الواحد من سكان لوندرة ١١٧ لتر من الماء في كل يوم

وأستطرد بهذه المناسبة الى الاشارة الى مصارف لوندرة وبالوحداتها فقد كانت كلها تنصب في أول الامر في نهر التيمز حتى جعلته مقرا للاقذار ومنبعا للجراثيم القتالة وأصلا في تسميم الهواء وسببا في ازدياد الامراض وإتلاف صحة السكان وقتل الموت بهم فتكاد ريعا فان متوسط المواد العفنية التي كانت تنساق اليه في كل يوم يبلغ ٤٠٠,٠٠٠ متر مكعب وفي سنة ١٨٥٥ اجتهد مجلس شوري العاصمة (البلدية) بدفع هذه المضار ودرس مشروعا للمصارف يصرف عن المدينة هذه المخاوف ويلقى بهذه القاذورات الى ماتحت لوندرة بستة وعشرين ميلا في النهر الى البحر بواسطة طلبات بخارية قوتها ١٠٠٠ حصان بخاري واصلت هذه العملية لاتحصل الا في وقت الجزر أي عند نزول مياه النهر في

الجسر فيأخذ في التيار هذه القاذورات وهذه العفونات بعيدا عن
المدينة وينذهب بأضرارها أدراج الرياح وتبلغ كمية المواد البرازية
الملقاة بهذه الكيفية في النهر ٣٢٣,٧٣٤ مترا مكعب في
كل يوم

وليس هذا كله شيا في جانب ما يمكن أن يقال على لوندرة
لكن لا بد من الانتقال الى ذكر طرف وجيز على بعض ضواحيها
مثل رشمند فانها مدينة صغيرة تختال في حلال الجمال واقعة على
الضفة اليمنى لنهر التيمز وعلى مصدر تلال بهيجة فيها غابات
ومنازل خلوية تبتهج العين برؤيتها وفيها قنطرة بديعة وآبار قصر
قديم وهي مشهورة بصناعة فطير يجبن يسمونه (بنات الشرف) لان
وصائف مليكة الانكليز هن الاثري اخترعنه وأشهر ما في هذه
المدينة هو روضها الاريض الكائن على هضبة فسيحة وفي وسطه
برك كثيرة تبدو منها للناظر مشاهد تروق التواظر ويخرج القوم
الى هذا الروض للرياضة في فصل الصيف واستنشاق النسيم
الصحيح العليل وخلاصة القول ان وجودها على مقربة من لوندرة
نعمة كبرى للنازلين بها والمقيمين فيها بل برهان جديد على أن
الانكليز ينتقلون من الطرف الى الطرف ولا يعرفون الوسط
وأما وندسور فهي مدينة تبعد عن لوندرة ٢٢ ميلا تقريبا

وعدد سكانها ١٢,٢٧٨ وأهم ما فيها هو قصر الملكة المعروف باسمها وهو عبارة عن قاعة حصينة ولا يشبه قصور الملوك الأماجوا من بعض الزخرفة والرسوم ولكنه في نظري لا يضاهي أقل قصر من القصور الملوكية التي شاهدتها بإيطاليا بل إن أنعم مدخنة (وجاق) للاصطلاح فيه هي أقل من أقل مدخنة في قصور الجزيرة والجزيرة ونحوهما مع عدم لزومها في بلادنا شدة احتياجهم لها في انجلترا وقد زرت الاصطبلات والعريجات الملوكية ولكنني أستغرب كيف ان نفقاتها بلغت ٧٠,٠٠٠ جنيه انكليزي نعم انهم لم يطلعونا على عربات التشريفة الخاصة بالملكة ولكن عربات معينها وحاشيتها يمكنني أن أقول انها أقل من نظائرها في المعية الخديوية السنية وكذلك الخيول فانها وان كانت من الأصائل البالغة في القوة والجمال ولكنني (وان لم أكن من أهل هذا الفن) أقدر أن أقول انها أقل من الجياد الاصائل التي عند سعادة علي باشا شريف وأما بناء الاصطبلات نفسه فأقول ولا أخشى تكديبا انه أقل زخرفة واتقاناً من الاصطبل الجميل الجليل الذي ابتناه حضرة عزت بك القاضي بالمحكمة المختلطة في سرايه التي بجانب السراي المنيرة وان كان هذا صغيرا جدا في جانب جسامته ذلك

أما الجدائق التي في القصر وحواليه فهي من أبهى ما يراه
الانسان وأجل منها تلك الغابة البعيدة عن مدينة وندسور قليلا
المعروفة باسم (فرجينيا ووتر) والذي يزيد في بهجتها أنها كانت
في أول الامر عبارة عن مستنقعات تبعث بالعفونة الى الهواء
ويجراثيم الامراض الى ماحولها من الجهات خولوها ونظموها
ودبروا تصريف الماء منها واليها حتى أصبحت جنة تسر الناظرين
وسبحان من يغير ولا يتغير تبارك الله رب العالمين

وقبل أن أختتم هذه الرسالة أرى من الواجب عليّ ذكر
معرض أقالمه بعض الافراد في مدينة لوندرة وسماه (نياجارا هول)
ولكنه يفرج الزائرين فيه الآن على مدينة منف عاصمة الفراغتة
أيام مجدها وعظمتها ولا أقدر أن أوفى صانع الرسم حقه من
المدح على تصوير القصور والاشجار والاصنام والمعابد والنيل
والاهرام وأبي الهول والاسرائيليين حين خروجهم من مصر وغير
ذلك فانه أبدع كل الابداع حتى ان الرائي يتخيلها مجسمة للعيان
بعيدة عن بعضها كما في الطبيعة بأحسن شكل وأكل أساليب وكل
ذلك على قطعة كبيرة من القماش تحيط بالمكان الذي يقف فيه
المتفرج مجببا بهذه الدقة في العمل وهذا التناهي في الاتقان
وسأشرح الكلام عليها في الرحلة ان شاء الله فقد رحبني صاحب

المكان ترحيبا خصوصا لكوني من المصريين ولكونه من اعضاء المؤتمر وأتخذي بجميع الاستعلامات اللازمة وأطعنني على جميع التفاعيل التي لا يطلع عليها الجمهور بما استوجب جزيل شكراني وجيل امتناني

وأغرب ما رأيت في ملحقات هذا المكان رجل من اخواننا أبناء الشرق واسمه المعلم الياس ليان حلو قد برع في أعمال النقش على الخشب بالطرق الشرقية القديمة التي كادت تندثر في هذا الزمان وقد رأيت له من الاعمال ما أدهشني اتقانها ونظامها وتناسقها مما جعل أهل الفن من الاور وباوين الذين يقدرون الى هذا المكان يعترفون له بالبراعة والاقتدار وقال لي انه يعد جميع هذه المصنوعات لمعرض أميركا القادم تشريفا للشرق وبنيه ورأيت فيه من العواطف القومية والاحساسات الوطنية ما زاد في إعجابي به وفوق ذلك فهو خبير بلعب السيف والنقر على آلات الطرب وقد تأثرت حينما رأيت محافظا على محبة ملته ودولته وعادات أهله وبلدته ووددت لو أن أهل الشرق يلتفتون لصنائعهم ويشجعون القائمين بها لكي لا تزول وتصبح أثرا بعد عين خصوصا لما رأيت أمم الغرب يتقانون بصناعاتهم الخاصة بهم وبراءتهم فيها على من عداهم وحكوماتهم تساعدهم على الارتقاء والتفنن فيها حتى يفوقوا

أمثالهم فتكتسب بذلك أوطانهم حسا ومعنى مكاسب لا تقدر
ووددت أيضا لو كانت ظروف الاحوال تساعدنى على مساعدة
هذا الرجل وأمثاله من أهل بلادنا حتى يكون لها بهم وبأمثالهم
شأن رفيع في سوق الحضارة ومعرض العمران الذى سيقوم في
شيكاغو وعسى أن يكون لهذا النداء صدى في الاوطان المساوراء
من المنافع التى لا تنكر والله يهدى من كان له قلب أو ألقى السمع
وهو شهيد.

الرسالة الرابعة عشرة

السفر من إنجلترا إلى فرنسا

عن طريق دوغرو وكالة

وذكرا ميان

مبارحة لوندرة لقد احترت والله حينما اخترت الانتقال من الكلام على لوندرة بعد الاطالة في الكتابة عليها والتوسع في القول عنها بمقدار ما وصلت اليه يدي في الرسالتين انما صلتين بها فاني لا ازال أجد للشرح مجالا يستغرق رسائل ضافية الذبول بل مجلدات تملأ المكاتب ونشحن الاذهان بالغرائب وتذكر من يتذكر بما يمكن الانسان أن يصل اليه بالاجتهاد بمفرده أو مع استعانته ببناء جنسه وتجلو على أبصار أولى البصائر بعض ما أودعته القدرة الالهية في العوالم الطبيعية من القوى التي يتوصل العقل لاستكناه خباياها واستكشاف أرارها ولكني أرى بالرغم عنى وجوب الانتقال من هذا الموضوع مع ما أتيت به فيه من التقصير مضافا الى ما فى ذهني من القصور

على أنى لأرى لي مندوحة في إغفال حادثة خطيرة وقعت بالمدينة قبيل مبارحتي لها فلا بد لي من ذكرها في هذا المقام ولولنا أييد ماقلته عن هذه الامة من ميلها للاطراف وغرامها بالتناقض في كل

لتعصب
لنساءهل
الطلعين

الاحوال الادبية بل المادية فقد سبق لى أثناء الكلام على
دياناتهم أنهم يحترمون جميع المذاهب والعقائد ولكنهم يعضون
المذهب الكاثوليكي بغضا ليس له أول يعرف ولا آخر يوصف وانهم
يكروهون البابا كراهة التحريم فاسمع الآن ما حصل أثناء انتخاب
الوردامين المدينة

اجتمع رؤساء الطوائف وأكابر التجار لانتخاب شيخ لهم
فكان المختار هو المستر ستوارت كيل فقام البروتستانت واعترضوا
وصضبوا وبلجوا بالسخط وهاجوا وماجوا وكتبوا استرحامات كثيرة
وقع عليها الالوف والالوف من أهالى لوندرة يسألون فيها الملكة
أن لاتوافق على هذا التعيين وأن تصدر أمرها بإعادة الانتخاب
فانعقدت جمعية لفصل الخلاف فقال قائل منهم ما نالت لندرة
حريتها وما تمتعت بامتيازاتها الا بعد أن أهرق البروتستانت
دماءهم في هذا السبيل فن العار على العاصمة أن يكون شيخ
مشايخها منتقيا الى الكرسي البابوي وعضده في هذا الرأي كثيرون
من المجمعين ولكن المعتدلين فازوا بالغلبة بعد أن طالت
المشاطات وتعارضت المشاحنات فانهم قالوا قد امتازت انجلترا
بحب الحرية في العمل وان لوندرة مدينة الحرية الدينية وهذه
المشاجرات لاتليق بامثالهم فقد سبق أن كان شيخ مشايخ لوندرة

اسرائيليا فكيف يجوز ذلك ولا يصح في شرع المنصفين أن يكون
كاثوليكا فالزمتهم الحجة وتقررت الرياسة للرجل ثم اذا نظرنا الى
المختار نفسه نراه أشد تعصبا من خصومه فقد قرر أنه لا يعترف
الابالبايا ثم بالملكية وهي كلمة لم يجسر على النفاذ بها من قبله
انسان ولذلك رفض الحضور الى كثير من الاجتماعات الدينية
جرت العادة بان يحضرها اللورد أمين المدينة منذ القديم وقد أباي
أن يذهب بموجب وظيفته الرسمية الى الكنيسة الفلانية والمعبد
القسلافي وأصر في عدم الذهاب بنفسه وفي ارسال مندوب من
قبله فإنه اشترط عليهم أن لا يكون له معاون ينوب عنه في هذه
الامور الرسمية فهلا ترى من أغرب الغرائب شدة تمسك أولئك
وعدم تنازل هذا الى هذه الدرجة حتى كان كل من الفريقين
على طرفي نقيض بحيث يكاد الانسان يثبت الحق للبروتستانت
في اعتراضهم على نصب شنج يابي أن يسايرهم الى هذا الحد في
شعائرهم الدينية ولوحمة للعادات القديمة والاصول المرعية

ولما كنت في باريس واقتنى الجرائد في ١٠ نوفمبر منبهة بأنه
في اليوم الذي قبله تم الاحتفال بتثبيت اللورد أمين المدينة في
هذه السنة وانكون الرجل من الكاثوليكين وهذه أول مرة
انتخب فيها كاثوليكي للقيام بهذه الوظيفة المهمة عقب الانشقاق

نات أمين
بنة لوندرة

الذي جعل للذهب البروتستانتى السيطرة فى إنجلترا كان للاحتفال
أهمية خصوصية وقد بلغت أكلافه ٢٥٠٠٠ فرنك وهذا
الرجل (ستوارت كيل) من الثروة والغنى والعلم بمكان ولكنه
مهما كان اراده لا يمكنه أن يقوم بالمصاريف الباهظة التى
يستوجبها مركزه اذالم تساعد بلان الطوائف الحرفية والصناعية
فى لوندرة والدليل على ذلك أن سابقه فى السنة الماضية صرف
٣٠٠٠٠ فرنك فى أمور متنوعة وقد بلغت ولائم الغداء والعشاء
التي أقامها احتفالاً باللجان الرئيسية لمدينة لوندرة ١٠٠٠٠٠
فرنك وبلغت نفقات الوليمة التي أعدها احياء اعيد الملكة
٣٧٥٠٠٠ فرنك وأما المأدبة التي أقامها ابتهاجاً بنجاة البرنس
دوغال من المرض فقد بلغت مبلغاً يفوق حساب الخاسين فانها
أوجبت عليه صرف ٦٧٥٠٠٠ فرنك مع ان مرتب الوظيفة فى
السنة هو ١٠٠٠٠ جنيه انكليزى ليس الا

ولا بأس من ذكر بعض أرقام فى هذا المقام تدل على
مصاريف الانتخابات ما أنفقه القوم فى سنة ١٨٩٢ لاجل حصولهم على الانتخاب
وانتظامهم فى سلك أعضاء البرلمان فقد كان عدد المترشحين له
فى لوندرة وحدها ١٣٠٧ من الاشخاص وبلغ ما أنفقوه من
المال لاستمالة العامة ولنوال الاصوات بتقديم المسائل والمشارب

وطبع الآراء والافكار ونحو ذلك مبلغ ٩٥٨٥٢٢ جنيتها
انكليزيا ولم ينتخب منهم الا ٦٧٠ فقط وقد بلغ ما أنفقه واحد
منهم ٩٠٠ جنيهه انكليزي أوصلته الى نوال ١٤٦١ صوتا
فيكون ثمن الصوت الواحد عليه ١٢ شلنا (٦٠ قرشا صاعا)
وبلغت نفقة الحصول على الصوت الواحد في بعض الجهات
٣٢٣ فرنكا (نحو ١٢٣٥ قرشا صاعا) ومع ذلك لم يفز بالانتخاب
ذلك الذي أنفق كل هذا المال . أما مشاهير القوم فلم ينتقوا
شيأ زائدا عن المعتاد بالنسبة لغيرهم فان غلادستون أنفق ٩٤٥
جنيها والسيروليم هاروكور ٤٢٥٧٥ فرنكا - وهذا كله
خلاف النفقات اللازمة لتمهيد الانتخاب فتأمل وارجع بنا الى
الموضوع

القيام من لوندرة قت من لوندرة في مساء ١١ اكتوبر وركبت القطار
بالليل كما جرت عادتي للاستكثار من الوقت وعدم ضياع الفرص
هباء منشورا فوصلت مدينة دوفر في منتصف الليل وكان في
امكاني ركوب متن البخار والتوجه نوا الى فرنسا ولكنني
آثرت رؤية دوفر وتمضية نصف نهار بها كي أودع فيها الجبلة
بعد أن أشاهد ما خلفه الرومان في هذه المدينة الساحلية من
الآثار وما أحدثه الانكليز من موجبات التعصين والدفاع

فَعَوَّلَتْ عَلَى النُّزُولِ بِهَا وَمَا انْتَرَتْ نَغْرَ الصَّبَاحِ حَتَّى تَجُولَتْ فِي
الْمَدِينَةِ وَطَقَّتْ انْحَاءَهَا مَعَ دَلِيلٍ مِنْ أَهْلِهَا وَالْبَيْكُ مَا وَقَفَتْ عَلَيْهِ
فِيهَا بِالْأَجْمَالِ

هذه المدينة لا يزيد عدد سكانها عن ٣٠٢٧٠ من النفوس ^{عمومات}
وهي ذات موقع منجذب في نهايته واد رائق وتعلوها أبحراف عالية ^{على دوفر}
من الصخور تحيط بها من كل الجهات وكان أول شيء عنت به
بعد التجوال في طرفاتها وميادينها أني صعدت على جبل عال فوقه
قلعة حصينة ترتفع عن مستوى سطح البحر بثلاثة وتسعين مترا
ورأيت فيها كثيرا من المباني القديمة الرومانية متمزجة بصروح
أقامها الانكاز لتكامل وسائل الدفاع في هذه النقطة الحربية
المهمة وأقدم جزء في هذه القلعة الممتدة بغير انتظام على مسافة
١٤ هيكتارا هو البرج الروماني وارتفاعه ١٢ مترا وشكلا مثلاني
من الخارج مربع من الداخل وليس فيه سلالم تسمح بالصعود
الى قمته وقد وضعوا فيه ناقوس الكنيسة العسكرية التي الى
شرقيه وربما كان الرومان يستخدمونه في ارسال النور الى
المراكب القادمة بالليل وفي الخبايا معها برقيات الاشارات حينما
يكون قدومها بالناهار أما الكنيسة فان أساسها يدل على أنها من
صنع السكسونيين (قدماء الانجليز) وهي من أقدم العمارات

الدينية التي في بلاد إنجلترا وأما المباني النورماندية فهي كثيرة جدا
وأهمها صرح يرى على مسافة بعيدة في البحر وقد كانت الشمس
طالعة فبسرلى وأنا فوقه رؤية شطوط فرنسا بإرشاد الدليل قبل
منتهى الأفق بقليل وقد توجهت الى ثكنة أى قشلاق هناك ورأيت
العساكر في حالة التعلم والقرن على الحركات ولم أستكف من زيارة
المطبخ بل اننى سمعت لفظاته وانقائه وجودة المأكولات المخصصة
للعساكر الانفار مما يغبطهم أو يحسداهم عليه آلاف وآلاف من
أهل إنجلترا الذين يموتون جوعا في كل يوم ثم زرت خزنة السلاح
وما فيها من المخلفات الحربية والغنائم التي أخذها الإنجليز من
أعدائهم في ساحات الوغى البرية والبحرية ورأيت فيما بين المدافع
الكبيرة مدفعا طويلا أرسلته إحدى ملكات هولاندة (الفلنك)
هدية لانكلترا وعليه أشعار منظومة على لسان طاله بمعنى انه يرسل
القتل الى الأعداء فيردهم على أعقابهم خاسرين ويبعث بمقدوفاته
الى القلاع والحصون فينسفها عن آخرها ثم نزلت من طوابي
هذه الروابي الى أهم ميدان في المدينة فرأيت موسيقى تصدح في
ضحى النهار وعلمت أن مجلس البلدية هو القائم بنفسقاتها لايجاد
الطرب والانتسراح في المدينة على الدوام

ولكني لم يسمح لي وقتي بتشريف آذاني الشرقية بنجمتها حال المغارق
الغربية لان القطار حضر من لوندرة وفيه جماعة المسافرين الى ^{وطنه والقادم}
قارة أوروبا فلحقت بهم واتبع خطواتهم حتى وصلنا السفينة ^{عليه ومن لا يزال} بميدانته
وتبوأ القوم مقعدهم منها وأخذت أطوف جوانبها وأعلو ظهرها
لرؤية المناظر وتعهدها ماحوالى من المعاهد وما هو الا ان أبحرت
حتى رأيت أغلب الحاضرين قد انقسموا قسمين بقى بعضهم في
مؤخرها وذهب الآخرون الى مقدمها وكان الفريق الأول
يطيل النظر الى المدينة وأطرافها وأبراجها والفريق الثاني
يحدد النظر والنظارات الى الامام والى أقاصى الأفق وبقيت
أطوف ذات اليمين وذات اليسار وأدفع بخطواتى الى الامام ثم
أكر راجعا الى الخلف الى أن أدركت بعد سماع تلاغى الفريقين
أن أهل الخلف من أبناء الجزيرة يحيمون بلادهم ويتزودون منها
بنظرة أخيرة وأن أهل الامام اشتد بهم الهيام للتجمل برؤية
بقاعهم ولكن الضباب يحجبه السحاب انتشر بأقرب من لمح البصر
فكان يحول دون ادراكهم الوطر غير انه لم يثن عزيمتهم عن التكرار
في اطالة الانظار وانشاد الاغاني والاشعار والترنح لقرب الوصول من
الديار ثم استمر الطرفان على هذا الشأن حتى انتصف الطريق فقيدت
صخور فرنسا وشطوطها كأنها أشباح تتظاهر في ظلال الخيال

وحينئذ أخذ الانكليز يقتربون من أواخر السفينة بقدر ما أمكنهم
مستعينين بالآلات التقريب كأنهم يسألون تلك الجزيرة بل الام
الحنونة أن تبقى محافظة عليهم مراعية لهم في غربتهم ناشرة لواء
حمايتهم عليهم أينما حلوا وأينما ساروا وأما أنا فكنت في هذه
الحال أرسل أشعة القلب وانظار الفؤاد الى ديار ألفتها وربوع
نبتتها وأقوام ترعرعت بينهم قد شبوا على المكرمات واستحقوا
من نيل الكالات فخيبتهم على البعاد تحية ممزوجة بخالض
الوداد والاخلاص وكلفت التسميم بالتسليم على خير أمة أخرجت
للناس

منظر المطر في البحر ولما اقتربنا من شطوط فرنسا رأيت في الافق شياً يشبه
الاجبال والاسلاك قد وصلت بين الارض والسماء وبعد تحقيق
النظر علمت انه المطر فبقيت أتأمل فيه وأسبح مرسله ومنشيه
حتى ألفت السفينة مرساها وقد كان باسم الله مجراها ومرساها
فان البحر كان يترابنا ولم يمسننا بأذى والحمد لله

دخول فرنسا ولما نزلت بكاله فضلت التعرّيج بأميان (Amiens) على
التوجه الى باريس لكي أزور كنيسها الجامعة التي طارصيتها في
الآفاق وهنالك وجه آخر جلاني على النزول بها فاني أردت أن
أزور هذه المدينة التي كان لاحد أبنائها يد عظيمة في أكبر المصائب

التي دمرت الانسانية وخربت الديار وعتت الآثار فان رجلا
منها كان سببا في ايقاع أشد فتنة وقعت واستدامت مدة طويلة
بين الغرب والشرق بل بين النصرانية والاسلام وذلك الرجل
هو المعروف ببطرس التاسك أو الراهب (Pierre l'Ermitte)
وأصل اسمه كوكوبتر وأصله من هذه المدينة فخرج منها طالبا
زيارة بيت المقدس فكانت هذه الزيارة سببا في حمله أهل
أوروبا على حمل السلاح ومقاتلة المسلمين بكل ما استطاعوا
فهلكت ملايين منهم في نفس بلادهم وفي أرض آسيا الصغرى
والديار المصرية ووقع في هذه الحروب الصليبية من الوفائع
ما نتشعر له الأبدان وتدوب من هوله الأباكاد وسبب ذلك كله رجل
واحد أخذ في تهيج النصارى وزعمائهم وجعل يغريهم على
الايقاع بالمشركين واهلاكهم حتى كان ما كان من الحروب
الصليبية الشنيعة التي اتركنا تفاصيلها للتؤرخين وأرجع لموضوع
الكلام

أمضيت الليلة بأميان ولما جاءت كآئب النور كنت في طلبها
وطفت المدينة ومتاحفها ومكاتبها وآثارها مما لأجد مندوحة
عن الإشارة اليه بالإيجاز في هذه الرسالة كما سيأتى

عموميات على
أسيان

هذه المدينة متقدمة في العهد بحيث لا يتيسر لاهل التاريخ تعيين الوقت الذي ظهرت فيه ولا معرفة الذين وضعوا قواعدها ورفعوا معالمها ولها في تاريخ فرنسا الحربى نخر أئيل وذو كرجيل وقد توجه أهلها في الزمان العتيق لمحاربة انطيوخوس ملك الشام ورجعوا حاملين ألوية التمدن لما اكتسبوه في آسيا من العرفان وعدد سكانها الآن ٨٣٦٤٩ نفسا وفيها جمعية للفنون الادبية وبستان للتجارب ومدرسة زراعية علمية وفيها ادارة تلتقط الاطفال والايام والمعتمهين الفقراء وتقوم بلوازمهم وفيها برج قديم مظلم اسمه بفروا قد التهمته النيران في كثير من الاحيان وهو جيس للبلدية وفيه ربيثة يقيم به على الدوام للانذار بما يقع في المدينة من الحرائق فاذا رأى آثار النار في احدى الدياردق جرسا زنته ١١٠٠٠ كيلوجرام فيبادر رجال المطافى لانقاذ أنفاسها ونلاقي اتلافها وهم يستخدمون هذا الجرس أيضا في المواسم والاحتفالات وفيه ساعة كبيرة جدا لتعيين الوقت بصفة رسمية وقد صعدت الى قته ولكن ظلمته الداخلية أحدثت في انزعاجا لا يمكن أن أصفه الآن مع ان شكله من الخارج أئيق ومنظر المدينة من أعلاه رشيق فله هذا البرج قد جمع بين الانذار بالشروع والتبشير بالسرور وجوفه مستودع للظلام وجسمه محفوف بالانوار

قظاهرة فيه الزجة وباطنه من قبله العذاب أو كأنه من أعمال
الانكليز لأستجماعه بين الضدين

وأما المكتبة العمومية المعروفة بمكتبة الخط (بضم الخاء) فإن
أهميتها تزيد عن حاجات المدينة إذ فيها ٥٠٠ كتاب بخط اليد
وأكثر من ٨٠٠٠٠ مجلد مطبوع وما يستحق الذكر فيها أن
أرملة الكونت روليسكا كير (وهو من أبناء المدينة) تبرعت للمكتبة
بجميع الكتب التي خلفها زوجها (وقدرها ١٥٠٠٠ مجلد)
مع ما يتبعها من الدوايب والادراج والتحف القديمة والصور الثمينة
وأغلبها له علاقة بالرموز النصرانية والمخلفات الدينية العتيقة
والقسم المهم من هذه الكتب هو عبارة عن مجموعة للسياحات في
الأرض المقدسة وفي الكنجانة تمثيل كثيرة لأهم رجال المدينة
الذين خدموها وأخص بالذكر منهم عمال الموسيقي بوفيلمي وسأتكلم
عليه بعد قليل ومن أعجب ما رأيته في الحديقة العمومية بهذه
المدينة جذع شجرة نخرة عليها بهض أغصان أضرة وفيها تجاويف
كما يشاهد في الأشجار العتيقة التي نزل بها البلي وما زالت فيها قوة
الحياة ولكن هذا الجذع وهذه الأغصان ليست إلا من الصاج
والاسمنت اصطنعها بعض المتفنين بناء على اختبار جمعات له
المدينة مكافأة عينتها ومن ذلك أني رأيت في دار بعض الأفراد تمثالاً

تخيما من المرمر الناصع يمثل وجوه المدينة وعظماها الذين
فاقوا غيرهم في فنون الرسم والعمارة والتصوير اصططنعه ذلك
الرجل على نفقته بقصد وضعه في الميدان العام وليكن المجلس
البلدى رأى من المحذورات ما يئنه عن قبول هذه الهدية النفيسة
فرضها الرجل في داره بحيث يراها المارة

وقد رأيت فيها ملعبا للخيل والحيوانات المستأنسة (سيرك)
وكله مبنى بالآجر ولكنه مكسو بطبقات من الايمنت بحيث تمثل
للناظر أنه مشيد كله بأحجار التحت والدستور والرخام وهو من
الاهوية بمكان عظيم ينطق بما لمهندسيه من المهارة والجرأة
والاقدام فانهم نظموه بحيث يمكن بسهولة وتبينة تحويله الى قاعة
فسحة مثل القاعات التي في قهاوى الملاهى والمغاني ونسح ٣٥٠٠
متفرج وأما زخرفة الجدران فحدث عنها ولا حرج وأما تراكيب
الحديد المستند عليها السقف من غير ارتكاز على الارض في قاعة
بهذا الاتساع فانها تدهش الناظر بل تخيفه وتلزمه الاقرار بإبداع
الصانع وهى مرتبة بحيث يمكن للجهمور الخروج منها في برهة
قصيرة اذا وقع اضطراب أو حدث طارئ وهى تضاء بالليل بالنور
الكهربائى ترسله اليها آلات موضوعة تحت الارض في غاية
النظام والاحكام

ودخلت في ملعب آخر أقامه بعض الافراد لعرض الحيوانات
المفتوسة وتسخيرها في الالعب امام الجمهور وانما أردت بهذه
الاشارة تبيينه الأذهان الى صاحب هذا الملعب فاني سأشرح
الكلام عليه في الرحلة وأبين ماناله بالجد من المجد حتى صار شيئاً
مذكوراً ونال الرعاية من الملوك والاهراء بعد أن كان فقيراً معدماً
ويتيماً مهملاً

وقد استخدمت السكة الحديدية بعض الخنادق التي كانت
حول المدينة لسير قسم من طريق القطارات فيها والبعض الآخر
نظموه سكة ودروبا سلطانية كما في باريس وأغلب مدائن
فرنسا

وتدور تجارة المدينة وصناعتها على الاقشة من جميع الاشكال
والانواع والقطيفة الخاصة باللباس وبالأناث وغير ذلك وفيها مغازل
للدكان يشتغل فيها نحو ٣٠٠٠ من العمال وأمامغازل الصوف
فيشتغل فيها ١٢٠٠ عامل وفيها غير ذلك من أنواع التجارة
وأصناف الصناعة مما لا حاجة لذكره

وفيها أماكن لتعليم الالمانية والانكليزية للرجال والنساء مجاناً التعليم بالميانه
في ساعات معينة وأيضاً لتعليم الميكانيكا التطبيقية ورسم صور
الآلات وقانون التجارة وفن التشريع الصناعي وفن امساله الدفاتر

في الصنائع والجغرافيا الصناعية والنسيج بالنظريات والنسيج العملي
وتطبيق الكيمياء على الصباغة وفن الصباغة ومعالجة الاصباغ
والموسيقى وفن تفصيل القطيفة وغير ذلك مثل الرسم الابتدائي
والتصوير بالجلبس ونقش الاحجار والرسم التقليدي والتشريح وتاريخ
الفنون والرسم العملي والرياضيات وفن الرسم (لأجل البنات) الخ
وليس على الطالب الا أن يشعر كاتب أسرار أمين المدينة لنوال تذكرة
يكون دخوله بمقتضاها في الاوقات المعينة - وفي المدينة مدارس
منتظمة للعلمين والمدرسين (بدرجاتها الثلاث) وللفنون الصناعية
والحرفية وفيها ١٦ مدرسة ابتدائية للصبيان و ١٧ للبنات
و ١١ مدرسة للامهات ومدرسة لتعليم الصنائع الخاصة بالحديد
والاخشاب وأخرى للطب والصيدلية وأخرى للموسيقى وأخرى
للفنون المنزلية الخ

مهميات على
أميان
وفي اميان كثير من التكايا المخصصة للطاعنين في السن من
الذكور والاناث والايام والاطفال الذين يتركهم أهلهم بعد
الولادة وللصابين بالادواء العقيمة العضالة وللعديين من الجنسين
وكفيفي البصر أو المصابين بأمراض في عيونهم وغير ذلك
وفيها بستان للنبات يحتوي على قاعات للتاريخ الطبيعي

وعنابر لتربية نباتات البلاد الحارة وتعطى فيه دروس عمومية في علم النبات

وفي المدينة ٥ جرائد يومية و ٧ أسبوعية منها واحدة نصف أسبوعية وواحدة دينية وواحدة زراعية وفيها غير ذلك من المنشورات الدورية شئ كثير وفيها ثلاثة متاحف أحدها عام للفنون والصنائع والثاني خاص بالاطيار والثالث للتاريخ الطبيعي وسأتكلم عليهما في الرحلة ان شاء الله
وفي المدينة خسون قنطرة تصل أطرافها ببعضها لان نهر السوم يشقها من أولها لآخرها وأهمها سبعة

ومن أهم ما ينبغي ذكره ورؤيته في هذه المدينة دار المجاذيب ^{تسكية} _{المجاذيب} وتسكية العميان فان المسيو بوفيللي المذكور أوصى عند موته ^{والعميان} بمبلغ ٥٠٠٠٠ فرنك لتشييد البيمارستان وبمثله لانشاء تسكية للعميان يكون فيها أقسام للتزوجين وأخرى للعزاب والارامل من الجنسين ومدرسة للبنات وأخرى للصبيان وقد زرت تسكية العميان بنوع خصوصي لانتشار الرمد في بلادنا وتفقدت كل ماتهما من الترتيب والنظام بأرشاد حضرة ناظرها فانه هس للقاء ورحب بي وقدم لي كل ما طلبته منه من البيانات ولكن لايسمح لي المقام بسردها الآن فأدخرها الى ما بعد وأتكلم على الكنيسة الجامعة وبها تكون خاتمة رسالتي هذه

الكنيسة
الجامعة باميان

أول من أدخل الديانة النصرانية الى هذه المدينة رجل اسمه القديس فيرمان في سنة ٣٠١ ثم حكم عليه بضرب عنقه في سنة ٣٠٣ في قصر قديم من بناء الرومان وبعد ذلك دفنت جثته خارج المدينة وهو أول أساقفة أميان ثم توالت الايام وتنامى الناس خبر ذلك الذى جاء مبشرا بالانجيل حتى ظهرت كرامات على ما روي به القوم وتتناقله الافواه فاستدل بها الاسقف التاسع واسمه القديس سوق على قبر القديس فيرمان ولذلك تبرع أهل أميان والمدن المجاورة لها بهدايا كثيرة وتمحف نفيسة لبناء كنيسة جامعة من الخشب داخل المدينة باسم القديس فيرمان فجاء الترمانيون (ويعرفون عند عرب الاندلس باسم المجوس) في سنة ٨٨١ وأحرقوها فأعادها أهلها ثم التهمتها النيران واستمر الامر على هذا الحال من تعمیر وتدمير حتى كانت سنة ١٢١٨ فاحترقت عن آخرها ولم يبق لها أثر في الوجود فلم تض ستنان حتى شرع القوم في وضع الحجر الاول من الكنيسة الحالية وفي سنة ١٢٥٨ حصل حريق أتلف بعض أجزائها ووقعت الصاعقة في سنة ١٥٢٧ على ناقوسها فحطمته تحطيمًا ولكن أهلها رموا ذلك وأصلحوا ما أفسد الدهر ومسطح الارض التي تشغلها الآن عبارة عن ٨٠٠٠ متروسمها يرتفع عن أعلى

نقطة من سطحها ٤٤ مترا ونصف متر وفوقه صليب من الحديد ارتفاعه تسعة أمتار وفيها من الداخل ١٢٦ سارية تنكئ عليها قبابها وعمودها وأما شبائك الزجاج ففيها تصاوير وألوان تدعش الانسان وكذلك الارغن والوردات الزجاجية الهائلة التي تمثل الفصول الاربعة وفيها كثير من قبور المشاهير وعمائل القديسين وأما منبر الوعظ والخوروس فهما أعجوبة من أعاجيب الصناعة بما فيها من التنين في النقش على الخشب فانها بصوران للنظر جميع ما جاء في العهد العتيق من الحكايات والوقائع عميلا بانسان وإحكام ومن أغرب ما رأيت في هذا الخشب الغريب ان النقاشين تركوا فيه بعض قطع طويلة متصلة به من الطرفين وهي في هيئة الاوتار فاذا نغزها الانسان باصبعه أخرجت صوتا مطربا لطيفا واذا نقر عليها الماهر في صناعة الموسيقى ربما أمكنه ابراز بعض الانغام بايقاع متناسق مناسب كما هو في الآلات المعدة لذلك وكل هذا الخشب من الجودة والثانة بمكان عظيم وقد كانت أجرة الصناع فيه من ٤ الى ٩ ملين في اليوم الواحد ويخجل للناظر اليه أن الغبار يخيم عليه ولكنه بعيد من ذلك بل انه نظيف جدا وانما لمسه الانسان لا يتلوث اصبعه بشئ من السواد وقد قال لنا الخادمان ذلك الشئ الشبه بالغمار له سب في التاريخ

وذلك انهما وقعت احدى الثورات بفرنساخشي أسقف الكنيسة
على هذه المصنوعات الجميلة من أن تتناول اليها أيدي العوام
فيبدونها ويهشونها فاحضر كثيرا من الهشيم والبرسيم وشمخن به
الكنيسة من أولها الى آخرها وبقيت مخزنا بهذه الكيفية مدة
طويلة من الزمان أو جيت تداخل الفسار في جزئيات الخشب
واكتسابه هذا اللون الباهت الذى يشاهد عليها الآن وخلاصة
القول ان هذه الكنيسة من أجل وأبدع وأكمل وأبرع ما رأيت
للاّن في سياحتي بل هي في هذه المدينة كدارة يتيمة تحسدها
عليها رومة وفي هذه الكلمة من مدحها مايقى بالمرام لمن شاء
أو علم جمال الكنائس في عاصمة النصرانية والسلام

الرسالة الخامسة عشرة

العودة الى باريس

من لي يباحث في أخلاق الانسان يكون قد وقف نفسه على
درس الحيرة والأضطراب وتحقيق تأثيرهما وتعرف تنوعاتها
وقد حضرني حينما عولت على كتابة هذه الحروف وأعددت القلم
والقرطاس واستفقت بتحرير ديباجة العنوان ثم أبقيت يدي
معلقة في النضاء والقلم بين أصابعي في الهواء وأعيني شاخصة
تنظر ولا ترى وأسناني تصطك اصطكا كما متواترا وشفاهي يتلاعب
بها الاختلاج من غير انتظام ثم تقع السفلى منهما بين الانسان
فينتهي الألم فأضع القلم وأرفع يدي الى جيبتي كأنني أعصره عصرا
لأستخرج التبيان منه قسرا ثم أسكن بها فكري طورا وأرجع
لحالي الاولى من امساك اليراع وامساك الذهن حتى كدت أعاني
نفسى من الخوض في هذا الموضوع لولا سبق الوعد في الرسالة
الثامنة بتلخيص وجيز على باريز يعرف القارئ بها ويصف له بعض
أحوالها ويقص عليه شذورا من أبنائها

وما مصدر هذه الحيرة وحقلك عجز عن التسطير أو اجمام في
ميدان التحرير والتعبير ولكن هي المواضيع انهالت على انبيال

هالتي وتراجعت تراجما تراخت معه عزائمي حتى أشبهت (هى) أقواما احتشدوا في دار شبت بها النار فطنقوا يتسارعون للغروج من باب ليس لهم سواه وصاروا يتسدافعون ولا يعلمون انهم يتمانعون وأنهم إذن عما قليل هالكون فقام فيهم شيخ فطين ونبهم الى هذا الخطر المين وحثهم على التؤدة والسكينة للتجاة من هذه المصيبة العظيمة فأراعوه السمع وسلموا كلهم من الروع وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله فعن لى حينئذ أن أقتدى بهم وأذكر الحيرة فى الابتداء ثم التوصل للاهتداء بقسمة المواضيع الى مطالب أنكلم فيها على باريس من جملة وجوه بحسب ما وصل اليه جهدى ووقفت عليه بنفسى

كثبان على باريس

يقول أهل هذه المدينة انها الآن وستكون على مدى الازمان حاضرة الحضارة والعمران ومدينة المدنية فى كل ميدان لا يضيرها اضطراب السياسة فيها أو انشقاق الاحزاب بين أهلها وأن الاجانب يقدون اليها وسيتقاطرون عليها اذ ليس فى العالم الا باريس واحدة (وأنت تعلم أن فى احدى الواحات المصرية قرية حقيرة تسمى باريس - فيالله من هذا التناقض) ويقولون ان من

أقصى أمانى الاغراب ان يمتعوا أنظارهم بجبالى محاسنها ولاسيما أهل الارياف والاقاليم فى فرنسا فأنهم يرون وجوب الجوى إليها خصوصا بعد الزواج ليقضوا بها (هلال العسل) وليس ذلك الا لأنها تفردت عما سواها وفاقت على ماعداها بما جعلت من أسباب اللهو ووسائل الانشراح وراحة الخاطر وتعضية اوقات الصفاء والهناء وخالصة القول انها مركز للجذب العام وقتنة لجميع الانام هذه المدينة يشقها نهر السين (La Seine) الى نصفين يكادان يكونان متعادلين وهى منقسمة الى ثمانين خطا (بضم الخاء) فى عشرين قسما على رأس كل قسم رئيس يعرف بامين المدينة (شيخ البلد) وثلاثة مساعدين وعلى رأس الجميع موظف عال لقبه مأمور ضبطية السين وعليه القيام بوظيفة الامين العام (شيخ قوم البلد)

وعدد سكانها ٢٤٢٢٠٦٦٩ نفس ومسطح البقعة التى تشغلها من الارض فيما بين الحصون التى حولها عبارة عن ٨٠٠٠ هكتار وطول محيطها ٣٤ كيلومترا والحصون عبارة عن دائرة مزدوجة طولها ٣٤ كيلومترا و٥٣٠ متر وفيها ٥٦ بابا للمدينة و ٩ معابر منها السكة الحديدية ومعبران لنهر السين وآخران لترعتين . وطول الطرقات العمومية فيها هو

٨٨٨,٠٠٠ متر ومسطحها عبارة عن ١٥٢٢ هكتار وفيها أكثر من ٨٢,٠٠٠ دار . وميزانيتها في السنة تبلغ ٢٨٠ مليون من الفرنكات

ولما كانت الكوليرة ضاربة أطنابها بها في الصيف الماضي تكبدت المدينة نفقات باهظة في رش السوائل المطهرة في الطرق العمومية ولغسل أماكن التادورات والمبازل في كل يوم من أيام الربيع حتى بلغت المصاريف ٤,٣٠٠ فرنك في اليوم الواحد وقد بلغت مصاريف التطهير وتنقية الهواء في المدارس التابعة للمدينة ٨,٠٠٠ فرنك وقد كان مجموع المصاريف التي أنفقت بهذا السبب في فترة اجتماع المجلس البلدي ٥٧,٠٤٦,٦٧ من الفرنكات

٢

متاحف باريس

أول شيء تنساق إليه أقدام السائح الذي يقصد الاطلاع على الغرائب ومشاهدة الطرائف إنما هو متاحف وأحدها بالتقديم هو متحف اللوفر فإنه يحتوي على أكمل مجموعة في العالم من حيث الفنون الصناعية وقد كان انشاؤه في قصر اللوفر في سنة ١٧٩١ بأمر من الجمعية الأهلية فجعلوه مقرا لجميع الاعمال الغريبة التي كانت متفرقة في قصور الملوك ثم جاء أساتذة الفنون المتقنين وحلّوه

برسوماتهم ونقوشهم وكثر المتبرعون بفرائد الصور وذخائر الاشكال حتى أصبح من أكل وأجل متاحف الدنيا وافي أشير الآن بالاجمال الي ما فيه من الاقسام فان التفصيل يكاد يكون من المستحيل - فيه قسم للتماثيل والانصاب من الرخام (ومنها الزهرة لالهة الجال مليونتها وحدها ٦٠٠ ألف قرنك) ومن النحاس من صنع الاقدمين أو محكاة لهم وفيه نقوش دينية على المرمر وأبواب هياكل ومعابد ثم نقوش وكتابات رومانية بارزة وفي احدى قاعاته إنا أن كل واحد منهما من حجر واحد وتباعدين عن بعضهما نحو ٣٠ مترا واذا تكلم الانسان في أحدهما سمعه صاحبه من الثاني وهذا من غرائب الصدى وليس اهمان من مثل الا في أمريكا على ماعلم وفيه قاعات لا وافي الفخار واللوح الرسم والتصوير مما وراء العقول ولا تساني الا آن عما فيه من مخلفات قدماء المصريين والرومانيين والاشوريين والبابليين وغيرهم من أمم السلف وفيه متحف للجزائر وآسيا الصغرى و خلاصة القول أنه في باريس كلادة القيمة في القلادة الثمينة - وفي الدور الثاني منه متحف للبحرية فيه صور المراكب وجميع آلات البحر وأدواته عند جميع الامم وفيه خريطة كبيرة مجسمة من الجبس تمثل قنال السويس وأعماله ومدائنه أهدهاله دولس وس وفيه متحف

صيني - أما أثمان الاعمال التي فيه وزخرفة القصر فهي من قبيل ماورد في ألف ليلة وليلة

أما متحف لكسمبرج فهو مخصص لحفظ رسوم المتفنين العصريين ونقوشهم وعلى يابه تمثال بهيئة فرنسا وهي تقدم أكابيل النخار الى إلهتى النقش والتصوير وفيه كثير من النقوش في الحجر والرخام والرسوم على التماش مما يقضى بالعجب العجاب

أما متحف الحمامات ودار كلونى فيمتاز عن السابقين بأنه مخصص لكثير من المجموعات المختوية على آثار الاقدمين ومخلفاتهم النبيسة من كل نوع ومن أعمال أم مختلفة - وقصر الحمامات هو أقدم العماثر في هذه المدينة حتى انى حينما شاهدته تنكرت انى في باريس وتصورت أنى في رومة خصوصا عندما دخلت في قاعته الكبيرة الباقية الى الآن في غاية الحفظ والصيانة تحت قبعتها العتيقة الفسيحة ويقول بعض المؤرخين ان يوليان المرتد نودى به امبراطورا رومانيا في هذه القاعة (سنة ٣٦٠ ق م) وفي المتحف الآن أكثر من ١٢٠٠٠ قطعة معروضة على الانظار وكأها من الفائدة والاهمية بكان اذ تحتوى على كثير من أمتعة القدماء وأبسطهم ومنسوجاتهم وعلى عربات مذهبة كان يستعملها الملوك في القرون الوسطى وبعضها يجره الجياد وبعضها مما يحمله الرجال

على الاعناق ولا أظن ان في متاحف المسدائن الاخرى مجموعة تعادلها وفي الدور الاول من هذا المتحف مجموعة من الاسلحة والدروع والدرق والمجآت والحدود للقاتلين وللخيول ومن الاواني المعدنية ثم مجموعة من الاواني الخزفية (وفيها مجموعة من صناعة رودس واخرى اندلسية) والمينا والخشب المنقوش المحلى بالصور الباهية ومجموعة من الاقداح والاكواب والتاروزات والقارورات وفي هذا المتحف غرفة تحتوى على مجموعة من المصنوعات العبرانية اهدتها له البارونة ناتالى دوروتشيلد من ضمن ما فيها تماثيل لتابوت العهد على هيئة دولاب وشعدانات ذات سبعة فروع وثمانية وتسعة وكلاهما من الخشب المنقوش والقضة الخالصة والنحاس الصافي وفي المتحف خلاف ذلك من صناديق القدماء واسرة الملوك والوانى المتخذة من خشب الابينوس وسن الفيل ورقع الشطرنج والبلور الصغرى والساعات ومقارم الدخان والمناجيج والسكرانات والمناقد وكرة أرضية من نحاس مذهب والاقفال والاعلاق والتارس (الدرابيس) والمصوغات مثل تيجان الملوك القوطيين وأكابيل الابريز الخالص الاصم المحلاة باجمار الصغير والدر العديم النظير ومذبح (من اقسام الكنيسة) من النضار الدقيق المطروق بصناعة واتقان والاساور

والطوائف وورد من الذهب وغير ذلك مما يعجز النلم عن وصفه
وتحار الافكار من مشاهدته منضودا محفوظا كما كان وكأحسن
ما يكون

أما قصر الحمامات فقد كان بناؤه في سنة ٣٠٠ ميلادية
بأمر الامبراطور الروماني كونستانس كلود ثم اتخذ ملوك فرنسا
قيما بعد سكا لهم مدة من الزمان ولما تركوه اشترى أطلاله أحد
القساوسة وبعد ذلك اشترته مدينة باريس وأحاطته بجديقة لطيفة
وجعلته مقرا للنبائل الرخامية والحجرية التي أقيمت في باريس في
العصر الذي شيد فيه القصر وأطلق عليه اسم قصر الحمامات
لأنه يبق من معالنه سوى قاعة الاستحمام وفي البستان كثير من
الأنصاب والعمدان أعلمها كانت في القصر أيام كان يسمى
القسيسون ومن أهم ما فيها صليب بن الحديد انتزعه الفرنسيون
من كنيسة سان والامير بمدينة سباستبول وغير ذلك

وأما متحف الآلات والفنون الصناعية (ويسمى أيضا
بالمحفظ الاهلي للفنون والصنائع) فقد أقيم في مكان كنيسة قديمة
أضيف إليها جلة قاعات كثيرة وعلى بوابته عمالا العلم والصناعة
وفيه مكتبة تحتوي على ٣٠٠٠ مجلد خاصة بتطبيق العلوم
والفنون على الصناعة وفي إحدى غرفه رسم بعض المهندسين في

التصوير تمثيل الصناعة والرسم والتصوير من جهة والعلم والطبيعة والكيمياء من جهة أخرى وفيه معامل للكيمياء والطبيعة وتعطى فيه دروس ليلية في العلوم وتطبيقها على الصنائع بجانب لكل طالب يقوم بها رجال من أشهر النابغين في هذه الفروع وهو يحتوي على جميع أصناف المحارث وآلات متنوعة للتقطير وتكرير السكر ومثال معمل للعبوات وأدوات الخراطة والخياطة والنسيج والغزل وبعض عينات من المنسوجات والآلات الخاصة بنظريات الحركة والانتقال وآلات تحويل الحركة وتوليدها وآلات العدد والتعريف الكهربائي وغير الكهربائي والتلفون وآلات الصوت والملاوانو بلاستيا والموازين والانتقال وآلات علم الطبيعة وأدوات استخدام حرارة الشمس وجهازات كهربائية متنوعة وآلات علم الآثار العلوية وآلات تقييد الارصاد وآلات استخراج غاز الاستصباح وجهازات الاستضاءة وآلات الورق وآلات الطباعة والنقش والتصوير الشمسي ثم المتحصلات الكيميائية وآلات طبع الالوان والاصباغ على الاقشة وتمثيل معامل حوض الكبريتيك ثم كيفية اصطناع الخنزف والفخار والمينا والزجاج والبلور وغير ذلك مما تتعذر الاطاحة به ويستدعي المشاهدة وتعضية الوقت النفيس وأهم ما استوقف أنظارى تمثيل

استخراج الفحم الحجري وأدواته وآلاته وجهازاته وآباره وسبر أغواره
والمعادن التي تخرج معه والاصباغ والروائح والاعطار التي
تستخرج منه وغير ذلك وقد رأيت في نموذجات المنسوجات قطعة
من شغل مصر أهدها الخديو السابق الى هذا المتحف وفيها أشعار
عربية مكتوبة بأحرف من القصب ومزركشة بذوق وحذق
يحيث انها تجعل لصناعة بلادنا مقاما محمودا بين ما يجاورها من
منسوجات الامم الاخرى

وفي تياترو الاوبرا متحف ومكتبة للتشخيص والتمثيل
والروايات وفن الألقان ولكن المتحف ليس من الالهية بحسب
ما يتصوره الذي يسمع عنه وبالعكس ذلك المكتبة

أما متحف فنون الزخرفة والتزويق فالغاية منه المساعدة على
توسيع نطاق أعمال المشتغلين بتطبيق العلوم على الصنائع اذ يرون
فيه نماذج لا تحصى من صنع الاقدمين والحديثين فتتربى بذلك
ملكتهم ويقتصدرون على الاختراع والتنويع فانها تحتوى على
مجاميع متعددة فيها تصاوير على القماش ونقوش على الاخشاب
والاججار والمعادن ومصنوعات شرقية مثل الانسجة والعاج
والابسطة والخزف والزجاج من صنع فارس وغيرها وفيها أيضا
تصاوير بالالوان وأقشة قديمة وحديثة وأثاث المنازل ثم طريق

التزويق بحسب العصور قديما وحديثا وغير ذلك مما يطول
شرحه

أمام متحف تطبيق فن النحت فهو في قصر التروكاديرو ويحتوى
على نموذجات بالجبس من أهم أعمال المباني في مشارق الارض
ومغاربها في العصور السالفة ومن بوابات وعمدان وجدران وعقود
وقبور ونقوش بارزة في الحجر وغير ذلك مما يطلق عليه لفظة آثار
وهي مرتبة بحسب تاريخ أوقاتها وبيان الاماكن التي فيها
الآثار الاصلية وماهية الموضوع بالابحاز وأول ما يراه الانسان
فيها هو نقوش قدماء المصريين وغيرهم من الامم القديمة حتى
ينتهى الى القرن الثامن عشر فيرى غرفة فيها أعمال من جميع
الامم كأنها فهرست للغرف التي سبقتها أو بيان اجمالى لما رآه
الانسان قبلها

وأمام متحف طبائع الامم وأحوالها فهو في الدور الاول من قصر
التروكاديرو أيضا ويحتوى على ٤٠٠٠٠ قطعة تمثل أصناف الامم
وكيفية معيشتهم وتغذيتهم ولباسهم وسلاحهم بالاقدار الطبيعية التي
تصورهم للانسان كأنه يراهم كأنهم بالتمام في أقاليم استراليا والاقيانوسية
وغيرها مثل ملبوس الرؤساء وشباك الصيد في البحر وجبائل القنص
في البر والمساكن وصورة المتوحشين وغير ذلك مما يتعلق بامم
أفريقية وامريكا وأوروبا وآسيا ويرى الانسان فيها الزوارق

والنقوش والاكواخ والمنسوجات والاسلحة والمصنوعات الزجاجية
والفخارية والاطلال الدارسة وسارية من حجر واحد تشبه شكل
الآدمى فى تكوينها الطبيعى (واردة من بلاد المكسيك) والمحاريب
والمعابد والهياكل وبعض موميات واردة من أمريكا وجهازات
الجنائز والاحتفالات بالاموات وكل ذلك مما يتعلق بالتقاليد المتوحشة
والبسوية والمتمدنة والحضرية سواء كانت تسكن عند القطب
الشمالى أو بجانب الخط الاستوائى أو تحتها أو فيما بينهما - وفيه
غرفة مخصصة لبيان أهل فرنسا بحسب أقاليمها وتنوع معيشتهم
ومساكنهم وأخلاقهم وغير ذلك

أما متحف التربية فيحتوى على مكتبة مركزية خاصة بالتعليم
الابتدائى فيها الكتب المؤلفة فى فن التربية وأساليب التعليم
ورسوم وأشكال ونرائط ومجاميع وكتب مطالعة وغير ذلك مما
يلزم الدارسين والمدرسين وفيه زيادة على ذلك مكتبة متنقلة تعبر
الكتب الى القاطنين بوظائف التعليم فى سائر أنحاء فرنسا وفيه
آلات التعليم وأدواته وأجهزته وجملة مجاميع للتاريخ الطبيعى
ولتعليم الرسم والتصوير فى المدارس الابتدائية والثانوية ومدارس
المعلمين وفيه تماثيل للبيانى الدراسية لبيان أوقفاها للصحة والتعليم
من حيث التهوية والاضاءة وغير ذلك من المرافق - وهذا

المتحف المفيد يحتوى على قاعة كبيرة فيها كلها خرائط جغرافية فقط وغرف أخرى للرسم ومعامل للكيمياء والطبيعة والاشغال اليدوية وأخرى تحتوى على أثاث المدارس وأدوات الدراسة ونموذجات تصور المدارس الغير فرنساوية وفي الدور الاول مكتبة التريية الفرنسية والاجنبية وأهم قسم فيها هو مكتبة اللوسيو رابو تحتوى على ٦٨٤٨ مجلد خاصة بهذا الفرع من التعليم وقد اشترتها الدولة بعد وفاته باسم هذا المتحف وبعض الكتب الموجودة في هذه المجموعة قد صارت الآن أندر من الكبريت الاحمر وفيها أيضا مجموعة تحتوى على كتب التعليم في القرن السادس عشر وفي الدور الاول مجموعة علمية ومعامل للعلوم الطبيعية وأثاثات مدرسية وشرائع فرنساوية وأجنبية خاصة بالمدارس - وقد ترتب على انشاء هذا المتحف فوائد كثيرة خصوصا المكتبة المتنقلة فانه قد يتفق وجود بعض من المرشحين لوظائف التدريس أو للترقى الى وظائف سامية ولا يكون في وسعهم الاستحصال على الكتب الدراسية اللازمة لبعدهم عن المدن الكبيرة واضيق ذات يدهم فانشأت الدولة هذا المتحف ليعيرهم الكتب اللازمة بناء على طلبهم فيرسالها لهم خالصة أجرة البريد في صناديق محكمة من الخشب مدة شهر أو شهرين

بحسب ما يريدون ولهم الحق في تمديد الاجل المحدود وسأشرح الكلام في الرحلة على هذا المتحف بنوع خصوصي لماله من المزايا الكبيرة

أما متحف جيمى أو متحف الاديان الاهلى فانه يتضمن كل ماجمعه الموسيوايميل جيمى E. Guimet أثناء سياحته في بلاد المشرق ثم انه تبرع بهذه المجموعة النفيسة التى تبلغ قيمتها أكثر من ٤ ملايين من الفرنكات لمدينة باريس لاجل افادة أبناء وطنه والغاية منها درس الاديان القديمة وعقائد المشرق بحسب الرسوم الصحيحة والتمائيل والكتب والتصاوير الاصلية الصادرة عن نفس المتعبدين وهى مرتبة بحسب المذاهب والاعتقادات والاقوات واعلم أن هذا الرجل الكريم فضلا عن هذه الهبة السنية تبرع بنصف المصاريف اللازمة لبناء دار المتحف وقد بلغنى من ثقة أن رجلا من أغنياء الانكليز عرض عليه مبلغا وافرا من النقود لمشتري جزء زهيد من المجموعة فاجابه بما معناه (انما تعبت وجمعت ما ترى لا فائدة أبداً بل ادى وللإحالة على رفع شأن وطنى وذلك أشن وأعلى مما تعرضه على الآن بما لا يقدر بأى حال) فهكذا تكون الشهامة والمرومة في محبة الوطن والسعي في اعلاء كلمته وتجييد ذكره ومن أهم ما فى هذا المتحف مكتبة تحتوى على

كتب كثيرة بخط اليد و ١٤٠٠٠ مجلد في مواضيع متنوعة و ٧٠٠٠٠ مجلد صيني و ياباني ومصرى قديم وهو يحتوي على مصنوعات من الخزف خاصة بديانة الصين واليابان وقدماء اليونان وإيطاليا وفرنسا وقبائل افريقية والاقيانوسية وآلهتهم وتعبدااتهم وهياكلهم ومعابدهم وفيه هياكل كثيرة منها هيكل يسمى بالمنذرة يحتوي على ١٩ إلهة (والمنذرة هي المعبد الذي يجتمع فيه جميع الآلهة عند اليابانيين مثل البانتيون عند اليونان والكعبة عند الجاهلية وأقدم هذه المنادر هي منذرة سين جون وكان فيها ١٠٦٠ إله) والآلهة الهيكل المحفوظ بهذا المتحف تنقسم الى ثلاثة أقسام لتدبير الكون وهي الكمال في الاعتقاد البوذي ثم التجسد لخلاص الأرواح بطريق الاقناع ثم التحول لجسذب النفوس بالوعيد والتهديد - وهناك أيضا آثار كثيرة مما يتعاق بديانة الفراعنة وكيفية معيشتهم في هذه الدنيا ونعيمهم في الحياة الاخرى وفي ضمنها تماثيل آلهة وتماثيل وأوراق بردى ومذابح وهياكل وأحجار منقوشة وغير ذلك - وفي هذا المتحف غرف للتدريس والعمل وجميع جدرانها مغطاة برسوم وأشكال تناسب الاشياء المعروضة في كل غرفة أو تكتلها بحيث ان الناظر الدقيق يقف تمام الوقوف على كيفية التعبد والتدين عند كل قبيلة

من هذه القبائل - وقد رأيت في فناء المتحف عنبرا لتربية النباتات المحلوبة الى فرنسا من البلاد الحارة وفي أقصى الفناء قاعة يصعد اليها بسلم وفيها مجموعة من الاجار المختلفة ورجامات القبور القديمة عنى بجمعها أثناء سياحته في آسيا جناب الموسيو دومرجان (De Morgan) الذى هو مدير المتحف المصرى الآن - وقد تقرر أثناء اقامتى في باريس أن تلامذة المدارس العالية وتلامذة المدارس الحرفية في هذه العاصمة يذهبون الى هذا المتحف في كل يومين مرة بالتناوبه مع بعضهم لاجل الوقوف على كيميائيات اصطناع الخرز والطقوس الدينية بارشاد الموكلين بحفظ المتحف أو الموسيو جيمى نفسه

أما متحف والتين هاوى فقد سمي باسم أول من أسس مدارس العميان وهو وان كان صغيرا الآن لكنه جدير بالنظر إذ يحتوى على الآلات والادوات الخاصة باعمال العميان وعلى كثير من مصنوعاتهم في جميع البلاد - كان دليلي فيه أحدهم وهو الموسيو جيلابو أحد أساتذة مدرسة العميان فأطلعنى على جميع ماقيه قطعة قطعة بارشاد وثبات ومعرفة بمواضع كل شئ حتى انبهرت من هذا الدليل الماهر فانه له معرفة بالغزل والنسيج وكثير من الصنائع اليدوية وأخص معلوماته الجغرافية والتاريخ والفنون

الادبية وقد أتخفتي ببعض من مؤلفاته وفيها ديوان شعر يعبرفيه
عن عواطف العيان واحساساتهم وكيف يتدرون الاشياء وله
كتب أخرى كثيرة تدل على فضله وسعة اطلاعه وهو الذي سعى
في تأسيس هذا المتحف على نفقته ثم أمدته الجمعيات والمدارس
في البلاد للاوروباوية والامريكائية بتحف أخرى ولا يزال يدفع
اجار المنزل من ايراده

وفي باريس متاحف أخرى كثيرة لايجوز لي أن أتكلم عليها
لأنني لم أزرها وقد جرت عادتي أني لا أذكر الا ما عرفتته بنفسى
ولكننى أشير الى أسماء بعضها مثل متحف الطوبجية والاثاث
الاهلى والطب ومقابلة التشريح والمعادن وآلات الموسيقى
والرصدخانه والنقود والمحفوظات (الاقترخانه) والمتحف التاريخى
لمدينة باريس (وبنه مكتبة فيها نحو ٩٠٠٠٠٠ مجلد) ومتحف
المجموعات الفنية لمدينة باريس ومتحف كاين وقد أسسته زوجة
كاين ومتحف جاليرا ومتحف الغشاشين (ويوجد له نظير في كرك
الاسكندرية) وفوق ذلك فان لاغلب المدارس والجمعيات العملية
والفنية متاحف خاصة بها

تصور باريس

هذه بلد القصور فخيمًا قلب الانسان ناظره رأى قصرًا
شاهيًا و بنيانا شامخا واتقانًا زائدا ولكنى لأتكلم الآن الاعلى
بعض القصور المهمة وأترك الباقي لفرصة أخرى
فن أخرها قصر التويلرى يدل على ذلك مابقى منه بعد
الحريقة التى التهمته أثناء ثورة الكومون فى شهر ماوسنة ١٨٧١
كان بناؤه فى سنة ١٥٦٤ وقد أقيمت فى مكانه الآن حديقة
أنيقة مزدانة بأنواع الازهار تتخللها تماثيل رمزية وفساق تدفع
الماء الى حوضان بهيجة بكيفيات رشيقة تسر الناظرين
أما قصر اللوفر فقد شيد فى عام ١٥٤١ على أطلال قلعة عثر
القوم على بعض بقاياها تحت الارض فى سنة ١٨٨٣ وسكنه
كثير من ملوك فرنسا قبل أن يكمل تماما حتى جاء الامبراطور
نابليون الاول فشدد الاوامر بانهاه ولكنه لم يساعده الزمان على
بلوغ الغاية فى هذا الامر الجليل فلما كان الامبراطور نابليون الثالث
أتمه على الوجه المرغوب واحتفل باننتحاه فى سنة ١٨٥٧ وقد
بلغت أكلافه ثلاثة ملايين من الجنيهات الاسترلينية (٧٥ مليون
فرنك) وفيه رسوم ونقوش ونصاوير وتماثيل وزخرفة وتزويق
فى الجبس والحجر والرخام والخشب وعلى وجهاته وعتوده وجدارانه

ومقوفه ونوافذه ومطلانه وأفنائه وورجياته تسلب العقول وتغيب
الالباب وواجهته الاصلية مركبة من عدم مستندة على عدم عمليا
لاجل وأعظم هياكل العبادة عند قدماء اليونان وخلاصة القول
انه اليوم تحفة حوت متاحف واعجوبة جمعت عجائب

وعما يطبق بهذا التصميم ان الكاروسل (Carrousel أى
ميدان البرجاس) وهو من أجل ميادين باريس ويتبدى بقوس نخار
هائل تحيط به البساتين الناضرة ويحف بهن اليمين والشمال تمثالان
زهرين للحرية والشرعية ومن هذا المكان يتمد النظر الى بستان
التويلرى والمسلة المصرية وقصر الشانزلى وقوس نخار الكوكب
وينتهى الميدان المذكور بمحذاق اللوفر وفيه تجاه قوس نخار الكاروسل
عمود أترى أقيم لتخليد ذكر غامبتا المشهور وهذا العمود يتركب من
كتلة حجرية عظيمة تحيط بها تماثيل من البرونز (الشهبان) تصور الحقيقة
والقوة والحريية والمساواة وفوق هذه القاعدة منشور هرمي من
الصوان يبرز منه تمثال الرجل واقفا ومائلا برأسه الى الخلف قليلا
وبأسطاد راعه الا عين بشهامة وهو يرشد أبناء وطنه الى الواجب
والشرف ونحت أقدامه الذائدون عن حياض الوطن يرعاهم ملاك
فرنسا وقد ارتفع بأجنحته الى عنان السماء فقاموا من سقطتهم
وذهضوا ما عليهم من الغبار وجعلوا أسلحتهم المتكسرة وعلى الواجبات
(١٧ - رسائل)

الآخري من المنشور رجل مقطفة من المفالات الرنانة التي ألقاها هذا الخطيب على قومه يدعوهم الى الدفاع عن بلادهم الى آخر نقطة من حياتهم وغير ذلك وفوق قصة هذا الاثر تمثال رمزي للديمقراطية (أى حكومة الاهالى بأنفسهم) وقد فازت وعلت كلماتها فامتطت صهوة غضنفر ذى أجنحة - وقد أقيم هذا التمثال فى ١٣ يوليو سنة ١٨٨٨ بتقود جمعها القوم من اكتاب عام اشترك فيه أبناء فرنسا المقيون فى حومتها والبعيدون عنها

وأما قصر البورصة - فهو على شكل معبد يونانى بنائى واجهته وحوله وفى داخله من السوارى والاساطين وطوله ٦٩ مترا وعرضه ٤١ وفى أركانه من الخارج تماثيل أربعة للتجارة والعدالة القنصلية والصناعة والزراعة وفى داخله قاعة كبيرة للعمليات المالية تسع ألفى شخص وعلى جدرانها تصاوير بالغة فى الاتقان بحيث يخالها الناظر نقوشا بارزة وهى عبارة عن الاحتمال بافتتاح البورصة على يد شارل التاسع وفرنسا وهى تستقبل الاتاوة من أقسام الدنيا الخمسة واتحاد التجارة والعلوم والصنائع وأهم المدائن فى فرنسا - وقد زرت هذا القصر ولكننى أعترف بأنى لم يتيسر لى أن أدرك شيأ من أحواله أو أوقف على نزر من تفاصيل ماجرياته حتى كنت أنتحف بها القراء ونغاية ما رأيت فيه جلبة

وضوضاء وصياح وصخب وتموج وتدافع وأيد ترفع وأرجل
تهرول وأقوام يخرجون وآخرون يدخلون وفي يد كل واحد
قرطاس وقلم من الرصاص وصكوك مختلفة الألوان ولا أدري
كيف يتفاهمون في بابهم هذه وإن كانوا كلهم بلغة واحدة
يتحاطبون. وفي هذا القصر مكتب للتأخراف وآخر للتلفون
وبارومتر كبير وسكردان يتناولون فيه غداءهم من غير أن يتعدوا
عن الميدان

أما قصر الأنواليد (العساكر السقط) فقد شاده الملك لويز
الرابع عشر في سنة ١٦٧٠ فان هذا الملك العظيم أراد أن يضمن
حياة طيبة للعساكر الذين تبت بعض أعضائهم أو تصيبهم بعض
العاهات ولا يكون لهم وسيلة للتعيش بعد أن وخط الشيب رؤسهم
وهم في سلك النظام ولكن الذي نظم هذا القصر حقيقة وأجاد
ترتيبه انما هو نابليون - ومسطح الارض التي يشغلها هذا القصر
عبارة عن ١٢٦,٩٨٥ متر مربع وهو معد في الاصل لسكن
٥,٠٠٠ نفس ولكنه اليوم لا يحتوى الا على ربع خمس هذا العدد
لان قدما الجهادية في هذا الزمان يفضلون تضيبة ما تبقى من عمرهم
في استقلال وحرية وانفاق المعاش الذي يحوله لهم القانون
بحسب ما يريدون - أما النازلون به فتمتني الدولة عناية تامة

بمسكنهم ومطعمهم وملبسهم وتدفتنهم وكل ما يلزم لهم
وامام هذا القصر رجة فسيحة طولها ٥٠٠ متر وعرضها
٢٥٠ وفيها صنوف كثيرة من الاشجار

وبعد هذه الرجة فناء خارجي تحف به الخنادق من كل
جانب ويمجدق به من اليمين والشمال بطارية مدافع اغتمها الجيش
الفرنساوى فى حروبه وهى التى تستخدم فى ابناء الباريسيين
بالحوادث الكبيرة مثل الانتصارات والمواسم وغير ذلك وحول
هذه المدافع مدافع أخرى من طرازات متنوعة وعيارات مختلفة
وفى خلال صفوفها ماش يتزه فيها قدماء الجنود التازلين
بالقصر - أما واجهة هذا البناء الفخيم فتحدث فى النفس
جلالة وفى الفكر إجلالا وطولها ٢١٠ متر وفيها ١٣٣
شبالا وعلى يمين الباب شمال إله الحرب وعلى يساره إله الحكمة
وفى الدعايز تمثيل بعض الوقائع التى انتصر فيها الفرنسيون وفى
الفناء الداخلى تماثيل كثير من قوادهم وشجعانهم وأهم ما استوقف
أنظارى فى نفس القصر هو المكتبة التى أسسها نابليون وهى
تحتوى على ٣٠ ألف مجلد تقريبا ولا يجوز الدخول والشغل
فيها الا للعساكر السقط ومن ملهقاتها قاعة تحتوى على صور
جميع مارشالات فرنسا ومديرى هذا القصر ونصغير يمثل للرائى

عود ونديم المشهور والقنبلة التي قتلت تورين في سنة ١٦٧٥
وهو من أفرس أبطالهم ومثال من الجبس لتمثاله فوق فرسه وبعض
المخلفات التي تركها نابليون في جزيرة سنت هيلانة (محل منفاه)
جمعها بعض المغرّبين بمجده مثل أغصان من الشجرة التي كان
يستظل بها وقطرات من الينبوع الذي كان يستقي منه وقبصة من
التراب الذي وطئه بقدمه وقبصة من شعره وقطعة من ورقه وما أشبه
ذلك وضعها بعض المجيدين في لوحة تأخذ بالابصار لما أودعه فيها من
الابداع وهناك أيضا أشياء كثيرة من التي كان يستخدمها الامبراطور
في منفاه

وفي هذا القصر كنيسة باسم القديس سان لويس وليست
ذات أهمية بالنسبة لبناؤها بل لانها مخصصة لدفن المارشالات
ومديري القصر ولانها تحتوى على كثير من الآثار التي تحيي
ذكر أبطالهم المعدودين وفي قبها كثير من الرايات التي اغتنتها
القوم في مواقع القتال في افريقية والقرم وإيطاليا والصين
والمكسيك والتونكين وفي احدى بيها صورة لسيدنا عيسى عليه
السلام مرسومة على القماش ولكن الناظر اليها يخال أنها
مجسمة بكل انتظام

وخلف هذه الكنيسة قبر الامبراطور في قبة هي أجل أثر ديني
مصنوع في فرنسا بحسب الطرز اليوناني ولا يدخل القوم اليها
الا بعد أن يرفعوا قبعاتهم تعظيما وتفخيما وفيها بيعة تحتوى على
بقايا بيروم شقيق الاميراطور وبقايا ابنه البكرى وبيعة أخرى فيها
قبر بورين ذلك البطل العظيم وامامها بيعة فيها عظام ووربان Vanban
وبجانها ناووس فانخرى تحتوى على بقايا شقيق آخر لامبراطور
أما قبر الامبراطور نفسه فهو في ناووس من الصوان الاحمر
لم ير الا أن مثله في البهجة والفخامة وهو في وسط القبة في حفرة
عميقة مكشوفة للاظهار ومبلاة بالفسيفساء وهناك من التصاوير
الهائلة وقبور الخاصين لهذا الرجل وعماثيل انتصاراته وغير
ذلك مما يدهش الابصار ويقضى على الانسان بالاعظام والابكار
ويجعل خطواته مقرونة بالحسب والهويتا ويذكره بأن هذا
العالم مصيره الفناء وان نهايات المجد الزوال ويتذكر قول
القائل ﴿ألا كل شئ ما خلا الله باطل﴾ خصوصا عند ما يقرأ
هذه العبارة التي أوصى بها نابليون ﴿أتسى أن تدفن عظامى
على ضفاف نهر السين في وسط هذه الالة التي أحببتها جاجما﴾
فيخرج المتفرج وهو يقول الملائكة والدوام الله سبحانه الحى الذى
لا يموت انالله وانا اليه راجعون

وأما قصر الفنون المستخرقة - فقد أقيم على اطلال ديروتم
تشييده في سنة ١٨٣٩ وفيه مدرسة لتعليم الرسم والنحت والعمارة
والنقش بازواجه وذلك التعليم نظري وعملي ولهذا القصر فنا آن
وضعت في أولهما أبواب قصور قديمة وأعمدة متفنة بأشكال
مختلفة وتماثيل للماهرين من الصانعين وغير ذلك وفي وسطه عمود
من المرمر الأحمر مشوب بالشب وفوقه تماثيل الخشب وأما الفناء
الثاني ففیه مجاميع من تماثيل وقطع تماثيل من أيام القرون
المتوسطة الى عصرنا هذا وفي وسطه فسقية من قطعة واحدة
من الحجر كانت امام قاعة الطعام في أحد الديور لاجل غسل
الايدي وعلى الواجهة الاصلية لهذا القصر هذه الكلمات الثلاث
(رسم عمارة نحت) منقوشة بعناية واتقان وتفنن وابداع وعلى
اليمين والشمال أسماء الاساتذة الذين نبغوا في هذه الفنون وفي
دهاليز القصر وغرفه أمثلة لتماثيل قديمة ومعابد وثنية ومصنوعات
في النحاس وتصاوير رفايل في قصر القاتيكان وأشهر العماثر في
فرنسا وغيرها وصور أعضاء جمعية الرسم والنحت وبعض أساتذة
المدرسة وفيها مكتبة تحتوي على ١٢ ألف مجلد ونحو مليون قطعة
من النقوش وفيه مجموعة للصور التي تحوز الطبقة الاولى في امتحان
رومة وهي أعلى درجة يمكن للصورة الماهر أن يتوصل اليها

وخلصه القول انها حوت من ظرائف الفنون ما ثبتت في تلامذتها
قوة التصور و ابراز الافكار على القرطاس أو الاحجار

أما قصر لكسمبورج - فهو الآن مستقر لمجلس السناتو
(شيوخ فرنسا) وقد زرته أربع مرات بواسطة حضرة الفاضل
الكامل الموسيوي بوليا (M. Paulat) أحد اعضاءه الموقرين
وهو قد وقف نفسه على خدمة أبناء العرب في الجزائر و تونس
والذب عن حقوقهم ورفع الأذى عنهم وللسلمين في قلبه محبة
شديدة وبواسطته تمكنت من الحضور في الجلسات أربع مرات
ووقفت على أساليب المذاكرة والمداولة والمناظرة والمناضلة
ولوشئت حضور الجلسات أكثر من ذلك لتمكنت بواسطته جزاء
الله خيرا - هذا القصر أمرت بتشييده ماري دومديس زوجة
هنري الرابع على مثال القصر الذي تربت فيه في فلورانس ثم
تقلبت عليه الاحوال فبعد ان كان سكانه الأثريين أصبح مجنا في أيام
الثورة الفرنسية ثم مقرا لمجلس المشيخة ثم لاقنصلية ثم للسناتو
ثم لنبله فرنسا ثم لمحافظة السين (دار أمانة المدينة) ثم للسناتو
في هذا الزمان وفيه مكتبة تحتوى على أكثر من ٥٠٠٠٠ مجلد
وفوقها قبة مغطاة بأشكال ناضرة فاخرة - وفي القصر عمائل
نصفية لبارت فرنسا (Pairs de France) وشيوخها قديما

وهو من أجل القصور وأكثرها زخرفة وتزويقا وقاعة الجلسات فيه عبارة عن نصفي دائرة متقابلين يجلس الاعضاء باحزابهم وانشقاقاتهم وتنوعاتهم في النصف الاكبر وأما الرئيس والجنة الادارة ففي النصف الآخر وعند ما تفتح الجلسة لا يتم الانتظام بل يستمر الاعضاء الذين يدخلون على التسامر فيما بينهم وعدم الالتفات للخطباء ولا للرئيس وترى الموكلين بالخدمة يتصاحبون بهذه العبارة (صه أيها السادات) ويرددونها جلة صرات فذهب في الهواء تتردد من جدار يدفعها الى جدار من غير أن يكون لها تأثير على الحضر وترى بعض القوم يخرجون وآخرون يدخلون والرئيس يدق الجرس في كل نفس فلا يؤثر أكثر من صباح الجرس حتى اذا جاءت مواضع المذاكرة الحقيقية وقام الخطيب الذي عليه الدور أخذ الانتظام حده وصار القوم يرمقونه ويتفهمون كلامه ومنهم من يجيبه بالتنفيذ وآخر يؤيده بالاكيد وفريق يصفق له استحسانا وآخرون يهزون الاكتاف استهجانا وبعضهم يقاطعه في الكلام وغيرهم يساعده على الاتمام والرئيس يدعو الجميع الى ملازمة النظام وهكذا حتى ينتهي الخطيب مما نذب نفسه اليه فيصتلي مكانه أحد المتحزبين له أو عليه ويصعد الوزير لتأييد سياسة الحكومة وتزكية مساعيها

أوليبيان ما يطلبه الاعضاء من الافصاح عن حالة البلاد في الداخل أو الخارج ولا يزال القوم في أخذ وعطاء وبيع وشراء واستفهام عن ابرام وافصاح بقول صراح حتى تنفض الجلسة ويبقيض الاعضاء من حيث أفاض الناس ولا يصبح الصباح الا وقد طبعت أعمال الجلسة وما قيل فيها كلمة كلمة وحرفا حرفا بالتام والكمال اذ في خدمة المجلس كتاب مختنون (Sténographes) يتقنون بالاشارات المختصرة كل ما يلقيه الخطيب من البيانات أو يرد عليه من الاعتراضات أو يقع من الاضطرابات أو يظهر من الاشارات ثم يرسلونها للطبعة بعد كل عشر دقائق وهناك يصير نقلها أو ترجمتها للكتابة العادية وجعلها واعداها للطبع فلا يجيء نصف الليل الا وقد تم طبع الجريدة الرسمية وفيها حوادث الجلسة بالتنصیل الذي ليس بعده تفصيل مع ان الجلسة لا تفتح الا في الساعة الثالثة ونصف من بعد الظهر وقد تنتهي فيما بين الساعة الخامسة والسادسة أو بعد هذه بقليل

وأما قصر بوربون - فهو مقر مجلس النواب وله واجهتان احدهما تطل على نهر السين والاخرى على ميدان باسم القصر والاولى هي الواجهة الاصلية وفوق عمدانها نقوش ورسوم تمثل فرنسا وفي بعدها الدستور وحواليها تماثيل الحرية والسلام والحرب والفنون

والنصاحة والصناعة والتجارة وقاعة الجلسات كلها من المرمر
وحواها عمدان منضوذة وهي على شكل نصف دائرة تسع ٥٨٤
نائب ونظام الجلسات فيها يشبه في السننات سوى ان اللغظ فيها
أكثر والعراك أظهر والخصام أقرب من خبل الوريد والدعوة الى
البارزة ليست بالامر الجديد بل قد تحصل في كل لحظة عقيب
أقل لفظة وقد رأيت في كلا المجلسين ان بعض الخطباء لا يوفق
الى نوال التبول من عموم الحاضرين فيعطف بمناسبة حينما اتفق
الى ذكر الوطن وشرفه ومجده ونخره ووجوب التضامن في اعلاء
مقامه وبذل المهج لاعزازه ثم يحيي القائمين بنصرته الذائدين عن
حومته و يترحم على وفاة من وفاه حقه وعرف واجبه وهكذا
من الاساليب الخطابية فيجذب الالباب ويسحر العقول ويستجذب
القبول فيجابه السامعون بالتصفيق وعلامات الاستحسان وكلمات
الاعجاب خصوصا اذا كان مقولا سيالا وخطيبا مصقعا يعرف
كيف يقرن الاشارات بالكلمات وكيف يكون توقيع الالفاظ
ليكون لها وقع في الفؤاد - وقد اتفق في الجلسة التي حضرتها
في مجلس النواب حصول مطر بغير سحاب استبدت فيه الامواء
بالاوراق فكانت تتناثر على الاعضاء من غير افتراق وذلك ان رجلا
اسمه الكسندر هوليه تربص فرصة مناسبة فقفذ عليهم

بكراريس مطبوعة عنواتها (هناك ستراطرارين) ولكن الجنود قبضوا عليه في الحال وأودعوه السجن تحت المحاكمة . قالت بعض الجرائد انه يعني بذلك مسألة بناما فكتب الرجل الى الجرائد انه لم يحم حول هذا المقصد ولا أعلم الا ان ماذا تم في امره

وأما قصر الصناعة - فهو معد للمعارض السنوية والجزئية أقيم في سنة ١٨٥٥ بمناسبة المعرض العام من مال شركة مؤلفة من كثير من المساهمين ثم اشترته الدولة وله فناء مستطيل طوله ٢٥٠ متر وعرضه ١١٠ متر ومسطحة ٣٢٠٠٠ متر وعلى بابه تمثال كبير يمثل فرنسا وهي توزع أكاليل الفخار من الذهب النضار على الصناعة والفنون وهما جالستان تحت أقدامها وعلى الجدران المحيطة بالقصر أسماء الذين برعوا في العلوم والفنون والصناعة مرقومة بحروف من الابريز وقد جعلوه بعد سنة ١٨٥٥ مقرا للمعارض السنوية للرسم والنحت والعمل والصناعة وفن الحدائق ومعارض الخيول والحيوانات والاطيار الخ وكان فيه أثناء مقامي بياريس معرض أشغال النساء فكان فيه جميع أصناف ملابسهن بحسب الازياء وتنوعها في كل عصر وعند كل أمة قديمة أو حديثة نسقوها على شكل معجب مطرب وخصوصا قبعاتهن وأشكالها المختلفة وتفننهن فيها بما يجذب

الابصار ويسلب الالباب وليس هذا مقام الشرح عليها فنترك
وصفها الى فرصة أخرى

وخلف هذا التصبر بناء من الحديد والابن يسمى كشتك مدينة
باريس وهو معد للجملة معارض متنوعة وكان به أيام مقامى في
هذا البلد معرض الصنائع المتعلقة بلحم الخنزير وكانت الدولة
ترسل اليه الموسيقى العسكرية تصدح فيه بالحانها الشجية

واختم الكلام في هذا الموضوع الطويل العريض بمختصرة
قصيرة على قصر التروكلير وفقدني على رابية بمناسبة المعرض
العام الذي أقسم في سنة ١٨٧٨ واشتركت فيه حكومتنا
المصرية وأصاب حظا وافرا من الفضل والفخار وهو يشتمل على
أحسن أساليب البناء وطرقات العمارة وقوفه تمتاز الشهرة وفيها
بوق تنفخ فيه وفيه قاعة المواسم والاحتفالات مزخرفة بقوش
وتصاوير وفي هذه القاعة مكان للموسيقين يسع ٤٠٠ نفر منهم
بالآلاتهم وأما القاعة نفسها فيمكن ان يجلس بها ٥٠٠٠ متفرج
بالراحة وتحت مربي لاسمك المياه العذبة موضوعة في مغارات
فسحة تجدد فيها المياه على الدوام ومنظر هذا القصر وعمداته
وابراجحه وأروقته وأجنتته وحديقته وفسقيته مما يفتن العقول
ويستغرق الزمان في التأمل والامعان

وفي باريس غير ذلك عدد كثير من التصور العمومية والخصوصية
ولأنكلام عليها لاني لم أدخلها

٤

معامل باريس

مثل هذه المدينة العظيمة لا يتخلو من المعامل المتناهية في
الاتقان والكنى لأنكلام الآن الا على معامل الجبلين (بضم الجيم
وسكون الباء وكسر اللام) ومعامل الدخان
فأما الاوّل فقد كان انشاؤه في سنة ١٦٠٣ على يد الملك
هنري الرابع وبعد أن دار الشغل فيه نحو خمسين عاما اشتراه
لويز الرابع عشر وجعله معملا للامتعة والاثاثات الملوكية بناء على
اشارة وزيره كولبير فكان يشتغل العمال فيه بالطنافس والستائر
المشهورة التي لانظير لها في الكون وباشغال النص والفسيفساء
وبتقليم العاج وتطعيم الابنوس وبصياغة الحلي والجواهر وباصطناع
التمائيل المخصصة لقصر فرساي وبعد حكم هذا الملك
اقتصر العمل على اصطناع الطنافس والستائر وفي ٢٥ مايو سنة
١٨٧١ أحرق ثوار الكومون بفرنسا جزءا منه فالتهمت النار
كثيرا من نفائس الطنافس وستائر الستائر وقد أبدع هذا العمل في
تقليد الرسم وألوانه بالنسيج في انواله على منواله مع الدقة والرفقة

حتى أن الملوك والامراء ليخرفون قصورهم ومناجهم بمصنوعاته
اتى سارت بمسئرها الركان وفيه متحف حوى شياً كثيراً من
غرائب منسوجاته ومنسوجات الامم الاخرى وقد رأيت قباطي
مصر المشهورة في كتب العرب مع انى من بلادها ولم أرها فيها
وربما تكلمت على هذا الممل الجليل بما يستحقه من التفصيل
اذا ساعدت العناية في فرصة أخرى

وأما الممل الثانى أى ممل الدخان فهو في بناء كبير يبلغ
مسطحه هكتاران ونصف وله خمسة أدوار ويشغل فيه ١٩٠٠
عامل أكثرهم من النساء ورأيت فيه من جميع أصناف
الدخان وكيفية تهيئته بعد عرضه لعمليات متعددة وإعداده سبائر
سائغة للشاربين ويبلغ مقدار الدخان الذى يبيعه في السنة
الواحدة ٧,٦٥٠,٠٠٠ كيلوجرام وقد علمت من مديره أن قيمة
الربح الصافى الذى يصيب الخزينة من معامل الدخان في السنة
هو ٣٥٠ مليون فرنك (١٤ مليون جنيه انكليزى) مع أن
جميع المستخدمين به لهم معاش كامل من غير أن يخص منهم
يوم احتياطي

ولوجود هذه المعامل في كل أوروبا منفعة أخرى أعم وأهم وهى
ان الذين يشربون الدخان في هذه البلاد موقنون بجودة الصنف

وأنه ليس مشوباً بورق الخس والقلقاس وخصوص الخنث وغير ذلك مما تتولد منه بعض الامراض الصدرية التي لا يشفي منها صاحبها كما أنه يتعذر أو يتعسر شفاؤه من معاقرة هذا النوع من الشراب ولما كانت هذه المسئلة ذات أهمية عومية عظيمة فقد اتنقت مع حضرة المدير المشار اليه على ان يتحقق بما يلزم من المعلومات والبيانات لانشرها بين قومي عسى أن يكون لها بعض الفائدة وقد بلغ مجموع استهلاك الدخان في فرنسا في سنة ١٨٩١ ٣٥,٨١٣,٨٥٤ كيلو جراماً منها ٢٩,١١٠,٠٩٢ كيلو جراماً من الدخان المعد للتدخين و٥,٤٥٧,٤١٣ من الدخان المعد لانشوق و١,٢٤٦,٣٤٩ من الدخان المعد للضغ واليك جدول الاستهلاك بالكيلوجرام في جملة سنين لمعرفة زيادة انتشار هذه العادة أولاًفة

سنة	دخان التدخين	دخان الانشوق	دخان المضغ	مجموع الكميات المائية
١٨١٩	٢٢,٦١٩,٠٧٩	٨١,٦٨,٤٥٠	١,٢٤٥,٣٢٩	٢٤,٠٧٥,٨٥٨
١٨٧٤	٢١,٣٤٨,٣٢٢	٦,٥٧٣,٦٤٤	٠,٩٦٢,٥٩٥	٢٨,٨٨٤,٥٦١
١٨٧٦	٢٤,٣٠٣,٩٤٣	٦,٨٢٧,٦١٤	١,٦٥٦,٨٢	٣٢,٢٩٧,٢٣٨
١٨٨٤	٢٨,٠٥١,٠٩٩	٦,٧٠٢,٦٥٩	١,١٨٠,٩٥٧	٣٥,٩٣٤,٧١٥
١٨٨٩	٢٨,٧٨٤,٦٦٠	٥,٨٣٤,٣٩٠	١,٢٠٠,٢٦٢	٣٥,٨١٩,٣١٢
١٨٩١	٢٩,١١٠,٠٩٢	٥,٤٥٧,٤١٣	١,٢٤٦,٣٤٩	٣٥,٨١٣,٨٥٤

ولأجل أن تكون المقارنة صحيحة ينبغي التنبه على وجوب
تنزيل نحو مليوني كيلوجرام من المقادير الخاصة بسنة ١٨٦٩ وذلك
في نظير استهلاك أهل مقاطعتي الازراس والاورين فانهما انفصلتا
من فرنسا بعد حرب السبعين ومن هذا الجدول يتضح أن مجموع
استهلاك الدخان لم يتغير تغيراً محسوساً منذ سنة ١٨٨٤ وان
استهلاك دخان التدخين قد ازداد بالتدريج بنحو مليون من
الكيلوجرامات ومثله دخان المضغ ولكن النشوق أخذ في النزول
بنسبة ٢٠ في المائة

وقد بلغت كميات الدخان المستهلك في مقاطعة السين وحدها
(وهي التي بندرها باريس) في سنة ١٨٩١ نحو ١٦٤,٧٩,٧٩ كيلوجرام
(منها ٣,٥٣٧,٧٧٨ للتدخين و ٥٣٧,١٥٧ للنشوق و ٨٩,٨٥٥
للمضغ) يقابلها في سنة ١٨٧٩ ٣,٦٩٨,٠٠٠ (منها ٣,٣٧٧,٨٥٠
للتدخين و ٧٥٣,٠٢٨ للنشوق و ٩٤,٨٣٥ للمضغ)

o

خزان الكتب بباريس

اشتهرت هذه المدينة بالفوقان على غيرها في ميدان الخلاعة
والجدفانها مقر الملاهي والبسدة والمبتدعات ومركز المعارف
والمعالي والمخترعات فلا يخلو أقل بيت فيها من خزانة كتب بحسب
حالة صاحبه وذوقه فكل أهلها يقرؤون ويكتبون حتى ان سائق

(١٨ - رسائل)

العربية بل والكلاس اذالم يكونا مشغولين بالسوق والكتابة يكونان منكبين على القراءة والدراسة وبهذه النسبة يقاس ولوع القوم بتمثيف العقول وتنوير الازهان كلما صعدنا في سلم الارتقاء الى أعلى الطبقات ولا أدعى الاقتدار على استيفاء الكلام في هذا المطلب عن خزائن الكتب في باريس وليكني أذ كرلمعا يسيرة عنها بغاية الايجاز حتى يتصور القارئ ماهيتها فيمكن من الحكم عليها

وذلك لان وجود المكتبات من أهمي الدلائل على ارتفاع المدنية ونضامة العمران ومن اوجب الأعمال لتخليد الذكروحسن الاحدوثة حتى لقد سعى الملوك في جميع الاعصار في جمع الكتب والعناية بها لينتوه التاريخ بذكورهم في جملة المساعدين على نشر المعارف وتوسيع دائرة العلوم أما الآن وقد اتسع نطاق العرفان وساعت موارد التعليم للطالبيين فقد صارت العناية بالكتب فرض عين على جميع الحكومات المتدنة

المكتبة الاهلية - هذه المكتبة يكاد لا يكون لها مثيل في العالم وأوّل من عنى بتأسيسها شارل الخامس ملك فرنسا في سنة ١٣٨٥ فانه جمع ١٢ ألف مجلد وجعلها بقصر اللوفر ثم انها نقلت منه فيما بعد الى جهات أخرى لاجابه لبيانها

ولما جاء الملك فرنسوا الاول اهتم بها اهتماما خصوصا وازاد في عددها ائرامه بالمعارف وولوعه بالعلوم حتى انه نقلها الى قصره في فوتييلو لتكون على مقربة منه ثم ان الملك شارل التاسع أعادها الى باريس ولكن ازديادها في كل يوم كان يوجب نقلها من مكان الى آخر على انها مع كل هذه العناية لم ترد عن خمسة عشر ألف مجلد في أول عهد الملك لويز الرابع عشر فاهتم حينئذ وزيره كولبير ولوفاؤا بشأنها وتقدمها اهتماما لا يزال مستمرا الى يومنا هذا ثم نوات عليها الهدايا والعطايا والوصايا من كتب بخط اليد ومداليات وأججار منقوشة ونقود ومبصومات وغير ذلك ولقد بلغت المطبوعات فيها في سنة ١٧٨٩ ثلثمائة ألف مجلد (٣٠٠.٠٠٠) ثم ازداد هذا العدد زيادة كلية في أيام الثورة الفرنسية بما توارد عليها من الكتب التي انتزعت من الاديار ومن قصور المهاجرين حتى صار من المستحيل عمل فهرست أو برنامج للمكتبة واكتفى القوم بوضع الكتب المستجدة في أقسامها الخاصة بها باعتبار الحروف الهجائية لاسم المؤلف وما يستحق الذكر أنها صارت في دفعتين عرضة لمصيبة من أعظم المصائب ولم تنج منها الا بما بذله مستخدموها من شدة العناية وصادق الاخلاص فان البروسيين لما حاصروا باريس في سنة ١٨٧٠ كانت المكتبة مهددة بالحريق في كل لحظة انلوا

وقعت عليها قبلة لكانت أعدمت هذه الكنوز الثمينة الى أبد
الآبدين فلذلك كان أغلب مستخدميها يذهبون بالنهار الى الحصون
والقلاع للدفاع عن المدينة ومتى جن الليل يرجعون الى المكتبة
ويطوفون حولها خفراء عليها وبعضهم يصعد على أسطحها للوقاية
من هذا العدو المين وهو النار ولما دخل البروسيانيون باريس
اجتهد عمال المكتبة في اخفاء أهم ما فيها من الكتب التي بخط
اليد حتى لا تطار الفاتحين

ولما تم عقد الصلح وعادت السكينة الى ربوع فرنسا جاء خطر جديد
لم يكن في الحسبان وهو ثورة الكومون وذلك انه لما زحف
الثأرون من فرساي على باريس ودخلوها كانت النار تمهد
الكتبخانة من كل جانب ولكن الله سلم

ولما عادت المياه الى مجاريها واشتغل الناس بالعلوم والمعارف
اكتسبت المكتبة أهمية فوق العادة حتى بلغ عدد الكتب
التي وردت اليها في سنة ١٨٩٠ وحدها ٧٠.٠٠٠ مجلد
وعدد ما فيها من الكتب الآن يبلغ مليونين ونصف مليون
واذا أضفنا الى ذلك العددا هنالك من المجاميع والكتب المكررة
بلغ العدد ثلاثة ملايين بالتقريب

ولا شك ان هذه الكنوز المتعددة تستوجب تحرير فهرست

وأف بيان محتوياتها وقد راعت ذلك الجمعية التشريعية فأصدرت
بهذا المعنى أمرا عاليا في ٢ يناير سنة ١٧٩٢

ولكن كثرة الوارد حالت دون كل نظام غير أن عمالها قد
ابتدؤا في سنة ١٨٥٢ بتحرير أوراق منعزلة بالبيان الكافي عن كل
كتاب ورد للكتبخانة وقد كاد القهرست العموي يتم اليوم واعلم
ان المبلغ المخصص للطبع هو قليل جدا بالنسبة لجسامة العمل
فانه عبارة عن ١٠ آلاف أو ١٢ ألف فرنك فقط مع ان المتحف
البريطاني بلوندره يتفق في مثل هذا السبيل ٢٠٦,١٢٥ فرنك
وفي غرفة المطالعة ٧٥٠٠ مجلد ويقابلها في مثلها في المتحف
البريطاني ٥٠,٠٠٠ ولكن المانع الوحيد هو ضيق المحل في باريس
وكانت المكتبة متصلة بما ترومساكن لبعض الافراد فقرر البرلمان
مبلغ ٦٦,٥٠٠,٠٠١ فرنك لمزلها عنها فاجتمعت الدولة حينئذ حتى
اشترت هذه المباني وازادتها الى المكتبة لتوسيع نطاقها وعزلها عما
يجاورها بحيث أصبحت في سنة ١٨٨٢ بجزيرة تحيط بها شوارع أربعة
من الجهات الاربع وتلك العناية بقصد الوقاية من اتصال الحريق
اليها مما يجاورها ولزيادة التحفظ وضعوا فيها مركزا لرجال المطافئ
وهي على أربعة أقسام أولها قسم المطبوعات والخرائط والمجموعات
الجغرافية وثانيها قسم الكتب المخطوطة (التي بخط اليد) والنظامات

السياسية والاجازات أى الدبلومات وثالثها قسم الميديايات والاحجار المنقوشة والقديعة ورابعها قسم المصومات . وفي الخزانة غرفة للمطالعة تفتح في كل يوم من الاسبوع حتى في أيام الاحد من الساعة التاسعة صباحا الى الساعة الرابعة او الخامسة أو السادسة الا فرنكية من المساء بحسب اختلاف الفصول وفيها غرفة أخرى للاشتغال بالكتب ومراجعتها

فأما قسم المطبوعات فهو فريد في أوروبا يزيد على جميع مكانها بكثرة ما فيه من الكتب النادرة المدومة فإنه وحده يحتوي على ٢٥٠٠٠٠٠٠ مجلد من ضمنها الكتب التي ظهرت أيام نشأة المطبعة أو التي طبعت في أشهر المطابع القديعة

وأما غرفة المطالعة ففيها طاولات عظيمة يجلس حوالها ١٠٠ مطالع بالراحة وفيها نحو ٢٥٠٠٠٠ مجلد من مجموعات دورية وعلمية وموسوعات ومعاجم وأشهر الكتب المتداولة في الآداب والعلوم والصنائع وغير ذلك وعلى عقود هذه الغرفة اسماء أشهر الطابعين والمستغلين بفس الكتب

وأما غرفة الشغل فمساحتها ١٠١٥٥ متر مربع ويمكن أن يجلس فيها ٣٤٤ شخص بكامل السعة والراحة وسقفها عبارة عن ٩ قباب مغطاة من الداخل بالقيدشاني ومتكئة على أسابيد

مقريضة من الحديد قائمة على ١٦ عمودا من الحديد الزهر ارتفاع كل عمود منها ١٠ أمتار وحوالى هذه الغرفة دواليب فيها نحو ١٠٠٠٠ مجلد من معالجم ومجاميع وغير ذلك، وهى متصلة بمخزنة الكتب الخاصة بها وفيها أكثر من ٢٠٠٠٠٠ مجلد ويتصل بهذا القسم المجموعة الجغرافية ولا تظهر لها فى أوروبا كلها اذ جعلت فيها الدولة الفرنسية خرائط جغرافية للممالك والبقاع والبلدان وأغلبها مصنوع بالجبس وفيه خرائط فرنسوية وأجنبية من جميع اللغات ويبلغ عددها ٢٥٠٠٠٠ خريطة

أما القسم الثانى ففيه أوراق وكتب من جميع اللغات ومجموعها ١٩٠٠٠ مجلد منها نحو ٨٠٠٠٠ منيئة باشكال وتصاوير وحروف مذهبة ومنزقة ويتبعه مجموعة من أوراق البردى المصرى والاغريقى واللاتينى وتعليمات شارلمان والعهود والعقود من سنة ١٢٠٠ الى سنة ١٤٣٥ ومنشوران من البابا على ورق من البردى تاريخه سنة ٩٩٩ وغير ذلك وفيه حجرة قد وضعت فيها جميع مؤلفات فولتير فيلسوفهم وشاعرهم وأديبهم ومؤرخهم المشهور وفيه أيضا صناديق مغطاة بالواح من الزجاج تحتوى على أندر ما يوجد من المطبوعات والمخطوطات ذات القيمة الغالية تدل على أصول المطبعة والتجايد وغير ذلك وفيها كتب بخط اليد يونانية وشرقية وأمريكية وكتب كانت ماسكا للؤلؤ

والسلاطين وتجليد عجيب بالعاج والباغنة وأوراق بردي ورق
غزال وغيره وخطوط بعض المشاهير

أما القسم الثالث فاؤل من أسسه لوز الرابع عشر وهو
من أهم المجموعات المائلة له في العالم فإنه يحتوى على أكثر من
٢٠٠,٠٠٠ ميدالية وفي الدهليز الموصل اليه منطقة فلك
البروج التي كانت بنندرة ومجلس أجداد تحوتس الثالث وكلاهما
مما أتى به القرنساوية من مدينة طيبة بالصعيد ويوجد به أيضاً ألواح
قديمة من أبحار متنوعة عليها نقوش بلغات شتى مهجورة وفيها
أبحار دقيقة كريمة منقوشة أو محنورة بالتجويف أو بالتبريز ونقود
اسلامية وغير اسلامية وغير ذلك مما يطول شرحه

وأما القسم الرابع فإنه أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ قطعة
مجموعة في ١٤,٠٠٠ مجلد و ٤٠٠ لوح من الورق المتين
المعروف بالـكروتون وفيها مبصومات ندى على تاريخ الفنون
في فرنسا من ابتداء القرن الخامس عشر الى عصرنا هذا وغير ذلك
ويعنى بالمبصومات تلك الرسوم المصنوعة باريشة أو بالقلم الرصاص
لكي تكون قاعدة في الطبع وهي بالنسبة لالواح الصور الزنمية
كالتربة للاصل

ولتسكلم الآن على ميزانيتها اظهارا لمزيد أهميتها فقد كانت في سنة
٩٢ ٧٨٨,٠٠٠ فرنك منها ٦٤٣ ألف للمستخدمين و ٢٧٢ ألف

للادوات والمهمات و ٨٠,٠٠٠ للفهرست والمخصص لشترى من
هذه المبالغ هو ٨٠ ألف فرنك وللتجليد ٢٥,٠٠٠ فرنك
أما ميزانية المتحف البريطاني فانها تزيد على ٥٠ ألف جنيه
أى ٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك نصفها للماهيات والنصف الآخر لشترى
الكتب وتجليدها وغير ذلك نعم ان المتحف البريطانى فيه كثير
من الجامعات العلمية غير الكتب والآثار والمخلفات القديمة ولذلك
ينبغى لنا المقابلة بين قسم المطبوعات فى كل منهما فقط
ففى باريس ٦٠ مستخدما وعاملا وفى مثله فى لوندرة ١٢٢ مستخدم
وعامل مرتبهم ٤٩٦,٠٥٠ فرنك وهذا جدول مقابلة الماهيات

(مكتبة باريس)

١	مدير عام	١٥٠٠٠	فرنك
١	سكرتير وصراف	٧٠٠٠	»
٤	امناء	١٠٠٠٠	»
٦	مساعدو امناء	٧٠٠٠	»
٥٠	كتبة نجي ووكلاء و تحت التمرين	١٨٠٠ الى ٦٠٠٠	»

وغيرهم من اصحاب اليومية والكتبة

(المتحف البريطانى)

١	حافظ	١٨٧٥٠	فرنك
٤	مساعدون	١٢٥٠٠ الى ٥٠٠٠	من

١١٢٥٠	»	٦٢٥٠	»	معاون درجة أولى	١٣
١٠٢٥٠	»	٣٧٥٠	»	»	٢٢
٣٠٠٠	»	٢٧٥٠	»	»	٢٦
٢٥٠٠	»	١٥٠٠	»	فراش	٤٦

وكانت ميزانية المكتبة الاهلية في أيام لوزير الخامس عشر عبارة عن ٦٨٠٠٠ ليره أى فرنك منها ٤٦٤٦٩ للمستخدمين و ٢١٥٣١ لمشتري الكتب والادوات. وفي سنة ١٧٧٨ بلغت ٧٣٠٠٠ ليره ثم ازدادت في أواخر حكم الملك لوزير السادس عشر حتى بلغت مبلغا جسيما جدا بالنسبة لذلك الوقت وهو ١٦٩,٢٢٠ ليره وعشرة صلادى منها ٦٣,٠٠٠ للشتروات

كتبخانة سنت چنقياق (بقاين فارسيتين) - تحتوى على ٢٠٠ ألف مجلد منها أربعة آلاف بخط اليد وفيها زيادة على ذلك ٢٥ ألف لوحة مزدانة بنقوش بديعة وفيها خرائط قديمة كثيرة ومبصومات وفيها غرفة مطالعة خصوصية تحتوى على أغرب ما فيها من مجاميع وكتب بخط اليد ومطبوعة ونقوش وفيها شمال أولر مش چيرنج أول من أدخل فن الطباعة الى باريس في سنة ١٤٧٠ وغيره من المشاهير وفيها غرفة مطالعة عمومية تسع ٤٢٠ شخص وحواليها ستائر من صنع الجبلين تمثل المطالعة

٤٢

TAPESTRY WORK

وقد دهمها الليل وهو رمز الى الشغل النهارى والليلى فى ٥-هـ هذه
الغرفة

كتبخانة بـمازارين - وهى فى جمعية المعارف وفيها ٢٥٠ ألف
مجلد منها ٦ آلاف بخط اليد

هذه هى أشهر المكاتب العمومية وفى المدينة مما يقاربها
مكتبة متحف الفنون والصنائع وقد قلنا انها تحتوى على ٣٠
ألف مجلد ومكتبة مدرسة فرنسا الجامعة وفيها ٤٣ ألف مجلد
ومكتبة مدرسة الفنون المستخرقة وقد قلنا ان عدد كتبها ١٢
ألف ومكتبة المجموعات التاريخية لمدينة باريس وفيها ٩٠ ألف
مجلد و ٧٠ ألف مبصوم ومكتبة مدرسة المعادن وفيها ٦ آلاف
مجلد ومكتبة بستان النبات وفيها ٨٠٠٠٠ مجلد ومكتبة الاوبرا
وفيها ١٥ ألف مجلد وكراسة و ٦٠ ألف مبصوم وفيها كثير
من الرسوم والتصاوير والتمائيل الخاصة بـفن التشخيص والموسيقى
والقيان والقينات وقد ذكرنا كتبخانات أخرى فى الفصل
المتقدم

واعلم أن لكل جمعية مهما كانت غايتها ومذهبها ومشرها
فى السياسة والصناعة والعلوم مكتبة خاصة بها تعد المجلدات
فيها بالالوف وعشرات الالوف وكذلك الشركات والمدارس

والمكاتب العمومية ولاغلب الكتب بيانات قرة معينة في السنة
تتقل فيها

٦

المائر الديدية في باريس

يوجد بهذه المدينة ٧٠ كنيسة (جامعة ذات أبرشية) غير
البيع الصغيرة التي قد لا يخلو بعضها من الاهمية وكل سأخ يريد
أن يقف على الدقائق وأن يكون له بعض احاطة عمومية باحوال
البلاد التي يجوبها لا يصح له أن يغض الطرف عنها ولكني
أقتصر في هذه الخلاصة على بعض اشارات خفيفة وأقوال وجيزة
كنيسة نوتردام - كان البدء في بنائها سنة ١١٦٥ ثم واصل
عليها التدمير والترميم والتكميل والتحويل والتبديل حتى استقرت
على ما هي عليه الآن منذ سنة ١٨٤٥ وطولها ١٣٣ متر
وعرضها ٤٨ وارتفاعها ٣٣,٧٧ مترا في المتوسط ولم يحصل
تدشينها (١) الا في سنة ١٨٦٤ وهي من أجمل المائر التي في فرنسا

(١) قال في القاموس في مادة د ش ن ما نصه « الدشن يعنون به الثوب الجديد
لم يلبس والدار الجديدة لم تسكن » وجاء اللسان بعبارة أوضح وهي « الداشن معرب
من الدشن وهو كلام عراقي وليس من كلام اهل البادية كأنهم يعنون به الثوب الجديد
لم يلبس أو الدار الجديدة لم تسكن ولا اسمعت » اه وعندى ان التدشين اقرب
الالفاظ العربية واولاها الترجمة Inauguration التي شاعت ترجمتها
ملفوظة « افتتاح » او « احتمال » لان معناها الابتداء للمرة الاولى في عرض =

على الطرز القوطى المتفرد بالشكل البيضاوى ويحرف بواجهتها
برجان ضخمان وفيها كثير من تماثيل القديسين والتديسات
وغيرهم وملازم وأمرأة وفيها جرس زنته ١٣ ألف كيلوجرام وجرس
مأخوذ من سباستبول حينما تحالف الفرنساوية والانكليز
وسراذنيا مع الدولة العلية أيدها الله على الروسية وغلبوا
الروس على سباستبول وفيها وردة من الزجاج عرضها ٩ أمتار
و ٦٠ سنتى تمثل بأشكالها وألوانها الحوارين الاثنى عشر وهم
مجتمعون فى مكان واحد وفوقها سهم من خشب البلوط مغشى
بالرصاص مر كب من ثلاثة أدوار أفرغ صانعه جهده فى تنسيقها
وتزييقها وهذه الادوار على شكل هرمى ويرتفع السهم عن الارض
بخمسة وتسعين مترا وثقله ٧٥,٠٠٠ كيلوجرام منها ٥٠,٠٠٠

= اثر من الآثار و عمارة او عمل مهمما كان نوعه على الاقطار مثل تماثيل اوت رعة أو
خط حديدى أو عمود او مدرسة أو غير ذلك و ابحاثه لاستعمال العامة وفى ذلك قرب تام
للدارا لمجد يدتم تسكن ولا استعمات . وقد يستعمل المسيحيون لفظة «تكريس» فيما
يتعلق بالكنائس والمعابد وما اشبهها وهى مقلوبة من كلمة افرنجية «Sacre» اى
تقدیس و ربما كان لها اصل فى اللغة العربية قال فى القاموس « والتكريس تأسيديس
البناء » وقال فى اللسان « وتكريس أس البناء صلب واشتد اجعل
لهذا الحائط كرسيا اى اجعل له ما بعده ويمسكه وكل ما جمع بمضه
فوق بعض فقد كرس وتكريس»

من الخشب و ٢٥٠٠٠ من الرصاص وفي داخل الكنيسة
٣٧ بيعة ومنابر متناهية في الجمال يعظ فيها القساوسة الناس
وفي الخوروس أشغال في الخشب تبهرا لانتظار خصوصا التراكيب
والترابيع المعروفة بالعربية التي هي عبارة عن خطوط مستبكة
متداخلة في بعضها على طريقة أهل المشرق والأندلس
وفيها أرغن من أكبر أمثاله في فرنسا وأكلها يحتوي على ٦٠٠٠
قصة لإخراج الهواء وتوقيع الأنغام - وأهم ما فيها بصرف النظر
عن ضخامة البناء واتساع الأرجاء وانتظام العقود وارتفاع القباب
انما هو خزينة الذخائر فانها تحتوي على مختلفات ثمينة مصنوعة من
الفضة الخالصة والذهب الصافي ومرصعة بالاججار الكريمة وآنية
مقدسة ومباخر مفضضة والعبادة التي ترديهم انابليون حينما كرسه الياها
امبراطورا على فرنسا والتحف النفيسة التي أهداها الامبراطرة والملك
والملكة مارية انطوانيت وتمثال من الفضة للسيدة مريم عليها
السلام وصور وتماثيل رؤساء الاساقفة في باريس ومجموعة من
الاججار الكريمة محفورا فيها صور جميع الباباوات الماضين وجملة
صلبان وكؤوس وجامات وشمعدانات وغير ذلك من الحلى والملابس
المزركشة المرصعة التي تستخدم في الاحتفالات الدينية الكبيرة
وفي بعض الايام يعرضون على الجماعات المتقاطرة الى الكنيسة

صندوقاً فيه إكليل الشوك وبعض المسامير التي يقال انها استخدمت في صلب كلمة الله (عليه السلام) ويعرضون قطعة من خشب الصليب أحضرها هي والا كاييل والمسامير القديس لويس من بلاد المشرق أيام الحروب الصليبية

وخلف هذه الكنيسة منزه بديع يفضى الى مكان مربع تنقبض له النفوس وتضم من ذكره الاذان وهو المعروف عندهم بالمورج تعرض الحكومة فيه الاموات الذين لا يعرف أهلهم حتى اذا استدل عليهم أحد من العموم أرشد جهات الادارة عنهم وقد زرته ورأيتهم يحفظون العرقى والمقتولين والمشتوقين وغيرهم مع العناية المتناهية والاحتراسات الواقبة فلا تخرج منهم رائحة مطلقا وليس منظرهم بشعا مشوها بل تراهم كأنهم نيام لابسون ملابس لائقة ولا يظهر منهم الاوجوههم

البيعة المقدسة - بنيت في سنة ١٢٤٢ وعنت بعد ذلك بخمس سنين وهي في باريس كالدارة اليتيمة في العهد النقيس خصوصا سهمها الذي لم ير الراؤن ابداع منه في الحسن والجمال وهي أقدم وأجل مافي باريس من العماير القوطية بناها الملك لويس التاسع القديس ليضع بها الاكليل الشوكي والمسامير وقطعة الخشب التي سبق لنا الكلام عليها بعد أن اشتراها من بودوين الثاني

ملك القسطنطينية وقد استخدمت حيناً من الدهر كمستودع
للحفريات الفضاائية ولكنهم رموها الآن كما ينبغي واقتضت
العمارة فيها ثلاثين سنة من الزمان وبظاهر واجهتها شمال الملك
لويس وشقيقه لويس الاسقف ووقهما شمال العذراء عليها
السلام والبسعة من الداخل تلالاً بالزخرفة الفاتنة والنقوش
المذهبة وهي على شكل بيعتين احدهما فوق الاخرى فأما
السفلى فلا تستعمل الآن في تعبداتهم الدينية وأما العليا فيحصل
فيها القداس في يوم ١٦ اكتوبر وقد كان القضاة بالمحاكم ملزمين
بمحضوره قبل هذا الزمان وبجانب سواربها تماثيل الحوار بين
الاثني عشر وفيها من الشبايك ما يهر الابصار ويحار فيه الافكار
من انسجام ألوان الزجاج وتناهي بهائه وصفائه مع الاحكام في
التنسيق والاجادة في التزييق وفوق البوابة وردة من قطع الزجاج
تقرل رؤيتها العيون وتعترف بجمالها العتول

كنيسة سنت أوستاش - أحسن الأوقات لزيارة هذه
الكنيسة المتناهية في الضخامة يوم الاحد اذ يكون فيها تلحين
الآلات الموسيقية وتوقيع النغمات الصوتية بكيفية تطرب لها
الامماع وهي شبيهة ببعض القصور العربية من أن خارجها لا يبي
شيء عما في داخلها من الزخرفة والاتقان فان واجهتها واجهاتها

من الخارج حقيرة بالنسبة لما يكتمه داخلها من مائة الصناعة
وجسامة المقادير ونخامة الاجار وارتفاع العقود ارتفاعا متظاولا
واتساع الاقواس اتساعا هائلا حتى ان الانسان ليخيل له انها
أعدت للتحصن والاعتقال وكان البدء في تشييدها في سنة ١٥٣٢
ومت في سنة ١٦٤١ ولذلك لم تجيء على مثال واحد أو من
طرز متجانس من الطرازات المتعارفة في فن العمارة ولكنها من
أجل كئاس باريس وأكثرها زخرفة وتزيقا وطالما مررت عليها
ولم تكن نفسى تتعدنى بضياح الوقت في الدخول اليها ولما
شاهدتها رأيت أنها بعكس خضراء الدم من ظاهر قبيح وبالغن مليح
ولا أرى من حاجة للكلام الآن على ما فيها من المصنوعات
والحف والنقوش في الرخام والمعادن والاحجار أو البسج الكثيرة
المشحونة بالزخارف والطرائف أوزجاج الشبائك أو منابر الوعظ
أومفاتيح العقود التي تربط الاقواس والحنايا ولكني أقول ان
الضياء فيها أكثر منه في أمثلها كأن هواها أجود وأخف على
الروح وقد دفن بها كثير من مشاهير الفرنساوية مثل كولبير
وزير لويز الرابع عشر والقصى لافونتين الطائر الصيت المخلد
الذكر وغيرهما من كبراء رجال السيف والقلم والحل والعقد والادب
والحسب

كنيسة سنت جرمان لو كسروا - هي في ميدان اللوفر بنيت

في القرن السادس الميلادي وكان ملوك فرنسا يحضرون القداس فيها ثم نوات عليها الايام واتفق أن النور ماندين اعتقلوا بها في سنة ٨٨٥ ثم جعلوا عاليها سافلها فاقام القوم بناها في أوائل القرن الحادى عشر ثم شرعوا في تجديد معالمها وتغيير أوضاعها ولم يتم تشييدها في هذه المرة الثالثة الا بعد مضى ثلاثة قرون من الزمان وانما ذكرت هذه الكنيسة لشهرتها في التاريخ اذ أنه في ليلة ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ (وهو اليوم المشهور بواقعة سنت بارتلمى التي قتل فيها الكاثوليكيون البروتستانتين قتلا ذريعا شنيعا فظيها) اتفق المخالفون المتماثلون على ان يتحدوا في العمل حينما يذق ناقوس هذه الكنيسة للايدان بقداس الصباح وفي يوم ١٣ فبراير سنة ١٨٣١ أقيم فيها احتفال جنائزى عن نفس دولة دوبرى ولكن احزاب الثورة التي حصلت في يوليو أولوا هذا الاحتفال تاويلافاسدا واتخذوا ذلك ذريعة للتشجيع على الكنيسة فباغتتها العوام والطعام ونهبوا كل ما فيها من النقائس والاعلاق ثم أفلتت الكنيسة وجعلت مقرا لدار أمانة المدينة مدة سبع سنين وفي ١٣ مايو سنة ١٨٢٧ أعيدت الى وظيفتها الاولى أما داخلها ويبيعها فتل الكائس الاخرى ولكن احدى هذه البيعة تمتاز بكثرة الزخرفة على الطراز القوطى وفيها بيعة أخرى تحاكي برسومها وزجاجها البيعة المقدسة التي ذكرناها كنيسة سان سوليس - هي عبارة عن عمارة بالغة في

الجمال متناهية في الاتساع كان وضع الحجر الاول فيها بحضور الملكة
انه دور ترينش (Anne d'Autriche) في سنة ١٦٤٦ وواجهتها
عبارة عن سوار قائمة على بعضها بشكل يروق الاقطار فيما بين
البرجين الشامخين وفي دائرها من الداخل بوالك واسعة تعالوها أساطين
متقنة وبيع متعددة تزيد في حجمها وفوقها قبة مزخرفة بصور
ونقوش من صنع بعض الماهرين في هذه الفنون وفي وسط صحنها
مسلة من المرمر يعر عليها خط من النحاس للدلالة على الاتجاه الشمالي
وفيها منبر للوعظ في غاية ما يكون من الحسن أمر بصنع المارشال
ريشليو وفيها عدا ذلك أشياء كثيرة لا تستحق الذكر الآن سوى
الارغن فانه من أكل وأجل ما يوجد من هذا القبيل والقوفعتين
العظيمتين اللتين يوضع فيهما الماء المقدس وهما هدية من جمهورية
البندقية الى فرانسوا الاول وسيل فاخر محافظ بنمانييل بوسويه
وقنلون وما سيليون وفليشييه وهم من أهم وعاظ الكنيسة وأدباء
الفرنساوية في عصر لويز الرابع عشر

الپانتيون - مجرد ذكر هذا الاسم يشعر بالعظمة والجلال
ويبعث في النفس هيبه ووقارا وفي الفؤاد اجلالا وبارا كيف
لا هو مستودع لبقايا الذين خدموا العلوم والفنون وسعوا في تعزيز
وطنهم وترقية بلادهم حتى جعلوا لها بين الامم مقاما محمودا وفضلا
مشهودا ولا يدخله انسان الا وتدخله السكينة والتؤدة فيسير

فيه على أطراف الاقدام ملازما الصمت التام بل تكاد تخرج
من فيه ألفاظ التحية والسلام على عظام هؤلاء العظام
والپاتيون كلمة يونانية من پاس أى جميع وثيوس أى إله
ومعناها المعبد المخصص لجميع الآلهة مثل الكعبة في أيام
الجاهلية فان كل قبيلة كانت تتخذ لها معبودا مخصوصا وتضعه فيما
وتبقى ذلك الى أن بطل بمجيئ الدين الاسلامى الحنيف وكثيرا
فانتمى لفظه پاتيون للدلالة على التعظيم والاجلال للذين يقوم
بهما انطلق في حق المشاهير وأهل الفضل فيقولون ان فلانا له
مقام معين في پاتيون التاريخ وهكذا

بنى هذا المكان في سنة ١٧٦٤ وجعل كنيسة باسم القديسة
سنت چنثياف (بجيم وفامين فارسيتين) راعية باريس وحاميها
ثم جاءت الحكومة الاتفاقية في سنة ١٧٩١ فغيرت ماوضع له
ومنعت العبادة منه وأطلقت عليه اسم پاتيون وكتبت على
واجهته هذه العبارة الوجيزة في الكلمات البليغة في المعانى والدلالات

اعظام الرجال شكر الاوطان

(Aux grands hommes, la patrie reconnaissante)
فلما آل الامر والسلطان لعائلة بوربون ورجعت الحكومة الملكية
أعيد پاتيون الى أصله حتى كانت الثورة في سنة ١٨٣٠ فسمى

اليانتيون مرة ثانية واستمر كذلك مدة ٣١ سنة الى أن جاء الامبراطور نابليون الثالث فأصدر تقليدا ملوكيا يقضى باعادته للديانة باسم سنت چنقياف ولكن الحكومة الجمهورية الحالية أصدرت أمرا عاليا في يوم ٢٢ مايو سنة ١٨٨٥ عقيب وفاة فيكتور هوغو مباشرة باعادة اسم اليانتيون للمرة الثالثة وبعد صدور هذا الامر بأيام قليلة احتفل الفرنسيون قاطبة بنقل جثة هذا الشاعر العظيم الى اليانتيون ودفنوها بجانب مقبرة جان جاك روسو وفولتير وميرابو وكان هذا الاحتفال بالغيا في العظمة بحيث لم يسبق له مثال واشتركت فيه الدولة بصفة رسمية والامة باجتماعها من في فرنسا وفي الخارج

واعلم أن واجهة هذا الهيكل قائمة على اثنتين وعشرين اسطوانة وفوقها نقوش بارزة تمثل الوطن واقفا بين الحرية والتاريخ وهو يوزع أكاليل المجد وشارات الفخار على عظماء الرجال مثل بونابرت من جهة اليمين ومن جهة اليسار روسو وفولتير وميرابو ودافيد وغيرهم من رجال فرنسا المعدودين

وطول هذه العمارة الفخيمة ١١٣ متر وعرضها ٨٥ مترا وفوقها قبة قطرها ٨٣ مترا

أما داخله ففيه كثير من التماثيل والصور الدينية والتاريخية

التي لها علاقة بالمدينة ولا حاجة لتفصيلها الآن أما القبة فهي عبارة عن ثلاث قباب فوق بعضها وفيها كلها نقوش لا يستحق الذكر منها الا ما يستجلب الانظار في القبة الثانية من الرسوم التي تصور الموت والوطن والعدل والمجد وعلى العمدان التي تستند عليها القبة يرى الانسان ألواحاً مزدانة باسماء أبناء الوطن الذين ماتوا في سبيل الدفاع عن القوانين والحرية في ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ يوليو سنة ١٨٣١ وسأذكركم عليهم بمناسبة العمود الذي أقيم لاحياء ذكرهم

وما ينبغي تبيينه الشرقى اليه من الرسوم الكثيرة المزدانة بها جدران هذا الهيكل الصورة التي تمثل الامبراطور شارلمان وهو يعيد العلوم والآداب بعد اندراسها ويفتح المدارس ويؤسس المكاتب ويستقبل وفود الخليفة هرون الرشيد ومعهم من قبل أمير المؤمنين مفاتيح القبر المقدس هدية منه لهذا الملك العظيم الشأن وهناك طننستان من ستائر الجبلين قيمتهما ١٠٠.٠٠٠ فرنك (أربعة آلاف جنيه انكليزي تقريباً)

ومن صعد الى أعلى قبة القبة رأى أجمع المناظر وأحسن المرائي اذ يكون مشرفاً على باريس وطرقاتها وقصورها وحركتها أما الدور الذي تحت الارض فهو عبارة عن مجلة مغارات

منقسمة إلى أروقة منتظمة يتردد فيها الصدى بكيفية تقرب مما رأته بل سمعته في رومة وبيشة وكنيسة القديس بواس بلوندره وفي اللوفر ومحفظ القنون والصنائع بباريس وغير ذلك وفيه قبور كثير من عظماء فرنسا الذين يتناخروهم أبناؤها إذا جمعهم المحافل .

وقد كان رجوعى إلى باريس عقيب وفاة رنان (Renan) بيضة أيام وكانت الجرائد ورجال السياسة مشغولين بمسئلة فنه إلى البانتيون وكثر حديث القوم بهذا الشأن إلى درجة لا يمكن تصورها وجزت مسئلة رنان إلى التحدث بنقل غيره من مشاهيرهم أيضا فقدم وزير المعارف مشروع قانون لمجلس النواب لكي يصادق عليه حتى يكون نقل بقايا رنان بمقتضاه وقد قال الوزير في تقريره مامعناه (ان حكومة الجمهورية تقترح على المجلس ان يملك ميشليه وكنيته مع رنان في هذا الاجلال والتعظيم فانهم وان اختلفت ملكاتهم وتباينت أفكارهم ومصنعاتهم فلا تزال بينهم رابطة لا يجموها مرور الزمان اذ كانوا كلهم أساتذة في مدرسة فرنسا وقد أنشأها مؤسسها لخدمة المعارف الحرة وهم كلهم قد جاهدوا لتأييد الاستقلال فيما يتعلق بأبداء الافكار وكلهم احتملوا الشدائد وقاسوا المصاعب في هذا السبيل)

ولكن الجرائد وبعض أعضاء مجلس النواب شطوا في الطلب
وتغالوا في نقل عظام بعض المشاهير الى الباتيون وكثير منهم
أخذ في التهزيء والتهمك وفريق آخر في نحت كلك مستنفة
من لئظة باتيون وهكنا ما هو شأن الجرائد في هذه البلاد عند
حلول أى حادث يستلفت الانظار فقام جماعة بطلب نقل عظام
بعض البارعين في توقيح الانعام وآخرون منتصرون لنقل بعض
المؤرخين أو رجال السياسة أو المعارف أو النظم أو الادب أو
التصوير أو الطب أو نشر الكتب أو الكيمياء أو الاقتصاد أو اللغات
أو أعضاء مجلس النواب أو غير ذلك وقام بعض النواب بطلب نقل
بقايا تيارس المشهور فردت عليه أخت زوجته بكتاب أرسلته الى
كافة الجرائد ترجوه فيه العدول عن هذا الطلب لان زوج شقيقها
كان على الدوام يعرب عن رغبته في أن تدفن عظامه بجانب أهله
وقالت له في ختامه (انى أسألك أن تتكرم بالكف عن اقتراحك
وأن تترك الموسيو تيارس بعيدا عن اضطرابات السياسة في مكان
الراحة والسلام الذى اختاره أهله له) وبمثل ذلك أجاب بعض
ورثة الشعراء المشهور لاهرتين والمؤرخ ميدليه برفض نقلهما
الى الباتيون وغيرهما وغيرهما ورأيت كثيرا من الجرائد المعترية
والثانوية اتخذت هذه الحوادث فرصة لاستعمال ألفاظ الطيش
واللئنة فيقولون

﴿ عقود الباتيون الباردة - خبايا المظلمة - زوايا المحزنة
- هبكل المال - مدفن عظماء الرجال الذين يؤدى لهم الوطن
مأعليه من دين الشكران بشع وتقتير - ان هذه العمارة التي اجتمعتها
بنا فلان (كان انشاء هذا الباتيون جريه لانفتقر) أراها لا تحتوي
على شئ من الاجلال الذي يتصور القوم اتخاف عظام العظام اعبه
بعد وفاتهم - ان ذاتي الشاعر الطلياني الذي كتب على الحميم
لواطع على هذه الاروقة الصاقعة بلعالمها في سقر وبئس المستقر ﴿
وأمثال ذلك من عبارات السخرية التي لا أتذكرها ولا أذكرها

وإناسبة هذا الباتيون أذ كر خلاصة موجزة على العائر المشاكلة
له في بعض البلاد التي مررت عليها فاني رأيت في معظم الكنائس
التي تفرجت عليها ان لم أقل كلها قبورا لمشاهير أبناء الوطن
ومن أهم ما يستوقف أنظار المتسوح في أوروبا عند قدومه الى
إيطاليا الباتيون الروماني القديم وفيه الآن قبر الطيب الذكر
فيكتور عما نوبل وفي كل سنة يتقاطر الطليانيون الذين تشربت
قلوبهم بحب الوطن الى هذا المكان ويزورون هذا القبر بغاية
التبجيل والتوقير وبجانب الملك قبر رفائيل الرسام المشهور وغيره
من التابعين في القنون المستظرفة وفي فلورانس مكان يسمى
سنتا كروتشى (الصليب المقدس) ويسمى باتيون إيطاليا لانه

يحتوى على كثير من تماثيل عظمائها فى كل فن ونوع من التصوير والادب والفلسفة والموسيقى والنحت والنقش والسياسة والدولة والعلم الطبيعى وبعض أعضاء العائلة الملوكية وغيرهم ممن كان يندرس ذكرهم لولم يكن اسمهم منقوشا على الرخام ومعروضا لانظار العامة والخاصة على الدوام ولا أطيل الكلام بذكر مافى المدائن الاخرى وأذكر مافى لوندرة فكل الصيد فى جوف الفرا فان دير ويستمينستر هو أحق هذه العمار باسم البانيون أى الاثر الذى يقيه الوطن الشاكر لابنائه فضلهم العارف لهم حق خدمتهم وذلك لان من يريد أن يقف حقيقة على عظمة الامة الانجليزية ومجدها فى التاريخ ينبغى له أن يذهب الى هذا الدير الذى يحتوى على أكثر من ثلثمائة أثر أقامها الوطن لعظماء الرجال فى السياسة والعلوم والموسيقى والفلسفة والشعر والسياحة والملاحة والاستكشاف والاستنباط وتخصيص الروايات وأعضاء العائلة الملوكية وكل من عاون على اعزاز انجلترا ورفع منارها بآية كيفية من الكيفيات ولا شك ان الرجل من أبناء بريطانيا العظمى حينما يدخل الى هذا المكان ويطوفه ويقرأ مافيه من الاسماء يكبر فى عين نفسه ويرى من الواجب عليه ان يبذل كل جهده ليكون جديرا بالانتساب الى هؤلاء الاجداد ولا يكتفى بان يقول كان أبى أو صنع قوى

٧

جبانات باريس

كانت المدافن في هذه المدينة بجوار الكنائس فأقصتها الدولة الى مارواء المساكن حفظا للصحة وتوسيعا لنطاق البلد ويبلغ عددها الآن ٥٩ جبانة منها ١٣ داخلية في حومة باريس والباقي خارجها وأجدرها بزيارة الغريب ثلاثة فقط وأهمها وأكبرها مقبرة الاب لاشيز ولذلك توجهت اليها ثلاث مرات في ثلاثة أيام لانتظامها واحتوائها على كثير من عظماء الرجال هذه المقبرة كائنة على رابية ذات انحدار خفيف ويبلغ مسطحها ١٣ هيكتارا وكانت ملكا لرجل من اليسوعيين اسمه الاب لاشيز (كان أمين سر الاعتراف للملك لويز الرابع عشر) ولهذه المقبرة ذكر متواتر في روايات الفرنسيين وأفاصيهم مما يتعلق بالغرام ولكن أشهر ما وقع فيها انما هو المقاتلة العنيفة بل المذبحة الشنيعة التي حصلت في ثورة الكومون

كان انشاء هذه الجبانة وهدمتها في سنة ١٨٠٤ ثم أخذت بعد ذلك في الاتساع والامتداد من جهة المشرق حتى أصبحت الآن عبارة عن ٤٣ هيكتارا أو ٩٤٠٠٠ متر واعدد سكان قبورها وبعدها ٣ مليون أي أكثر من الاحياء في باريس كلها وفيها

١٥٠ طريق ويمر تحتها نفق لسكة حديد الحزام Chemin de fer de ceinture التي تمر حول المدينة فيكون الاحياء تحت الاموات وفوقهم وليس فيها شيء مما يقبض النمنوس ويرفع الناظرين بل يعتبرها كل من زارها كأنها من أحد المتزهات البديعة وخصوصا حينما يتجول فيها الانسان تاركا نفسه مع تيار الافكار متأملا في هذه الحياة الدنيا ثم يقف من غير قصد قديراً الاسماء التي على القبور ويرى بينها بالصدفة اسم رجل عظيم أفاد الوطن أو الانسانية بكتاباته أو أعماله فاني كنت في هذه الحالة يحصل لي انشراح عظيم كأنني أكتشفت أمراً جليلاً أو وقفت على سرفاع وتعرفت بالرجل ذاتيا خصوصا وان قبور العظماء ليست كلها على حافة الطرقات أو في المواضع التي تستوقف الانظار فترى العالم بجانب الزارع وبعدهما صانع يخلفه شاعر يتلو مؤرخ فتاجر فرجل حينما انفق فنانا كبيرا أو أمير شهيرا أو فليسوف نابغ أو محسن فاضل الى غير ذلك من جميع اصناف الناس وطبقاتهم وأذكر الآن بعض الذين وقفت أمام قبورهم وتذكرت أعمالهم وما استندته من تأليفهم أو الذين سمعت بشهرتهم مكتفيا بذكر الاسماء لعدم الاطالة واعدت نفسي بالاشارة في الرحلة الى أعمالهم مثال ذلك فيسكوني وروستيني والفريدومسيه ولونوار وفاؤين ومادام بلان ولرآزو وقوليني وقيرون واورنافو ومادام هوارو

وما دام ماري رويّر ومورل ووالسكي ولازارجو وزياتلكي والاثر
المقام للعساكر الفرنسية الذين قتلوا في الدفاع عن وطنهم في حرب
سنة ١٨٧٠ المشهورة والاثر المقام للحرس الأهلي الذين قتلوا في
الحرب المذكورة وقبر ميشليه وآدم والكوتس داجولت ودوسيز
وسوليه وكلموس وبرجيه والاثر المقام لتيارص المشهور ومنه يرى
الناظر أمامه قبة البانتيون ثم قبر بلانكي وبيّار ومد موازل الوتر
ومدموازل ودجيليس ولاپلاس وغرسية ومولير بجانب لاقوتين
وجيولسانك ومقبرتهلوجوسان-سيمون وبيلامين كونستان وماكدونلد
والجرمال غوا وبيرايخيه وبومارشيه وسكريب وثوراني وجرامون ولوبل
والمقبرة التي أعدها سارة برنار لنفسها وهي تتعهد بها بنفسها في
أوقات كثيرة وقبر أبادي والمقبرة المخصصة للمسلمين الذين يتوفاهم
الله في باريس وقبر مد موازل دوشسنا والتيران ولافيت ومقبرة
لدولس وأندريو ورسباي ومونج وكازميريرييه وفوتان وديدو
ومقبرة الاسرائيليين وفيها ميشل ليفي (لاوي) وروتشليد ومادام
فولد وراشل (راحيل) الشخصية المشهورة وغيرهم ثم مقبور يلجيس
وجيريكو وبلنجي ودنون ودلامبر

ورأيت أثرًا يشبه ضريحًا مكتوبًا عليه ما هذه ترجمته
(مقبرة الاب الابدي) وأقول انهم يعنون بالاب الابدي المولى
الواحد الاحد الذي لم يلد ولم يولد تعالى الله عما يصفون

وانما ذكرت هذه العبارة من باب الغرابة والعلم بالشيء وناقض الكفر ليس بكافر

وبعد أن استغفرت الله تنزهت عنناته وتقدس أسمائه
حررت كعادتي فقرأت قبر شينيه وكوفيمه ومنتون ولدرورولين
وكوسين ومالهرب وأوير وأراجو ومدموازلون نورمان الكاهنة
العرافة المعروفة التي أنبأت نابليون بجميع وقائعه في المستقبل
بواسطة ورق الكشيشنة بغاية الضبط وتعام التدقيق وكان كما
قالت من غير تحريف أو تبديل وقد اتفق أنها حوكت جملة
حمرار وكانت على الدوام تقول للقضاة انكم انما تتعبون أنفسكم
سدى وتضيعون أوقاتكم عينا فاني لا أموت الا بعد سبعين
سنة (أو عدد آخر لا أتذكره الآن) وبالفعل كانت
وفاتها في الوقت الذي أخبرت به فيموربول بودرى ولويس دافيد
وكسافيه بنسا ولافوازييه وبرناردان دوسان بيمر وشيرويني
وانريشال فيكتور والائر المقام الذين ذهبوا فريسة الحوادث في
شهر يونيو سنة ١٨٣٢ وقبرنيلافون وشامبوليون وكلامان
وجوفوان سان سير والجنرال جوير ودويوتيرن ولافالت وسوشيه
ودافيد دنجيه وبود والمارشال لوفغر وماسينا وبيسكو والمارشال
مورتييه والمارشال دني والمارشال لوبو وراسين وجوفر وسانت
هيلير وريميدوف وبراديه ودروجيه واللان كارلث والشخصية

دجارت وبالزك وواجين دولا كروا وقبر العلامتين كرومى سينللى
وسيقبل وقد ماتا شهيدين فى سبيل المعارف حينما صعدا فى
الجو بالقبة الطيارة الى طبقة عالية جدا وحقاً موراً كثيرة مفيدة
ثم سقطت بهما فلم تقم لهما بعدها قائمة وقبر الكونتس داجو
صاحبة الناليف المشهورة التى أخذت فيها اسمها حيث اتسمت
بدائيل سترن وغيرهم من المشاهير الذين يطول ذكرهم فى هذه
الورقات وهنا أنبه القارئ الى أن بعض الاكابر الذين ذكرت
أسماءهم يوجدون مدفونين فى جهات أخرى من باريس أو فى مدائن
غيرها ولكن الحكومة جعلت لهم قبورا فى هذه الجبانة احياء
لذكرهم وتنشيطاً للاقتداء بهم وليس فى هذا شئ من الغرابة
بالنسبة لعناية هذه البلاد بعظماؤها

بل الاغرب والاعجب أنى رأيت ضريحاً نخباً عليه تمثال رجل
وامرأة بجانب بعضهما وفوقهما قبة لطيفة على عمد رشيقة تحف بها
أشجار صغيرة وأزهار نضرة وقرأت عليهما هذين الاسمين (هيلويس
وأيلار) وصار اسمهما على المحبة الزوجية الصادقة الحقيقية وقد
أحضر هذان التمثالان الى باريس وعينت الدولة بوضعهما فى هذه
المقبرة فى مكان لطيف وعلمت انه متى اصطبج قتي بفتاة وتبادلا
عهود المودة الحقة والالفة الصادقة وشرعا فى عقد الزواج باتيان

الى هذا المكان في كثير من الاحيان في أوقات خلواتهم من الناس، ويضعان الازهار والاكاليل على هذا الضريح تيمنا بنبات الوداد وتماؤلا يتبادل الصداقة من الطرفين ولهذين الاسمين قصة أرى من الواجب ذكرها هنا لزيادة الايضاح بل لزيادة الاستغراب وذلك ان هذا الرجل من مشاهير الفلاسفة واسمه ورد بهذه الاختلافات Abaalartz, Abailard, Abèlard, Abeillard, Belardus, Abailardus, Abaulardus, Abaielardus, بل و Bailart وهو من كبار الفلاسفة اللاهوتيين التعليميين وله مذهب مشهور في الفلسفة وابتكارات ومصنفات مفيدة في الموسيقى وكان يعيش في منزل شماس له حفيذة من أشراف فرنسا بارعة في الجمان واسمها هيلوييس فكلفه أن يتم تعليمها ويؤدبها فكلف بها ابيلا رحتى لقد كتب في هذا المعنى يقول «ما كان لنا سوى بيت واحد فالبنا ان صار لنا فؤاد واحد» وبعد زمن قليل أحست الفتاة بالحبل فكشفت أستاذها (أو خليلها) بذلك فهرب به اذات ليلة وأخفاها في شمال فرنسا عند أخته فوضعت ولدا سمته بطرس اسطرلاب وحينئذ أراد الرجل أن يتزوج عشيقته ولكنها رفضت قائلة بان ذلك وخيم العواقب على محبوب قلبها وقد كتبت له (ان أصحاب المدارك ونوابغ الرجال لا يصح لهم أن يربكوا أنفسهم بالعائلة ومشاغلتها) وأيدت رأيها بنصوص من أقوال اللاهوتيين من

اللاتينيين واليونان ويقال انها أجابته الى طلبه في آخر الامر، بعد كثرة الحاحه ولما اطلع الشمس على هذا السر شرع في الاقتصار من الفيلسوف فارشبي خادمه ودخل عليه بالليل ومعه نقر من ذوى قرابته وصحابته ثم أوثقوا كنانا ايلار وجبوا خصاه فألح الفيلسوف اللاهوتى المخصى على خديته أوز وجته بان تهرب فأجبت ثم لحق بها فى الدير وأسس دير الراهبات وما زال يمارس التعليم والتدريس بما ينطبق تارة على أفكار اللاهوتيين ويختلفهم أخرى وهو يوالى وداده لصاحبه التى بقيت أصدق الناس على ولائه حتى فارق الحياة وقد رأيت أيضا عودا أقامته الحكومة كأنه قبر لملك من ميوت غريفا يعتبره أهل الميت قبرا له ولذلك تراكم عليه الاكليل فى بعض المواسم بما يفوق العذ والوصف

واعلم أنه وافق وقوع مولد جميع القديسين أيام مقامى يباريس فاغتتمت هذه الفرصة وتوجهت لهذه المقبرة لكي أقابل ما أراه فيها بما هو جار عندنا وهذا اليوم يسمونه عيد الاموات وقد نزل المطر رذاذا طول النهار ولكنه لم يمتنع أهل يباريس من التوجه الى مقابر أهلهم وذويهم ووضع الاكليل والازهار عليها كما هى عادة الافرنج ولاأذكر شيئا عن تراجم الجاهير فى هذه المقبرة التى زرتها حينئذ وأكتفى بذكر العدد وقدره ٤٨,٣١٠ ومع ذلك فقد قال فى

الثقات ان الازدحام كان أقل مما في الاعوام الماضية وبلغ عدد الذين توجهوا الى جميع الجبانات (بما فيها الاب لاشيز) ٢٦٧,١٩١ ولوفرضنا ان نصف هذا العدد كان حاملا لباقات أزهار ثمناها في المتوسط قرنك واحد لتحصل عندنا ٥٣,٤٢٤ جنيه انكليزي (منها نحو ٢,٠٠٠ لعمود العرقى الذى ذكرته) وهو أقل مما يمكن تقديره لان الفقير منهم يقتر على نفسه ويقتصد من مأكله ومشربه عند اقتراب هذا الموسم لكى يتمكن من شراء اكليل يهديه الى فقيده العزيز المحبوب فان عادة اهداء الاكليل متمكنة عندهم الى درجة لا يتصورها العقل حتى انه كثيرا ما يتفق ان الرجل أو المرأة يموت جوعا واذا طلب من أصحابه وأصدقائه شيئا يستعين به على سد رمقه أجابوه بالرفض فاذا مات فى عصر النهار أوفى اليوم الثانى بادرت الجماعة التى ينتمى اليها (مصورين حدادين نجارين طعانيين أو أعلى أو أدنى من ذلك) بفتح قائمة اكتاب تبلغ قيمتها مئات من الفرنكات فيشترون بها رجاما يضعونه على قبره ولا كليلًا يحتفلون بإيداعه عقب دفنه

وأذكر بمناسبة الاحتفال بالاموات ان الفرنسيات أشد الامم الذين رأيتهم اعتبارا للآيت حتى انه متى مرى راجل الجنازة يادى الرقيق قبل الوضيع برفع قبعته اجلالا واعظاما مهما كانت درجة الذى فارق الحياة الدنيا وهو شبيه بما فى عند بعض المصريين المتمسكين بعاداتهم الشرقية الحميدة فانك تراهم عند مرور النعش أمامهم يقفون

لجبالاوبتشهدون وبقرؤن شيامن القرآن الكريم مع بعض كلمات
مؤثرة مأثورة فياحبذا هذه العادة وياحبذا الاحتفاظ بها
وقرأت في الجرائد بمناسبة عيد الاموات ان جميع الفرنسيات
الذين في برلين توجهوا بصحبة أعضاء جمعية محبة الانسانية وموظفي
سفارة الحكومة الجمهورية الى قبر العساكر الفرنسية الذين قتلوا
في برلين اثناء حرب سنة ١٨٧٠ وان وقد حضر من فرنسا الى
هذه العاصمة لهذه الغاية وكذلك جرت جماعة الفرنسية المتوطنين
في بروسل Bruxelles عاصمة البلجيكا على عانتهم فتوجهوا في
احتفال عظيم الى الاثر المتنام لاجياء ذكر الجنود الذين ماتوا في
خدمة وطنهم وكان السابق في هذه المظاهرة المليئة القومية
اعضاء غرفة التجارة فانهم وضعوا على الاثر اكليل جيزلا عليه
هذه العبارة (من أعضاء غرفة التجارة الفرنسية ببروسل الى
مواطنيهم الذين ماتوا في سبيل الوطن - اول نوفمبر سنة ١٨٩٢) ثم
جاءت جمعية التعاون الفرنسية ووضعت اكليل في غاية الاتقان
مصنوعا من الحديد المطروق وعليه هذه الكلمات (الى الجنود
الفرنساوية الذين ماتوا لاجل الوطن في سنة ١٨٧٠ وسنة
١٨٧١ - من جمعية التعاون الفرنسية ببروسل سنة ١٨٩٢)
ثم وقف الرئيس على سطح الاثر وألقى خطابا لابس من تعرييه في
هذا المقام وهو

أقيمت الأتار وشيدت الانصاب في كل مكان سقطت فيه
العساكر أثناء دفاعها عن الوطن في سنتي ٧٠ و ٧١ فسواء في
ذلك المدائن الكبيرة والكفور الحقيمة

وقد اختار التزلاء الفرنسيون منذ بضعة سنين هذا اليوم
أول نوفمبر لتجديد سيرة أولئك الشجعان الذين أثنى عليهم الجراح
وققدوا بعض الاطراف والاعضاء فلاذوا بهذه الارض أرض
بليكا لقضاء ما بقي من أيامهم فيها

ومن الامور المستعذبة الموجبة للتسليية الباعثة على العزاء أنهم
مع بعدهم عن مسقط رأسهم وأرض اجدادهم قد صادفوا هنا عناية
أخوية جديرة بالمدح والثناء - ان بليكا أكرمت مشواهم
وعلمتهم بالحسنى - فهذه العبارة الجميلة المنقوشة بحروف من
الذهب على هذا القبر العام الذي ضم بقاياهم يكون فيها ذكرى
للأجيال الحاضرة والآتية بما اصطنعته بليكا من العمل الممدوح
المحمود واليد المشكورة المبرورة

ولما الهناء نحن اعضاء جمعية التعاون الفرنسيات على مجيئنا
الى هذا المكان نشرف فيه على قبور هؤلاء العزاز تلك الراية المثلثة
التي كانوا يسيرون تحت ظلها في ميادين القتال - فلتحى بليكا
وتحى فرنسا انتقى

وقد أصغى جميع الحاضرين الى هذا المقال بغاية الرعاية

والاجلال وعند ما تم الرئيس كلامه أبدوا كلهم علامت الأقرار
والاستحسان

٨

بعض الأعمدة والبوابات
والفساق وبرج ايفل

ان الأعمدة الأثرية في باريس هي ثلاثة أولها وأقلها أهمية عمود
سواسون وهو الأثر الوحيد الذي بقي من القصر المعروف بهذا
الاسم وارتفاعه ٣٠ مترا ويقال انه كان مرصدا لنجم الملكة
كاترينة دومديس كان يراقب فيه حركات الافلاك واقتران
الكواكب ليتمكن من اختيارها بالكائنات قبل كينونتها وفي
داخله سلم يوصل الى قته وفي أعلاه مزولة شمسية

والثاني هو عمود فاندوم في الميدان الجميل البهيج المعروف
بهذا الاسم وهو مسبولك من برونز ١٢٠٠ مدفع اغتتمتها الجيوش
الفرنساوية في الوقائع الحريسة وتمت اقامته في سنة ١٨١٠
وارتفاعه ٤٤ مترا و ٢ سنتيمترا وقطره ٤ أمتار وفي منتهاه
تمثال نابليون متسجعا بجلا من امبراطور روماني وعلى هذا العمود
نقوش وكتابات تتخذ اتصارات القرنساوية في أوائل هذا القرن
والعمود الثالث هو المعروف بعمود يوليو وهو في وسط ميدان

الباستيل أقيم تخليداً للذكر الحرة في نفس المكان الذي كانت فيه قلعة الباستيل معدن الجور والحيف والاستبداد وعليه بجروف من الذهب أسماء الذين استمأوا في اعلاء كلمة الحرية ونشر رايتهما على ديار فرنسا في سنة ١٧٨٩ وفي سنة ١٨٣٠ وفي أسفله مقابر أولئك الابطال محطاً للاعجاب والاجلال ومن صعد الى قمة هذا العمود الذي يبلغ ارتفاعه ٤٧ متراً رأى باريس كلها تحت أقدامه وأمتع ناظره برأى جميل معجب وفوق هذا العمود تمثال من البرونزا المذهب يمثل ملاك الحرية وفي يده مصباح يرسل النور منه الى جميع أطراف العالم

وبمناسبة العيدان ذكر المسئلة المصرية المعروفة بمسئلة كيلويطرة التي هي أجل حلية في أجل ميدان في أجل مدينة قد أهداها الخلد المذكور محبي مصر المغفور له أفندينا الكبير الحاج محمد علي باشا الى فرنسا فوضعتها في ميدان الكونكوردي (الائتلاف) الذي تحف به تماثيل كثيرة تمثل مدائن فرنسا التي خدمت الوطن برجالها وأعمالها وهذه المسئلة من حجر واحد من الصوان الوردي وعليها كثير من النقوش البريائية وطولها ٢٢ متراً و٨٣ سنتيمتراً ووزنها ٢٥٠٠٠٠ كيلوجرام وفي أسفلها ترى نقوشاً بالذهب تمثل كيفية اقامتها ورفعها بمقتضى علم الاثقال وكان ذلك في سنة ١٨٣١ على يد المهندس الماهر الوسيوليا

أما البوابات والاقواس فهي كثيرة نذكر منها باب القديس
دنيس (وهو الذي بعد أن قطعت رأسه في أيام الاضطهاد رفعه
من الارض بين يديه وهو مخرج بالدماء) وهو أثر جميل قد نالت
عليه العمارة والتميم وكانت أقامته في سنة ١٦٧٢ تجميدا
لذكر لويز الرابع عشر وتذكارا لفتوحاته في بلاد الالمان

وكذلك باب القديس مارتين على مقربة من الباب السابق
تذكارا لفتح اقليم فرانش كوتى وهزيمة الالمان على يد لويز الرابع
عشر وفيه نقوش بارزة متقنة

وقوس الكوكب وهو أكبر بوابات القوز والانتصار
الموجودة في باريس فان مجموع ارتفاعه ٤٥ مترا و ٣٣ سنتيمترا
وعرضه ٤٤,٨٢ مترا وأول من ابتدأ في تشييده هو نابليون
في سنة ١٨٠٦ لاجل تخليد فتوحات الجيوش الفرنسية واحياء
مآثرها ولكنه لم يتم الا في عهد الملك لويز فيليب

وبلغت نفقاته ١١٥,٠٥١,٩٠٥ من الفرنكات (قرىبا من
٣٦١٣٢١ جنيه) وهو كاه مغشى بنقوش في الحجر مناسبة لمقتضى
الحال وحول أركانه الاربعة عمائيل ضخمة تصور هيئة السفر والمقاومة
والقوز وعقد الصلح وفي بعض أعاليه رسوم بعضها يصور واقعة

أبي قبر وأخرى تمثل استيلاء فرنساوية على الاسكندرية - وقد
تقصده ثوار الكرمون في سنة ١٨٧١ فوجهوا قنابلهم نحوه ووالوا
اطلاق المدافع عليه ثلاثة أسابيع متوالية كان عدد المقذوفات
التي أصابته في كل يوم بالمتوسط ٩٠ فيكون مجموع ما أصابه
من القتل ٢٠٠٠ بالتمام ولكن القوم أعادوا ترميمه واصلاحه
بعد أن انطقت نار هذه الثورة الشنيعة

وفي يوم ٣١ مايو سنة ١٨٨٥ عرضت الدولة فرنساوية
تحت هذا القوس التابوت المحتوي على جسد الطبيب الذكرفيكتور
هوجو باحتفال جليل استمر ٢٤ ساعة

وقد صعدت الى أعلى هذا القوس فاستغرق ذلك من وقتي
٨ دقائق ورأيت من فوقه منظرا جميلا جدا إذ أنى كنت في
ميدان يصب فيه ١٢ دربا سلطانيا محتوية على صفتين من
الاشجار وخلقها المبانى الفخيمة أو البساتين البديعة

وقد سبق لى كلام وجيز على قوس نزار الكاروسل فلا
موجب لاعادته فى هذا المقام وانما أستعوضه بذكر برج القديس
جاء فانه فى وسط حديقة أيقنة فى مركز ميدان الشانليه
وهو من أطرف الأثار القديمة الباقية فى باريس وفى أمفله
جولة عـدان فى وسطها تمثل العلامة المحقق باسكال وفى قته

تمثال القديس المذكور - وارتفاع هذا البرج ٥٢ مترا وفيه
بعض آلات فلكية خاصة بعلوم الآثار العلوية وفيه غرفة
يحضر اليها التلامذة لتعلم الرصد وما يتعلق به وقد تناقل القوم
ان العلامة باسكال جدد فيه تجاربه المتعلقة بمعرفة مقادير ضغط
الهواء على البارومتر

وأما الفساقى فهي كثيرة في باريس منها ❀ فسقية كوفيه
العالم بالتاريخ الطبيعي صاحب الاكتشافات الكثيرة ومخترع علم
الكائنات الحفرية وفوق هذه الفسقية تمثال من الحجر للتاريخ
الطبيعي ❀ ثم فسقية الشاتليه في مكان يحسن كان هناك قديما
وهي في وسط الميدان المعروف بهذا الاسم الآن وعليها تماثيل
للإمانه والقوة والصفوة والتيقظ ويتدفق الماء الى حوضها من
أفواه أسفنكسات (أبو الهول) وفوق الفسقية تمثال الانتصار
وفي يده إكليل الفخار ❀ ثم فسقية جرستل وفيها تمثال باريس وهي
جالسة في سفينة وتحت قدمها نهرا السين والمارن وحولها
تماثيل الفصول الاربعة والسفنتين اللتان هما شعار لها ❀ ثم
فسقية الابرياء تحيط بها حديقة زهرية وهي من أجل الآثار
التي يقصدها الزوار وعليها نقوش تمثل جنيات الماء في غاية
الابداع وقد كانت أولا في سوق الفواكه ثم نقلوها الى محلها

الآن حجرا حجرا ﴿ ثم فسقية لوفوا وهي بناء أنيق أمام المكتبة
الاهلية وتحتوى على تماثيل متقنة تمثل الانهار الاربعة التي في
فرنسا تحمل الحوض العلوى الذى ينحدر منه الماء في الفسقية
﴿ ثم فسقية مولير من الرخام الناصع أقيمت بواسطة اكتباب أهلى
وفي أعلاها تمثال هذا الشاعر الجيد وعلى يمينه ويساره تمثال
الكوميديا الجديدة والكوميديا الهزلية ومعنى الكوميديا
التشخيص المضحك وهذه الفسقية أقيمت أمام البيت الذى مات
فيه الرجل ﴿ وفسقية الرصدخانة وهي عبارة عن حوض فيه ثمانية
أفراس بحرية وكها من البرونز وفي وسطها تمثال أقسام الدنيا الاربعة
تعلوه كرة أرضية ﴿ ثم فسقية القديس جرجس وفيها تمثال الايمان
والرجاء والاحسان في المرمر ﴿ ثم فسقية سان سوليس في وسط
الميدان الكائن امام الكنيسة المعروفة بهذا الاسم وحول هذه
الفسقية تماثيل بوسويه وفنلون وماسيلون وفليشييه وهم من
أكبر وعظام الكنيسة وأشهر كتاب الفرنساوية ﴿ ثم فسقية الانتصار
مزودة بتماثيل الايمان واليقظ والقانون والقوة وفوق الجميع
تمثال الانتصار مموه بماء الذهب

وفي باريس فساق أخرى مثل اللتين يزدان بهما ميدان
الكونكورد (الانتلاف) واحدهما رمز للملاحه في النهر
والثانية للملاحه في البحر ومثل اللتين في ميدان التيازو الفرنساوى

وفسقية مهندس ونوتردام والقديس ميشل (وقد كانت العمارة
جارية فيها أثناء وجودي بباريس)

أما بروج ايغل فقد طار خبره وعرف أمره وقدره بحيث كان
الواجب أن يهمل ذكره ولكنني أتخف القارئ بمعلومات جديدة
وأقص عليه شيئاً من التأثير الذي حصل لي أثناء ارتقائه في المصعدة
(Ascenseur) والنزول منه على درج السلام ولا حاجة للاحاطة بأنه
أعلى جميع الآثار التي شاهدها الإنسان في جميع الأزمان فوق
سطح هذه الكرة الأرضية وأنه يحترق كبدا للسحاب (من غير مجاز)
بارتقاعه البالغ ٣٠٠ متر وطالما كان المطر يتهاطل على أسافله
وحواليه من غير أن يصيب الذين قد ارتقوا إلى ذروته بحيث
انه لو كان فيهم ممدوح لصح لشاعره أن يقول انه علا حقيقة
على السحاب مثل ذلك الذي قيل فيه انه علا في الحياة وفي
الممات وعدوا له ذلك من المعجزات

وفوق قمة هذا البرج قبة عليها فناري يعث الضياء فيبدد حجب
الظلام بما يرسله من مختلف الألوان بحسب ألواح الزجاج ويمتد
شعاع النور إلى مسافة قاصية ويعرض واسع وأول ما رأيت الفئار وأنا
فوق إحدى قناطر السين رأيت مناسيره أشبه شئاً بأجنحة طاحونة
عظيمة يديرها الهواء بسرعة وأما البرج فهو أشبه شئاً بشمعدان

هائل خصوصا مع وجود النور في أعلاه وهذا الشعبان مرتسكزي
على أربع قوائم مسافة الانفراج بين كل قاعة والثانية عند القاعدة
١٠٠ متر وكنت أثناء اقامتي بباريس أتربص في كل صباح
فرصة الصعود الى هذا البرج الفريد لا تتمتع بما حوله من المناظر
الرائقة ولكن نوالى احتجاب الشمس في أغلب الايام كان يحول
دون هذا المرام حتى خشيت تعذر الحصول على هذه الامنية
لاقترب ميعاد اقفاله ولكن الله يسر لي يوما طاعت فيه الشمس
بهجتها وأرسلت صافي أشعتها فبادرت اليه مسرعا وأنا لأصدق
نفسى من شدة النرح وكنت كلما صعدت في طبقة أرى المدينة
تنضم الى بعضها وتقتارب أبعادها وتتصاغر مسافاتهما وتتلاقى
أطرافها فتبدو بكل جمالها فرجة للناظرين وبينها نهر السين
كفناة طويلة يتصور الانسان أنه يكفيه أقل وثوب للانتقال
من أحد شطبيها الى الآخر وعليها القناطر العديدة أشبه بخطوط
كثيرة مستطيلة كأنها شريط رفيع من البناء أو سلك رقيق من
الحديد وكانت بركة الماء كدموع من مآقى المشتاق وبعض بنى
الانسان أشبه بالازهار أو بتلك العرائس الصغيرة التى يتلاعب بها
الصبايا والبعض الآخر كأنهم من قوم يآجوج وما جوج أو من
أولئك الاقزام العائشين فى أواسط افريقية وكانت باريس بازدهامها

كقربة التمل أو خلاية النحل وكنت كلما ارتقيت ازادت أماى
بهجة الرياض الانيقة والقصور الرشيفة المجاورة للبرج مثل
قصر التروكلاير ووحديقة الشان دومارس وفقبته البديعة وقبة
القصر المركزى وفوقها تمثال الشهرة ثم قبة رواق الآلات وقبة
الانفالىند والباتيون ثم تياترو الاوبرا وقصر الصناعة وعود
فاندوم و برج كنيسة فوتردام وفى أثناء ذلك كنت أسمع اعتراف
الرياح فى الصبا والجنوب وتضارب تياراتها فى القبول والعبور
فمحدث لها قرعة كأشد ما يكون من تلاطم الامواج فى البحر
العجاج وبينما أنا غارق فى هذه الاحوال نهى بعض الذين سعدوا
الى صحيفة يكتب عليها الزائر اسمه أو أى عبارة تحظريه فأخذت
القلم ورفقت ماأملت به على القرية نذكرك يايفل لقد
برعت فيما أبدعت ونبتت بما اخترعت فعلوت بهنالك
على سائر أبناء عصرك كما ارتفع برحك الى عمان السماء فانقا
جميع الآثار السماء مفصحا بكل اسان عن فضل الالة الفرنساوية
فى ميدان العرفان

ثم نزلت متمهلا متأملا وقد كبر الرجل فى عيني أكثر مما
كنت تصورته خصوصا بعد أن علمت ان الموسيو ايفل اذا جلس

على كرسية امام مكتبته يكون ضغطه على الارض أكثر من ضغط هذا البرج الهائل وذلك أن قوة الضغط التي تحدث على الارض اذا جلس على الكرسي (هو أو أى انسان آخر) تكون باعتبار ثلاثة أو أربعة كيلوجرامات بالاقبل عن كل سنتيمتر مربع بخلاف البرج فان تأثيره على الارض هو باعتبار كيلوجرامين اثنين فقط مع أن ثقل البوية التي على جدرانها قد قدرها العلماء بنحو ٣٠ طونولاطة وقرروا أن مجموع وزنه (من غير البوية) يعادل ٧ مليون كيلوجرام وقالوا ان الهواء الموجود في قصر الآلات يزن ربع هذا المقدار مع لطافته فيا للعجب العجاب من غرائب الاحصاء والحساب

ومما يجمل بناذكره في هذا المقام أنهم استخدموا هذا البرج لامور كثيرة مثل الاكل والشرب والتصوير والبيع ونحو ذلك وانهم وضعوا فيه منذ سنة ١٨٩١ مانومترز بقيا لقياس تمدد البخار هو أكبر وأجسم مظهر في الوجود الى هذا الزمان وقد أعدوا في الصيف الماضي تيارو في إحدى طبعات هذا البرج وكانوا يشخصون فيه رواية عنوانها (باريس في الهواء) ومن المعلوم ان رجال الاقربح يرفعون قبعاتهم أثناء التشخيص ولكنه اتفق في بعض المرات وجود رجل لم يتبع هذه السنة بل أتى عمارة على رأسه فتدمر

الحاضرون واعتبروا ذلك اهانة منه وخروجا عن حد الادب ثم طالبوه برفع القبعة فأبى فجاء اليه مدير التياترو وأظهر له وجوب الامتثال فما ازداد الرجل الاعنادا وادمرارا بحيث لم يكن للمدير من واسطة سوى استدعاء رجال الشرطة واخراج الرجل بالقوة ولكنه تدهر وتهمل ثم ذهب بجانب رئيس الموسيقى فهمس في اذنه بكلمة واحدة أجابه عليها صاحبه بعلامات الامتثال ثم رفع عصاه فلمنت جوقة الموسيقى السلام الرومى فكان الرجل أول من وقف ورفع قبعته اجلالا وتعظيما ثم قال (ان هذا خبث منك وكيد عظيم . اننى أخشى تيار الهواء في مثل هذا المكان وأفضل الانصراف على هذا الاضطرار) ثم خرج وشكر الناس حذق المدير وفطنته في صرف هذا الحادث الذى أوجب اغطا كثيرا واضطرابا شديدا وذلك لان التقرب في هذه الايام شديد وثيق فيما بين فرنسا والروسية ومتى سمع أحد الفرنساويين النشيد الروسى الوطنى قابله بالاجلال في الحال وكذلك الروس يكشفون الرؤس عند ما يسمعون النشيد الفرنساوى حتى ان رجلا من محررى الجرائد في بطرسبرج واسمه برتوف حضر الى باريس أثناء اقامتى بها ساعيا على أقدامه ليس الا في كل هذه المسافة التى يبلغ طولها ٩٥٠٠ كيلومتر فقط وكان يعشى في اليوم الواحد ٣٠ أو ٤٠ كيلومترا وقد استغرقت هذه النزهة

منه نحو ٨ شهور ونصف ولما حلّ يباريس كان آلاف كثيرة من
الناس في انتظاره فحياهم وحيوه ورحبوا به كثيرا وأطبت الجرائد
بمدحه

وقد ظهرت في هذه الايام الاخيرة جريدة اسمها (برج ايتل)

٩

بستان المبان

كان تأسس هذا البستان في سنة ١٦٢٦ واقتتاحه للجمهور في
عام ١٦٥٠ وهو ينقسم الى أربعة أقسام أولها البستان وثانيها
مربي الحيوانات وثالثها متحف التاريخ الطبيعي ورابعها الابار
(العنابر) الزجاجية المعدة لتربية نباتات البلاد الحارة ومما يليق
ذكره أن الانسان اذا دخل من أكبر أبواب هذا البستان يرى أمامه
ممشين من الصفصاف غرسها العلامة بوفون المشهور وفي منتهى
البستان توجد العار التي مات فيها الرجل المذكور في يوم ١٦
ابريل سنة ١٧٨٨ وفي هذا البستان مدرسة لشجيرات الزخرفة
ومدرستان لاشجار الفاكهة احدهما مخصصة للفاكهة ذات
التواة وأما الثانية فلاشجار الفاكهة ذات البزر وفيها ١٨٠٠
نوع من أشجار الكثرى وهناك مجموعة أشجار مثمرة تحت الدرس

والمطالعة ومدسة لعلم النبات تحتوى على أكثر من ١٣,٠٠٠
نوع من النبات

وأما مربي الحيوانات ففيه ٢٢ مقصورة عليها أبواب من
قضايا الحديد تسرح فيها الحيوانات الضارية والوحوش الكاسرة
والطيور الجارحة كالأسد والنهد والبيرو والقرائق والنمر والذب
والنسر والعقاب والرخ والكندور وغير ذلك وفيها أصناف لا تحصى
من الحيوانات المعروفة في بلادنا والمجهولة لنا مثل الايائل والوعول
والاروية وتيسوس الجبل والأثوار والابتمار والاغنام والماعز
والهاموس ذى السنام والكنجوزو والذئب والضباع والحلايف
وبسات آوى والعقبان والنسور وغير ذلك مما لا يمكن الاطاحة به مع
تعدد أصناف النوع الواحد وهناك قطعة مستديرة مغطاة بأسلاك
الحديد تسمى قصر القردة فيه منها أجناس كثيرة بين كبيرة وصغيرة
وأمام هذا القصر مستدير كبير ترى فيه الافئال وأفراس البحر
والكركدن وأصناف الهجين وهناك تمر قذاة من الماء تسبح فيها
خلائق كثيرة من الطيور المائية وبالقرب منها ترى حيوانات
بحرية تسمى آساد الماء وبجانها أبراج لانواع كثيرة من الطيور
ومرابٍ لاطيار الصيد المرغوبة مثل الصقور والبواشق والشواهين
وغير ذلك وهناك أصناف من الايائل الخنزيرية التي توجد في بلاد

الهند وبالقرب من هذا المكان مربي أطيار الدج والقطا والحجل
والقواخت والورق والورشان والشفانتن والطياهيح وغيرها والطيور
المفردة وأنواع البيغاء والطواويس - وقد رأيت في كشك الزواحف
أصنافا كثيرة من الثعابين السامة وغير السامة وعددا عظيما من
السلحفاة والورل والضفادع والعلاجيم وأصناف التمساح التي أشهر
بها نيلنا السعيد وحرّم من رؤيتها المصريون فلا بد لهم من الحجىء الى
باريس لرؤية هذا الحيوان المشهور حيا يرزق لأمعلا على بعض
البيوت لفائدة لم أفق عليها مع كثرة السؤال عنها (١) وفي هذا الكشك
أيضا أصناف كثيرة من أسماك المياه العذبة

ولابد لنا من ذكر كلمتين أيضا على رواق تطبيق التشريح
وعلم الانسان (الانثروبولوجيا) فإنه يحتوى على ٢٤٠٠٠ تجهيز
وأكثر من ١٣٠٠٠ نموذج يختص أكثرها بدرس السلائل
البشرية القديمة والحالية و ٣٠٠٠٠ جمجمة و ٢٠٠ هيكل
عظمى وجسده قطع تتعلق بالانسان الحقرى (الذى وجد في
الكائنات الحقرية) - وفي الدور الاول من هذا الرواق مجموعة

(١) ربما كان ذلك من باب التيمم بحصول الخطب والبركة كما هو الشأن في نهر النيل
بالنسبة لقطر مصر السعيد فإن التمساح أخص حيوانات النيل المبارك لانه امتاز به
على سائر الأنهار تقريبا وبه يرم اليه عند أرباب الصنائع والقوس من القدماء
والمحدثين - وربما كانت هذه العادة بقية من آثار الجاهلية المصرية والقرعنة
اللاويين فان هذا الحيوان كان من أفلس المبودات في قديم كبير من وادى النيل

وافرة من هياكل جميع الحيوانات وغرف كثيرة مخصصة لدرس التشريح الانساني وفيها صور جميع الاجناس بحيث يتمكن الباحث من مقابلتها ببعضها وهناك مجموعة كاملة من رؤس مصنوعة من الجبس يمكن لاهل علم الفراسة أن يطبقوا معارفهم عليها أوزيدوا في معلوماتهم بواسطتها وخصوصا أن القوم اعتنوا بتجميل رؤس بعض المشاهير في ارتكاب الجرائم واقتراف الجنایات - وأمأم باب هذا الرواق حوت هائل طوله أربعة عشر مترا (من الصنف المعروف بالهائشة) وهيكل عظمي وجناح من أفراد هذا النوع وسمعت أنه يوجد متحف لما قبل الطوفان غير أني لم يتيسر لي رؤيته مع كوني توجهت الى هذا البستان ثلاث مرات في ثلاثة أيام ولكن اتساعه وكثرة ما فيه من الغرائب حالاني وبين رؤيته بجميع أجزائه وتفصيله وقد رأيت هناك شيوخ البحر تسبح في بركة من الماء ولها صيحة مزعجة ورأيت أشجارا لا تنارفيها الخضره على الدوام ولا حاجة لذكر العناية الزائدة التي تلاقها نباتات البلاد الحارة في عنابر هذا البستان فإنها فوق الوصف ولكن القوم لم يتمكنوا الى الآن من تربية النخل المثروان كانوا يوصلوا الى حفظ كثير من أصناف النخيل الخاصة ببلاد الهند وأواسط أفريقيا

وأما متحف التاريخ الطبيعي فيحتوي على شيء جسيم وعدد عظيم من الحيوانات الثديية والكبيرة وهما كل الحمتان (الهوائس)

والآساد والاعمار والدباب والقروذ والزواحف والطيور والاسماك
والحيوانات الرخوة والحشرات كل ذلك يهندام ونظام لا يمكنني
ان أصوره للقارئ باى حال فان وصف ما في هذا المتحف يستغرق
مجلدات كثيرة وحياء علماء عديدين قد وقف كل واحد منهم نفسه
على درس فرع صغير من فروع هذه الفنون

وهناك أيضا رواق كبير فيه مجموعات مشتبكة من الاحجار
الضالة والنيازل والشهب الساقطة من السماء ومجموعة فيها أنواع
الطبقات التي تتركب منها قشرة الكرة الارضية وصخور ومعادن
وأحجار كريمة ثم رواق النباتات وفيه تماثيل الفطر والكماة
(بنات الرعد) بالجبس ومجموعة من النواكه الجافة والقواكه
اللحمية والازهار محفوظة في الكؤل ومن النباتات ٢٠٠٠٠٠
نوع وأكثر من ٥٠٠٠٠٠ عينة وكثير من أصناف النباتات
الخرزية

١٠

المدارس والمجلات الخيرية والاعانات

رأيت كثيرا من المدارس ووقفت على بعض أساليب التعليم
وأحطت بوسائل التقدم وأرى الآن وجوب الاكتفاء بالكلام
على مدرسة المنظمات السياسية ومدرسة العميان ومدرسة الخرس
عسى أن يكون لشرحي فائدة في بلادى

أمام مدرسة النظامات السياسية (Ecole des chartes) فينتلقى مدعسة
الطلبة فيها كثيرا من الفنون أخصها علم أصول اللغة الرومانية السام
واشتقاقاتها وعلم الكتب وتنظيم خزائنها وعلم السياسة وتاريخ
النظامات السياسية والترتيبات الادارية والقضائية في ديار فرنسا
ثم عيون التاريخ الفرنساوى وفن تنظيم أوراق المحفوظات وتاريخ
القانون المدنى والكائسى في القرون الوسطى وعلم الآثار
(الاركيولوجيا) في القرون الوسطى - وتفتح قاعات الدروس للطلبة
من الساعة التاسعة الافرنكية صباحا الى الساعة الرابعة أو الخامسة
بعد الظهر بحسب اختلاف الفصول ولا يتجاوز عددهم في السنة
الواحدة ٢٠ تلميذا وينبغى أن يكونوا من الفرنساويين الحائزين
شهادة البكالورية في العلوم البالىغين من العمر ٢٥ سنة كاملة
بالاقل ويلزم امتحانهم في الترجمة من والى اللغة اللاتينية من غير
استعانة باى معجم أو قاموس وفي تاريخ فرنسا وجغرافيتها قبل
أول القرن التاسع عشر ومن يكون منهم عارفا بالالمانية أو
الانجليزية أو الاسبانية أو الطليانية يكون له فضل السبق على
غيره عند تساوى الدرجات وقد ترتب على احداث هذه المدرسة
فوائدجة أوجب تفصيلها الى الرحلة ان شاء الله

مدرسة العيمان فنظرا لفوائدها الجمة خصوصا في قطرنا
المصري يجب على أن أتوسع في القول عليها قليلا مدخرا الاشباع
الى الرحلة

يوجد في فرنسا ٣٢,٠٠٠ أعمى لهم من المدارس الخاصة
بهم نحو ٦٠ مدرسة وأهم هذه المدارس وأكملها مدرسة شبان
العيمان الاهلية Ecole Nationale des Jeunes aveugles
الكائنة في باريس بدرب الانثالييد وقد كان تأسيسها على يد
الفرنساوي فالنتين هاوى في سنة ١٧٨٤ وهى أول مدرسة
ظهرت في الوجود من هذا القبيل وربما كانت أفضل من
بعض المماثلة لها وأحسنها نظاما وترتيبا وفيها الآن
١٥٥ غلام و ٨٠ فتاة ومدة التدريس عشر سنوات تكون
بين سن ١٠ و ٢١ سنة ويتلقون فيها علوما عقلية وفنونا
حرفية

فأما التعليم العقلي فهو ابتدائي وعال وقاعدة القراءة والكتابة
فيها جارية على الاسلوب الذى ابتدعه الاعمى الفرنسي براى
في سنة ١٨٢٦ وهو عبارة عن رسم الحروف بنقط بارزة لاتزيد
عن ستة عن أى حرف

وأما التعليم الحرفي فيشمل الغزل والحراطة وعمل الكراسي

وأشغال الإبرة والنسيج والموسيقى والالمان (وهذان الننان قد بلغا الدرجة القصوى والمكانة العظمى حتى لقد فاق تلميذان وتلميذة من المتخرجين بهذالمدرسة في امتحانات عمومية على كثيرين من المتميزين بنور الباصرة)

ومساحة الارض التي تشغلها هذه المدرسة هي ١١٨٠٠ متر منها ٣٥٠٠ مشغولة بالمباني وفي فناءها تمثال مؤسسها وهو يحاول تعليم الاعمى والفتيات قسم منعزل تمام الانعزال عن قسم الفتيان وللإساتذة غرف السكن بالمدرسة فيها كل ما يحتاجون اليه وهناك سقينة كبيرة يتنزه التلاميذ تحتهما ويتفرغون للعب والرياضات أثناء اشتداد الاهوية و نزول المطر وتغير حالة الجو - أما نظام التهوية وتدبير التدفئة ففي غاية من الكمال والموافقة في الغرف والفصول والمكاتب والورش والمآكل والعتابر (الانبار) وفيها بيعة صغيرة للطقوس الدينية وحمامات فيها ٣٠ قسما وفي كل قسم منها جهيزات الدوش (صب الماء رشاشا لانعاش كافة الجسد) بحيث يستحم كل تلميذ وتلميذة مرة واحدة في كل خمسة عشر يوما بالاقل وفي المدرسة ورش للتجبير والنضج والترميم خاصة بالآلات الموسيقية التي يستعملها التلامذة ولذلك غايتان أولاهما الاقتصاد فلا تتكلف المدرسة نفقة ذلك في

الخارج والثانية تمرين التلامذة على اصلاح الآتهم بانفسهم
واضافة ما ينقصها وتعرف مواقع الخلل فيها حينما يسقط مسمار
أو ينقطع وتر وفي المدرسة مطبعة خاصة بها يطبع فيها التلامذة
كتبا كثيرة في فنون الآداب والموسيقى مما يحتاج اليه العميان
وقد رأيت أيضا مكتبة فيها ٢٥٠ مجلد بالنقش البارزة
و ١٦٠٠ من الكتب المطبوعة بالكيفية الاعتيادية وهناك
واعظ يقوم بالقاء الدروس الدينية وأما التلامذة الذين لا يدينون
بالمذهب الكاثوليكي بل بمذهب آخر معتبر في الحكومة فتعاليمهم
يكون بحسب ديانتهم بعد الاتفاق على ذلك بين المدرسة وبين
أهلهم وشؤون الصحة منوطة بطبيب وحكيم أسنان موظفين في
المدرسة (وعند الاحتياج يستشار حكاء آخرون) وطبيب عيون
وجراح ولا يقبل التلامذة الا فيما بين السنة العاشرة والثالثة -
عشرة وقد خرج منها كثير من النابغين الذين أعلا قدرها وشرفوا
ذكرها بما اكتسبوه من حسن الاحدوثة وما قاموا به من الخدم
الجليله فمنهم برائى الذى أشرنا اليه قبلا ورود نباخ الذى كان
أمينا لاحدى مدائن البلجيكا ونائبا عن الامة في مجلس النواب
البلجيكي من سنة ١٨٢٢ الى يوم وفاته في سنة ١٨٣٩ وبنجون
الذى كان مدرسا للعلوم الرياضية في مدرسة أنجى الشهيرة وحائزا

لوسام اللجهون دونور من درجة شقاليه ثم فوكو ذلك الميكانيكي
البارع الذي اخترع جهازيات كثيرة لتسهيل المكاتبه بين العيمان
والمبصرين وجوتية وروسل ولوبل وهم من أساتذة المدرسة قد
صنفوا ثلاثين موسيقية دينية وعمومية لها عند العارفين قيمة
عظيمة وغير هؤلاء عدد عظيم يضيق عن سرد المقام ويوجد في
فرنسا الآن أكثر من ٢٠٠ أعمى ينالون ربحا واسعا ورزقا حللا
طيبا من صناعة البيانو بل ان بعضهم يديرون مخازن يبيع آلات
البيانو أو اصطنائها

وقد تأسست شركة مهمة لاستخدامهم ومعاونتهم والاهتمام
بكل ما يتعلق بهم حسا ومعنى وبسط لواء حمايتها ورعايتها عليهم في
جميع الاحوال وفي طول حياتهم ولا تطلب منهم في نظير ذلك
سوى السير المجد والاقبال على العمل بقدر ما تسمح لهم به
حالتهم وبلغت ايراداتها في آخر ديسمبر سنة ١٨٩١ ٣٢,٣٣٥ من
الفرنكات (نحو ١٢٩٢ جنيه ونصف تقريبا) ومصرفاتها
٢١,٥٧٩ من الفرنكات (نحو ٨٦٣ جنيه وربع تقريبا)
والباقي في صندوقها ١٠,٧٥٥ من الفرنكات (أى قرىبا من
٤٣٠ جنيه وربع) وأما رأس مالها فهو عبارة عن ١٨٥٤٩٦
من الفرنكات وقد اتسع نطاقها وكثر عدد المشتركين فيها بالاقساط

والنبرعات حتى بلغ عددهم ٨٥٠ شخص منهم ٢٨ من أكابر سيدات فرنسا جمعيات الجمعية تحت حمايتهن و ١٧٨ من السيدات و ١٥٢ من العذارى و ١١٤ من التلامذة الموجودين فيها لتلقى الدرس منهم ٤٠ فتاة

وقد تأسست جمعية أخرى باسم فالتين هاوى غايتها تعليم العميان الذين يعلمون وتشغيل العميان الذين لا يعلمون ولها ثلاث جرائد خاصة بالعميان الأولى (فالتين هاوى) وهى مجلة عمومية تبحث فى جميع المسائل المتعلقة بالعميان والثانية (لويس براى) وهى جريدة تطبع بالحروف البارزة لكى يقرأها العميان والثالثة (مجلة براى) مثل التى قبلها وتظهر فى كل يوم أحد مشكوة بالمسائل الادبية والعلمية والموسيقية ولهذه الجمعية قاعة الخطابة يتباحثون فيها فى كل ما يهم العميان وتبعتها أيضا مكتبة متنقلة تعبر العميان الكتب المطبوعة بالحروف البارزة ليقروها فى بيوتهم ويستفيدوا منها فى أوقات فراغهم - ومن ملحقاتها المتحف وقد تكلمت عليه بما فيه الكفاية واللهولى المحسنين

مدرسة نجرس أما مدرسة الخرس فلا يدخلها غير الذكور ومدة التعليم ثمان سنوات فيتعلمون فيها زيادة عن المعارف الابتدائية أحد الفنون الآتية وهى طباع الحجر (مع الكتابة والنقش على الحجر)

وتنقش الخشب وطبع الحروف والنجارة واصطناع الاحذية وفن
النسائين وأما التعليم الديني فيقال عنه فيها كما قيل في مدرسة
العميان - والغذاء مرتب بكيفية توافق الصم الخرس ولهم جامات
بجهازات ايذروا ليكبة وحوض للسباحة ومروج واسعة وصحون
فسيحة يلعبون فيها الجباز ويتعودون على الرياضات الجسدية
وخالصة القول ان المدرسة تعنى عناية كلية بتقوية ابدانهم
وأمرجتهم وفيها طبيب ومساعدان له وحكيم عميون وجراح عارف
بفن الاسنان ومستشفى يقوم بالخدمة فيه ممرضات حائزات للدبلومة
وقد شاهدت التعليم حينما يحىء الطفل فيها أول سنة ويترقى
شياً فشيأً بكيفية تدهش العقول فاتهم منعوا استعمال
الاشارات بالاصابع مرة واحدة ولا يتجاسر أحد من الاساتذة
أوالتلامذة على ابداء أية اشارة ظاهرة أو خفية وكل التعليم جار
فيها (وفي جميع مدارس أوروبا وأمريكا كما علمته) بواسطة النطق
بالاصوات ولذلك يجتهدون في تعليم الاخرس مخارج الحروف
بغاية الدقة ونهاية الاعتناء وقد تكلمت مع بعض الخرس فكانوا
يجيبونى بالجواب المناسب غير أننى في أول الامر رفعت صوتى
كثيراً فلم يفهمنى الاخرس مطلقاً مع أننى رأيتهم ناظر المدرسة
كأنهم ما يمكن بالنسبة لحالته فتمكرت الامر وحينئذ دعانى

الناظر لان أخفض صوتي (لاني مهمابالغت في رفعه فان يسمعي
أبنا) وان أكله وجهها لوجه حتى يتظر حركات شفتي ولساني
فعلت بما رسم وأجابني الاخرس على الوجه المرغوب ثم اني
أملت على جملة من التلامذة عبارة فرنسوية فكتبوها بالضبط
الا واحد منهم أخطأ في حرف واحد تشابه الخارج ثم كتبوا اسمي
واسم بلدي على التختة ولم يهملوا الا حرف II المقابل للحاء في
لفظة **محمد (أحمد)** لعدم امكان التطق به في الفرنسوية
وأما الفنون الحرفية والصنائع اليدوية وحرث الارض وغرسها
ففي درجة من التقدم يغبطهم عليها أكثر الناطقين بالضاد وبغير
الضاد وفي المدرسة متحف جليل يحتوي على جميع الطارق التي
تؤدي لتعليم الاخرس ورسوم ونقوش وتصاوير كثيرة من صنع
الخرس وقد كان بعضها فوقان عند الهارفين على ما صنعه كثير
من الناطقين ويقال ان هذا المتحف لانظيره في البلاد الاخرى
فان الابدولوي (وهو أول من عنى بتعليمهم) له أكثر من ١٠٠ قطعة
تراه فيها مصورا في جميع أحواله وهناك عدد عظيم من الخف
المتنوعة التي برع في إحداثها كثير من الصم البكم الذين نبغوا
في جميع أنحاء العالم ومما ينبغي ذكره بوجه الايجاز ان هذا المتحف
يحتوي على رسوم الاماكن التي استقرت بها هذه المدرسة قديما

وحدثنا ومناظر تصور هيئة أهم مدارس الخرس في فرنسا وفي الخارج وصور الاب سيكار ومعلمي الخرس من الفرنسيين والاجانب وكثير من أعظم العالم الذين لهم دخل في تاريخ تعليم الخرس من مؤسسي المدارس ونظارها والمحسنيين ومشاهير الكتاب ورجال الحكومات وأهل السياسة ثم أعمال الخرس في جميع العصور وعند جميع الامم من مصورين ونقاشين ونحاتين ورسامين وطباعين وفوتوغرافيين ومهندسين ثم صور كثير من مشاهير ارباب الفنون الخرس ثم ميداليات ومسكوكات وكتابات بخط اليد وأشياء نادرة وغير ذلك مما يتعلق بهذه الطائفة

وقد تألفت جمعية لتعظيم الخرس ووافق أنها اثناء اقامتي في باريس أولت وليمة فاخرة احتفالاً بحلول السنة المتممة للائة وثمانين من يوم ميلاد الاب دولوي نعم اني لم أحضر هذه الحفلة الغريبة الشائقة ولكني لأرى بأساً من افادة القارئ بما علمته عنها من الجسائر وذلك ان المدعوبين كانوا كثيرين وكانت الحفلة تحت رئاسة الموسيوكوشفر وهو من المهندسين الذين تخرجوا بهذه المدرسة وبعد انقضاء الطعام وقف حضرة الرئيس يخطب في القوم بيلاعة باهرة مستعينا بالايحاء والاشارة فانه ألم أحسن إليهم بذكر حمية الاب دولوي وسرد ما أثره التي

أفاضت الخيرات على جزء عظيم من بني الاندلس ثم شكر الجمهوريه
الفرنساوية على مساعدتها في تحسين حال أمثاله ثم ختم مقاله
باهداء ميدالية الى أحد النقاشين البارعين من انجس و قدّمها
له باسم وزير التجارة والصناعة ثم تلاه كثير من الخطباء انجس
وكانوا كلهم يفيدون الحاضرين بإشارات ظاهرة مفهومة

أماكن البر
والاحسان

أما أماكن البر والاحسان واصطناع المعروف وانعانة
الملهوف فهي أكثر من أن تعد ولها شؤون كثيرة وفائدة عظيمة
فمنها ما تساعد الامهات لتكنهن من ارضاع أطفالهن أو فقراء
المعتوهين الناقهين بعد خروجهم من البيمارستانات أو تلتقط
اليتامى انثاء أو ذكوراً وتكفل بتعليمهم وتربيتهم في طريق الشرف
والاستقامة أو تعاون فقراء الازاسيين واللورانيين الذين تركوا
وطنهم وآثروا الفقر مع بقاء الجنسية الفرنسية لئلا يذهبوا الى
تحت أحكام المانيا أو تضم الامهات الفقيرات أو تضيف النساء
والرجال الذين لا مأوى لهم باللبل أو تتكفل بالفقراء من الرجال
أو النساء الى أن يجدوا لهم خدمة يتعيشون منها أو بالنساء
الحبالى فقط أو الطاعنين في السن دون سواهم أو لوصف الادوية
أو لتقديم الدواء أو للوالدات بعد الولادة وهن في دور النقاهة
أو للفتيات بعد مرضهن أو لتقديم الاشغال للحياطات اللاتي

ليس لهم جُذمة أو لتتكفل بالإبناء حين اشتغال والديهم عنهم بسبب كسب القوت أو لتطبيب الاطفال على العموم أو المصابين بداء مخصوص مثل الخنازيري والكلب أو الادواء العضالة وغيرها أو لاستخدام العذارى في مخازن التجارة أو لاستخدام النعلة والعملة من الجنسين والكتاب والحساب وغيرها أو لتعليم الزراعة أو لتبني الاولاد ووضعهم في مرابي اليتام أو لاستخدام اليتامى والاولاد الذين تركهم أهلهم أو لمساعدة العائلات أو لتعليم الاطفال الفقراء حرفة الصياغة والجواهر والساعات وغير ذلك من الفنون الحرفية أو للاغراب الامريكانيين أو الانجليز أو النمساويين أو المجرين أو الطليانيين أو البولونيين (اللاهيين) أو السويسريين أو البلجيكين أو جميع الامم أو لتقديم الخبز أو لتقديم صنف من الطعام أو لفقراء المرضى أو لتعصيد التكايا أو لقبول المعلات اللاتي ليس لهن وظيفة يتعبدن منها أو لفقراء الاسرائيليين أو لتقديم الجهازات اللازمة لمن تقطع بعض أعضائهم أو للولادة أو لتسهيل الزواج بحسب قواعد الدين واجراء المساعي اللازمة بين الطرفين أو لتسهيل الزواج بالطريقة المدنية من غير توسط القسيس وتقديم كل ما يلزم من الصكوك والاوراق مجاناً والتكفل بأثبات نسب الاولاد وجعلهم شرعيين أو لحماية الجنود البرية

والبحرية الذين أحرزوا نشانات في وقائع التونكين أو لمساعدة
جرحى الجنود (وهذه الجمعية مركبة من النساء) أولاد الذين كانوا
في سلك البحرية وحازوا وسامات اللجيون دونور أو الذين سبقت
لهم الخدمة في الجيش أو لمساعدة عائلات وأرامل ضباط
البرية والبحرية أو عمال الحكومة الذين تشابه وظائفهم وظائف
الضباط أو لترتيب معاشات للعسكرية أو لحماية الذين يتطوعون
في الخدمة العسكرية أو لتخديم الشبان الذين يتخرجون ببعض
المدارس أو لاقراض عائلات العمالة المبالغ اللازمة (من غير
فائدة) لاستخلاص الأشياء التي وضعوها في بنك الرهونات ثم جاء
الاجل ولم يتيسر لهم المال المطاوب أو لدفع ايجار مساكن
الفقراء أو لاعادة الفقراء والمرضى الى أوطانهم أو لمساعدة المحتاجين
من المستغلين بحرفة سباق الخيول أو لبذل الاعانة اللازمة في
الحال أو لمساعدة الذين يروحون شهداء تادية الواجب (وقد أرسلت
هذه الجمعية في شهر اكتوبر الماضي ٤٠٠ فرنك لشخ احدى
البلاد ليوصلها الارملة رئيس المحطة وقد دهسه الواور بينما
كان يجتهد في انقاذ امرأة ارتبكت على الشريط وقد أقي الواور
و ٣٠٠ فرنك لعائلة رجل مستخدم بالدخولية دهسته العربات
بينما كان يمتاع تهريب بعض الاصناف و ٢٠٠ فرنك لرجل

من بوليس باريس أصابته جراح بايعة بينما كان يحاول توقيف
خيول حرونة - وقد وردت لها في الشهر المذكور وصية من زوجة
أحد القضاة بمبلغ ١٥٠,٠٠٠ فرنك ووصية أخرى قدرها خمسون
ألف فرنك من أحد النقاشين وثلاثة من إحدى العذارى وقدرها
٥٠٠٠ فرنك) وهناك أيضا جمعيات لا تدخل تحت حصر فاني عدت
الجمعيات التي وقفت على اسمها وعنواناتها وبيان أعمالها فإذا
هي ٢٤٥ جمعية بعضها له فرعان وخمسة وعشرون بل خمسة
وعشرون وبعضها خاص بطائفة من الناس أو بدين مخصوص
أو بجنسية واحدة أو بسن معين أو ببنى الانسان على العموم
وفضلا عن ذلك فان الاكتابات تراعى في كل جرائدهم
لاقل حادثة مثال ذلك أنني رأيت اعلانات من دار أمانة القسم
الاول من باريس تدعوفيه أهل الخير لتمد يد المساعدة اليها بالتعاون
الفقراء على احتمال البرد وشدائده وتقول فيه انها أنفقت في السنة
الماضية الاعانات التي جمعتهما من أرباب اليسار وقدرها ٢٠٠,٠٠٠
فرنك وأنت تعلم ان باريس تحتوي على ٢٠ قسما ولا بد انها
كلها صارية على هذا المتوال ومثال ذلك انه لما أضرب العمال في
مناجم الفحم الحبرى بكارمو Carmaux عن العمل قمت جريدة
الاترانسيبان اكتتابا اشترك فيه كثير من الناس وكنت أرى

في أعمدتها ان فلانا وفلانا وفلانا من النعلة في كذا تبرعوا
بمبلغ فرنك واحد ولكنني ما كنت أستخف بذلك مثل أولئك
الذين يحتقرون مسخائر الاشياء ولا يعلمون انها أس الاجتماع
ومنبع العران ودليلي على ذلك ان الاترانسيجان جمع من هذا
الاكتاب مبلغا يزيد على ١٨,٠٠٠ فرنك ثم ان المجلس البلدى
في باريس أرسل لهؤلاء العملة بمبلغ ١٠,٠٠٠ فرنك صفقة
واحدة وقد توأردت عليهم الاعانات من جميع الجهات ومن جميع
الطوائف ولا بد أن القارىء ووقف في الجرائد السياسية على تفاصيل هذه
الحادثة الهائلة التي اضطرت لها أساطين السياسة في فرنسا وشغلت
العالم بأسره فلذلك لا أرى وجها للخوض فيها فضلا عن أن
شرحها يحتاج لوقت طويل ومثال ذلك أيضا الاعانات التي يادر
أهل فرنسا على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم بإرسالها الى البحرى
من جنودهم - م في غزوة داهوماى فن ذلك ما قرأته حينئذ في
الجرائد أن المحفل الماسونى (الزاس ولورين) قد أرسل لهم ٢٠٠
فرنك على يد وكيل وزارة المستعمرات وأرسلت لهم جمعية نساء
فرنسا والجنود اتبع في التونكين ٣٧ صندوقا فيها أصناف كثيرة
من المأكولات والملبوسات وغير ذلك واقدمت بهم اطوائف كثيرة في
هذا السعى الحميد ولكن بحريدة الفيجارو فأقتبس الجميع فانها كتبت

في يوم ٧ نوفمبر استحث أهل البر وخصوصا كبار التجار على المساعدة في اكتاب بلنود داهوماى وقالت انها تفتحه في نالي يوم وتقلده في اليوم الثالث وان ذلك يستوجب التجميل ولم يرد اليوم الثالث وهو ٩ نوفمبر حتى كتبت تقول «لقد أجيب نداؤنا بما كثر من جميع امالنا فقد اجتمع في مكتب الفيجارو في أقل من يومين ٢٢٢.٠٠ زجاجة من نيذ بوردو والشامبانيا والمياه المعدنية و ٢٥٠٠ علبه من المريات وأصناف المأكولات المحفوظة و ٢٩٥٠ قطعة من مزبعات الشكولاته و ٢٣٤٥٠ سجارة فرنكية و ٣٠٠٠ سجارة مصرية وأكثر من ١٠٠.٠٠٠ صنف من الاصناف المتنوعة مثل شراب الروم والشارتروز ومثل التايوكا وغير ذلك مما سبق لنا سرده في العدد الماضى وكان مبلغ النقود التى وردت لنا ٤٣٠٠٠ فرنك ونصف (١٧٢٠) جنيه تقريبا في يومين اثنين خلاف الاصناف الاخرى) وقد أفلتنا باب الاكتاب» ثم أوردت بيان الاصناف وأسماء المتبرعين ولا فائدة في احاطة القراء بذلك فان هذا الاقبال يعنى عن الشرح والبيان وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون - ومثل ذلك اهتمامهم بعائلات الذين ماتوا في حادثة انفجار الديناميت في شارع بوزانفان أثناء اتقامتى في باريس فكان رئيس الجمهورية أول من اهتم بشأنها وقد

أرسل مندوباً من قبله ذهب الى منزل كل واحدة من الارامل وأعطاها اعانات من جيب رئيس الجمهورية الخصوصي وأعلمها بأنه مشارك لها في أحرانها ثم توجه الموسيولوبى رئيس الوزراء حينئذ فزار كل واحدة منهن في مسكنها وقدم لها مساعداته شخصياً ووعدهن بان الحكومة تتكفل بالارامل وتعهدهن بتربية اليتامى ثم جاء محافظ المدينة ووزع عليهن ٧٠٠٠ فرنك ثم تعدهن مرة ثانية وقدم لهن ما ورد اليه برسمهن من لجنة مصانع الحديد في فرنسا ولجنة مناجم الفحم الحبرى وقدم لهن أيضاً مبالغ جمعت في احدى الولايات وقد علمت ان متدارماً أرسلته لجنة مناجم الفحم ٥٠٠٠ فرنك ووردت المساعدات من جميع أنحاء فرنسا بما يضيف عنه المقام ثم تقرر ترتيب معاش لعائلات المصابين الذين كانوا في خدمة الحكومة يكون نصفه من ميزانية الحكومة والنصف الآخر من ميزانية مدينة باريس وكان فيهم رجل من خدام القومبانية (التى قصد أصحاب الديناميت تدميرها) فلذلك تقرر صرف المعاش لارملته وأولاده باحتساب النصف على الحكومة والنصف الآخر على القومبانية المذكورة وهى قومبانية معادن الفحم الحبرى فى ككارمو -
وختلاصة القول ان تفنهم فى وسائل الاعانة واقبالهم عليها أمر

يستغرق شرحه مجلدات ضافية الذبول يدل على ذلك ما قدره أهل المعرفة من ان مبلغ الاعانات التي يبذلها أفراد الناس في باريس على حدتهم يزيد على ٢٥ مليوناً من الفرنكات في كل سنة (انظر جريدة الطان عدد ١١٥٤٨ من هذه السنة) ومع كل هذا الاجتهاد فلا يزال بعض الناس يموتون فيها جوعاً وان كانت النسبة أقل بكثير مما في لوندرة فقد رأيت في العدد ٣٧٥٠ من جريدة الغولوا جولة طويلة على الفاقة والخلاص من العمل في باريس اقتطف منها بعض شذرات جديرة بالاعتبار

قالت انه بحسب البيانات الرسمية والاسمعلومات المؤكدة التي استحصلت عليها يتضح أن عدد العملة الذين منعهم شدة الشتاء ووقوف حركة الأشغال من كسب القوت يقرب من خمسين ألفاً وان طلبات الاعانة قد تواردت على مكاتب الاحسان العام بمقادير جسيمة تزيد من المعتاد وان هذه المكاتب تمد ساعد المساعدة نحو ٩٢ أو ٩٣ ألفاً من المحتاجين وانها تقوم بمعالجة نحو ٩٠ ألف من مرضى و ١٩ ألف والدة في منازلهم وان عدد الملهوفين بحسب التعديل المتوسط سيزيد في هذا العام زيادة تذكر - أما الملاجئ الليلية التي يلوذ بها الفقراء عددهم السكن فقد بلغ عدد الوارد على أحدها في كل يوم بالمتوسط ٢٠٠

رجل مع انه لايسع الا ١٥٠ وكان عدد النساء أكثر بكثير مما
قدرهن فان الزارد منهن في اليوم الواحد بالمتوسط نحو ٥٠ مع
انه لايسع الا ١٥ وان استمر الشتاء على شدة وكبه كما هو
المنظور يزداد عددهن أكثر من ذلك وقد بلغ عدد النساء
والاطفال الذين لجؤا اليه في العام الماضي ٣,٦١٧ مضوا
به ٩٦٥٧ ليلة وفي جلتهن الخدمات والمعدات والابكار
والارامل وامثالهن وغير ذلك والمقرر في هذا المجال اعطاه
الرجال كسرة من الخبز في الليل وورقة للخباز لاخذ رغيف
وقليل من المرق بالنهار وأما النساء فلهن الخبز والمرق في نفس
المجال نعم ان هذه الكسرة وهذا القليل من المرق أمر زهيد جدا
لا يعتد به ولكنه في الجملة تصل قيمته الى ٢٥ ألف قرنك هذا
فضلا عن كون بعض معامل الصناعة في باريس تعهد بتقديم
٥,٠٠٠ كيلو من الخبز في كل شتاء الى هذا المجال احتسابا لوجه
الله تعالى ومعاونة له على أعماله الخيرية وهذا المجال يوزع على
أضيافه في كل عام من ٢٠ الى ٢٤ ألف كسوة وقيص
وبحوراب وصدار وفتان وحذاء وغير ذلك واني لأرى بعد
ذلك كله حاجة للشرح والبيان بل أجد الله على حالة بلادنا
وأهلها

التيارات والملاهي والمنزهات

أصبح التخصيص في باريس من الكليات الحاجية التي
لاغنى لاهلها عنها حتى ان الرجل ليقصد من مصروفه الضروري
لتمضية الليلة في أحد التيارات وكثيرا ماتسكبد بعض العائلات
تفقه باهظة جدا لقصر احدى المقصورات بواسطة الاشتراك
(وخصوصا مقصورات الاوبرا) ليقال عنها ان لها مكانا معيناني
هذا التيار أو في ذلك المريح ولذلك لايندران يحل موسم
افتتاح التيارات الكبيرة وليس فيها محل خال للايجار والاعظم
من ذلك ان الاوبرا يؤجر أما كنه بالسته شهور بل بالسنة
الكاملة ويخيل لي ان أغلب نساء هذه العائلات انما يحضرن
هذه الملاهي لعرض ملابسهن وابداعهن في زخرفتها وزركستها
ولاستجلاب العيون والعوينات نحوهن لالتصافح سماع الاغاني
والالحان أو شهود التخصيص والتمثيل اذ أنهن يكن غالبا في اثناء
ذلك مشتغلات باصلاح الفستان وهندمة دواتره ومستديرانه
وتعديل الصدر وتنميق الوشاح والحفايلة بالمرآح ذات الالوان
التي تأخذ بالابصار وتراهن عند ما يستقر بهن الجاس يندفن
بعد هذه الهندمات الضرورية لهن باستعمال النظارات المقربة

المكبرة المحسنة لمراقبة بعضهم بعضا واستيقاف رائد الطرف نحو
التي تجلت في جلابيب الطرف وفاقت بحسن الشكل وبرعت
بجمال المنظر ثم يرسان اللعاط الفاترة في بعض الفترات لرؤية
الرجال وهم يرمقونهم على الدوام حتى اذا جاءت نساء التشخيص
التفت هؤلاء اليه وأقبل أولئك على شؤونهم الأولى من اصلاح
الملابس والانتان في التبرج والاغراب في البهجة مع توالي النظر
في المرايا أو المسامرة مع بعضهم ومبادلة أفكارهن فيما يتعلق
بهن.

تلك يا صاح حالة التيارات على العموم والاورا على الخصوص
وصفتها كما رأيتهما - قديما بعرو بن العاص ذلك الصحابي الجليل
الذي مع قرب عهده بالبداهة لم يتحاش من قول الحق في رسالته
المشهورة التي بعث بها الى امام المسلمين وأمير المؤمنين الخليفة
عرب بن الخطاب رضى الله عنهما وأرضاهما حيث قال في عرض
ومنه لمصر وأهلها (وَسَأَوْ بِطَرَبٍ) ولم يؤاخذوا الخليفة الراشد
المشهور بالصرامة والجد والصلابة في الحق الى آخر حد

وقد اقتديت أيضا بطارق بن زياد فاتح الاندلس فانه قد
وصف نساءها حينما خطب في قومه يحرضهم على قتال رذريق
ملك الاندلس وأطنب في ذكر محاسنهن وجمالهن وغير ذلك مما

قرأه في خطبته التي أوردها صاحب نفع الطيب وجميع مؤرخي
الاندلس وقد ترجمت الى أغلب اللغات الأفرنجية

وقد بنحوتة أيضا نحو ذلك الرحلة المشهور بابن جبير فإنه
وصف نساء الأفرنج في صقلية وصفا مدققا كما يعلمه من له اطلاع
على كتابه المطبوع المتداول وذلك لأن وظيفة السائح تقرير الحقائق
كما هي وذكر الوقائع كما حصلت

وفي أول ليلة توجهت الى الأوبرا ورأيت مقصورات الطرف
في مناصيرهن كأنهم من كواكب السماء قد انتشرت أو أزهار
البهاء قد انتشرت حدثتني المنس بان أصه بعد تشخيص الفصل
الأول الى بهو الاستراحة البهيج للاسترق السمع ولكن لا استرق
البصر فرأيتن كاهن يصدق عليهن قول كعب بن زهير في قصيدته
التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

هيفاء مقبلة بجزء مدبرة * لا يشككي قصر منها ولا طول

ومعلوم ان خاتم الانبياء الذي بعث لتتيم مكارم الاخلاق
أعجب بهذه القصيدة إعجابا لا مزيد عليه ولم يعب على قائلها وجود
مثل هذا البيت فيها بل نظر الى مجموعها وما اشتملت عليه من
الحكم الباهرات حتى انه لم يكنف بحقن دم الشاعر بعد أن كان

أهدره بل خلع عليه بردته الشريفة ولاعجب اذا حق للغريب،
المتلصص في هذه الحال أن ينشد قول من قال
وانك ان أرسلت طرفك رائدا * انليك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والذي جرى على الاثبات بهذا الوصف القليل هو ما جرى
عليه من الاحاطة ببعض أحوال باريس وان لكل مقام مقالا
فان من أراد أن يلم بشئ على التيارات في هذه البلاد لا يجوز
له أن يضرب صفحا عن ذكر النساء فيها لانهن حياتها وروحها
ولولاهن لما كان لها ذكر ولا قامت لها فائمة بل ان الرجل
ليعتبر نفسه من أسعد السعداء اذا أصبح ورأى في الجرائد ان
زوجته أو أخته أو ابنته أو من تنسب اليه هي التي كانت محط
الانظار ومحل الاعجاب والاستحسان فهذه هي عاداتهم وهذه هي
أخلاقهم يشاركون فيها عامة الاور وباوين تقريلولم أر مندوحة
عن الاماع اليها

أما التيارات في حد نفسها فاهمها الاوبرا وقد كان الاحتفال
بافتتاحه في ١٧ يناير سنة ١٨٧٥ بعد أن استمرت العمارة فيه
مدة ١٥ سنة وبلغت نفقائه ٦٥ مليوناً من الفرنكات
وهو المتفرجين يسع ٣٢٠٠ شخص أما ما فيه من المباني

والجسيمة الفاخرة والرسوم الباهية الباهرة والصور الجميلة الجميلة
والتماثيل المتقنة المحككة والنقوش المزخرفة والسلام والقياب
والثريات وغير ذلك من الامتعة الغالية العالية فذلك بمقدار مبلغ
النفقات وفي ذلك ماينفى عن الافاضة

وينجى بعده التياترو الفرنساوى أو الكوميديا الفرنسية
وقد كان تشييده فى سنة ١٧٨٢ ويحتوى على كثير من آثار
الفنون المستظرفة ويعتبره الفرنساوية فخرا قائما لهم وان
الروايات التى تنخص به مسبوكة فى أحسن قالب وأكمل ذوق
ولكن الرواية التى شهدتها لاتشهد بذلك وان كان مؤلفها من
أكبر كبرهم وهو ابن الكساندر دوماى ومن أعضاء الاكاديمية
الفرنساوية فانها عبارة عن امرأة تحققت حياة زوجها لها
فاستعملت كل الوسائل فى ارجاعه عن جهله ولم تنجح فاضطرت
ذات ليلة لاقتفاه أثره فى البالوش فى المواسير وقلده فى جميع
أعماله ثم أخبرته بذلك بتنصیل وتدقيق أثبتت له حضورها فى
المكان الذى كان فيه متخذة لها صاحباً حينما اتفق من الشبان
الى غير ذلك مما لايساعدنى القلم على كتابته وان كانت فى آخر
الامر أثبتت براءتها بقولها عن الشاب المذكور (لقد كذب) فانها
طلبت من زوجها أن يستعلم منه بطريقة خفية فأخبره بمايؤكد

الظن والريية وانى أدع الآن تفصيل أفكارى فى هذا الموضوع الى الرحلة وانما أقول ان أغلب الروايات التى تشخص فى فرنسا بل وفى أوروبا يكاد يكون الغرض منها تعليم النساء الحيل والمكايد مع انهن بنات يجدها وسأقيم البراهين على ذلك بتلخيص بعض الروايات التى يزدحم عليها القوم ولا ازدحام الجياع على القصاص

وكذلك أقول عن جميع التيارات التى زرتها ما عدا الاو برا فى قليل من الاحيان وتيارو الشاتليه غالبا فانه مخصص للقطع التاريخية وما يستحق الذكر فى هذا التيارو الاخير أن عدد الرافعات فيه يبلغ ٢٠٠ عدا المشخصات والمشخصين

واعلم أنه يوجد فى بعض التيارات نظارات موضوعة فى ظهور الكراسى بكيفية ميكانيكية لطيفة بحيث ان عطاها ينفتح بمجرد وضع نصف فرنك فى فتحة فيها وبعد تمام التشخيص يعيدها المنفرج لمكانها

ومن أغرب ما يتعلق بالتيارات تلك الآلة الكهرو بائية المسماة بالتياروفون (أى سماعة التيارو) وبيان ذلك أن لأغلب الجرائد المهمة قاعات فسيحة يسمونها قاعة التلغرافات ولكنها أشبه شئ بمعرض للصور والرسوم وبعض المصنوعات الدقيقة اللطيفة وغير ذلك من مستظرف الآلات ومستحدث البدع فتوجهت

الى كثير منها ورأيت فيها شيا شبيها بالتلفون وفيه فوهة مخصوصة يضع الانسان فيها نصف فرنك أو فرنكا بحسب المدة التي يريد بها ثم يضع السماعات على أذنيه فيسمع الشخصيص بغاية الوضاحة كأنه حاضر في أحسن محل بالتياترو ويسمع الغناء بصوت صريح ويقف على جميع الاقوال التي يتبادلها المشخصون أثناء التمثيل مما قد لا يسمعه اذا كان جالسا في الصف الخامس من المتفرجين ولكن هذه الآلة لا تمكن المستمع بها من سماع التصفيق أو الموسيقى أو غير ذلك مما لا يتعلق بالشخصيص مباشرة لانها مدبرة بحيث تنقل كل صوت يقع في نفس المرحح الذي يقف عليه المشخصون دون سواه وقد حضرت بهذه الكيفية قطعا كثيرة من بعض الروايات التي أعرفها اذ كنت كل ليلة أتوجه الى قاعة التاغرافات في جريدة غير قاعة جريدة الامس

أما قهاوى المغاني وأما كن الرقص وما يشاهها مما يدخل في هذا الموضوع فهي أكثر من أن يتصورها الانسان وكلها في كل ليلة تكون غاصة بالجماهير المجهرة والعوالم المتقاطرة أما المنتزهات والمسابقات على الخيول والعربات والاقدام والعجيلات المنردة والثنائيه والثلاثية (السيكلا والبيسكل والتريسكل) وقبقات الزحافة على الثلج الطبيعي والصنعي والسباحة

والملاحة والصيد والقنص والرماية ومراعى العالم (صندوق الدنيا أو البانوراما) فقد تفننوا وتمقوا فيها الى درجة قاصية حتى ان جرائدهم تخصص لذلك كله أعده طويلا في كل يوم بل ان لكل نوع منها جريدة أو أكثر خاصة به ومنتدى (كلوب) يجمع أهله - وكثيرا ما تكون مسابقاتهم على الاقدام أو العجلات المفردة من مدينة الى مدينة أخرى بعيدتين عن بعضهما بمسافات كبيرة وقد يشاركهم كثير من النساء في هذه المسابقات ويفزن في غالب الاحوال بقصب السبق في هذه المضامير المتنوعة المتعددة

ومن شدة غرامهم بالرحلقة على الثلج أحدثوا في الصيف الماضي قبل رجوعى الى باريس بقليل مكانا سموه (القطب الشمالى) وأحضروا له من آلات التبريد والتليج (مثل الآلات المعروفة في مصر المعدة لاصطناع الثلج) ما فيه الكفاية لتجميد الماء وإيجاد الثلج الصناعى بكية وافرة وحجم سميك يمكن المولعين بهذا النوع من الرياضة من قضاء ما آربهم في غير فصل الشتاء وقد نال هنا المحل اقبالا عظيما جدا مع ارتفاع أثمان الدخول وتأجير القبةاب وتناول المشروبات وغير ذلك وهذا أكبر دليل على أن القوم لم يقدرروا على كتمان اشتياقهم لهذه المسابقة الى أن يحل أوانها حتى اننى لم أربدا من زيارته في بعض الليالى حبا للاستطلاع

والوقوف على حركته وكيفية ادارته فتوجهت أولا الى الحمام
التركي (وهو على طرز الحمامات العمومية في مصر لا يشترق عنها
الابسط نطاقتة ووجود المرشات الباردة وبرك السباحة وكال
المعدات) وقد رأيت في جلة المكبسين الافرنج الذين به رجلا من
الاسكندرانيين اسمه حسن قد فارق ديار مصر مع عائلة
أمريكانية منذ ١٨ سنة ثم انفصل من هذه العائلة واستقر في
باريس يكسب قوته بكده وسعيه وبعد الحمام انتقلت الى القطب
الشمالي فاذا هو مكان فسيح جدا فيه صور ورسوم تصور هيئة
القطب الشمالي وثلوجه ونباتاته وسحبه وكواكبه وغير ذلك ورأيت
الآلات وكيفية ادارتها ووقفت على سير هذه المصلحة المستجدة
بالتفصيل وعرفت أسرارها مما سأخذه بالبيان الشافي في الرحلة
ان شاء الله وقد هزنى الشوق الى مجاراتهم ووطء الثلج بتلك
الاقدام المصرية التي لم يتح لها قط فرصة مثل هذه في وادي
النيل السعيد فاتخذت أستاذا يستندني وكنت أحس بالبرد في
أقدامي والنجعل في نفسي من رؤية الغلمان والفتيان والبنات
والعذارى يتسابقون كالريح الهبوب ويرقصون على هذه المرأة
الصقيلة رقصا موزونا مع نغمات الموسيقى وايقاعاتها ومنهم من كان
يرسم دوائر كبيرة ثم صغيرة فأصغر وهكذا حتى يصل الى نقطة المركز

ومنهم من كان يقع على قلبه الجنوبي في هذا
القطب الشمالي وأنا في خلال ذلك أنقل رجلاً بعد أن
أتحقق من ثبات الأخرى مع التوثق من استنادي على أستاذي
كأنني طفل قد ابتدأ في التخطي أو قبل جسم يسير بك تودة على
حانة هاوية عميقة أو على شفاجر هار وفي أثناء ذلك أخبرني
الأستاذ بان جماعة من الأفرنج عزموا على إيجاد محل نظير القطب
الشمالي في مصر القاهرة بدلا من المكان المصنوع بالقار والأسفلت
المعروف باسم (كيروسكيتنج رنك) فقلت في نفسي لقد صدق من
قال ان هؤلاء القوم لا يمتنع عليهم شيء من مستصعبات الطبيعة
(لان عقلم مني كهم)

١٢

التمثيل والميادين والهرجات المربعة (الاسكوير)
والارصفة والمعابر

تحت مدينة باريس مثل أكثر المدائن الأوروبية بتمثيل
كثيرة لأعظم رجالها ولأ ذكر الآن ما في داخل القصور والنظارات
والمصالح العمومية الاميرية وديار البلدية والمناحف وغرف الجمعيات
العلمية والصناعة والتجارية وغير ذلك من دور العامة والخاصة
وانما أذكر ما رأيته في بعض الشوارع والميادين من ذلك تمثال
الجمهورية وتحت أقدامها غضنفر يحمي كأس الانتخابات العمومية

وعلى قاعدة التمثال رسوم بارزة تمثل أهم أعمال الجمهورية الأولى والثانية والثالثة في فرنسا وثمانيل الحربية والمساواة والاحياء وارتفاع هذا الاثر ٢١ مترا ثم شمال الملك هنرى الرابع وتاريخه مشهور خصوصا في توتده للامة وتقربه من الاهالى حتى انه حينما كان غائبا عن باريس وتردد عليه أهلها ورفعوا لواء العصيان لبعض أمور دينية رجع اليهم وحاصرهم وضيق عليهم الحصار ولما علم بستة الضنك الذى صاروا اليه أخذ يرسل اليهم الخبز من فوق الاسوار مع استمراره على الحصار وكان يقول انى لأرى يدان أمتلكهم بالجوع فذلك مما تأباه الشهامة والفرسية (١) ثم شمال

(١) الأبلغ من ذلك فى الشهامة والكرامة والبر والوفاء والانسانية ما سبق اليه العرب أهل النخوة والجمدة قبل هذا الملك الفرنساوى بسنين وترون فتدروى ثقاة المؤرخين عن قبليق الاوس والخزرج (الانصار فيما بعد) وهم أعز الناس أنفوسا وأشرفهم همما لم يؤدوا اناؤفظ الى أحد من الملوك أن تبعوا الا كبار المعروف بابى كرب كاتبهم يستدعهم الى طاعته وينوع عليهم ان لم يفعلوا أن يغزوهم فكتبوا اليه

العبد نبيكم يريد قتالا * ومكاته بالمنزل المتذلل

انا اناس لا ينام بأضنا * عض الرسول بظرام المرسل

فغزاهم أبو كرف فكانوا يحاربونه بالنهار ويقرونه بالليل فقال أبو كرف ما رأيت قوما كرم من هؤلاء يحاربوننا النهار ويغزجوننا العشاء بالليل ان تحملوا عنكم (انظر صيغة ٥٥ من الجزء الثانى من العقد الفريد لابن عبدبر به طبعة بوزنق

سنة ١٢٩٣

وأبلغ من هذا وذاك ما وقع من رجل وحسده الكتيبة تحاربه فقد جاء فى الانباء

(٢٣ - رسائل)

الجمهورية أمام قصر جمعية المعارف وتمثال الفتاة جان دارك المشهورة
بإخراج الانكليز من فرنسا وتمثال لويز الرابع عشر ملك فرنسا
المشهور وتمثالين لثولستير وتمثال لكاود برنار وآخر لدانتى الشاعر
الطائفي الخلد الذكر ولويز بلان الكاتب الطائر الصيت خصوصا
بتواربجحه على ثورات فرنسا وشارلمان الملك وديدرون أكبر
فلاسفتهم ورأس المؤلفين للووعات الفرنسية وبيرانجية صاحب
التلاحين والاتحافى التى يكاد يحفظها كل فرد منهم والكساندر
دوماس صاحب الروايات العديدة المترجم بعضها الى اللغة العربية
وجان جاك روسو ذلك الفيلسوف العظيم الذى كان له يدطولى في

الصادقة ان تبعا الاخير وهو أو كوكب من حساب من أسعد الخيري خرج من البريريد
انشرق كما كانت التابعة عمل فرالمدينة وتخلبها اناله ثم ذهب الى الشام
ولعراق وهنات باعه قتل ابيه عيلة بالمدينة فكرر راجعا وقد أقسم بحراب المدينة
وقطع نخلها واستنصال أهلها وبى الدرية ثم أرسل الى أنشرف المدينة وفيهم
أُخِيحهُ من الجُلاح (والأخيه في الاله العبط وحزنه العم والجُلاح السيل الجراف) فلما
تقابل الجماعة مع الملك لم يقطن أحد منهم لما أصيدوا السيدته وهم سوى أخيه
فذهب وتخص في حصن له وأرسل الملك بالليل فقتل الذوم كلهم ووجد كتيبة من
خياله لطلبه خاصس ووالانف كان ياتلهم ميرمهم بالنبل والحجار ساراو برمهم بالمر
ليلا فلما مضت الثلاث رجعو الى تبع قتالوا له تبع ما الى رجل بقاتلها بالهارو ويضيفنا
بالليل فتركه وأمرهم أن يبحرقوا نخله

(انظر حديث الرجل في صحيفة ١١٩ من الجزء الثالث عشر من كتاب الاغانى
المطبوع في بولاق سنة ١٢٨٥ وفي صحيفة ٢٣ من الجزء الثاني من خزنة
الادب للبعثادى المطبوعة في بولاق سنة ١٢٩٦

متقن عقول الامة وتنوير الاذهان وشا كسبير شاعر الانكليز
وفيلسوفهم صاحب رواية كياوبطرة ملكة مصر وقد بلغ فيها نهاية
الاجادة ولايمرتين ذلك الشاعر المقلق والكاتب المجيد وكثيرا
ما كتب على المشرق ومصر والدولة العلية خصوصا كتابات تسحر
العقول وتغلب الالباب وقد تولى رئاسة الجمهورية وتمثال دانتون
المشهور الذي حرك ساكن الوطنية في قلوب قومه بخطبه الرنانة
ومقالته الماثورة ومن أهم كلماته قوله (لكي تقهر عدو الوطن
ليزنا الاقدام ثم الاقدام وعلى الدوام الاستدام) وهي بلغت في
نهايات النصاحة مع بساطة الشكل كالسهل الممتنع عندنا
وتتمثال الاب دولوي (ذي الحسام) وهو أول من عنى بتعليم
الخرس وقد سبق لنا ذكره ثم تمثال الريانتي المحقق والطبيعي
المدقق العلامة باسكال وقد أشرنا اليه فيما سبق وهناك تماثيل
كثيرة لعظمائهم يضيق عن سردها المقام والذي يستحق
التنصيب الآن هو تمثال رجل كان جاويشا في غزوة التونكين
واسمه الجاويش بويلاو ولس في فرنسا كلها تمثال لصف ضابط
سواه وسبب عناية القوم به لهذه الدرجة واكتابهم في جميع
أطراف فرنسا لجمع المال اللازم لتشييد هذا الأثر أن الجنود
الفرنساوية حاصرهم أهل التونكين في غابة كثيفة وأوشكوا

على إبائهم عن آخرهم لولا وجود هذا الرجل فإنه تعرض لهم
وفدى قومه بنفسه إذ شاعل التونكيين بثبات جاش وجرأة
حتى تيسر لقومه وجود مخرج من هذه الورطة وقد قتل الرجل
في هذه الواقعة بعد أن أبلى في أعدائه بلاء حسنا وبهذه المناسبة
أذكر ما رأيته في تورينو والشئ بالشئ يذكر رأيت في أحسن
ميادينها تمثال رجل من افراد العساكر (نفر) لم يحوز أدنى رتبة
فتجيت من هذه المقامة به واستنهمت عن السبب فقيل لي انه
أنقذ المدينة بأسرها من أعدائها وفدى بلاده بنفسه وذلك أنه لما
كانت الحرب بين النمساويين واليطاليين اتفق أن أهل أوستريا
فازوا على أهل تورينو والرموا جنودهم النرار واحتلوا قلعهم فلما
ينقم هذا الجندي من أعدائه ويأخذ بشاروطه اختبأ في
مخزن البارود (البجخانه) ثم ألع فيه النار فطارت القلعة بمن
فيها وهلك هو وجميع الجنود النمساويين وقد كانوا اغتزلوا بها
وكان الرجل أول من مات ولكنه أنقذ حياة بني وطنه أجمعين
أما الميادين في باريس فكلها في غاية الجمال ونهاية النظافة
تحف بها المباني الخطيرة والقصور الجسيمة ويبلغ عددها نحو
الستين ولكني بالمقابلة وحفظ النسبة أقول ان الميادين العمومية
في فلورنسة أكثر منها في باريس وقد رأيت أيضا كثيرا من

الزهريات المربعة (واسمها بالافرنجية سكوير لفظ انكليزي لانها من خصوصيات المدائن الانكليزية) ولها في مصر نظائر مثل التي في رحبة عابدين والعتبة الخضراء وميدان الاوبرا وغير ذلك وكلها مزودة بالتسائيل والفساقي والازهار والشجيرات الغريبة والاعشاب النضيرة وهي محط العناية التامة من ديوان البلدية لانها تساعد مثل الميادين على اصلاح الهواء وترويح النفوس وعددها ٢٥ زهرية

أما الارصفة والقناطر التي على نهر السين فهي من أهم المنزهات وجميع الارصفة مبنية بحجر الدستور ولها برازق ودرازينات عليها كثير من صناديق الخشب هي مخازن لبأبي الكتب القديمة ومتسوقى كتب (اللحظة) ولقد استغرقت منى هذه الارصفة ساعات طويلة في أغلب أيامي واشترت منها كتب كثيرة بأثمان زهيدة وعدد الارصفة ٣٦ وأغلبها عليه أشجار ظليلة وأما القناطر فعدتها ٢٨ ومنها ما هو مبني بالحجر ومنها ما هو مركب من الحديد وعلى بعضها عمائل فوق سطحها أو على أساطينها ومن المعلوم ان نهر السين يخترق باريس كهيئة قوس يبلغ طوله ١٢٠٠٠ مترًا إجمالًا فتكون المسافة المتوسطة بين كل قنطرة والثانية نحو ٤٦٧ متر تقريبًا وأحسن وقت لرؤية هذه القناطر

هو الليل اذ تكون مضاءة هي والارصفة بالمصابيح المختلفة
الالوان وترسل النور على صفحات النهر فتكون كذهب الاصيل
على بلين الماء

١٣

المطبعة الاهلية وبنك فرنسا وبنك الرهونات

لا يمكن زيارة هذه المطبعة الا في يوم الخميس الساعة ٦ بعد
الظهر بالضبط بعد الاستحصال على تذكرة خصوصية من المدير
واذا حضر الزائر بعد الميتات المحدد لايجوز له الدخول وقد طفقها
ورأيت أعمالها الجسمية وعمالها العسديين الذين يزيدون على
١٢٠٠ ذكورا وانانا يقومون بكافة ماتستلزمه صناعات الكتب
من سبك الحروف الى تجليد الكتب ونقش التوبوغرافيه والرسوم
على الاجار وفي المطبعة ٢٨٨ نوع من الحروف منها ١٥٣
خاصة باللغات الاجنبية وبواسطتها يتيسر لها طبع كتب بثمانية
ونخسين لسانا شرقيا وقد ظهر فيها من الكتب والرسائل العربية
أصلا وترجمة ما يكاد يكون مجهولا في بلادنا وفي فئاتها تنال
الجوتنبرج مخترع الطبع

أما بنك فرنسا فيكاد يضارع مثيله في انكثرة ولقراطيسه
ثقة عامة في جميع أنحاء المسكونة وقد تزيد قيمتها في بلاد كثيرة

من أوروبا وأمريكا ومن أهم ما يستوقف الأنظار به هو الذهب وهو عبارة عن قاعة طويلة مزخرفة بنقوش مذهبية وأخشاب مصنوعة بانقان واجادة وقد كانت بانقصر الذي هو فيه الآن أيام كان سكنا لبعض أفراد العائلة المالكية فابقاها لبنك على حالها بل أجري فيها ترميمات تزيد نضقتها عن المليونين من الفرنكات وهي معدة لاجتماع المساهمين في بعض أيام من السنة فقط

أما بنك الرهونات فتعرب اسمه الفرنسي هو (جبل التقوى) وله فروع ونظائر في جميع أقطار الارض وفي اسمه العربي دلالة كافية على ما يهبط من الاعمال وفي كل سنة يباشر جردا عموميا على الامتعة والجواهر والسندات والقراطيس المالية المرهونة فيه منذ سنوات عديدة وفي هذه السنة حصلت هذه العملية المهمة ومن جملة الغرائب التي تدونت في قائمة الجرد ستارة مضى عليها فيه اثنتان وعشرون سنة وصاحبها يجدد الرهن في كل سنة وهذا الامر ليس في شيء من الغرابة بجانب مطرية مرهونة فيه منذ سنة ١٨٤٩ على مبلغ ٦ فرنكات وقد أربت فوائد هذا المبلغ على ثلاثين فرنكا فتأمل

١٤

الاسواق والمطاعم ومعارض الصناعة
والزراعة ونحو ذلك

أسواق المؤنة المركزية في هذه المدينة تشغل بمسطعا من
الارض قدره ٧٠,٠٠٠ متر مربع وقد كان وضع أول حجر منها
في سنة ١٨٥١ وهي عبارة عن كشكات من الحديد ليس الا
يعالوها سطح من التوتيا وتحتها مراديب فيها مخازن وسكة حديدية
تتصل بما قليل بسكة حرام العاصمة وفي كل كشك ٥٢٠ دكان
وعدد الكشكات الموجودة الآن ١٠ وقد قدروا نفقات هذا
العمل الجسيم بستين مليوناً من الفرنكات واستخدموا
الكهرباء في اضاءتها بالليل منذ سنة ١٨٩١ ويوجد في
جميع أقسام باريس أسواق مؤنة ثانوية منظمة على نسق
الاسواق المركزية وأحسن وقت لزيارتها ورؤية حركتها هو وقت
التون أي في بكرة النهار قبل طلوع الشمس ووضف الى ذلك
أسواق الأزهار وهي تزيد على الخمسة وأسواق الاطيار وسوق
الكلاب وسوق الجلود وسوق الخيول وسوق العلف وسوق البهائم
(وله اتصال بالمذابح) وسوق التميل (الهيكل) وهو في يد قومبانية
ومسطحه ١٤١١٠ متر وفيه ٢٤٠٠ دكان تباع فيها جميع
الاصناف

أما المطاعم المعروفة باللوكدات فهي كثيرة جدا ومنها

ما يكون الاكل فيه بنهن محدود أو بحسب قيمة كل صنف على حدته ومنها ما قد تبلغ الغدوة والعشوة فيه ثلاثين وأربعين وخمسين ومائة غزرك ومنها ما لا تتجاوز الاكلة فيه ثلاث فرنكات أو اثنين بل أقل من ذلك وأغلبها مزخرفة مضادة بالكهرباء وفي كثير منها خلايات بمنزلة خصوصية ومنها ما هو مخصص لصنف واحد من المأكولات وبعضها يكون مفتوحا طول الليل وغير ذلك وأغلب القهوةاى ومشارب البجعة (البيرايات) والخبزات تقدم الزاد لمن أراد والذي ينبغي ذكره بنوع التخصيص في هذا الباب هو مطاعم دو فال فقد بلغنى أن هذا الرجل كان قصابا (جزارا) ثم كانت تتأخر عنده اللحوم فيبيعها بأجنس الاثمان أولا يجرد لتصرفها من سبيل نخطر على باله أن يتخذ مطعما يشوى فيه هذه اللحوم وبيعهما بنهن بجنس اللالكين فشرع في العمل وأقبل عليه الدهر فتوسع في هذا الموضوع حتى صارت مطاعمه مقصودة من العامة والخاصة يتقاطر عليها الاكابر والاصغر وذلك لجنس الاثمان وزيادة العناية وجودة المأكولات مع زخرفة الاماكن وازانتها بالكهرباء وادارة هذه المطاعم الآن في يد قوم بانية من المساهمين وقد بلغ عددها في أول يناير سنة ١٨٩٢ ٢٦ خلاف فندقين كبيرين وخلاف المخازن العمومية ومعمل الفطير والمغسل ومخازن الابنطة وعددها أربعة منها واحد في بورردو وخلاف دكاكين الجزائر في ثلاثة شوارع واذا توجه

الانسان الى مطعم من هذه المطاعم في وقت الظهر أو بعد المغرب
وأرى منظرا غريبا اذ يرى كئائب الخائمين مسرعين مهرولين
وجيوش الاكلين متشدقين ماضغين بالعين مع المواظبة على
الشرب الحلال والحرام والداخين أكثر من الخارجين ويكون
المكان بهذه الخلائق المتموجة أشبه بأحد شوارع لوندرة وعلى
ذكر لوندرة أقول اننى أنجب كل العجب من عدم مجىء هذه الفكرة
لرجل من أبناء بريطانيا العظمى فانها أشبه بما صنعه كوك
وهو يتلى وغيرهما والاعراب من ذلك أنه لم يبق لآدمي من الانكليز
يعمل يضارع هذه المطاعم في «موسوعات الدنيا» بل قد نسجت
قومانية باريسية أخرى على منوال دوفال وأنشأت أربعة مطاعم
وقد تفتتت بهوة ومطعم في أهم شوارع باريس ودورها وهى وان
كانت في درجة من الرفاهية وحسن الحال لكنهما لانضاهى نجاح
مطاعم دوفال - والعادة في هذا النوع من المطاعم أن يعطى
للانسان عند دخوله قائمة مطبوعة فيها الأمان فقط ومتى طلب
صنفاً أشر الخادم أمام الثمن المقرر له حتى اذا فرغ الأكل توجه
بهذه القائمة الى أمين الصندوق ونقده المطلوب ثم ردها عند
الخروج للعامل الذى أعطاها له عند الدخول
أما معارض الصناعة فلها فيما أرى غابتان أولاهما تنشط

إلصاع وجنهم على التفنن والاختراع وثأيتهم ما تعرف الاهالى بما
ينجم عن ذلك من الفائدة والاقتصاد والحصول على أمور قد تطلبها
النفس من غير أن يقدر اللسان على التعبير عنها لعدم سابقة
العلم بها ولذلك أنشأت مدينة باريس كشكا على حافة نهر السين
يعرف باسمها وتأتى الجمعيات الحرفية والطوائف الصناعية لعرض
مصنوعاتها فيه والمباراة لحيازة شهادات الشرف ووسامات الافتخار
من أعضاء مجلس المحققين الجديرين المعينين لكل نوع - واتفق
انه فى أثناء وجودى بباريس كان الدور المتعاطى صناعة لحجم
الخنزير فتوجهت الى الكشك حبا للاستطلاع ورأيت فيه
الموسيقى العسكرية تصدح بألحانها المطربة وأعمال الصناع
معروضة على الانظار بتأنق وتجميل بحيث كانت تستوجب إعجاب
القوم وتستدعى شهيتهم فينظرون اليها نظرا متواليا ويلعبون
ريقهم ثم يقصدون الحانات فيستعاطون المنروبات فكأثمهم
حينما أطربتهم نغمات الموسيقى تصورا أنهم أكلوا من هذا
الصفى المستطاب لهم ورأوا من الواجب اتمام القصف بمعافرة
بنت الكرم وسأتلهم فيما بعد على هذا المعرض بتفصيل يشق
الغليل - ثم جاء الدور للطعابين فاقتح مؤتمهم باحتفال عظيم
كان رئسه وزير التجارة ومعه كثير من كبار الموظفين فى نظارته

ورئيس جمعية الطحانين بفرنسا - ثم معرض جمعية المشتغلين
بتربية الازهار ثم معرض دولي للاطيار ثم غير ذلك من المعارض
التي لا يسعني سردعا الا ان وكلها تتجدد في كل عام مع زيادة في
التفنن والاعراب - وكل واحد من هذه المعارض يتدئ
باحترافات باهرة وينتهي بولائم فاخرة

١٥

صواحي باريس

لا تخلو عاصمة من ضواح يقصدها أهل الثروة وطالبوا الزهرة
لترويح النفس من ضوضاء المدائن الكبيرة ولكني لم أزر من
صواحي باريس سوى فنسن وفرساوى فأما مدينة فنسن (وسكانها
٢٢٢٧٨) فما تستحق الذكر لولا الغابة الجميلة التي بها والقلعة
المهمة المنبوعة المعروفة باسمها وقد زرت هذه القلعة بتصريح
خصوصى ورأيت غرف التهذيب وآلات العذاب والمكان الشاق
الذى هرب منه الدوك دوفور وقناة السين التي كانت ترمى بها
جثة العذب بعد أن يسقى كأس الحمام وغرفة سجن بها أحد
القساوسة ٧ سنوات وأخرى اعتقل فيها أحد الكرادلة ٧
شهور ولكن ذلك كله أصبح أترا بعد عين وصار كأداة ملغاة
لاعمل لها حتى انهم سدوا فوهة البئر الموصل لقناة السين وقد

يبلغ غلظ الخناط في أعالي هذه الثلعة ثلاثة أمتار ورأيت خزان
السلاح ولكنها ليست شياً مذكوراً بجانب ما رأيت في برج لوندرة
وحصن دوفر من أعمال انكلترة وأما الغابة ومنزهاتها وبحيراتها
وجزارها وخلافها فسأنتكم عليها في الرحلة مع الاماع بشئ الى
غابة بولونيا والبوت شومون وغير ذلك

أما قصر فرساي فقد كان مقر ملوك فرنسا وهو في منتهى الجمالة
والفخامة بحيث لا يكاد يعادله شئ مما رأيت به وقد حوى صور جميع
ملوك فرنسا ومشاهيرها على الجدران والرخام والقماش وغير ذلك بغاية
الابداع ونهاية الاتقان ومن أراد أن يتقف على تاريخ فرنسا في
سويحات قليلة فما عليه الا أن ينظر الرسوم التي ازدانت بها غرفه
فانه يرى فيها جميع وقائعها وأعمالها وكل ما يتعلق بتواريخها ومما
استوقف انظارى بنوع خصوصى صورة الشيخ السادات والسيد
البكرى والشيخ الشرفاوى وغيرهم من أكبر مصر أيام دخلها
بونابرت وقد رأيت أسرة ملوك فرنسا وأمائاتهم وأمتعتهم الخاصة
بشؤونهم الداخمية ورسوماً تمثل الحروب الصليبية وحروب افريقية
والقرم وايطاليا وغير ذلك مما لا يدخل تحت حصر وأحفظ لنفسى
حق الكلام عليه وعلى الروض الانق والفساقى البدعية وعربات

الملوك التي بقصر آخر بجواره يعرف: (التريانون) وغير ذلك مما
يضيق عنه نطاق هذه الاوراق

١٦

اهل باريس

أفلا يا باريس وألف أف فقد أعيانى فيك الوصف واضطرتنى
كثرة ما فيك من المآثر والمفاخر وتعدد المشاهد والمعاهد للاطالة
في المقالة بما ربما يوجب الملالة والكلالة مع أنى لم أعترف للقارئ
الاقطرة من بجرى ولم أروحه الانبفحة من زهرك ولا يزال مجال
الكأبة واسعا أمأى فسيحا لجولان أقلامى ولكننى لأرى مندوحة
عن اقفاله الآن لافتتاحه بعد القفول الى الاوطان وأختم هذه
الرسالة بذكر كلمات عن أهلك وأخلاقهم وحركتهم ونشاطهم -
وأفكارهم وآرائهم فقد آن لى أن أقدمهم الى بنى مصريناء على
ما حققته بالاختبار وعرفته بعد بعض المعاشرة حتى انى لأرى
وصفا يصدق عليهم أكثر مما قاله أحد ولاة قرطبة فى أيام الاسلام
بعد أن تخلى عن ادارتها فانه وصف أهلها بالقيام على الملوك
والنشينع على الولاة وقلة الرضا بامورهم كالجمل ان خفقت عنه
الحنن صراح وان أثقلت به صراح فلا يدري أين رضاه وفى ذلك
دليل على ان أفراد الانسان مهما كانت بلادهم قاصية وعاداتهم

مقبالية وطبائعههم متخالفة وأفاليهم متنوعة ومعتقداتهم متباعدة
فلا تزال في أفكارهم وحدة تجمعهم وفي نفوسهم حاجات مشتركة

بينهم :

وأهل باريس أكثر من رأيهم من الامم نظرا في الفرق الحاصل
بين أفراد الهيئة الاجتماعية فانهم يرون الوضيعين كثيرين والرفيعين
قليلين والواصلين الى ذروة النعيم عددهم أقل من القليل
قيمة ولون لهذا الاختلاف ونحن كأننا متساوون وأبناء نوع واحد
تجمعنا راية الجمهورية وقد كتبت عليها هذه الكلمات (حرية
- مساواة - إخاء) ولما انتشر التعليم فيما بينهم ونفذت
أشعته بين لنيف المتناولين الحرف الذئبة منهم تصور هؤلاء
الافراد أنهم يعرفون أكثر مما يعلمون وصاروا لا يقبسون أنفسهم
عن هو أعلم منهم بل ينظرون الى من هم أحط في الدرجة فداخلهم
الاجباب بنفوسهم حتى خيلت لهم انلياء أنهم أهل للكلام في
كل موضوع وأن لهم الحق في الحل والعقد في جميع المسائل
على اختلاف طبقاتها وأخذوا يجاهرون باللوم والتأنيب ويقولون
انهم لو كانت الامور بأيديهم لكانت مساعدهم أجد عاقبة وأعمالهم
أتم فائدة ولذلك تشعبت أفكارهم وكثرت مقالاتهم في حل المسئلة
الاجتماعية وترتب نظام الجمعية الدشرية على أسلوب بني بجمع

الحاجات فيقول فريق منهم (التا لا نطلب شيأ ما من أحدنا ولا حاجة لنا بكائن من كان فلماذا لا يتركنا الغير نعيش بمنهين بالحرية راتعين في مجبوحة الاستقلال . أليس من المستغربات الزامنا بدفع الضرائب والغرامات من المال الذي جمعناه بكدنا وسعينا بحجة القيام بنفقات يسمونها عمومية وفقى لاتهمنا ولا تعيننا . أليس أن مانكسبه بعرق جبيننا . لك حلال لنا فلماذا يضطربنا الغير لبذله في إغناء الغير) ويقوم فريق آخر يعضده ويقول (ليت شعري هل كتب علينا التعب والنصب لاجل أن نحمل ثمة اتعابنا الى مأمور التحصيل لاغناء المميزين وهم عدد قليل لعمري انه لا حاجة لنا في أن يتحلى رئيس الشرطة وصاحب العسس بالشرطة من التعب والذهب أو أن يكون لحضرة المدير عربات تجرها الجياد الصافنات) فيقوم فريق آخر ويقول (اننى لا أكثر الذنب على المال فأنه لامراء أن رئيس الشرطة وصاحب العسس لا يمكنهما ان يتفرغا للزراعة والصناعة بينهما ما أخذان في تعقب اللصوص وقطع دابر قطاع الطريق ولذلك فانه ينبغي لنا ان نكسوهم ومن رأيي أن شرائط القصب والذهب ليست من الزيادات والثوافل لانها تحدث الهيبة والألوم المدير على اتخاذ الخيول فانه يجب عليه قطع المسافات الطويلة لتفقد

أحوال مديريته ولكن الذى لا يمكننى ان أتحمله أو أَرْضِي به هو أن
القوم يقدون علينا فى كل عام ويتزعون منازهرة الشبان ليدخلوهم
فى سلاك الإجناد والاعوان الله الله أليس من أشنع الامور
وأبشع الاعمال سوق أولئك النسيان الى سوق المذبحة الذى يسمونه
بالحرب فلماذا نحارب ولماذا نضارب أليس أن الاولى ان نلبث فى
ديارنا بلا ملام وأمان منقطعين لحرث الارض وحمل المحصول الى
السوق ومعاملة كافة الناس بالتى هى أحسن) فيقوم فريق آخر
ويقول (نعمت هذه الافكار وياجبنا هذا الرأى لو كانت الناس
كلهم عقلاء وقائمين برفع منار العدل فيما بينهم . قولوا الحق
أفلوا اعتدى جاركم على قيراط من أرضكم أم اتقوم القيامة . لعمرى
انكم تشرعون الاسنة وتشهرون السيف البتار وتفضى بكم الحال
الى اهراق الدماء . ألانعمت الحرفة حرفة الجندى يذود عن حياض
وطنه ويحمى أهله بلده فان ذلك من أوجب الواجبات اذ من
المنازعات مالا يجدى فيها المكاملة بل الملاكمة ومنها مالا ينبج فيها
المدافع الا اذا صاح بافواه المدافع) ثم تتشعب أفكار كل فريق
ويستحسن بعضهم ما يقبضه الاخر ويأتى هذا ببعض التعديل وذلك
بشيء من التبديل

ولهم مثل ذلك فيما يتعلق بالثواب عن البلاد فيقول بعضهم

(اننى لأرى الفائدة التى تعود علينا من اختيار رجل يذهب الى مجلس النواب لينوب عنا وليستغل بمصالح البلاد وذلك لوجوه أقلها أننا نجري فى هذا الانتخاب كالعيمان الذين لا يهتمون الى الطريق فان القوم يقولون لنا هذا الرجل يصلح وذلك الرجل لا يصلح ونحن نجهل حقيقة الاثنين فى أغلب الاحوال وكل منهما يشنف أسماعنا بما يخرج من وطأه من مستعذب المقال ويعدنا بأنه يوصلنا الى تمام السعادة ولكن أين منا الماهر الذى يقدر على تمييز البواطن من الظواهر وتعترف الخبيث من الطيب فاني اذا توجهت الى السوق أقدر على تمييز الحبوب الجيدة والاثمار الصالحة ولكننى أقول الحق اننى فى اختيار النائب لأعرف ماذا أنا صانع ولا أقدر أن أحكم عليه مثل حكمى على غيره من الاشياء التى لي بها تمام الخبرة فان حضرة شيخ البلد «أمين المدينة» يوزع علينا قوائم الانتخاب ويقول لنا ان فلانا هو الحائز لكافة الاوصاف اللازمة وينبغي انتخابه فمن رأى ان ينفرد أمناء المدن بعملية الانتخاب لأن رأيهم هو الغالب وحينئذ يتم هذا الامر فى وقت قصير وفى اختصار الزمن فائدة عظيمة) فيقول فريق آخر (متى عجز الانسان لاي سبب من الاسباب عن مباشرة شؤنه بنفسه فالواجب عليه أن ينيط واحدا غيره يختاره لها فاذا لم يكن

عنده من المعلومات ما يكفي لهذا الانتخاب يجب عليه الاسترشاد برأى حكيم ناصح يثق بقوله ويعول على رأيه وحينئذ يكون له يد في ادارة احوال بلاده ويدخله السرور بأن له كلمة معدودة وصوتا معتبرا) فيقول فريق آخر (كل ذلك حسن ولكني أرى أن أمور البلاد وادارة شؤونها تصلح كثيرا اذا كانت في يد رجل واحد يحكمها بحسب ما أوتي من الحكمة فإنه متى كان الحاكم واحدا كانت مصلحته الشخصية أكبر قاض عليه في ادارة الامة على أكمل منوال حتى يتقرب منها ويتجرب اليها ومن المقرر الذي لا يختلف فيه اثنان غرق السفينة التي فيها ريسان وقد رأيت في بعض الايام عربة يجرها ستة من الافراس ارتجكت في طريق كثير وحله ووعنه فتقدم لانقاذها كثير من الناس فكان بعضهم يدفع العربية ذات اليمين وآخر ذات اليسار وبعضهم يشدها من الخلف بينما نفر يجرونها من الامام ويجي عجاة فيفوقون السياط على الخيول وهي لاتزداد الاحزا وتعاصيا وفي أثناء ذلك تزداد العربية غوصا في الوحل وارتنظاما ولما رأى سائق العربية هذه الحالة أبعده جميع هؤلاء الناصحين الغير ناصحين ورفض خيوله بجانب بعضها ثم استوى على كرسيه وهمهم على الخيل من غير أن يرفع عليها سوطه فعرفت صوته وجمعت قواها ثم نهضت بحملها الثقيل نهضة

واحدة استخلصت العربية من الاحوال وسارت تركض بها في
أحسن حال فهكذا تكون ادارة الاعمال) فيقوم فريق آخر ويقول
(انما أفلح سائق العربية لمهارته وحسن ادارته ومعرفته بجهته
ولان خيوله كانت قادرة على جرحها والافلو كان فوق طاقتها
لما قدرت أن تقوم به أبدا ولكن الرجل لو كان غير كفاء لوظيفته
لاشك انه كان يعتبر نفسه سعيدا من وجود ناصحين له صادقين في
خدمته يعاونونه على الخروج من مثل هذه الورطة بسلام بل ربما كان
يشكر العناية الصمدانية اذا كانت تقيض له في مثل هذه الحال
رجلا أقدر منه على قيادة العربية وخبولها حتى يلقي اليه بالزمام
ويتعلم منه كيف تكون الادارة في المسالك المرحجة والمواقف
الوعرة ولو كانت خيوله لا قيل لها يجبر العربية فهل كان يرفض
نصيحة العقلاء الذين يشيرون عليه بتحقيق الحل أو تهديد الطريق
امام العجلات وازالة ما يعترضها من الاجبار والموانع الاخرى فلذلك
لا ينبغي الاستخفاف بالمشورة فان من انفرد برأيه زل ومن استغنى
بعقله ضل وما خاب من استخار ولا ندم من استشار)

هذا مثال من آلاف مثال مما رأيت من حركة الافكار
ولأود الاطالة بشرح أفكار القوم في المسئلة الاجتماعية وهيئاتهم
الى درجة لا يتصورها العقل وما شرح ذلك في الرحلة بالتفصيل
وأطلع قومي على غرائب هؤلاء الاقوام والله المستعان

الرسالة السادسة عشرة

وهي الأخيرة من الرسائل المؤتمرية

وداع باريز

وذكر الاندلس والبرتغال

بوجه الاجال

من غرناطة في يوم الاثنين المبارك ٥ رجب الفرد سنة ١٣١٠

٢٣ يناير سنة ٩٣

قضت فواميس الكون الانساني ونظامات الوجود العمراني وداع باريز
بان دوام الحال من المحال وانه لا بد من الفراق مهما طال التلاق
وان لكل اجتماع انقطاعا ولكل اتصال انفصالا تلك سنة الله في
خلقه جيلا فجيلا ولن تجد لسنة الله تبديلا
أضلت المقام في باريز الى ما بعد الميقات الذي كنت ضمرته
لمبارحتنا ايام كثيرة فانتى كنت كلما عزمت على السفر رأيت وجوب
التأجيل لمنظر بعض الآثار أو اشهود أنواع من الاحتفال أو غير
ذلك مما يستوقف الراحل ويستغرق الاوقات ويحبس السائر
عن عدوه ويخزم الطائر المفصح بشدوه فكم فيها من مسارح

تنضح بها الجوائح ومحاسن يشغل بها عن وكره السائح ومطراح
تطرح ذكر الوطن من ذاكرة السائح حتى اعتراني الكلال
والملال من كثرة ما رأيت وما سمعت وصرت أترقب الفئرس
لتيسر الخروج من هذه الدار كما دخلتها بسلام فيسر الله الاسباب
وفتح الابواب فودعتها في منتصف ليلة ١٩ الى ٢٠ نوفمبر سنة ٩٢
ورحلت عن هذه الارزاء المتألقة والروح بها وعن فيها متعلقة
ثم سار القطار ينهب الارض نهبا ويقطع الفيافي قدفدا قدفدا
ومر على كثير من مدائن فرنسا العامرة مثل تور (Tours) وهي
مشهورة باعتدال اللسان الفرنسي وصفاء اللغة حتى ان أكثر
الطالبين لا بدلهم من الإقامة فيها شهورا طويلة لترسخ فيهم ملكته
التي لا تشوبها أدنى شائبة ومثل انجوليم (Angoulême) المذكورة
في كتب العرب باسم انقلموم مثل بوردو (Bordeaux) المشهورة
بخمورها شهرة تغنى عن وصفها وقد سماها العرب بحسب التسمية
اللاتينية بريدل وبردال (وبالنال المجعة في كلتا اللفظتين)

وكان يودى أن أقف بكل من هذه المدائن الثلاث بضعة أيام
ولكن وقتي لم يكن يسمح لي بأثالة نفسي هذه الاماني ولم أصل
الى تخوم اسبانيا (١) الا بعد أن أمضيت في القطار مدة أربع

(١) وقد ورد اسمها في كتب العرب اسبانيا وفي كتاب مختصر الدول لابي الفرج اسفانيا

وعشرين ساعة لم تكتمل فيها عيني بأمد الكرى حتى أجهدي
السبر وأضناني السرى ولكنني تجددت في القوى حينما شممت
غير الأندلس واستنشقت نفعاته وتمعت بالنظر الى صافي سمائه
وقد ترصفت بالدرارى كما هو الشأن في بلادى وأرض مهادى
بخلاف ما كنت قد اعتدت عليه في انكلترا وباريز من كدورة
الجو وقمة السماء ووالى الغيوم وتعاقب الامطار فصرت اسامر
بدر الظلام واطارح الكواكب الحديث واشكو اليها مالاقيته في
غربتي واطيل النظر اليها حتى لقد كان

يخيل لى ان سمر الشهب فى الدجى * وشدت باهدابى اليهن اجفاني

وحيث شطمت مع تيار الافكار ولكنني ما لبثت ان انقبض
صدري وعلقتى الكابة وتولاني الازعاج اذ احاطت بي جيوش
من اللوعة والاسف والحسرة والهدف لاننى تفكرت ماناله الاسلام
من العز والافتدار فى هاتيك الديار أيام كانت تحفوق فوق الاندلس
اعلامه وتجول فيه أقوامه نائمة ألوية الفخار والحضارة رافعة
رايات المجد والكرامة أيام كانت المآذن قائمة على أعاليه
وروايته تشق أكباد السحاب ويرتفع منها صوت المؤذن
الى عنان السماء فتخشع القلوب وتعمو الوجوه لذكر الحى القيوم
أيام كانت المساجد عامرة بجماعات الموحدين الفاتنين وربوع

التصر على
الاندلس

العلم زاهرة زاهية بالدارسين والمدرسين أيام كان التمدن العربي
باسطابساطه من اطرافه الى اطرافه والمروعة والشهامة ساريتين
في جسمانه أيام كانت خلافة المغرب تفوق مناظرتها في المشرق
بما احتاطت به من أسباب البذخ والعظمة والعرفان حتى كانت
ملوك أوروبا تتزلف الى انخلاء وتلقم رعايتهم وحمايتهم أيام نبغ
العلماء والمخترعون والمكتشفون الذين أفادوا العالم بأجمعه ورفعوا
كلمة الاسلام وجاؤا بأقوم برهان على ان الدين الحنيف يساعد
بكلياته وجزئياته على البحث في امرار الطبيعة وانه يحض على
اقتناء ثمرات المعارف بجميع أنواعها ومطالبها (١)

وقد اشتد بي الوجد والوله حتى عدت التعبير وغاب عقلي وما
أبصرت نفسي الا لاساني يندفع بتريد بعض أبيات من القصيدة
المشهوره التي نظمها أبو البقاء الرندي في رثاء الاندلس وترجت
نثرا ونظما الى اللغة الالمانية والفرنساوية والاسبانية وغيرها
وكنت أكثر من ذكرى هذه الايات بحسب ورودها على لساني
واني أوردتها الآن بنصها (٢)

(١) وما رثا الى الآن نعتس أنوار الهدى من مؤلفاتهم القليلة التي استبقها يد

الصدفة فحجت من التبديد والتريق وسأشير الى بعضها في الرحلة

(٢) ان العلامة الفرنسية اوى جزيرد ديلاجرنج (Grangeret de la

Grange) طبع في باريس سنة ١٨٢٣ كتابا سماه «نخب الارهاق من منتخب

لكل شيء إذا ماتم نقصان * فلا يغتر بطيب العيش انسان
هي الامور كإشاهدتها دول * من سره زمن ساعته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد * ولا يدوم على حال لها شان
يزق الدهر حتما كل سائغة * إذا نبت مشرفيات وخرسان
وينتضى كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذيرين والغمد غمدان
أين السلوك ذو والتيجان من عين * وأين منهم أ كاليل وتيجان
وأين ماشاده (١) شتاد في إرم * وأين ماساسه في الفرس ساسان
وأين ماحازه قارون من ذهب * وأين عادوش شتاد و قحطان
أتى على الكل أمر لامرء له * حتى قضاوا فكان القوم ما كانوا

الاشعار وأذكي الرياحين من أسنى الدواوين» جمع فيه كثير من مستجد شعر
المتنبي بشعر الواحد له وشعر ابن الفارض وشرحه والصفدي من فتوح الشام
للواقدي وجملة شعراء متعددين ثم ترجم ذلك كله الى الفرنسية وعلق
عليه كثير من الحواشي الادبية والانتقادية واورد في جملتها قصيدة أبي البقاء
هذه نقلا عن نسخة من نفح الطيب في مكتبة باريس وهي مترجمة بغاية الدقة
والضبط ولما كان الناقل أخطأ في نقل بعض الكلمات في ترتيب على ذلك ان ترجمة

بعض الابيات جاءت مختلفة فأحييت التنبيه على هذه الابيات هنا لا اكمل الفائدة
(١) نقلها العلامة لاجرائح المذكور هكذا (سادس شتاد) بالسين المهمة وترجم
بمعناه السيادة ولا معنى لذلك اذا المقصود المبانى والآثار التي أقامها شتاد في إرم
المشهوره بعبانيتها الفاضحة

وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف ولسان
 دار الزمان على دارا وقائه * وأم كسرى فما آواه ابوان
 كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولا ملك الدنيا سليمان
 فجائع الدهر أنواع متنوعة * وللزمان مسرات وأحزان
 وللعوادم سلوان يسهلها * وما ملأحل بالاسلام سلوان
 دهى الجزيرة أمر لا عزاء له * هوى له أحد وانتم ثم لان
 أصحاب العين في الاسلام فارتأت (١) * حتى خلت منه أقطار وبلدان
 فاسأل بلنسية ما شأن مرسية * وأين شاطبة أم أين جتيان
 وأين قرطبة دار العاوم فكلم * من عالم قد سمعها فيم اله شان
 وأين حصص وما تحسبويه من زه * ونهرها العذب فياض وملآن
 قواعد كثر أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبقى أركان
 تبكى الحنيفة البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان
 على ديار من الاسلام خالصة * قد أفقرت ولها (م) بالكفر عمران
 حيث المساجد قد صارت كأنس ما * فيمن الانواقيس وصلبان
 حتى المحاريب تبكى وهى جامدة * حتى المنابر ترى وهى عيسدان
 يا غافلا وله في الدهر موعظة * ان كنت في سنة فالدهر يقفان

(١) أوردتها العلامة المذكور (فانتمت) وهى بالبناء المجهول والمعنى واحد

(٢) (وهى بالكفر الخ) وهى غلط في الطبع

وما شيا من حايهيه موطنه * أبعد حص لعز (١) المرء أو طان
تلك المصيبة أنت ما تقدمها * وما لها مع طول الدهر نسيان
يارا كين عتاق الخيل ضاهرة * كأنها في مجال السبق (٢) عقبان
وطاملين سيوف الهند مرهفة * كأنها في ظلام (٣) النقع نيران
ورائعين وراء البحر في دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس * فقد سرى بحديث القوم ركان
كم يستغيث بنو المستضعفين وهم * اسرى وقتلى فبايهم ترانان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم * وأنتم يا عباد الله اخوان
ألا نفوس أيتيات لها هم * أما على الخير انصار واعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم * أحال حالهم جور ووطنان
بالامس كانوا ملوكا في منازلهم * واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان

(١) وفي رواية أخرى (تغر المرء أو طان) وفي استحسن قوله (لعز المرء) أي لا مدلسي
لأنه صار لا وطن له

(٢) استبدل العلامة ديلا جرائح لفظة (السبق) بقوله (السيف) وترجم بهذا المعنى
وهو غلط واضح

(٣) وفي رواية أخرى (في مشار النقع) والمعنى صحيح لكن الظلام انساب لظهور النيران
فيه بوضوح أكثر

ولورأيت بكاهم حين (١) - يعمهم * لهالئالامرو واستهوتك أحران
يارب أم وطنل حيل (٢) بينهما * كما تنسرق أرواح وأبدان
..... *
..... *
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان في القلب اسلام وايمان

وصرت أورددهذه الايات وغيرها حتى وصلت مدينة ابرون
Irun أول تخوم اسبانيا من الشمال فنزلت بها وقد انتصف الليل وما
صدقت الوصول الى الفندق حتى اضطجعت على الفراش طلبيا
للراحة الضرورية ولبثت به على خلاف عادتي الى أن قرب الظهر

استمرار
الحسرة

(١) اورد العلامة ديلاجرانج (عبد يعمهم) وهو واحد عبرانه قدم هذا البيت على الذي
قبله وهو غلط يدل عليه سياق الكلام وانسجام المعاني
(٢) اورد العلامة ديلاجرانج الشطر الاول من هذا البيت هكذا (يارب ام وطلع
جبل بينهما) وترجم بعام معناه (بالسهل يلزم ان جبلا يوضع بين الام واولادها وان
الارواح تفصل عن الاحساد) وهو غلط مبين لانه تصور ان رب بضم الراء هم رب
فتحتها والقطعة الثانية من اسمائه تساكى واما الاولى بمعنى ربة ورتماور عامن
حروف الجر للتقليل في المنه ورولت كثير وقيل بل انهما يستفادان من سياق الكلام
ثم انه أخطأ في قراة (جبل) فوزع النقطتين على الحرفين فرأى (جبل) وهي قراة
يترتب عليها هديبت الشعر وكان الرجل طرفا بجوره وأوزانه كما يستدل عليه
من شرحه القصائد التي في كتابه

ولم أستيقظ الاعلى جلّسة الاطفال وصياحهم في اعينهم واهوهم
بترنيمات تكاد تنطبق على وزان هذين البيتين

شرد الترم عن جفونك وانظر * حكمة نوقظ النفوس النياما

فغرام على امرئ لم يشاهد * حكمة الله ان يذوق المناما

فتمت فزع امرعوا وانا أقول «أين هذه الحكمة ولماذا ورد هذا

البيت على خاطري مع ان القصائد التي من بجره كثيرة» ثم تذكرت

ان السبب في ذلك ما كنت فيه بالامس فهرعت الى الخروج لانظر

البلد وما فيه وما حواليه فرأيت المباني والنوافذ والاسطحة تشبه

ما عهدته طول عري في مصر وكذلك الحارات والزقاق وغيرها

وقد كنت وأنا في باريز درست نحو اللغة الاسبانية للاستعانة على

معرفة النحو
لاتفنى

مخاطبة القوم ومبادلة أفكارى معهم مباشرة ولكننى لما حضرت

ايرون وتكلمت مع أصحاب الفندق وخصوصا مع الدليل تحققتلى

ان درس النحو شئ ومعرفة اللسان شئ آخر وحينئذ زال ما كنت

أجده من الغرابة من كون بعض الناس يقضون سنين طويلة

مديدة في درس النحو بجميع فروعه ثم هم لا يعرفون من العربية

سوى هذه الآلة

وأقول الحق اننى لما رأيت اضطرارى لمخاطبة القوم ساعة اشتباك الخبرة

بالانطالمة وتارة بالفرنساوية وغالبا باللغة الاشارة التي يفهمها والهوس بالوطن

جميع أصناف بني آدم تراخت عزيتي وثبطت همتي وهممت
بالرجوع من حيث أتيت وخصوصا لما كان يقوم بفكري
من ان أهل الاندلس الآن أشد أهل الارض تعصبا على المسلمين
وكرهة للعرب وجفوة للغريب مع ما هم فيه من الهرج الدائم
على حكومتهم مما كنت قرأته حديثا في التلغرافات وانا في باريز
فضلا عما رأيته في كتب السياحات من التشجيع عليهم وتخويف
الغريب من الدخول الى ديارهم ولما كان حب البقاء طبيعة في
الانسان وكانت الحياة عالية خصوصا عندوشك الوقوع في الخطر مع
استناد الخنين بل الوله بالرجوع الى الوطن بعد طول الغيبة
كادت هذه الافكار واضرابها تفوز على ما عندهى من الشوق
لرؤية هذه البلاد الجميلة وتعهد بقايا العرب فيها فتذكرت حينئذ
المثل السائر (من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب) وانشدت
على نفسى لاهياء مائت قوتى قول الشاعر

التطلب على
الصعوبة

ان كنت تطلب عزافا تدع تعباً * أو فارض بالذل واخترراحة البدن
فجهدت في عوامل القوى وانبعثت في جسمانى روح النشاط
وتذكرت انى أكون أول من زار جميع الاندلس من المسلمين
والمصريين خصوصا من ابناء هذا الجيل وكتب مارآه فيها وقارن
بين حالتها وفي ذلك نخر عظيم

ومن يجد الطريق الى المعالي * فلا يذر المظى بلا سنام
ولذلك نوكت على الله وقت من ارون الى فترايا (Fontarabia) زيارة بعض
الى سان سيستيان (San Sebastian) الى بيلونة (Pamplona) المدن
وتسمى في قليل من كتابات العرب بفلونقة وقد حكها المسلمون اثنتى عشرة
سنة فقط وهى أنظف مدينة رأيتما وجميع شوارعها وحاراتها وأزقتها تضاه
بالتور الكهربي

ثم قت الى سرقسطة (Zoragoza (Saragosse) وقد (مدينه)
زنانها بنى المقام ثلاثة * فطابت لنا حتى أقناها عسرا (سرقسطة)
(والجمعية العلية)
فانى الفيت بها من كرم أهلها وحسن مجاملتهم وكريم توددهم
ما كاد ينسني الاخوان واطلعت فيها على كتب عربية نادرة
جددا وتعلت فيها الكلام الاسباني

ثم ان جمعية العلوم الشرعية والادبية - Academia Juridico-literaria
عينتني عضوا افتخاريها واحتفلت بي احتفالا فائقا
وعقدت جلسة مخصوصة لاستقبالى بغاية التكرم والترحيب فجلت
ان ادخل بينهم خالى اليدين لا أقدم لهم موضوعا في هذا الحفلة المهمة
وألهمنى الله ان أكتب لهم خطبة باللغة الفرنسية على مدينتهم
في أيام العرب فاستعنت ببعض الكتب القليلة التي وجدتها عند
المستغلين بالعربية من اساتذتها وبعض ماعن بالخطاطر وقدمت لهم

خطبة في ١٥ صحيفة من الورق الكبير المعروف بالفولسكاب المستعمل في الدواوين وقد راقت لديهم حتى طنطنت الجرائد بها وذكرت هذا الاحتفال بالفاظ التجييل والاجلال (١) وترجم كثير منها خطبتي الى اللغة الاسبانية على ما علمته بعد قيامي من سرقةطة وان الجمعية شرعت في طبعتها في مجموعتها وقد أتخفتي أكثر المؤلفين والعلماء بكتب كثيرة من تأليفهم وخالصة القول ان هذا اليوم كان من أسعد أوقاتي واني أجد الله على هذا التوفيق الذي مكنتني من تشريف اسم بلادي وقد أجابوا على خطبتي بالاسبانية والفرنساوية والعربية والطلاينية

والسبب في ذلك انه اتفق في بعض الأيام انعقاد جلسة الجمعية الشهرية فدعاني حضرة رئيسها الافتخاري وهو العلامة يابلو خيل D. Pablo Gil مـمـدم الاساتذة في المدرسة العالية للفلسفة والآداب لان أزورها فتوجهت بصحبتة وأجلسني عن يمينه وبعد ان تمت أعمال الجمعية قدمني اليها ثم دعاني لان أخطب عليهم بشئ مما يفتح الله به عليّ واذ لم يكن لي سابقة علم بهذا الامر وقتت فيهم وحيدتهم بالعربية ليهدا روعي وأستجمع أفكارى ثم خاطبتهم بالفرنساوية بكلام طويل ولما جلست طلبوا مني أن

(١) أرسلت في ذلك الوقت نسخاً من هذه الجرائد الى العاصمة لبعض اصداقائي

أنكلم بالبطليانية فنعلمت وحينئذ قام الرئيس الاصيل وطلب من الجمعية تعييني عضوا افتخاريا بها فاجابت بالاجماع ثم عينوا جلسة غير اعتمادية لاستقبالى وحينئذ أشار على الرئيس الافتخاري بان أشكر الجمعية باللغة الاسبانية فامتلت مع قلة البضاعة وكنت حينما لأبجد اللفظ المطلوب أضع مكانه كلمة طليانية أوفرنسوية ولوشئت ترجمة ما ذكرته الجرائد عن هذا الاحتفال لاستغرق رسالة أكبر من هذه الرسالة

فأما الخطبة التي أجب بها بالاسبانية الاستاذ المتضاع العلامة خوليان ريبيرا D. Julian Ribera فكانت كلها دررا وغررا تشهد بجزيد اطلاعه على العلاقات العلمية الادبية التي كانت بين المشاركة وخصوصا المصريين وبين أهل الاندلس وسأورد ترجمتها في فرصة أخرى ويحق لى أن أورد هنا الخطبة العربية التي ألقاها أثناء الاحتفال أحد أعضاء الجمعية وهو المدون سان پيو D. San Pio الذي تلقيت عليه اللغة الاسبانية وها هي بنصها الفائق

« بالنيابة عن جميع اخواني سلام عليك يا أيها العلامة المصرى »
« أحمد زكى أفندى بوى أن ألقى الآن خطبة ولكنى مثل »
« أيوب قد اردحت على الافكار وقد دعاني اخوانى أن أقول شيئا »

« بلغتك العصي فأقتصر على إيراد بعض جمل من الكتاب المقدس »
« بخر جيك الرب الحمر في سفن واذ كر ما لاقيته في هذه »
« المدينة والقادر الكافي يبارك لك في السفر والأقامة والسلام »

الغسة
الاجمية
الاندلسية

وقدا طلعت في مكتبة الدون يابلو خيل المذكور على كتب عربية كثيرة وأغلبها باللغة التي يسمونها الخيادو (Aljamiado) وذلك لأن العرب لما انقرضت دولتهم بالاندلس وبقي بعضهم فيها حافظوا على دينهم مع شدة الاضطهاد ولكنهم نسوا أو أزرخوا بإهمال اللغة العربية وصارت اللغة القشتالية أي الاسبانية ملكة متوارثة فيهم فكتبوا علومهم بها لكن بحروف عربية وقد رأيت في سرقسطة ومدريد عددا عظيما من هذه الكتب في أنواع العلوم النقلية والعقلية ورأيت كثيرا من المصاحف الشريفة مكتوبة بهذه اللغة ترجها الى الاسبانية بقايا الاعراب المسلمين وهذه اللغة تعرف بـ(الخيادو) ووجه هذه التسمية ان العرب يسمون كل ما ليس بعربي أجميا وبحري على منوالهم الاندلسيون فكانوا يسمون اللغة القشتالية أي الاسبانية باسم (الاجمية) ثم انتقلت هذه اللفظة الى اللغة الاسبانية بغير حرف العين لعدم وجود ما يقابله في اللغات الاخرى فصارَت الكلمة مقابل هذا الصوت (الاجاميا) ولما كان أهل اسبانيا يلقبون أغلب الجيمات خات كاسمينه قالوا (الاجاميا) أو (أخجما) ورسومها بحروفهم هكذا بعد ان

سكنوا حركة اللام (Aljamia) وعلامة النسبة عندهم do
توضع في آخر الكلمة فلذلك قالوا (Aljamiado) اي «الاجمعي»

وأليك الشواهد على قلبهم الجيم خاء فانهم يقولون في الجمام تحريف
«الفاخي» وفي علم الجبر «الخبرا» وفي الجص «الخيد»
وفي الجب بمعنى الصهريج والجايسة «الجيبي» وفي الحاجة
بمعنى أمتعة البيت «الهاخا» وفي الجعبة «الغابا» وفي الجفنة
«الخفنا» وفي الجرس «الخرد» وفي البرتقال «نارخنا»
من قول العرب نارنج وفي محمل سجن النصارى عند عرب
الاندلس «ساخينا» من قول العرب سجن وفي الترنجة «ترنخا»
وفي الجوهر «الخوفر» وفي الجبسة «الخوبا» وفي المتجنيق
«المتخيكى» وللبيفة «خيفا» وتاريخ الهجرة «هغيرا»
وتخزير الجبل أو الخلوف «خبلى» من قول العرب جبل * هذه
بعض ألفاظ علقمتا أثناء تلقى اللغة حتى اتنى لاحظت دوران هذا
الحرف في غالب كلماتهم الافرنجية التي يكون فيها شين أو جيم
أوسين بحيث لو سمعهم رجل من أهل المزاح لاستخ من القارئ
السمح وقال ان لغة القوم تدور على حرف الخاء

ولقد سمعتهم في بعض الاحيان يقولون الخيرا (Aljecira) فسألت
عن ذلك فاعلموني بانها الجزيرة الخضراء وحينئذ تشوفت لان أعرف

كيف يسمون بلاد الجزائر فان الفرنسيون يقولون الجيرى (Algerie) والاطليانية الجيريا (Algeria) ولكننى حدثت ابيه حينما رأيتهم قد قلبوا فيها وضع الحروف فجعلوا الراء مكان اللام وقالوا أرخليا (Argelia) ولم يقولوا غير ذلك . . .

وقد لاحظت بعض ألفاظ تنافى هذه القاعدة فيقولون فى الخزانة « الاثينا » بمعنى الخزانة المنقودة فى حائط البيت وفى الخروع « تسرفا » وفى طبر الخطاف « فانكسا » وفى المسجد « مسكيتا » ومنها قول القرنسأوبه موسى (Mosquée) وفى الخراز « المقرين » بياء مماله وفى الخذة « الموهادا » وفى تصغيرها « الموهاديدا » وفى النخاع « الموكاتى » من قول العرب المخ وفى الخبازى « الهبازى » وفى البطيخة « البوديجا والبوديكبا وباديهما وباديا » وفى الخرشوف « الكتشوفوا والكرتشوفا » وفى البخور « الباقور » وفى الخروب « الجروبا » وفى الخزامى « الهونيمبا » وفى الخزن « المائن » وهو اللفظ الشائع ويقولون فيه أيضا « النخائن والمائزن ومجائن » (ومنها انتقلت الى كافة اللغات الافرنكية بهذه الصورة ثم ان أهل مصر نقلوها عنهم وتناسوا أصلها فقلوا « مغارة » للمخزن الكبير) والسحرة بمعنى العونة « اذوفرا » والزرنج « اذرنجى » بياء من ممالتين والرخ فى لعب الشطرنج « روكى » وفى الشج « كسيكى » بياء من ممالتين وفى الخزامى الحرير « التشر » وفى الخياط « الفيمات » هذا بعض ملاحظته وسألم فى الرحلة بشئ كثير من قواعد التعريف عندهم فهلا من المستغرب بعد ذلك انهم يقولون ان كلام العرب كاه يشبه هذه الاصوات « خبط خبط خبط »

وقد زرت جميع آثار سرقسطة العربية وغيرها العربية وصعدت الى قمة البرج المائل الذي يشبه برج كنيسة بيثة وهو من صنع الاعراب المرتدين وقد شرع القوم في تقويض دعائمه خوفاً من سقوطه ثم خرجت منها شاكرة أفضال أهلها مردداً ثنائياً عليهم وعلى أخلاقهم الزكية

وزرت قسطنطين (Castejon) وميرنده (Miranda) تجول في ثم برغش (Burgos) وكنائسها المشهورة وقد رأيت في أحداها بعض المدن لواء في غاية الابداع والجمال أخذته الاسبانيون من العرب في واقعة العقاب التي سأذكر عنها شيئاً يسيراً في هذه الرحلة ثم

زرت آبله Avila ثم مدريد Madrid (وتسمى في كتب العرب (مديريومغابله) القديمة بجريط) (١) وقد رأيت جميع ما فيه من المتاحف والمعارض (سفير الدولة) (العليه)

(١) بجريط يفتح الميم كما ضبطه ياقوت في معجم البلدان وقد عقد العلامة أحمد فارس المشهور فصلاحي كتاب «الجاسوس على القاموس» أشار فيه الى بعض انتقادات جنرافية على الفيروزابادي عن نسبة ذكر لبعض بلدان الاندلس في قاموسه ولكن وقع صاحب الجاسوس نفسه في وهم ارى من الواجب اصلاحه في هذا المقام وبين ذلك ان الحمد ذكر بلدا اسمه البيرة وقال انه من عمل ماردة فجاء صاحب الجاسوس (صحيفة ٣٠) معقباً بهذا العبارة بالفسر قائلاً (أي مدريد) وأقول ان ماردة Meridu بلد ومدريد بلده آخر وماردة في الجنوب الغربي بقرب بطليوس Badajos على تخوم البرتغال ومدريد في الوسط وماردة كانت بلداً مشهوراً جداً في أيام العرب ولا يزال فيه الى الآن آثار جليلية تشهد بفضامته بخلاف مدريد فانها عند العرب بجريط وكانت في أيامهم عبارة عن حصن ليس الا

ولاقيت علماءها وكبراءها ووزراءها واجتمعت بصاحب العطفوة
طرخان بك سفير الدولة العلية الذي كان واليا على جلة ولايات
مهمة من قبل مولانا الخليفة الاعظم آدم الله نصره ورفع كلمته
وقد رأيت منه رجلا عالما بالسياسة والقوانين والتظامات وفيه
من الوطنية وحب الاسلام مالم أجده في غيره الى الآن ويسرفي
أن أقول ان له مقاما كبيرا في نفوس كبراء اسبانيا والاسرة المالكة
باسرها وله تمام الاطلاع على اللغة التركية والفارسية واليونانية
والفرنساوية والاسبانية وله الملم عظيم بالالمانية والارمنية وبعض
العربية واننى أتمنى من صميم فؤادى ان يكون جميع نواب الدولة
العلية أيدها الله في جميع الممالك الاوروبية على شاكلة فاما
تعلموا الدول بنواها وتعرف قيمتها بمندوبها وقد أكرت في مدريد
من زيارة المعرض الاوربي الاسباني الذي أقيم احتفالا بمهرجان
كستوف كولب وذلك لاننى رأيت فيه كثيرا من الآثار العربية
الاندلسية التي تبعث في النفس نغارا وفي القلب أحزانا ورأيت لواء
عربيا يشبه لواء برغش تمام المشابهة وبجانبه لواء آخر مما أخذه
الاسبانيون من العرب وقد رأيت في القسم المخصص للطوبجية
المدافع التي سبق الى اختراعها أهل غرناطة لصدة عدوهم عنهم
ورأيت غير ذلك مما لا يمكن الاحاطة به الآن و كنت أكثر من

زيارة التبعات في كل ليلة لاتقان اللغة ولاها في مدريد مدرسة
حقيقية لاخلاق القوم وعاداتهم حتى انى أثناء التشخيص كنت
أتصور نفسى في بعض الشوارع أوفى احدى القرى ثم زرت
طليطلة Tolède (١) فإذاهى مدينة عربية محضة لم يعثورها الى
الآن أدنى تغيير ولا أتذكر أن مدينة في مصر حفظت هذا الشكل
العربي المهود كما بقى فيها الى الآن مع نوالى الازمان وتبدل
الاحوال فلا تزال شوارعها وأزقتها حجوج أى متعرجة ملتوية
ملتفة صاعدة نازلة حتى يخالها الانسان أشبهه شئ بتلك الحشرة
المعروفة بام أربعة وأربعين وقد رأيت فيها من آثار العرب ما ينطق
بفضلهم ويخرس كل متعصب عليهم

ثم رجعت الى مدريد وتفرجت فيها ثلاث مرات على
مقابلة الأثوار المعروفة عند الفرنساوية باسم Course
des Taureaux و Combat des Taureaux وعند الاسبانية
باسم Corrida de los Toros وقد عرفت جميع تفاصيلها

(١) تسمى عند العرب مدينة الاملاك أى الملك لتكون الالاتيين كانوا يسمونها
بذلك أيضا (Urbs Regia) وكانت تسمى عند الرومانيين كذلك
(Toletum) وبالتصغير (Toletula) ومنه الاسم العربي طليطلة
وقد ورد اسمها في قليل من كتابات العرب فوليطة مثل التسمية الاسبانية
ويقول مؤرخو العرب ان معنى فوليطة بلسان قيصر «انت فارح»

وقوانينها وشهدت غرام الاسبانيين رجلا ونساءها الى الدرجة التي لا يكاد يتصورها العقل بحيث ان المقاتلين يعتبرون من أهم رجالهم ومن أحب الناس الى الامة التي تجل ذكرهم الى حد يحسد لهم عليه سراوات القوم وأمائل الاماجد وانى أؤخر شرح ذلك الى فرصة أخرى لما يستوجبه من زيادة البيان مع ما فيه من الطلاوة والمباحث الرائقة وانما أقول الآن ان عرب الاندلس كانوا مولعين بهذا القتال أيضا وكانوا يضارعون الاسبانيين وربما كانوا يفوقونهم

دخول مملكة ^{البرتغال} ^{وذكر نسبة} ^{وشتند} ^{المعروفة} ^{بلسبون} ^{(Lisbonne (Lisboa} (٢) وقد بدأت بزيارة حضرة قنصل جنرال الدولة العلمية وويس قنصلها ورأيت آثارها العربية وغير العربية وفي ثلثي يوم من وصولي وردت لي تذاكر من الجمعية الجغرافية الملكية بالتجيسة والسلام وبوضع ~~مكتبها~~ متاحفها ومعروضاتها وغرفة السلاح والنشان والبياردو وغير ذلك تحت تصرفي فزرتهم وشكرتهم واستفدت

(١) هذا هو اسمها كتب العرب لابورنغال أو بورنكال أو بنير وواقفها

(٢) يذكرها العرب باسم لشبونة ولشبونة والاشبونة

كثيرا من ثقاتهم وقد زرت المكتبة الاهلية ومدرسة المهندسخانة
ومعرض التاريخ الطبيعي وكل ما قدرت عليه ورأيت من أهلها
حفاوة تحاذيهم للثناء على صفحات القواد ثم زرت مدينة سنتره
Cintra ورأيت حصون العرب على قم الجبال وبجانب بعضها
مسجد بأقية آثاره للآن وعلى مقربة منه قبر دفن فيه القوم
عظاما وجدوها ولم يعلموا انها للمسلمين أو للنصارى فوضعوا على
رجام التبر صورة الصليب وصورة الهلال ثم رجعت الى لشبونة
وزرت فيها القسم الذي كانت تسكنه العرب وكان يعرف عندهم
باسم الحجة « بتشديد الميم » ويسميه البرتغاليون الآن من باب
التعريف « الفلما »

وقد تشرفت بمقابلة جلالة الملك فأكرم وفادتي وأحسن لقاءى
ولبنت مع جلالته مدة طويلة ثم خرجت شاكرا جليل رعايته وهذه
المدينة لها موقع من أجل مواقع الدنيا يشبهه أو يفوق موقع جنوة ونابولي
ويقرب من القسطنطينية على ما سمعت ومنظرها يشبه المدائن الشرقية

ومما يحسن ذكره من باب الفكاهة اني خرجت ذات يوم
في بكرة النهار لا تفرج على حركة المدينة في مبدئها فن جملة
مارأيت فيها كثيرا من النساء يسارعن في حركتهن وهن حفاة
الاقدام وعلى وسطهن حزام كبير بارز بروزا شديدا عن بقية

التشرف
عقابلة
جلالة الملك

القول
المنس
بأوروبا

الجسم بخلاف سائر الافرنجيات فانهم يسذلن غاية جهدهن في
تحليل الخصر وترفيعه وما امتاز به هؤلاء النساء في البرتقال
انهن يضعن في أعناقهن قبطانا يتدلى الى حد ثنيات البطن وينتهى
بصايب كبير من الخناس وفوق رؤسهن قطعة من القماش
ملتفة على بعضها مثل الحواية ويحملن عليها شياً شبيها بطست
نحاسي مفرطح جدرانه مرتفعة قليلا ورأيت احداهن تصيح بكلام
لأفهمه فتشرفت لاستوقفها وأعرف مامعها فألت الدليل ذلك
ولكنها لما نظرت الى حالتنا وهيئتنا توهمت أننا من لا يشتري
مامعها فهتت بمغادرتنا فأظهرت لها قطعة من الورق قيمتها نحو
قرش صاغ توقفت وأخذتها ثم فرجتني على ما في الطست واذا به الفول
المدمس ففرحت به كثيراً ووطنت نفسي على أكلة مصرية في
بلاد أوروبا ثم استفهمت عن الاسم فإذاهو (Fava Rica) أي
الفول الغني ولما رجعت الفندق أوصيت صاحبه أن يستحضر
لي في صباح اليوم الثاني مقدارا من هذا الفول الغني وقد كان
غير أني أردت أن تكون الاكلة مصرية محضة وعلى الاسلوب
المتبع عند عوم المصريين فلبنت في غرفة النوم وأقفلتها إقفالا
محكما بعد أن استحضرت البصل حتى لا يكون مثل بني اسرائيل
حينما خرجوا من مصر ولم يجدوا البصل في التيه فتأسفوا عليه

وتلهفوا ثم اتى تمتعت بهذا الفطور والحق يقال أكثر من جميع أيام سياحتى فى أوروبا

ثم قمت من الاشبونة الى مدينة كويمبرا Coimbra المعروفة بمدينة قلمرية وبرتقال فى كتب العرب باسم قلمرية وهى الآن دار العلم ومحط المعارف فى بلاد البرتقال وقد رأيت مدارسها الجامعة ومناحفها وبستان الثبات البديع فيها وبعد ان طقت على معظم آثارها قمت الى مدينة پورتو (Porto) واسمها فى كتب العرب برتقال وبها يسمى هذا القطر برتقال كما نقول نحن الآن طرابلس وحاضرتها طرابلس وتونس وحاضرتها تونس وكما نقول بنى سويف وبندرهما بنى سويف والقيوم وبندرهما القيوم والمنايا وبندرهما المنيا وهكذا فى سيوط وقنا وكما كان الشأن فى القليوبية وجرجا والمنوفية قبل أن ينتقل مركز المديرية الى بنها وسوهاج (المعروفة عند العرب بسوهاى) وشبين الكوم وساورد فى الرحلة نصوصا عربية معتبرة تكاد تكون مجهولة للدلالة على صحة هذا الاسم (برتقال)

رأيت فى مدينة البرتقال هذه آثارا كثيرة ولكن العرب لم يختلفوا فيها شياً يذكر لانهم كانوا يجيئونها فاتحين ثم يجوزونها الى غيرها من البلاد ولم ترسخ فيها قدمهم غير انى رأيت دار البورصة فيها وهى من الفخامة والجلالة بمكان قد تألف التجار على انشاءها

على الطراز العربي ونقشوا أكبرهم وفيها بحسب الاساليب العربي،
وزينوه بالزخارف وكتبوا في ضمن رسومها البديعة أشعاراً عربية
سأوردها في الرحلة وفي جميع الطرازات هذه العبارة ﴿عزلاً لانا
السلطانة مريم﴾ يريدون عزلولتنا السلطانة مريم الثانية

وقد عن لي وأنا في هذه المدينة أن أمتع نفسي بأكله
ثانية من الفول الغني فأوصيت صاحب الفندق أن يستحضري
جانباً من هذا الطعام اللذيذ حتى أتعدى به في وقت الظهر
وأوصيته أيضاً باستحضار الزبد والبصل فنظر الى نظر المستغرب
وقال كيف يمكن الغداء بالفول الغني والبصل والزبد فقاطعته
وقلت له هذه ارادتي وما عليك الا الاجابة فامتثل غير قادر على
اخفاء زيادة الاستغراب ثم توجهت لزيارة الآثار وغير ذلك حتى
جاء وقت الظهر فأسرعت الى الفندق وأنا أتلذذ مقديماً بأكله
الفول الغني التي أعددت نفسي لها في هذا اليوم السعيد حتى اني
لم أتناول شيئاً من الزاد في الصباح وقد صعدت في الحال الى غرفة نومي
فوجدت صينية عليها شيء كثير من من من الخروب
فدققت الجرس بعنف وشدة لكثرة ما اعتراني من الغيظ والحزن
فحضر الخادم فقالت له ما هذا الذي فعلت أيديكم فقال انما أجبتنا
أمرنا وأحضرنا الفول الغني فكررت الاستفهام فقال لي هذا

يشكال
على الفول
المدمس

هو الفول الغنى بعينه فنزلت لصاحب الفندق وباحثته في هذا الموضوع وأعلمته بمقصودي الذي رأيته بكل انشراح في مدينة الاشبونة فأدرك السر وقال لي ﴿يا سيدي أهل بورتو يسمون الخروب فولاً غنياً ولا يعرفون ذلك الصنف الموجود في أشبونة بل انهم يتمكون على الاشبونيين لكونهم يسمون الفول المصنوع بهذه الكيفية فولاً غنياً انه هو الخروب للشابهة بين قرن الخروب وقرن الفول ولما كان في الخروب مميّزة على الفول دعوه بالفول الغنى ولهم الحق (١) وهذا ما دعاني للاستغراب حينما طلبت مني في الصباح أن أحضر لك غداءك من الفول الغنى مع الزبد والبصل ﴿فأشرحت من هذا الشرح مع اني انقبضت للحرمان من أكلتي المصرية والاضطرار للاكل على المائدة العمومية بالطريقة الافرنكية ولكن هي السياحة يرى فيها الانسان ما يسوه وما يسر

ثم خرجت منها قاصداً لمنطقة Salamanca من بلاد لغة البرتغال
اسبانيا ولم أتعرض لتعلم اللغة البرتغالية خوفاً من الاختلاط ولكنتي فيها

(١) ليتنبه القارئ الى أنه منهم فلذلك هو بصوب رأيهم
(٢) هذا هو اسمها الحقيقي في كتب الجغرافية العربية القديمة وابن الاثير في حوادث سنة ١٤٠ في الجزء الخامس وقد وهم صاحب دائرة المعارف حيث سماها لمنطقة بالسيس المهملة ثم خلط بينها وبين بلد أخرى اسمها طلمنكة فقال انه اسمها في بعض كتابات العرب والصواب غير ذلك فان طلمنكة Salamanca بلدية في ولاية مدريد في وسط الاندلس كانت من أعمال طليطلة في أيام العرب وأما لمنطقة فهي في الشمال من ولاية جليقية التي قديسماها العرب غليسية Galicia

لاحظت كثرة تردد الفاء والشين والراء فيها فنال الفاء الخروب
يسمونه الفروب والبصرة يسمونها البفيرة والصهريرج يسمونه زفرش
ويسمون نوعا من الاغطية والقراء يعرف عند العرب بالحنبل بقولهم
«الفامار» وهذه الكلمة الحديثة الا ان مأخوذة من الكلمة
البرتغالية المهجورة المحرفة عن العربية مباشرة وهي «ألفبر»
ويسمون الخس «ألفس» والهدية «الفدية» والجرمل وهو
السذاب البري «الفرا» وفي الخلاوة «الفلاوا» ويقولون في الحجة
«الفاما» وانحياط يسمونه «القيات» وأما ذلك كثيرة لأطيل بها
الآن وأما الشين فان معظم السينات التي في اللغات الافرنجية يقلبونها
شينا ولعل ذلك هو السبب في ان العرب نطقوا باسماء البلدان التي
فيها سين بالشين والامثلة كثيرة يعرفها من له أقل اطلاع على جغرافية
هذه البلاد في كتب العرب وأما الراء فهي كثيرة جدا خصوصا مع
الشين حتى تكاد لغتهم بسببها تشبه اللغة النمساوية ولكن الخاء
معدومة بالكلمة

ذكر النفود وهنا أذكر أمرا غريبا وهو اني لما كنت في سرقطة
باسانيا توجهت في صباح يوم وصولي الى أجل دكان للزبن فيها وبعد
والبرتغال ان حاققت ذقني وأصلحت شعر رأسي وضحخته بانواع الخساق

المستعملة عندهم سألت الرجل عن الاجرة فقال لي ٣ ريالات
فبعت في قلبي وأسنت على مجيئي اليه ولكنني تجلدت وأظهرت (مثل
الكثير من الناس) تعارف الجاهل بعكس أهل البديع الذين يظهرون
تجاهل العارف ثم قلت وهو كذلك ودفعت اليه ورقة قيمتها ٢٥
فرنكا فردّ لي ٢٤ فرنكا وربعا فعلت بكل سروران الريال عند
أهل اسبانيا يساوي جزءاً من عشرين منه عند أهل بلادنا بل هو
أقل من القرش الصاغ بقليل ولكنني حينما جئت الى بلاد البرتغال
وزلت في لشبونة اكترت عربة أوصلتني الى الفندق
ولما نزلت منها سألت ترجان الفندق عن الاجرة فقال لي ٦٠٠
ريال فقلت في نفسي هذه هي الطامة الكبرى وكيف أنظاھر
الآن بتعارف الجاهل وليس معي ورقة تساوي هذه الثروة
الجسيمة ومع ذلك تجلدت وصبرت على ماض الايام واتقيت
الله له يسهل لي سبيل الخلاص من هذه الورطة فقلت له بصوت
أخف « وهو كذلك خذ النقود من صاحب الفندق » وصعدت
الى غرفتي أضرب أخاسا لاسداس ولما أصبح الصباح كان أول
شيء طلبته هو الحساب فجاءني بعشرات الالاف فقلت وأنا
خائف واجم وكم يساوي هذا كله من الفرنكات فقيل لي

ان الفرنك ما تاريا ل فكدت آخر الله ساجدا وصرفت الغلام
لا تضرع بالشكر منفردا وقد قاسيت كثيرا من اشتداد الازمة
المالية على هذه البلاد حتى اني كدت أصرف الفرنك الصحيح
المعتبر بمائتي ريال ومائة وتسعين ومائة ومائتين ومائة وسبعين
بل مائة وستين في قلمرية وعرفت حينئذ ان هؤلاء القوم يلزمهم عدد
كبير لقيمة قليلة

العودة الى الابدلس
ولما لوالت هذه المسائر المالية استخترت الله في الرجوع الى
الاندلس ووصات شلنقة ورأيت آثارها ومدارسها فانها في اسبانيا
مثل قلمرية في البرتغال وأكسفورد وكبيرج في انكلترة ورجعت منها
الى مدريد فأصابني النزلة الوافدة واشتدت علي وطأتها حتى كدت
أيأس من الحياة لولا مداركة كثير من أصحابي وأصدقائي وعناية
الاطباء بشأني

مقابلة
جلالة الملكة
الاندلس
وقد كان صاحب السعادة طرخان بك طلب من البطانة الملوكية
تسرفي بمقابلة جلالة الملكة وأجيب السؤل ولكن المرض كاد يحول
يني وبين هذا الشرف الاسنى غير ان الله سبحانه وتعالى رأف بي فأنف
النزلة عني وبذلك تسرلي مقابلة جلالة الملكة فلاطفتني وتعطفت
علي كثيرا وتكلمت معي في اشئات العلوم والادبيات حتى همرتني
من كثرة اطلاعها ودار الحديث مليا على اللغة العربية وآثار
العرب باسبانيا وبغيرها واستنطالت المقابلة مدة تنيف على

العشرين دقيقة وكان معي حضرة السيد المفضل والامير الكريم
طرخان بك وسأذكر في الرحلة ما دار بيننا من الحديث ثم خرجت
من بين يديها شاكرا افضالها على هذه المقابلة الجليلة وقد
أخبرتني كثير من أهل البطانة وخصوصا صاحب العطوفة طرخان
بك بأنها أكثر من المعتاد بكثير فشكرت الله ثم لبثت بمديريتها
تعافيت قليلا من النزلة الواقعة التي ضربت فيها أطنابها الآن
وفتكت بالاهالي فتكا ذريعا فمات بها كثير من الشيوخ وزاد
عدد الوفيات بها وبغيرها من الامراض في مديدي حتى بلغ
سنا وستين وفاة يوميا وكان معدل عددها قبلا احدى وأربعين
في اليوم

ولاجل ذلك أمرني الاطباء بالتوجه الى بعض البلاد الحارة
في جنوب الاندلس والعبور منها مباشرة الى مصر متى ظهرت
آثار الصحة وعاودتني العافية

فقدت الى اشبيلية (Sevilla) التي كانت تسمى أيضا بمص ووزرت
جميع آناها وداراللقطاء فيها وكنايسها وصعدت الى قمة المنارة
الاسلامية الفخيمة البديعة التي كانت بجانب أحد المساجد وكانت
مستعملة عند العرب لرصد الافلاك فأصبحت الآن مقر التماقوس
وزرت القصر Aleazar الذي أنشأه الاسلاميون فأنساني
كل ما رأيته من العمار الجميلة والآثار الجليلة التي رأيتهما في

أعظم مدائن أوروبا وقد وقفت فيه متلهفا وكانت كذلك الشاعر
الذي قال

قلت يوما لدار قوم تقانوا * أين سكانك العزاز علينا

فاجابت هنا أقاموا قليلا * ثم ساروا ولست أرا أيننا

ومن غريب ما في اشبيلية ان جميع دورها وقصورها لها في
وسطها اقلع في غاية الاتقان مغروس بزهر الاشجار ومحفوظ بفائق
العمدان وفوقه رواق مثل ما هو معروف في الاسكندرية باسم
الحضير وعليه عمدان وحنايا وقواصر مثل التي في القناء ولقد تحسنت

صحتي باعتلال هوائها حتى صدقت من أنشأ مشبها بها

هو أوها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل

ما ن يالي الذي يحتمل ساجتها * بالسعد أن لا تحل الشمس بالحل

ولا غرو فقد اشتهرت باعتدال الهواء وحسن المبانى وهي

واقعة على النهر الشهير المعروف بالوادي الكبير Guadalquivir

ببعد المد فيه ٧٢ ميلا ثم ينحسر ولذلك قال شاعرهم

شق النسيم عليه جيب قيضه * فانساب من شطيه يطلب ناره

فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هـ زافضم من الحياء ازاره

ولقد صدقت حينما حلت فيها قول بعض واصفها

ان شرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح

وهذا الشرف المذكور هو اقليم من أعمالها كائن على تل عال من التراب الاحمر ومسافته ٤٠ ميلا في مثلها يعيش بها السائر في ظل البتين والزيتون واعلم ان الاسبانيين والافرنج يسمون اسم هذه البقعة هكذا Axarafe و Aljarafe وهو الآن في الجغرافية الجديدة لتلك الاقطار عبارة عن البلاد التي في قسم سان لوكار لامايور أى سان لوكار الكبير San Lucar la Mayor وبعض القرى التابعة لمدينة اشبيلية

تمخرجت من هذه المدينة الجميلة قاصدا غرناطة (Grenade) Granada) وأنا أردد قول الشاعر فها

ذكرتك يا حصن ذكرى هوى * أمات الحسود وتعنيتـه
كأنك والشمس عند الغروب * بعروس من الحسن منحوتـه
عند النهر عقدك والطود تاجـك * والشمس أعلاه ياقوتـه

وصرت أثناء الطريق أمر على بلاد وقرى كثيرة تذكري ما عهدته مدينة غرناطة وقصر الحمرا في بلاد المشرق وخصوصا المنارات التي كانت قائمة بجانب الجوامع فصارت مجاورة للصوامع وما آذن المساجد التي أصبحت نواقيس للمعابد وصرت أئذ كرمجد العرب وعظم دولتهم حتى قدمت الى غرناطة المعروفة قليلا باسم اغرناطة ويسمىها العرب دمشق من باب التشبيه واسمها معرب عن الاسبانية ومعناه الرمان

وصلت هذه المدينة الى مالم تكدم تصل اليه مدينة ما فانها حينما
استولى الافرنج على معظم بلاد الاندلس انتقلت اليها بقايا المسلمين
فصارت المصر المقصود والمعقل الذى تنصوى اليه العساكر والجنود
حتى بلغ عدد فرسانها وحصنها ٥٠.٠٠٠ ورجالها ٣٥٠.٠٠٠ من غير
ضواحيها واعمالها فقد كانت جيوشها تبلغهم ٢٠٠.٠٠٠ يخرجون للقتال
من أهل غرناطة والبُشَرَات (Alpujarrat) (Alpuxarat)
ووادى آس Guadix وقد رأيت أن أختم رسائلى المؤتمرية فى هدم
المدينة التى كانت آخر ملاذ المسلمين

وصلتها بالليل ونزلت فى فندق واشنطون وهو على ما علمت فيما
بعد من أهل التعميق والمعرفة قائم (باللاسف) على نفس مكان المقبرة
الملوكية التى كانت ملوك المغرب تدفن بها ويسمىها ابن الخطيب
« التربة »

وبعد ان تناولت شياً من الزاد عجالت بالاضطجاع وحينئذ
ذهب عنى الرقاد لهجوم الافكار وتذكر ما وقع تلك الاعصار
والتفكر فى أحوال الدنيا وتقلبها باهلها حتى أثقلنى السهر وبرزحى
التعب فأنقضت الجفون وما استيقظت الا على تجاوب الاطياف فوق
أغصان الاشجار كأنها تقول لى

تنبه فقد شق النهار مغلسا * كأنه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

فهمت ونظرت الى الرياض وغابات الاشجار وتدفق المياه فقلت
لله در الشاعر في وصف مثل هذه المناظر

رياض تعسفة هاسندس * توشت معاطقها بالزهر

مدلمعها فوق خدى ربا * لها نظرة فنتت من نظر

وكل مكان بها جنسة * وكل طريق اليها سقر

ولكنى تذكرت قول الوزير ابن عبدون الاندلسى ولاغرو فان

أقوال الوزراء وزراء الاقوال

يانفحة الزهر من سراك وافانى * خلوص ريبك في انفاس آذار

والارض في حلال قد كاد يجرقها * لو قد التور لولا ماؤها الجارى

وانطير في ورق الاشجار شادية * كلهن قيمان خلف اسستار

ثم طفت بالجزء Alhambra (١) وقصرها ومساجدها
وساحاتها وأطلالها ورسومها وبقاياها التي تذهب بالجنان وتأتى
بالجنون فوقفت باهتا حائرا فاقد الاب والرشاد من هذا الاتقان
الذى لم يكن يخطر على قلبى مع ما سمعته عنها من الاوصاف
وما شاهدته من غرائب المباني في غير هذه الدار حتى لقد اشتد بى
الهيام وكنت

أصر على الديار ديار قومي * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

(١) وهى مدينة نائية قائمة على قمة الجبل وأما غرناطة فهى فى صفحة

وما حب الدنيا أهاج وجدى * ولكن حب من سكن الدنيا
ثم خرجت منها وأنا أناطها بقول الشاعر
وقفت بالجرء مستهيرا * معتبرا أندب اشـبـناتنا
فقلت يا حرا الأ فارحى * قالت وهل يرجع من ماتنا
فلم ازل ابكى وابكى بها * هيات يعنى الدمع هياتنا
كانما آثار من قدمضى * فوادب ينسدين امواتنا

وعند الباب قدموا الى دفتر الزيارات فكتبت هذه العبارة التي
املاها الخاطر واليد مرعشة والفؤاد واجف والعين باكية

أحس باهذه الحمرأ أحقا أنتى فيها

تهذه القصور وهذه الدرر وندوم خلدنا فخرهم على مدى العصور
بذى آثارهم الباقية تنطق بعظمتهم الفاتحة وتنبه العظمان الى بقاء
الملك الديان وأن كل من طيافان وتذكر بنى الانسان بوجوب
التعاون على البر والاحسان والتباعد عن التخاذل فهو الحشران ويرحم الله

أحمد زكى

عبد ارأى فتذكر ونظر فاعتبر

مندوب الحكومة المصرية
في مؤتمر المستشرقين التاسع بلوندره

يوم الثلاثاء رجب الفرد سنة ١٣١٠
(٢٤ يناير سنة ١٨٩٣)

ثم انتقلت من الحمراء وزرت اسوار المدينة وأبراجها وبعض
مناراتها وكثيراً من قصور ملوكها وبعلم الله انى ما رأيت في طول
سياطها شيئاً أدق واثق وأجل وأكمل مما رأيته في هذه المدينة
حتى لقد رأيت ان المقرئ لم يقرب من الحقيقة حينما مدح غرناطة
اثناء وصفه للانلداس بقوله

هى حنة الدنيا التى * قد أذكرت دار المقامه
لاسيما غرناطة الـ * غراء رائقة الوسامه
بروائها وجمائها * وهوائها النافى الوخامه
ورياضها المهتره الـ * لعطاف من شددوا الحامه
وبرجها (١) النضر الذى * قد ذرين الله ارتسامه
وقصورها الزهر الرالى * يابى لها الحسن انقسامه

ولقد كانت غرناطة لا يدخلها فى داخلها وخارجها من البلدان

(١) مرج غرناطة يعرف عند الافرنج بهذا الاسم (La vega) وهو
كلمة اسبانية معناها المرج ومن الغرائب ان الدولون ايجيلاذ (Eguilaz) وهو من
أعيان أهلها ومن نبهاء المشتغلين بالادب والالمان العربيه قد أطلقوا على صورة
ملكه مصرى طولها ٨ سنتمرات ومنقوشه بالبحر وف الهير وغلبيقيه وأخبرنى ان
أحد الفلاحين قد عثر عليها فى المرج أثناء الفلاحة وتقليب الارض فبنته الى
وجوب الاعتناء بهذه المسئله وموانا لبحثنا وراء ذلك من القوائد التاريخيه
التي لا تنتكر كما علمت ان القوم عثروا بمدينة تبرشولونه على آثار مصرية كثيرة

ولا يضاهاها في انساع عمارتها وطيب قرارتها وطن من الاوطان
ولا يأتي على حصر أوصاف جلالها وأصناف جلالها قلم البيان
وكانت في آخر الامر قاعدة بلاد الاندلس وعروم، مدتها ويقول
كتاب العرب ان خارجها لانظيره في الدنيا وهو مسيرة ٤٠ ميلا
يخترقها من رشتيل Xenil (Jenil) المشهور وسواها من الانهار الكثيرة
والبساتين والبساتين والرياضات والتصور والكروم تحفة بها من
كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات
والبساتين لامثيل له بسواها ويعرف عند المؤلفين الاسبانيين بهذا
الاسم Aindamar محرفا عن اللفظ العربي

وما زلت اتردد بين هانئك الديار واجوب تلك المعاهد وأنا
أرى في كل حجر وفي كل جدار آية ناطقة بعظمة هذه الامة
ومجدها وقد جرتني ذلك الى ذكر بعض أمور مما يدل على بلوغ
أهل الاندلس أرقى ذروة من ذرى النعيم وتأنقهم وترفعهم للدرجة
التي ليس بعدها مطلب أو غاية

من تأنيق
لا بد من تأنيق
رأت ذات يوم باشييلة نساء البادية يععن اللبن وهي رافعات عن سوقهن
يخضن الوحل والطين فقات له اشتهى ان أفعل أنا وجوارى
مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد

وصير الجميع طينا في القصر وجعل لها قريبا وجبالا من ابريسم
وخرجت هي وجواريتها تخوض في ذلك الطين الثمين وانالت النفس
منها ثم اتفق بعد خلعها انه حصلت بينهما منافرة كما يحصل عادة بين
الازواج فقالت له والله ما رأيت منك خيرا فقال لها "ولا يوم الطين"
تذكيرا بهذا اليوم الذي أباد فيه من الاموال ما لا يعلم مقداره
الا الله فاستحييت واعتذرت وسكنت

وقدمدح بهض الشعراء يعقوب أمير المؤمنين بالاندلس بقصيدة
فيها . ٤ بيتا فأعطاه على كل بيت ألف دينار

وكان بعض ملوكهم اذا جاءته رسل من أعدائه يأمر في
الحال باصطناع برك وحولها آساد وأشجار وازهار كلها من الفضة
الخالصة والذهب النضار ترهيبا لهم وايقاعا للرعب في قلوبهم من
غير أن يشافهم بكلمة واحدة فينال من ملوكهم كل ما يرتضيه
وقد كان عبدالرحمن بن الحكم أمير الاندلس كثير الميل الى النساء
وولع بجارية له اسمها طروب وكان بها كافنا شديدا واتفق انها
غضت الطرف عنه ذات يوم وقابلته بالصد والاعراض واتصرت
في مقصورتها فأرسل يترضاها وهي لاتزداد الا اصرارا على الجفاء
حتى أرسل الخصيان يغصبونها على الخروج فغلقت الابواب في
وجوههم فذهبوا الى الخليفة يستأذنه في اقتلاع الباب فأمرهم

بان يسدوه بيد من الدنانير يرصونها عليه رصا ثم جاء بعد ذلك
يترضاها بنفسه ويعتذر اليها ففتحت الباب وانهاالت عليها الاموال
فقال لها كل هذا المال لك دون سواك ثم أعطاها حلية قيمتها
مائة ألف دينار فقبل له ان مثل هذا لا ينبغي أن يخرج من خزنة
الملك فقال ان لابسه أنفوس منه خطرا وأرفع قدرا وأكرم جوهرها
وأشرف عنصرا وفيها يقول

اذامابت لي شمس النها * رطالعة ذكرتني طروبا

ومن ذلك ان محمد بن عامر المنصور وزير الاندلس المشهور
صنع قصرا من فضة صافية وأهداه للسيدة صبح البشكنشية أم
الخليفة هشام وجمه على رؤس الرجال فجلب حبها بذلك وقامت
بأمره عند سيدها الخليفة المصمك حتى قال الخليفة لبعض
خواصه ان هذا الفتى سلب عقول حرمنا بما يتحفهن به

ومن ذلك ان الحكم ثالث خلفاء الاندلس كان له خاصة ألنا

فرس مرتبطة على شاطئ النهر بقبلي قصره تجتمعها داران

والاعجب من ذلك ما رواه المؤرخون من ان الخليفة عبد الرحمن
التاسع المشهور أراد الفصد ذات يوم فجلس في البهو الكبير المشرف
باعلى مدينة الزهراء واستدعى الطبيب لذلك وأخذ الطبيب الآلة

وحبس به الناصر فينما هو كذلك اذ اطل زر زور فصعد على اناه
نهب بالمجلس وأنشد

أيها الفهاصدر فقا * بأمر المؤمنين

أنتما تفصد عرقا * فيه حيا العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف أمير المؤمنين ذلك غاية

الاستظراف وسر به غاية السرور وسأل عن اهتدى الى ذلك وعلم

الزر زور فذكر له ان السيدة الكبرى مر جنة أم ولده وولي عهده

الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك وأعدته لمثل هذا اليوم فوهب

لها ما ينيف على ٣٠ ألف دينار

وأمثال هذه الوقائع أكثر من أن تذكر وأقول ان أول

الاندلسيين

تبليط حصل بالمئات كان في قرطبة وكذلك الانارة العمومية بالليل

قبل أن يعرف ذلك أحد من أهل الارض قاطبة فقد كان السائر

يشي فيها وفي أرباضها على ضوء السرج المتصلة مسافة ١٠ أميال

وأما رسوخ قدمهم في العلم والعرفان فأمر يشهد به العدو

معارف
الاندلسيين

والصديق ولا أذكر منهم الا آن سوى أبي القاسم بن فرناس فإنه

أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من

فك كقاب العروض للخليل وأول من فك الموسيقى وقد صنع في

يته هيئة السماء وخيل للناظر فيها التجوم والغيوم والرعود والبروق

وصنع الآلة المعروفة بالنقالة ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال

وقد احتال في الطيران فكسا نفسه بالريش واتخذ جناحين وطار
في الجو ومسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في السقوط فتأذى
اذ غفل عن اتخاذ الذنب ولم يتنبه الى ان الطائر انما يقع على
زمكاه

ولقد كانت ملوك الافرنج جميعا تستخدم الاطباء من العرب واليهود
الاندلسيين وكانت الصنائع والفروسية والابهة في عهدهم في من يدوكان
عندهم مواضع شتى للفرج واللهو وأما علم المساحة والثلث والكيمياء
والطب فلم يكن الا في قرطبة دون غيرها من سائر المدن حتى ان شانهجه
ملك ليون الملقب بالسجين اضطر الى أن يسافر اليها ليأخذ الطب
عن رجل كان مشهورا في عصره فلما استدعى به الملك أجابه مع
الرسول قائلا ان كان للملك حاجة الى فليقدم عليّ ومثل ذلك الزبيج
الذي اشتهر به الفونس العاشر ملك قشتالية وصار له به فخر على ملوك
أوروبا المتحارر له علماء العرب كما يشهد بذلك علماء الافرنج أنفسهم
ومما ينبغي ذكره في هذا المقام ان القوم ما وصلوا الى هذه
الدرجة الا بالعلم والعرفان وما أجد رشبانا المصريين الاذ كياء
المنعبلين أن يقتدوا بأهل الاندلس في ذلك الزمان فانهم كانوا جميعا
أحرص الناس على التمييز حتى ان الجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم
يجهد أن يتبذ بصنعة ويربأ ان يرى فارغا عالة على الناس وكانوا

أسوة حسنة
للمصريين

يقرون جميع العلوم في المساجد بالاجرة لانهم كانوا يتعلمون لاجل
أن يعملوا الخلاق وينوروا الازهان لالكي يأخذوا جاريأ ومعلوما
ولذلك كان العالم منهم بارعا لانه يطلب ذلك العلم بياعث من نفسه
يحمه على ثرك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى
يتعلم ومثلهم الآن معظم علماء أوروبا

وما ينبغي اضافته للعالم مراعاتهم للشرع الشريف حتى مراعاة الشرع
لقد كان للدولة الاموية في أيام عز الاندلس هبة وتمكين ناموس
من قلوب العالم فكان في ذلك ضخامة لدولتهم ورسوخ لاقدامهم
وقد ذكر ابن حبان وقائع كثيرة يستدل منها على توجيه الحكيم
على خليفتهم أو على ابنه أو على أحد حاشيته المختص به وانهم
كانوا في نهاية من الانقياد للحق لهم أو عليهم وبذلك انضبطت
لهم الامور وكبرت الهمم وترتبت الاحوال وتوطدت القواعد وما
خرقوا هذا الناموس تهتك أمرهم واضمحلت شأنهم وفتلوا وذهبت أسباب
دمارهم وفيها أعظم عبرة
ريجهم حتى قال شاعرهم

مما يهديني في أرض أندلس * تلقيب معتضد فيها ومعتد
ألقاب مملكة في غير موضعها * كالهريحكي اتفا خاصورة الاسد
وما زالوا على هذا الاضمحلال وهذا الانحطاط حتى تقلبت الدول
وكان الخرق لايزداد الا اتساعا وصدق عليهم قول الشاعر

فبينما سوس الناس والامراء مرنا * اذا نحن فيهم سوقة تنتصفه
فوقع الاختلاف بعد ذلك الائتلاف وأعياء العلاج حكاء
الرجال وعصفت عليهم ريح العدو والحرب سجال حتى لقد تمكن
منهم بالتفريق وإلقاء العداوة بينهم وبين بعضهم بقبيح المنافسة
ومر زول الطمع وآل أمرهم الى أن استقل المال وأقام كل واحد
منهم نفسه ملكا في بلد واحد وصاروا يطعمون في بعضهم
ويستجيشون بالاسبابيين وبطاعيتهم ويسلمونه حصون المسلمين
تشفيا لبعض غاياتهم حتى ان بعض ملوك الطوائف واسمه
المأمون قبحه الله وأخراه بعث الى ملك قشتالة أوقشتالة المعروفة
أيضا باسم قشتيلية (Castilla) يستنصره على الموحدين
ويسأله ان يعث له جيشا من الروم يجوز به الى العدو أي
مراكش لقتال يحيى ومن معه من الموحدين فقال له ملك
قشتيلية « لأعطيك جيشا الا على شريطة ان تعطيني ١٠
حصون مما يلي بلادى كما أختارها لتنسى واذا من الله عليك
ودخلت مدينة مراكش بنى للانصارى الذى يسرون معك كنيسة
في وسطها يظهرون بها دينهم ويضربون فيها فواقيسهم أوقات
صلواتهم وإن أسلم أحد من الروم لا يقبل اسلامه ويرد الى اخوانه
فيحكون فيه بحكمهم ومن تنصر من المسلمين فليس لاحد عليه

من سبيل» فاسعنه النذل الجبان في جميع ماطلب من غير تبصر
في العواقب

ويشبه ذلك أيضا ماجرى في واقعة العقاب (١) وذلك ان محمد
الناصر المشؤم على المسلمين وجزيرة الاندلس بالخصوص جمع
جوعا اشتبأت على نحو ٦٠٠٠٠٠ مقاتل وداخله الاجباب والغرور
بكثرة من معه من الرجال فصافق الافرنج فكانت الدائرة عليه
وعلى المسلمين فان الافرنج دهموهم وهم على غفلة وغير أهبة وخلا
بسبب هذه الواقعة أكثر المغرب واستولى الافرنج على معظم
الاندلس اذ لم ينج من الستمائة ألف غير عدد يسير جدا لا يقارب
الالف وكانت هذه الواقعة هي الطامة الكبرى على الاندلس
بل والمغرب وما ذلك الا اسوء التدبير فان الناصر ووزيره استخفا
برجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج وشنقا بعضهم وظننا ان
كثرة الاجناد تغني عن دربة القواد ففسدت النيات وتفرقت الكلمة
وتخاذل المسلمون حتى ان جماعات الموحدين لم يسألوا سيفا ولم
يشرعوا رمحا ولا أخذوا في شئ من أسباب الدفاع ولا أهبة القتال
بل انهزموا الاول جملة الافرنج عليهم قاصدين لذلك والعدو يبي

(١) جمع عقبه لكثرة العقبات التي بجانب مدينة طولوسه *Tolosa* في شمال اسبانيا
و تعرف هذه الواقعة عند الافرنج بما هو ترجمتها *Las Navas de Tolosa*
وقد أشرت الى الراية التي أخذها الاسبانيون منهم وهي في برغن

فيهم ويقتل فيهم قتلا ذريعا وهم (الندالة بالندالة) معرضون عنه بل عن الدفاع عن أنفسهم ويقول المؤرخون إن الناصر ثبت في ذلك اليوم ثباتا لم ير ملك قبله

ولم يرل حالهم على هذا الاختلاف حتى حينما تضع أمرهم وضيق عليهم العدو أشد الضيق وأحرق بغرناطة من كل مكان ومع ذلك لم تنقطع شأفة الشقاق حتى كان في هذه المملكة الصغيرة ثلاثة ملوك (١) أحدهم في غرناطة نفسها والثاني في أحد ضواحيها

(١) فن أكبر المصائب أن أبا عبد الله المعروف عند الأفرنج باسم *Boabdil* وهو الذي اضطر فيما بعد لتسليم غرناطة للأسبانيين) ناز على عمه أبي القاسم ملك غرناطة فساعد على خلع الطاعة وشق عصا الجماعة الملك فرديفند الكافوليكي طمعاً اشتداد الخصاص واحتدام الفتنة ليضعف كل من الأميرين المسلمين صاحبه ويبقى فتح غرناطة هيما عليه ثم فرق أبو القاسم خلفه على سرير الملك أبو عبد الله المذكور فلم يلتفت فرديفند إلى ما بينهما من سابق المواقفة والمخالفة بل استضعفه ورأى القيمة بآرء فهم عليه يجيوش قشتالية واراغون ويما جاءه من المدد الكثيرين أو ربا ومع ذلك لم يتمكن من فتح غرناطة إلا بعد ست سنوات فانه في آخر الأمر تمكن من حصارها ثمانية شهور وساعده نزول الثلج وقلب الشتاء على قطع الطرق وتضييق الحصار فجاءت المملكة أيزابال التحضر هذا الفتح بنفسها وتمتع بالدخول إلى غرناطة وقد تم التسليم بشروط وامتيازات تدل على أن المدينة كان في وسعها استمرار الدفاع فانه تقرر أن الفاتحين لا يمسون شيئا من أموال المسلمين ولا سرايهم ولا ديارهم

المعروف بربض البيازين (١) والثالث في علمها القرب منها وهو مدينة
وادى آس المعروفة أيضا بواديثا و بوادي الآشات وكانوا قد
أحسوا بهذا الخطر احساسا لا مزيد عليه حتى (٢) انهم استبدلوا الاقوال
التي كانت تستعمل عادة في شرب السكة بآيات و عبارات توافق

ولا حريتهم وأن لا يتعرضوا لهم بأي وجه كان بل انهم يردون اليهم اسراهم من غير قديمة
و بما يدح عليه المسلمون و ينبغي تسطير في بطون التواريخ تخليدا للمكارمهم انهم
اشترطوا أن يكون لهم و لكل هذه الامتيازات أيضا وعلى هذا اليهود خرج أبو عبيد الله
من غرناطة وسلم مغنايتها الفردند و ايرا بلا

ويقول المؤرخون العصريون أنه أذرف الدموع حينما يرى بصره الى هذه
المدينة التي كانت في يد المسلمين منذ ٥٠٠ عام تقريبا فاضطرته الافدات لتركها
عامرة أهلية تفوق كل مدينة سواها و قد رأيت في بعض التواريخ الافرنجية أنه
حينما خنته العبرة وأخمه البكاء قالت له أمه بيتامن الشعر معناه

اتحب مثل النساء على ملك لم تقدر على حفظ مثل الرجال

و لم أقف إلا على لفظ هذا الشعر بالعربية غير ان الشاعر الاديب محمود أفندي
واصف قد نظم في هذا البيت

ابك مثل النساء كما مضى * لم تحافظ علي مثل الرجال

(١) هذا المجلس سمي كذلك لكونه كان سوفا لاناس اتخذوا تربية البياز حرفة

لهم و يسمى عند الافرنج *Albaicin*

(٢) هذا الاستخراج مما ينبغي الالتفات اليه و أقول انه مما لم يتنبه اليه أحد من

العلماء الباحثين على ما أعلم وهذا من ضمن القوائد التي تنبع من علم التقود و المسكوكات

مقتضى الحال وقد رأيتهما منقوشة على الدراهم والدنانير المحفوظة في متحف مدريد وعند الماجد الفاضل الدون أنطونيو فيضس (١) D. Antonio Vives وهو من علماء أهلها المشتهرين بالعربية وبفن التقود وذلك مثل (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ولا غالب الا الله) . ومثل (غرناطة حاطها الله) . (غرناطة حرسها الله) . مائة حاطها الله) . (الرية حرسها الله) - ومثل (بجمر غرناطة) . نصر من الله وفتح قريب) - ومثل (العاقبة للمتقين) - ومثل (وما النصر الا من عند الله) - ومثل (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صدق الله العظيم) - ومثل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) - ومثل (الامر فلان أعانه الله ونصره) . أو (أيده الله ونصره) وجميع هذه العبارات لم تكن مستعملة في تقودهم قبل الايام الاخيرة التي أعقبتها اقراض دولتهم وما زالوا على هذه الفتن حتى انحى أثرهم من الجزيرة ولقي من بقي فيها من أنواع الاضطهاد والهوان ما أسفله في الرحلة ان شاء الله

وما ينبغي ذكره في هذا المقام انهم قد شهد لهم الاعداء قبل الاصدقاء بأنهم لم يتم لهم في ظرف أربعة عشر شهرا فتح اسبانيا كلها فاعدا مغارات وصخور أستوريس (Les Asturias)

(١) انظر البنية التي وضعها بخصوص من أسماء الاعلام صحيفة ٤٢٦

لم يتجاوزوا الحدود ولم يشطوا في الطلبات كما فعلتسه جميع الامم
الفاتحة بل أبغوا للغلوبين أموالهم وشرائعهم وديانتهم مكتفين
بضرب الجزية وبشرف السيادة والسيطرة (١) بل انه لم يجلب
قط بخواطرهم الزام أهل الجزيرة بالدخول في دين الاسلام
ولكن لما سقطت غرناطة اشتدت وطأة المحكمة المعروفة بمحكمة
التحرى القسيسى (Inquisition) فكان لها من القسوة مع
التسطيم في ارتكاب الفظائع ما يتجمل له كل من في قلبه ذرة
من المروعة والانسانية وهذه المحاكم قد أمر الباباوات بإنشائها
لخدمة الدين ظاهراً والسياسة باطناً ولكن الاسبانىون أضافوا
عليها أعمالاً بربرية وحشية تقشعر لهولها الجلود وتجدم منها الدماء
في الشرايين فن ذلك احراق الملايين من الكتب النفيسة وإبادة
الآلاف المؤلفة من النفوس البريرة البريئة بأنواع العذاب
والاحراق والاعراق وغير ذلك مما لا يكاد يخطر على بال وعندما سقطت
غرناطة أراد الكردى بال شمينيس Xéminès ان يتصر جميع
المسلمين الذين فيها مع مخالفة ذلك للعاهدة الصريحة التى عقدت

(١) وكذلك السلطان محمد الثانى لما فتح القسطنطينية وبلاد الاعارفة (La Grèce)
ترك أهلها يتمتعون بحياتهم بكل سلام وأمان وأباح لهم ممارسة ديانتهم كأنه لم يطرأ
عليهم شئ من الانقلاب وجرى على سنته الشريف خلفاؤه من بعده

مع أهل غرناطة وقت التسليم ولما كانت عملية التناصير تستوجب زمانا طويلا أراد الكردينال ان يصل اليها بغاية ما يمكن من السرعة كما تم فتح غرناطة في وقت قريب فأرسل قباوسسته يعظونهم ويضطهدونهم كما يشهد بذلك نفس مؤرخهم وما زالوا بهم حتى أخضعوهم واضطروهم للتعميد فدخل بهم هذه المنابة يخشون ألفت نفس في دين لا يعتقدونه ولا يقولون به وباليتهم أبقوهم على ذلك بل جاء الكردينال تركاده Torquemada وزين لا يزال اتهم يظهرن خلاف ما يبطنون وانه يسوغ حينئذ مصادرتهم في أموالهم واعدامهم الحياة وقد كان

ولقد صدق على العرب ما قاله أحد ملوك فرنسا (وهو شارل مارتل) حينما فرغ اليه أكبر دولته لما رأى امتداد فتوحاتهم وسرعة توغلهم في البلاد فانه قال لهم مامعناه - (الرأى عندى ان لا تعترضوهم في خريجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادره وهم في إقبال أمرهم ولهم نيات تغنى عن كثرة العدد وقلوب تغنى عن حصانة الدروع أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتناقسوا في الرياضة ويستعين بعضهم على بعض حينئذ تتمكنون منهم باليسر أمر) - فكان كذلك بالفتن التي استدامت بين البربر والعرب وبين العرب وبعضهم وصار بعض المسلمين يستعين ويستجيش على

بعض من يجاورهم من الاعداء وانقلب الموضوع وتبدلت الاحوال
فقد أجلى المسلمون في أول الامر جميع أهل الجزيرة وأقصوهم
الى آخر حدودها شمالا حتى لم يبق منهم الا ٣٠٠ رجل مع ملك
يسميه العرب بلاى ويسميه الاسبانيون بلايو Pelayo ويسميه
الافرنجج بلاج Pélage فاتجاهذا العدد القليل بمكان يعرف عند
العرب بالصخرة ويعرف عند الافرنجج الآن باسم جبل كوفادونجا
Covadonga ولم يزل المسلمون يطعون عليهم بالقتال حتى مات
أصحابه جوعا وبقى في ٣٠ رجلا و ١٠ نسوة ولاطعام لهم الا العسل
يشترونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به حتى أعيا المسلمين أمرهم
واحقرهم وقالوا (ثلاثون علبا ماعسى أن يجيء منهم) وما علموا
ان الائتلاف والاتحاد من جهة القشتاليين والتغاب والتضاد من
جهة أبنائهم وأعتابهم جعل لهؤلاء « الثلاثين علبا » من القوة
والكثرة مالاخفايه حتى قهروا العرب وأجأوهم بالمره وأذاقوهم
أنواع الذل والهوان مما هو مسطور في كتب التواريخ وسأتم
بعضه في الرحلة ان شاء الله

واعلم أن اخراج العرب من اسبانيا أضرب هذه المملكة
وبأهلها ضررا بايغا لم يحصل له نظير في مملكة من ممالك العالم على
الاطلاق فانها كانت في أيام العرب عاصمة زاهرة بانفة من الحضارة

والجلالة ماهو مشهور معلوم وكان عدد سكانها في أزمانهم ٤٠ مليوناً فاصبحت الآن مع الرجوع الى العمار واستظام الاحوال بعض الانتظام ولم الشعث ورم الرث ورقع الخرق، وربق الفتق لانتحوى على أكثر من ١٧ مليوناً من النفوس فلذلك ترى أغلب أراضها خالية وأكثر مزارعها حاوية ومصادر الثروة فيها مهملة وأصول الاستزاق معطلة ولأريد الاطالة بذكر الاسباب وانما أقنصر على ارادتي قليل يدل على ما يضطرني بحجم هذه الرسائل وموضوعها للاجمال والاقلال في المقال وذلك ان الملك فيليب الثاني وحده طرد من بقي من المسلمين ما بين ٦٠٠ ألف و ٧٠٠ ألف نفس وكانوا كلهم لا يشتغلون بغير الزراعة والتجارة والصناعة لا يعرفون استعمال السلاح باى حال من الاحوال وكانوا مفيدين نافعين لانهم ما كانهم في الشغل والعمل في بلاد اشتهر أهلها بالبطالة والكسل وكان القوم يضطرونهم للتظاهر بالنصرانية ويكثرون مع ذلك من تعذيبهم واضطهادهم ومصادرتهم وتجسيمهم أنواع الاحوال التي لا تخطر على البال حتى اتهم لما بلغ الضيم بهم منتهاه نزعوا الى الثورة وشق عصا الطاعة فاسترسلوا لداعى الفتنة ولكن أى فتنة وهم قوم لا يدرون شيئاً من الطعن والضرب ولذلك لم يكن على الدولة سوى ارسال نفر قليلين من جنودها لاجل هذه

الشبه بثورة الضعيفة التي لا تذكر إلا نادراً ثم في أقل من لمح البصر
ولقد رقت لبواهم حينئذ دولة فرنسا حيث رأتهم أناساً مستضعفين
لأناصر لهم ولا معين سوى انكباهم على اتقان الصنائع واخصاب
الاراضي ولذلك راسلهم ملك فرنسا هنرى الرابع (وقد أشرنا
اليه أثناء كلامنا على القنايل والانصاب في باريس) ووعدهم
بالامداد والانتجاد وانه يجعلهم تحت حمايته حتى لا ينالهم
ضير ولا أذى ولكن الدهر كان لهم بالمرصاد وشوم الطالع ونحس
النجت من ورائهم أينما وجهوا وجوههم لا يرون الا انكدا وبؤسا
ولا يلقون الا انتقاما وتعسا فقد قضى عليهم ان لا يخلصوا من ورطة
الاقوعوا في شرمها وان لا يسلكوا سبيلا للنجاة الا انقلاب عليهم
سبيلا للهلاك وثقه في خالقه تدير سبحانه قسم الحظوظ فلا عتاب
ولاملامه وذلك أنهم لما تلهفوا بقدر ما تلهفوا ثم استنشقوا روح
الامل القليل بمساعدة هذا الملك الجليل لم يلبثوا ان انقلبت
أمانتهم خسرانا عليهم ووبالا فان أحد الكباب في تطارة الخارجية
بفرنسا خان الملك وأذاع هذا السر وأعلم ملك اسبانيا بما عزمت
عليه فرنسا فكان ذلك سببا للتجهيل في نشر يقهم والاسراع
بمنز يقهم والمبادرة لطردهم (وهم بقية بقايا البقايا بالاندلس)
غير أنهم كانوا شديدى التعلق بالبقاء بالاندلس للتمتع به وامتنعوا

تسميه فعرضوا على الملك ان يدفعوا له مليونين من الدينارين ثمناً لا
بقائهم في أرض مهادهم فلم يرض فيليب بذلك على الاطلاق ولكنهم
لشدة تعلقهم ببلادهم أنفوا من الخروج مؤثرين الذل فيها على العز
في غيرها فالتجأ نحو ٢٠ ألفاً منهم الى الجبال ولم يكن لديهم من
وسائل الدفاع سوى الحجارة والمقلاع وهي من الوسائل التي لا تفيد
شياً ولذلك ما لبثوا ان اضطروا للتسليم ثم صار نقلهم خارج المملكة
ففقده فيليب بذلك أفضل رعاياه وأكثرهم حذقاً ومهارة . وقد بلغ
أغلب من شجاعبيته من هؤلاء الاندلسيين المطرودين الى افريقية
وطنهم الاول وأدخلوا بها من الصنائع والفنون ما جعل صهاربها
جناناً وبلادهم انعمياً . وتخص بعضهم الى أرض فرنسا في عهد ماري
دومدسيس ثم بارحها الذين لم يرضوا بتغيير دينهم الى أرض تونس وأما
الباقون فتصروا واستقروا باقليم بروفنس (Provence) ولا نجدوك
(Langdoc) بل ذهب بعضهم الى باريس واستوطن بها وكانوا
معروفين متميزين عن بقية القوم ولكنهم مع توالي الزمن امتزجوا
بالامة امتزاجاً تاماً فاستغادت فرنسا من حيث خسرت اسبانيا وهذه
سنة الله في خلقه تتداخل الامم في بعضها بالاضطهاد وبالفتوحات - وقد
قرر العلامة فولتير هذا الموضوع

ولقد أتى العرب في اسبانيا آناً ما دية كثيرة لا يزال بعضها
باقياً الى يومنا هذا كما أنهم خلدوا فيها كثيراً من المنظمات والقوانين

والسياسات والتراتب والاحكام مما يراه الانسان في هذه البلاد حتى اليوم كما انهم كانوا في الاخلاق والآداب حتى لقد رأيت في أخلاق أهل إسبانيا أخلاق العرب وشبهاتهم ^{أخلاق} ^{الاسبانيز} وكرامتهم فقد لقيت فيهم حسن الوفاء وجسد الطباع والتعجب الى الغريب والفرح بافادته واعانته سواء كانوا يعرفونه أو لا يعرفونه وذلك ما يجعلني أفضلهم جهارا وأشهد على رؤس الاستهاد بان أخلاقهم أدمت وأطف وأشرف من جميع الامم التي طفت ديارها في هذه الرحلة المستطيلة وسأشرح ذلك بالتهصيل عند الفرصة اعطاء لكل ذي حق حقه وتقريراً للوقائع كما هي حتى اني وجدت فيهم من الطباع النبيلة ما قد نسيه أهل البلاد العربية واتى اذا تعصبت لامة من الافرنج فانما يكون ذلك لاهل اسبانيا حياهم الله وبياهم فقد آنت فيهم وفي بلادهم خصوصا أيام كنت أجهل لغتهم وليس لي من صديق فيهم وقبل وصولي الى مدريد ما يجعل لساني يتلو آيات شكرهم في كل ناد ويفصح بمفاخرهم وآثارهم في كل واد على الآماد وأكرر قول الاندلسي على جميع البلاد

تملك الجزيرة لست أنسى حبتها * بتعاقب الاحيان والازمان

كلمة الرسالة الاندلسية

وهي

﴿ من ذى امتزاج العرب بالعجم فى اسبانيا ﴾
﴿ والاستشهاد على ذلك بالاسماء والالقب ﴾

اعلم أن كثيرا من أشرف العائلات الاسبانية الاصلية
امتزجت بالعرب امتزاجا كليا ودخلت فى دين الله القويم ولكنها
لم تغير ألقابها الخاصة بها لما كان لها بالطبع من الجاه والحسب
وقد نبغ منها كثيرون

مثال ذلك ﷺ ابن بونه وهو اسم لكثير من أدباء الاندلس
وأصله الاسبانى (Bueno و Bono) ومعناها الطيب والجيد -
ولاتزال عائلات اسبانية كثيرة بهذا الاسم الى الآن ﷺ
ومثل ابن بيش (وهذا هو الاسم الذى دعانى لتحرير هذه
الكلمة) وهو اسم لجملة أدباء اندلسيين منهم الغرناطى اللغوى
الاديب أبو عبد الله محمد بن بيش (Ibn Vivax) من شيوخ
وزير الاندلس المشهور بابن الخطيب . وأصل اسم العائلة من كلمة
اسبانية لاتينية (Vivas و Vives) مشتقة من فعل معناه
الحياة والعمر والمعيشة - وربما كان صاحبنا الدون أنطونيو فيميس
المدكور بالمتن (صحيفة ٤١٨) من نسل هذه العائلة فإذا صح ذلك التظن

تكون أصلها اسبانية ثم استعربت ثم استسبنت (أى صارت اسبانية كما كانت) ويكون الحكم كذلك في بقية العائلات المذكورة في هذه السبذة ❀ ومثل ابن إشكوال Ibn Paxcual وهو الشيخ العالم أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال من مشاهير المؤرخين من أهل قرطبة وله كتب كثيرة جزيلة الفائدة منها كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم وهو حجة ثقة واسمه مشتق من Pascual من كلمة لاتينية Paschalis ومعناها المنتسب لعيد الفصح ولا يزال باسبانيا وأوروبا عائلات كثيرة بهذا الاسم ❀ ومثل ابن الأقسطين وهو لقب لكثير من الاندلسيين منهم الأديب محمد بن موسى بن هاشم وهذا الاسم من كلمة اسبانية Agustín فرساويتها Augustin ولا تينيها Augustinus ومعناها العظيم الجليل ❀ ومثل ابن البادش وابن اليسدش Ibn-al-Pedex وهى كلمة اسبانية لاتينية نص ابن الأبار على ان معناها القدمان أى الرجلان Pedes وهو لقب لأديب غرناطى توفى سنة ٥٢٨ ❀ ومثل ابن برال Borrel و Burriel وهو أبو بكر من مشاهير أدباء الاندلس ولا يزال لقباً لعائلات اسبانية كثيرة ❀ ومثل ابن بشتغير (Ibn Baxtagair) وهو من أدباء الاندلس واسمه أبو جعفر ولقبه من كلمة لاتينية Bastagarius معناها الموكل بنقل أمتعة

الدولة أو الكنيسة في الاحتفالات العمومية ❀ ومثل الرشاطى وهو النسابة الاندلسى أبو محمد الرشاطى Arroxati وهذا الاسم مشتق من كلمة اسبانية (روسيتا = Roseta بمعنى الوريدة تصغير وردة) ❀ ومثل ابن الرومية وهو لقب لاحد مشاهير علماء النبات من أهل اشيلية وبما ان عادة العرب النسبة الى الاب لا الى الام الا فى أحوال استثنائية قليلة جدا فذلك يخيلى أنهم أبقوا لهذا اللقب دلالة على أصله كما فعلوا بالنسبة لابن القوطية أحد مشاهير كتاب الاندلس فان العرب أطلقوا اسم القوطية La Goda بالاسبانية و La Gothe بالفرنساوية على سارة Sara حفيدة الملك القوطى ويتزا Witiza أو Vitiza المعروف عند العرب باسم غيطشه وربما كان الرجل من نسلها ❀ ومثل ابن غرسية وهو لقب لكثير من الاندلسيين منهم الفقيه العلامة عبد الرحمن بن أحمد وهذا اللقب اسباني محض Garcia وكان فى القديم يكتب هكذا Garsea و Garsia و Garseas و Garseanus ولازال لقباً لعائلات اسبانية كثيرة ❀ ومثل ذوالوزارتين السرقسطى ابن غندشلب وكان صاحب جاه عظيم ونفوذ كبير فى دولة بنى هود بمملكة النجر الاعلى أى مملكة سرقسطة وله شعر جيد - وهذا الاسم اسباني محض Gonzalo و Gonzalve و Gonzalez الخ ولا يزال لقباً لكثير

من العائلات ❦ ومثل ابن فُورْتِس وهو لقب لبعض علماء الاندلس
 (ولاتينيته Fortis بمعنى قوى شديد) - ولا يزال لقباً لكثيرين
 العائلات الاسبانية الاَن ❦ ومثل ابن كُبْرَاث Comparath
 وهو من أهل بلنسية العارفين بالطب وعمه أخذ القاضي أبو
 الوليد بن رشد Averroës فيلسوف الاندلس المشهور - وهذا
 اللقب اسباني محض ❦ ومثل ابن ليون لقب لابي عثمان العالم
 الاديب النشئي بمدينة المرية Almeria ولا يه أبي جعفر من
 علماء الفلاحة البرزين ومن شيوخ الوزير ابن الخطيب - وهذه
 الكلمة اسبانية محضة Leon تلي من اللاتينية Leonis
 بمعنى الاسد ولا زالت لقباً لكثير من العائلات الاسبانية الاَن ❦
 ومثل ابن سَلْبُطُور من مشاهير علماء الاندلس وهذا اللقب مستعمل
 الى اليوم - وهو بالاسبانية Salvador وبالطليانية Salvatore
 وبالفرنساوية Sauveur ومعناه المخلص والمنقذ والمنجي وهو علم
 في العبادة عند النصارى على سيدنا عيسى عليه صلاة الله
 وسلامه - ومثل ابن فيره لقب للعالم الاندلسي المشهور صاحب
 الشاطبية وقد نص ابن خلكان على انه لقب اسباني معناه الحديد - واعلم
 ان الحديد يسمى عند الفرنسيين Fer وعند الطليانيين Ferro
 وكان يسمى كذلك في القديم عند أهل اسبانيا مشتقين له من اللفظة

اللاتينية ولكنهم اليوم حرفوه فلا يقولون « فيره Perro » اذا أرادوا ذكر الحديد بل يقولون من باب التحريف « Hierro » هييه» وهم لا ينطقون مطلقا بحرف H مقابل الهاء ولكنهم يقولون عن السكك الحديدية Ferrocarriles و Caminos de hierro فترى ان كلمة « فيره » لازالت باقية عندهم في بعض التراكيب ❀ ومثل ابن فوربون وابن مورجون لسكثير من علماء الاندلس وهما لقبان اسبانيان محضان لا يزالان مستعملين الى اليوم Fortun و Morejon ❀ - وقد اطلعت على اسمه كثيرة للاندلسيين وليست من العربية في شئ على الاطلاق مثل توهرت وانجلينو واشقبلاذلة ومردنيش وهمشك وكثير غيرها ولكنني لم يتيسر لي ارجاعها الى اصولها الا فرنكية وسأستوفى ذلك في فرصة أخرى ان شاء الله

ومن الامور التي يجب ذكرها تكلة لهذه التكلة أن أهل الاندلس المسابن تفردوا بزيادة الواو والنون في آخر ألقابهم بخلاف المشاركة كما تفرد بعض الاجمام بزيادة «ويه» في سيبويه ونفطويه وعمرويه وخالويه ومردويه ومزرويه وحيويه وشاهويه ودرستويه وراهويه ورزقويه ومادويه وقادويه وشيرويه وككويه وجويه ورجويه الخ وكما تفرد الارمن بزيادة «يان» و «آن» في آخر أسماءهم وكما تفرد الروس بزيادة «أوف»

و «إيف» ولا حاجة لإيراد الامثلة هنا فانها مشهورة سوى اني أقول ان بعض أهالي ايران والجرس وغيرهم من التابعين الآن للروسيا ملزمين بإضافة «أوف» أو «إيف» على أسمائهم وقد لاقيت في المؤتمر عالما فارسيا من هذا القبيل اسمه «أحمدانغاييف بك أي أحمدانغاييف» واعلم ان نظيرهذين الحرفين «الواو والنون» أي on في اللغات الاخرى تركية وخصوصا الاسبانية اذا وضعاني آخر كلمة افرنجية أفادها القوة والشدة والتفخيم وكأني بالاندلسيين أرادوا هذا المعنى من باب التسامى على المشاركة ومثال هذه الاسماء مضافة الى لفظة ابن : بدرون . برون بكرون - جبرون . جافون - جبرون . جبنون . حضرون . حنصون . حكون . جدون . حنون . حيون - خلدون (١) . خفون . خيرون - دحون -

(١) اذكرهما من باب التفكهة ان أحد شعراء الاندلس وهو أبو علي الملقب
بها العلامة ابن خلدون بهذين البيتين

باشاعرا يتسامى * وجده خلدون

لميكف أنك تلحل * حتى بانك دون

وهذا شبيه بالشاعر الذي دم تقطويه والقائل أبو عبد الله محمد بن زيد بن
علي بن الحسن الواسطي المنكلم المشهور قال

من سره أن لا يرى فلسفا * فليجتهد أن لا يرى تقطويه

أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقي صراخا عليه

قال ابن خالويه ليس في العلماء من اسمه ابراهيم وكنته أبو عبد الله سوى
تقطويه وهو بكسر النون وفتحها والكسر أفصح لقب بذلك لدمامته تشبيها له بالنقط

رزقون - زرقون . زرقون . زكون . زيدون - سجبون .
 سعدون . سلمون . سلمون . سهون . سمجبون . سهلون -
 شبطون Xabatou - ضيفون - عبدون . عبيدون (وفي هذا الاسم
 تصغير بالعربي وتكبير بالفرنسي) . عجلون . عسلون . عقيون .
 عرون . عيسون . عيشون - غدرون . غلبون - قحون .
 فلون . فرحون - قلون . قنون - نطقون . وهبون -
 يسعون . يشعون . يحيون .

واعلم أن زيادة الواو والنون تعدت أيضا إلى بعض أسماء النساء
 ذلك اسم الشاعرة زهون وهي من أشهر نساء الأندلس ومن أكثر
 المشتغلين بالنظم بديهة واجادة كانت تسكن بقرناطة ولها واقعة
 حال مع شاعر أعشى من المشاركة تدل على شدة بديتها حينما
 طارحته الشعر في حضرة أحد الأمراء ولولا ما فيها من بعض
 الإخلال بالأدب لذكرتها من باب التفاخر بها ولكن ذلك لا يمنع
 الطالب من البحث عليها في كتاب نفع الطيب المطبوع في بولاق
 صحيفة ٩٠ و ٩١ و ٩٢ وأخبارها في صحيفة ١١٤٦ و ١١٤٧
 من الكتاب المذكور وقد أورد الضبي شيئا من أشعارها في كتاب بغية
 المتس في تاريخ أهل الأندلس في صحيفة ٥٣٠ (مرة ١٥٨٨) من
 النسخة المطبوعة في مدريد سنة ١٨٨٥

الشمس
 زهون

سعدونة
شاعر

ونذكر أيضا اسم شاعرة أخرى مشهورة وهي سعدونة فقد
أضيف إلى اسمها علامة التأنيث

والأغرب من ذلك أن بعضهم أضاف على اسمه حرفي الواو والسين
وهما علامة الانتهاء في اللغة اللاتينية Us ومثال ذلك : أجدوس
أنسوس - عبدوس . عمروس - طعلوس . طملوس - فالوس
فرعوس . فرغلوس - قبتروس . قبيلس **و** منهم من يسمى
جديس وهذان الحرفان الانتهاءيان هما أيضا من خصائص اللغة
اللاتينية (Is) كما لا يخفى على العارف . واعلم أن هذه الأسماء التي
ذكرناها هي أعلام لعلماء ترى تراجمهم في كتب ابن الأبار وابن
القرظي والضبي وابن بشكوال ونفع الطيب وابن خلكان ودائرة
المعارف وأثار الأدهار ومجموعة القطع العربية التي أنتجها العلامتان
الاسبانيان لرتشندي و سيمونيت (Lerchundi y Simonet)
والمعجم العربي الأيباني الذي ألحقاه بكتابهما المذكور

واعلم أيدينا الله وأبقاله أنه لما آل أمر بقاياهم بالاندلس إلى
منتهاه من التلاشي والاضمحلال وتناسوا اللغة العربية وأسألها
مرة واحدة أهملوا لفظة « ابن » واستبدلوا بعلامة الإضافة في
اللغة القشتالية وهي « دو » فكانوا يقولون (فلان دو فلان) أي
(فلان من) أو (ابن فلان) ولقد نعت بعض الفضلاء إلى أن الأفرنج قد يكونون
استعملوا لفظة (do = ذو) في إضافة الأسماء والألقاب الخاصة بعائلاتهم
الشريفة فلما عن استعمال العرب اليمانيين الذين يستعملون لفظة (ذو = صاحب) أمام
(٢٨ - رسائل)

أسمائهم واني وان لم يتسرنى استكمال البحث واستيفاء المراجعة لأرى ما عاين الظن بان الافرنج قد أخذوا ذلك عن أهل اليمن خصوصا وان التسمية والاقبال كانوا الوان اعرف وفي جهات الشمال من آسيا وفي بلاد فارس والهند ومن المحتمل ان كبار عائلات البلاد التي أخضعوها أو متروا بها قد تسموهم في التسمية بالقب الشرف كما يحصل عادة من تقليد الامم المستضعفة للام القوية العلية الشأن ولا يجمل الباحثون الواقفون على ارتباط اللغات ببعضها ان بين اللغات الفارسية والهندية وبين اللغات الاوروية ارتباطات ومشايات كثيرة جدا فيما يتعلق بأصول الالفاظ والتراكيب الحويه والاساليب الصرفية وطرائق التعبير وغير ذلك من العلاقات والمسايات التي لا تسكر واني أدكر ان الأسماء بعض ملونه اليمن الذين تصدرت ألقابهم بالقطه (ذو) : ذوالادعار - ذوأصبح - ذوالاعواد - ذوجدن - ذوحيشان - ذورعين - ذورباش - ذوسدد - ذوشدد - ذوالشنتر - ذوالصرح - ذوظلم - ذوفاتش - ذوالقرنين - ذوقلاع - ذوكرب - ذو كلاع - ذومرند - ذوالمنار - ذومهدم - ذونقر - ذونواس - ذوهجرس - ذوهرب - ذوبرن - ذوعين

وكذلك وردت اعلام جغرافية كثيرة في بلاد اليمن وغيرها مصدر تهمده الاداء: (ذو) ولعل أستكمل البحث عن ذلك في فرصة أخرى

ونرجع الى الكلام على ما يتعلق ببقايا الاندلسيين في هذا الموضوع فنقول انهم بعد أن تناسوا النظة (ابن) وصاروا يقولون (فلان دوقلان) استبدلوا اللفظة السيد بالكلمة المقابلة لها في اللغة القشتالية (الدون) (١) كما يفعل الآن بعض العوام من وضع كلمة موسيو الفرنساوية

(١) وهي مستعملة عند أهل اسبانيا في مقابلة موسيو عند الفرنساوية وتوسير مند الاسكيز وسنيور عند الطليانية وهي مختصرة من كلمة لاتينية Dominus ومعناها الرب والمولى والسيد وقد أطلق هذا اللقب في أول الامر على سادات اسبانيا ثم على ملوكهم ثم هو الآن لقب التعظيم فيها

امام الاعلام العربية في الكتابات والمحاطبات على ما هو مشاهد اليوم
ومثال ذلك عندهم الدون عيسى دو جابر الفقيه الاكبر والمفتي بجامع
شقوية (Ségovie) في سنة ١٤٦٢ افرنكية فانه ألف كتابا جليلا في
الفقه الاسلامي باللغة الالجمية (الانجيدو) التي سبق لنا الاشارة اليها وقد
ابعت هذا الكتاب بجمعية التاريخ الملوكية بمدريد في سنة ١٨٥٣
في الجزء الخامس من مطبوعاتها) وعندى نسخة منه تدل على غزارة
ضله وواسع علمه ﷺ وقد بلغنى من بعض العلماء أن بعض المراكشيين
المتوطنين على الساحل يستعملون ذلك التلقيب اليوم - والاعرب
من هذا وهذا ما بلغنى في مدريد من بعض أهل السياحة والتحقق
ان الاعراب البدوين المتوطنين في صحارى مراكش (أى بعيدا
عن الساحل بمسافات شاسعة تمنع خيال الظن بوجود أى تأثير
بلاختلاط مع أهل اسبانيا الآن) لا يزالون يستعملون هذه الطريقة
التسمية أى وضع كلمة « دو » في المكان الذى يضع فيه بقية
لعرب لفظة « ابن » وهذا دليل على اتصال نسبتهم بالاندلسيين
الذين أخرجوا من ديارهم - هذا وقد رأيت عند الدون يابلو خيل
في سرقسطة حججا شرعية وصكوك معاملات ووقفيات مكتوبة
باللغة الالجمية (انجيدو) وفيها « الدنيا عائشة » أى السيدة
عائشة والدون فلان وهكذا

ثم أقول من باب الاستطراد غير متعرض في هذا المقام الى

استكمال البحث فاني أريد توقيته في فرصة أخرى ان الاسبانيين وقع منهم مثل ما وقع من العرب فان الناظر الى اسمائهم لا يعسر عليه ان يتعرف فيها اعلاما عربية قد يكون بعضها مأخوذا بالوراثة وبعضها عفا أو لمناسبة أخرى ومثال ذلك Codera وهو قديرة (ولا يزال الحاج قديرة والحاج قدور من أسماء أهل طرابلس ويونس والجزائر ومراكش) ومثل Zaidyn = زيدين و Abad أي عباد و Alvarez = النارس و Alvarez del campo أي فارس الميدان و Baguer = الباقر و Morcira = مريرة و Sofi = صوفي و Ferran = فران و Almenara أي المنارة و Alcayde = القائد و Alcalde = القاضي (ولا يزال هنا اللقب عندهم مرادفا للحافظ والمديرو كما كان يسمى عند العرب بالقاضي إذ له اختصاصات كثيرة في الشرع الشريف ويسمى عند الفرنسية Alcade وان كان الاسبانيون أضافوا الـ L من باب التعريف في قولهم Alcalde فانما ذلك لإظهار تعظيم الضاد) و Rabadan = رمضان (الباء حلت تحريفا محل الميم العربية) و Nasarre = نصار (والاسبانيون ينطقون بحرف S سينا على الدوام مهما كان موقعه بين الحروف الأخرى) و Calaf = خلف و Maymon =

ميمون ﷺ و Alvaro = البر ﷻ و Meaza = معازة

ﷻ و Alfageme = الحجام الخ

وهذه الاعلام كلها لانا س موجودين في اسبانيا الان رأيت بعضها في كتب الدلالات وعرفت بعضهم بنفسى ومن ينظر الى اعلام الاسبانيين الان يرى في آخر أكثرها هذين الحرفين Biz وهما على ما تأكدته علامة على البتوة فكل اسم في آخره ذلك يكون معناه ابن فلان مثل Fernando أى فرندو ثم Fernandez أى ابن فرندو وهكذا في جميع الاسماء ولم أر ما يشبه ذلك في بقية اللغات الافرنجية التى اطلمت عليها نعم ان كثيرا من أسماء الانكليزية تنتهى بمرادف البتوة ابن وهى سن أو سون son مثل سامويلسن وروبرتسن وجونسن ونحو ذلك ولكنها لاتشعر بالدلالة على البتوة وربما كان هذا المعنى مقهورا منها فى أول الامر ثم تنوى الان مرة واحدة بخلاف ما هو فى اسبانيا

وهذا ما يدعونى الى الظن بأنه أثر باق من آثار العرب الذين يتسبون على الدوام الى الاب مع لفظه ابن والذي يقوى ذلك الظن ان هذه الزيادة فى آخر الاعلام الاسبانية تشبه تمام المشابهة لفظة « زاده » و « أوغلى » التى تضاف على أواخر الاعلام التركية والله أعلم

﴿ الحاشية ﴾

بعد أن زرت غرناطة وكتبت رسالتى الاندلسية التى لم يتيسر لى
أن أورد فيها جزءاً من عشرين مما وقفت عليه من أحوال الاندلس
وما رأيته فيها من آثار العرب وبقية أخلاقهم وغير ذلك مما قد
يستغرق مجلداً ضخماً قت الى قرطبة (١) وشاهدت المعاهد والبقايا
فى هذه البلدة الشائقة بل الجنة الرائقة التى يسقىها الوادى الكبير
وتحفها أشجار اللبون والبرتقال والرمان فىنتشر أريجها ويضوع
نفعها فىتمطر هواؤها وبطيب المقام بها ولم تصل مدينة اسلامية
الى ما وصلت اليه قرطبة من كثرة المساجد فانها بلغت فيها ١٦٠٠
مسجد وأوصلها آخرون الى ما يزيد عن ضعف ذلك وأهم ما رأيته

المسجد الجامع
فى قرطبة

فيها هو المسجد الجامع الذى لا نظيره فى العالم الاسلامى وقد
كان فى مكانه كنيسة فاشترى المكان عبد الرحمن الداخل بمبلغ
مائة ألف دينار ثم صرف على بنائه وتشييده ثمانية آلاف ولكن
المملوك والخلفاء الذين أعقبوه لم يقتصروا على ذلك بل رأوا من
الضرورة توسيعه وزيادة فيه وعدد هؤلاء الخلفاء ثمانية وكان

١٦١ كل واحد يتفق بقدر سعته ومنهم الحكيم أنفق وحده أكثر من
ألف دينار وكلها من فى المسلمين الذى يخص بيت المال
(١) يقول العرب اسمها باللعمة القوطية (القلوب المختلفة) وقال بعضهم
(أجزوا سكنها)

وحده (وهو عبارة عن خمس الغنائم كما هو معلوم) ولما جاء المنصور بن أبي عامر وزير الاندلس المشهور وعزم على زيادة المسجد ليكون مناسباً لاتساع قرطبة وزيادة سكانها كان يحضر أرباب الدور التي يريدتهاهم عنها فيقول للواحد منهم «ان هذه الدار التي لك يا هذا أريد أن أبنعها لجامعة المسلمين من مالهم وفيهم لازيدها في جامعهم وموضع صلاتهم فشطط واطلب ماشئت» فإذا ذكر له أقصى الثمن أمر أن يضاعفه وأن تشتري به كذلك له دار وموضعها حتى أتى بأمرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة فقالت «لا أقبل عوضاً الادارا بنخلة» فقال «تبتاع لها دار بنخلة ولو ذهب فيها بيت المال» فاشتريتها لها دار بنخلة وبولغ في الثمن (وهو دليل على شدة عناية القوم بأشياء المشرق وكثرة حنينهم الى النخل الخاص ببلادهم الاصلية ولعبد الرحمن الداخل وغيره من الملوك قصائد جليلة في مخاطبة النخل) وقد استمر المنصور في أعمال الزيادة بالجامع مدة سنتين ونصف وكان يخدم فيه بنفسه كأحد العمال وكان قصده الزيادة في الاتقان والوفاء دون الزخرفة واعلم ان هذا المسجد أصبح الآن عبارة عن كنيسة كندرائية جامعة وقد بقيت معالمه الرئيسية على صهونه وبين عمدانه ووقفت في محرابه وتأملت ما فيه من غرائب الاتقان التي لا تحظر على بال مع الفخامة والضخامة وهو متجلبب بجلاب من الخلاله توح المهابة التعددية في نفس الزائر ويجعله يشعر

حقيقة وجود خالق معبود قسم الحظوظ وقدر الارزاق وأراد ما أراد
ولأن تصور أن الخشوع الديني والخضوع التعبدى يحدث في نفس أى
إنسان فى أى معبد من المعابد التى أقامتها جميع الأمم على اختلاف
نحلها ومقالاتها بكيفية أكثر وأظهر وبانفعال أتم وأكمل مما رأته
فى هذا الجامع الذى يحتوى على ١٢٩٣ عمود من مختلف الرخام والصوان
وكلها منقوشة التاج والقاعدة بكيفيات تختلف بعضها وقد كانت قبته
مستندة على ٣٦٥ عمود من نفيس المرمر وبلغ مسطحة ٢٣١٥٠
ذراع مربع وأما المحراب فقد رأته مصنوعاً من أحجار دقيقة مختلفة
اللون متركة مع بعضها على نظام النص والفسيفساء بحيث
تحدث منها أشكال متناهية فى الجمال وآيات قرآنية وأحاديث نبوية
وإذا نظرت لها الإنسان من ذات اليمين رأى ألواناً وأضواء وأشكالاً
وتراكيب تختلف كل ما يراه لو وقف بجهة الشمال وكذلك الأمر
فما لو وقف فى الوسط أو تقدم أو تأخر وهكذا وخلاصة القول انى
أنصو هذه القبلة مركبة من أحجار كريمة دقيقة مرصوفة بجانب
بعضها باكمل ذوق وأحسن أسلوب

ثم خرجت من قرطبة منقبض الصدر مكلوم الفؤاد ولم
أرض برؤية شئ غير المسجد فى عاصمة الاندلس العربية
وقت الى مدريد ومنها الى سرقسطة الى برشلونة Barcelona
الى مارسيلى فبقيت بها أياماً شاهدت كل ما يجوز للغريب وعابر

السبيل ان يراه فيها وفي أول فبراير سنة ١٨٩٣ امتنع الخبازون
عن اصطناع الخباز الخلاف في الثمنين وقع بينهم وبين البلدية
فكان لذلك منظر من أغرب المناظر واستمر الحال ثلاثة أيام كاد
الناس يقتلون بعضهم فيها ثم انقضت النازلة على أحسن حال
ورأيت فيها آثارا كثيرة وأعمالا عظيمة منها القصر
والبستان والمنزه (البرادو) الذي لانظيره في العالم وكنيسة فأخرة على
جبل عال يصعد اليها عبرات تجرها قوة الغاز من أسفل الى أعلى
على قضبان حديدية تكاد تكون رأسية عمودية بلاصق الجبل وهي
تزيد في العظمة عما رأيته في تورينو وركبت في عربات
الامينيوس التي تجرها الكهرباء بأسلاك معقدة في الجو متصل
العربة بها بواسطة سلك معدني فتندفع العربة الى الامام أو
الخلف بقوة شديدة أو خفيفة أو تقف مرة واحدة بحسب ارادة
السائق عند اللزوم . وأقول الحق ان أول شيء عنيت به عند
دخولي اليها أنني أكلت من طعامها المشهور وهو البويابيس
la bouillabaisse ورأيت كثيرا من مصانعها ومعاملها والذي
يستحق الذكر منها الآن بغاية الإيجاز هو معمل أنشاء أحد الاطباء
للمساعدة على إتمام خلق الجنين الذي يولد بعد ٦ أو ٧ أو ٨ أشهر
أي كل جنين يولد قبل الميعاد وتكون فيه الروح ولكنه اذا ترك مات
في الحال فتري الاجنة موضوعة في بواقيل زجاجية فيها الحرارة والغذاء

معامل المساعدة
على انعم الله تعالى

مدبرتين تدبيراً عجيباً بأنايب تتصل الى الجنين بدرجات معلومة والله في خلقه أسرار تبارك الواحد القهار

ثم قمت الى مدينة تولون وهي أهم ميناء بحرية بجزيرة بيلادفرنسا وقد كان للمسلمين بها جامع نخيم في أيام السلطان سليمان القانوني فان شركان ملك فرنسا استنجد بالسلطان العثماني فارسل له عمارة بحرية تحت قيادة الاميرال خير الدين باشا المعروف عند الافرنج باسم Chérudin المشتهر عندهم أيضاً باسم Barbeousse أي ذى الذقن الصهباء وقد أقام الاميرال العثماني بالمدينة شتاء كاملاً وكان له الحكم المطلق فيها وقد جعل أحد دورها الكبيرة مسجداً جامعاً للمسلمين

ثم اتيت الى مدينة نيس (Nice) المعروفة عند العرب باسم نيقية فانهم قد احتلوها هي وشواطئ فرنسا الجنوبية زماناً مديداً وهي من أجل المدن وألطفها وأنظفها وغاية ما أقوله عنها الآن أنني شاهدت فيها الاحتفال بالكرنفال (أي عيد المرافع) وهو أعظم احتفال يحصل في العالم كله من هذا القبيل انبجىء اليها قطارات مخصوصة لحضور هذا اليوم المشهود من لوندرة وباريس وبرلين وويانة ورومة وغيرها من امهات مدن أوروبا كما هابل ويحضرها في هذه الفرصة كثير من أهل أمريكا ويحتفل به الاهالى والبلدية احتفالاً يشمل جميع أجزاء المدينة ويدفع التجار رسماً معيناً للمعاونة

البلدية على تنظيم الاحتفال والانوار باغرب ما تصوره العقول وأبهى ما تراتح له الذنوس ومتى حلت أيام المرافع ارتفع سلطان العقل من آفاقها وذهب موليا الادبار طالبا النجاة بنفسه في غير هذه الديار ثم يحتلها سلطان الجنون بجنوده فتسقط التكاليف وتمتنع الحينيات ويبقى الناس كلهم كلهم في درجة واحدة فرحين مستبشرين ضاحكين ساخرين وهم متشحون بغرائب الملابس ويتخذون لوجوههم ورؤسهم صوراما أنزل الله بهامن سلطان ويرقصون جميعهم في الشوارع مختلطين نساء ورجالا وعدارى وأطقالا ويترامون بقصاصات الورق Confetti والارز والفصولية وباقات الازهار وغير ذلك مما لا تحيط به الافكار وهم يسرون زرانات ووجدانا مشاة وركباناً ويتخذون عربات غريبة الشكل تضحك الشكلى وتزيل طوعا أو كرها تقطيب الوجه العبوس ويصطعون سقنا تجرها الافراس والخلاصة أنهم يركبون من الرقاعة والخلاعة كل متن ويذهبون فيهما كل مذهب ومع ذلك ترى النظام سائدا ولادب العموى ضاربا أطنابه في قواعده الكلية فقط وهم في هذه الايام لا يعرفون الزعل أو الكدر أو الغيظ أو الحنق أو المضايقة أو غير ذلك مما هو من مستوجبات الطبيعة البشرية ولهم في ذلك نظامات ورسوم معلومة لكل يوم من أيام الاحتفال ولا شك ان شرح ذلك بالبيان الذى يجيش في صدرى

يستوجب رسالة إضافية مطولة لا يسعها المقام الآن وليس الخبر كالعيان
ثم هفت الى مدينة موناسكو ومنت كارلو (منت قارله في
كتب الجغرافية العربية القديمة) ورأيت جبال مناظرهما
الطبيعية وصفاء البحر تحت أقدامهما وبهاء الجبال فوقهما ونضرة
الاشجار في جميع جهاتهما وغير ذلك من المنازه الطبيعية والصناعية
التي تنبسط لها النفس وينشرح منها خاطر ومدينة منت كارلو
مشهورة بالمنتدى الذى هو أكمل وأجل منتديات العالم في لعب
الميسر (القمار) وقد زرته للوقوف على حقائقه وأحطت علما
بقوانينه واجرائه

ورأيت بهامعرضا عاما خصصوا له محلا عظيم الاتساع ليعرض
فيه العارضون كل ما يريدونه من صناعة وتجارة وفنون وعلوم
وزراعة وغير ذلك وتعطى فيه لاحسن العارضين وسامات
وشهادات على سبيل المكافأة - وما أحسن ما قاله احدى الجرائد
في هذا المعنى « كان الاليق بهذه الامارة أن تقيم معرضا لتقوى
العاب القمار لانها احتسرتها ونبغت فيها بل تفردت بها على غيرها
من الممالك والبلدان»

ثم خرجت منهما قاصدا بلاد ايطاليا فررت على جنوة فيبشة
(لأنساها) فرومة وأقت بها ثلاثة أيام ورأيت فيها الاحتفال بالكرنفال

وشاهدت حرب الزهور Bataille des fleurs ولكن احتفالها مع جسامته ونفامته لابساوى جزأ من عشرين مما رأيت في نيقية Nice. ثم ركبت البحر عن طريق برنيزى ووصلت الى الديار ووجدت الله على ما حصل من توفيقه لى وعنايته بى أكثر مما كانت تحوم حوله آمالى

* * *

والناظر الى هذه الرسائل يعلم انى بارحت القاهرة في يوم ١٤ اغسطس سنة ١٨٩٢ ورجعت اليها في يوم ١٤ فبراير سنة ١٨٩٣ فتكون مدة رحلتى سنة شهور بالتمام قد لاقيت فيها حراً وروبا وجمارته كأشد ما يكون وقاسيت بردها وصبارته فوق ما يقدر عليه شرقى مثلى تغرب فى أوروبا لأول مرة ويرى انى زرت مرتين تنتين خمسة من عواصم أوروبا وهى رومة وباريس ولوندره ومدريد ولسبونق منها مملكان يحكهما مملكان من الرجال وهما ايطاليا والبرتقال ومنهما مملكتان أخرى ان يحكهما مملكتان وهما إنجلترا والاندلس والخاصة جمهورية فرنسا وتقابلت بمسلى ليفربول وتشرفت بلقاء ملك البرتقال وملكة الاندلس وانى زرت أكثر من أربعين مدينة زيارة تدقيق وتحقيق وتعلمت لغة أهل الاندلس الحالية حتى توصلت الى الكتابة والخطابة بها على قدر الامكان وزرت مناجم الفحم وبلاد

الاندلس بالتفصيل وكتبت شيئاً سيراً مما عرفته عنهم ما فقتحت هذا الباب وشاهدت ثلاث مدائن مخصصة لطلبة العلم فقط وهي أكسكوردي في إنجلترا وقلرية في البرتغال وشلنقة في إسبانيا وحضرت عبدالميلاد في مدريد وعيد رأس السنة في لشبونة وأكلت الفول المدمس باوروبا ولم يحصل ذلك لغيري من المصريين وحضرت جلسات مجلسي النواب والشيوخ في فرنسا وشاهدت الاحتفال الربيعي بافتتاح مجلس نواب البرتغال وحضور الملك والملكة والقاء الخطبة الملوكية وشاهدت قتال الأتوار في اسبانيا واعتصاب الخبازين وامتناعهم عن عمل الخبز مدة ثلاثة أيام في مارسيليا والاحتفال بالكرنفال (المرافع) في نيقية Nice ورومية وغير ذلك من الامور الكثيرة المتعددة التي لم يتيسر حصولها مرة واحدة وفي رحلة واحدة لمصرى قبلى وان ما ذكرته وخصوصاً عن الاندلس في هذه الرسائل هو قليل جدا في جانب ما أتوسل الى القادر الكافي نوات نعمائه ان يوفقني ويعينني على تحريره وتدوينه في الرحلة الكبرى لتكون هي وهذه الرسائل وسيلة لحث بنى الاوطان على السياحة والافادة والاستفادة وعسى ان كل واحد يذهب في أوروبا من طريق غير الذى رسمته يكتب لنا عما يراه وعما تنبه به احساسه ليستكون في

لغتنا العربية مجموعة سياحات توقف القارئ على أحوال هاتيك
الملاذ التي أصححت منبع التقدم ومقر العرقان

* * *

وللأمول في وجه الله الكريم المنان أن يوفق أبناء الوطن الى
توقيته حقه من الخدمة في ظل نحر الانام وعماد الزمان ولي العصر
ومليك مصر مولانا الاكرم وخديوينا المبجل عباس باشا حلمي الثاني
أدامه الله كهفا للعالي فهو الذي تفضل على بتطره العالي وانعامه
المتوالى حتى كتبت هذه الرسائل وبنيتها في قومي قياما بما وجب
له من فرائض الشكر على عبده

المخلص



ملخص الخطبة المؤتمرية

التي أقيمت باللغة الفرنسية في جلسة القسم السابع العام المنعقدة
بمدرسة لوندرة الجامعة في يوم الخميس ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٣
(وقد طبعت بالعربي والفرنساوي في الجرائد
الرسمية المصرية ثم في كراسين على
حديثها بأمر دولت-لوا أفندم
رياض باشا رئيس مجلس النظار
ونظر المعارف العمومية)

صورة المقدمة التي نشرتها الجريدة الرسمية
(الوقائع المصرية) الصادرة في ١٣ مارس سنة ١٩٢٣

حضرة أحمد زكي فندى

في المؤتمر الدولي التاسع للعلوم الشرقية بلوندة

كان اجتماع المؤتمر التاسع للعلوم الشرقية في مدينة لوندرة
عاصمة الدولة الانكليزية وقد نذب له من مصر مبعوثون كبقية
الدول الشرقية والغربية وكان ممن اختارهم حكومتنا المصرية

لهذه بالمأمورية حضرة الفاضل الشهير أحمد أفندي زكي مترجم
مجلس النظار لماله لديها من الاعمال العلمية النافعة فتوجه اليه
في أواسط أغسطس سنة ١٨٩٢ ومرة قبل وصوله لوندرة على
بعض الممالئ الأوربواوية وطاف كل مدن ايطاليا الشهيرة
وفي أوائل سبتمبر من تلك السنة وصل الى لوندرة واشتغل فيها
باكمال ما أعده حضرته للعرض على المؤتمر من المؤلفات والمصنفات
وفي الخامس منه اجتمع المؤتمر ثم انقسم الى فروع للنظر فيما
يعرضه العلماء من المساجد والعلوم فكان حضرته في القسم
المخصص للنظر في الساميات (نسبة الى سام بن نوح عليه السلام)
وقد انتخب للنيابة عن مصر في اللجنة الدولية العامة التي نيظت
بالنظر في عقد المؤتمرات الآتية وتنظيمها ووضع القوانين اللازمة
لهذه الاعراض وقد نوات الجلسات الى الثاني عشر من ذلك الشهر
فاجتمع المؤتمر الاجتماع الاخير فخطب جناب الرئيس خطبة انتهائية
شكر فيها كل من لبوا الدعوة من الممالئ فكان لهم بين وفود المؤتمر
علماء وفي هذه الحفلة الختامية ترجم حضرة أحمد أفندي زكي
القصيد التي ألقاها حضرة العلامة الفاضل الشيخ محمد راشد
(تيميله في هذه المأمورية) من اللغة العربية الى اللغة الفرنسية
نظر نقة تشبه ارتحال الشعر في السرعة والحضور حتى شخص

له المجتمعون وأكبروا ماعلمه اذ لم يكن له عليها سابقة استحضار
ولا اطلاع ثم انفض الجمع باعلان الرئيس بانتضاء جلسات المؤتمر
وشكران جميع من حضره

أماما لاقاه حضرته من كرم الوفادة والنظر اليه بعين الاعتبار وتقدير
عمله واجتهاده والتعرف اليه بما له من آثار الفضل قبل وصوله
هو اليهم فكان فوق ماعهد للنتظار والانداد حتى ان جناب
الورد نور ثبروك الذي حضر الى المؤتمر بالنيابة عن فجل جلالته
الملكة الذي عقد المؤتمر تحت حمايته لما أولم وليمة الاجتماع الاول
لهذا المؤتمر لم يدع فيها من علماء الدول الشرقية سوى هذا
الندوب المصرى نائبا عن مصر في تلك الولاية التي أعدها من
الرسيمات هذا ولما انفضت جلسات المؤتمر مكث حضرته في لوندرة
أكثر من ثلاثين يوما للبحث فيها ودرس أحوالها ثم تنقل في كثير
من مدن انكلترة وبلاد الغال ثم عاد الى فرانس وأقام بباريس
أكثر من شهر درس فيه أحوال مدينتها وعلومها وآثارها كما ينبغي
ثم تنقل في بعض مدينتها الشهيرة وخرج منها فاصدا بلاد الاندلس
(اسبانيا) فلبث بها مدة لاقى فيها أعاضهها وعلماءها وبعض وزرائها
ثم توجه الى بلاد البرتغال ولاقى جلالة ملكها وزار بعض مدائنها
وبعض حصون العرب الباقية على قلل الجبال الى الآن ثم رجع

الى البلاد الاندلسية لانها هي تقريبا الغاية المقصودة من تلك الرحلة وتشرف بمقابلة ملكة الاندلس مقابلة خصوصية وليث في الاندلس وبواجبه ومدنه العربية أسايح قضاها كلها في البحث وإمعان النظر في فائس الكتب والآثار الموجودة هناك

ثم قدم الى مصر في الرابع عشر من شهر فبراير الماضي سنة ١٨٩٣. معرجا على مدائن النزهة التي في جنوب فرانسأ وعلى رومية العظمى عاصمة ايطاليا وفي يوم الاربعاء الماضي تشرف بمقابلة الجناب الخديوى المعظم مقابلة خصوصية في سراى عابدين العاصرة قنال من لدن جنابه العالى وافرا الاقبال ومزيد الالتفات وفى أثناء هذه المقابلة رفع حضرته الى المقام الكريم ما أرسله بعض علماء اسبانيا معه من الكتب العربية المطبوعة هناك هدية للجناب الفخيم وقدم مجموعة صور قصر الجراء الشهير الذى هو أعظم أثر للعرب قائم في بلاد الغرب شاهد بما لهم من ضخامة الملك وعظيم العمران فلم يوجد له نظيرين أولئك الامم الى الآن على ما برعوا فيه من الاختراع وتقدمهم فى المدنية والعلوم وفى آخر هذه المجموعة صورة يوم تسليم غرناطة من آخر ملوك العرب وهو أبو عبد الله من بنى نصر الى الملك فردينند وزوجته اربابلا الملكة وكذلك قدم للجناب الرفيع ملخصا عن أعماله التي

قدمها لذلك المؤتمر في العلوم العربية وبعضاً من كتبه التي ترجمها وطبعت أيام غيبته عن مصر فتلقاها الجنب العالی كلها بوجه طلق وأظهر حفظه الله مالا يزيد عليه من الامانة الايتياح وقد كان حضرته في أثناء عرض هذه الصور وتقديم تلك الهدايا يشرح حال الاندلس وما عثر عليه من آثار العرب وكتبهم ولغتهم وعلومهم وأخلاقهم بدقة أبعائه هنالك وطول معاشرته لكبراء الباحثين من الاسبانيين كل ذلك والجنب العالی مقبل عليه كل الأقبال مظهر له علامات السرور والامتنان

وقد استدامت هذه المقابلة نحو نصف ساعة وخرج بعدها من بين يديه الكريمتين منطلق اللسان بشكروى النعم الاكرم الذى أنعم عليه بهذه المأمورية العلمية الجليلة وأنجحه بسببها الوصول الى تلك الغاية الجميدة وأجلها علمه بحالة بلاد الاندلس أيام العرب وما آت اليه بعد صيرورتها الى الاسبانيين فإنه قبل أن يسافر الى ذلك المؤتمر عرض على الجنب العالی حفظه الله أن يذهب الى اسبانيا وهو عائد الى مصر ليستفيد من البحث فيها ويدرس أحوالها القديمة والحديثة ويقابل بين علمها في الحالتين فأذن له جنابه الفخيم فكان ذلك من أجل النعم التي تستوجب الدعاء بدوام مولانا وولى نعمتنا الجنب العالی أدامه الله تصيراً للعلوم وكهفاً للجهتدين من أبناء الوطن

(وهذا ملخص ترجمة الخطبة المؤتمرية)

سباني

بِراعته الاستهلال في هذا المقال حمد الله سبحانه وتعالى ثم
شكروا في النعم مولاي الخديو المعظم فإنه أقر الله بوجوده عين بلاده
قد تفضل واختارني للنيابة عن مصر في هذه الحفلة الجليلة العلمية
واني أعرب لكم في فاتحة الكلام عن مزيد سروري ومنتهى
إسعادي بدخولي في زمرة المشتغلين بالعلوم الشرقية الفضلاء
فقد اعترف الخاص والعام بأهمية أعمالهم واقنع العالم كاه بثمرات
أتعابهم وسار بند كرههم القاصي والداني وعضدهم الملوك والأمراء في
كل زمان ومكان أجل فقد جعلت هذه الحفلة حقول العلماء وجهانذة
الفضلاء الذين توخوا البحث عن الحق الصراح وارسال أشعة التمدن
الصادرة عن شمس المعارف الحقيقية لاضاءة كافة الآفاق
واني لأشكر مسعاكم أيها السادة بالنيابة عن ذلك الشرق
الذي لم يقدرة القوم حق قدره حتى جاءت أعمالكم المبرورة ومساعدتكم
المشكورة وزحزحت عنه ستار الاعتقادات الباطلة وبددت الأقوال
الساقطة بما سيكون من ورائه نشر لواء المعارف على جميع الأمم بالسواء
ولا غرو ان كانت مجاهدتكم العقلية التي يفخر بها بنو الانسان
سببا متينا في التعجيل بإزالة تلك الحواجز التي كانت تحول بين

المشرق والمغرب وقد أقامها بين التوأمين أرباب التعصيب الاعمي
من بعض الطوائف حتى كان يخال أنها كثيفة ثابته لس في
الامكان ذلك معالمها وتقويض دعائها

وهاهي مصر الآن تقاسمكم عن طيب نفس كنوز علمها وذكرا عرفانها
وترى من سعادتها ان تعاوضها أور ويا بعرائس تقدمها ونفائس تمدنها
وأنتم تعلمون أن قومكم كانوا يجهلون قدره اعندنا ويحكون علينا
بما نحن برآء منه حتى وقعت الالفه العلية فانكشف لكم ما انطوى
عليه العالم الاسلامي من جليل الشعائر المنبئة عن الطوبى بالخالصة
فأخلصتم لنا الود والصفاء كما أوليناكم الصدق والولاء

ولقد أحرزت جمعيتكم هذه فخرا من أول نشأتها وكلت أعمالكم
بالنجاح وظهرت فوائدها للعيان ولاربابها استفوز بتعميم شعائر الوثام
على كافة الافوام ونشر محامد الاناء في سائر الارحاء وقد نعت والحمد لله هذه
المبادئ وأينعت أزهارها بين رجال المعارف على اختلاف الجنسيات
وتنوع المشارب وأخذت في السريان بين الامم وبعضها

وانى وان لم ألك من فرسان هذا الميدان الأتى أشد الناس غيره وأكبرهم
حقاوقه بهذا المجتمع وأعدت نفسى من السعداء بانضممى اليه ودخولى في نوال
نعايته الجليلة التى هى تبادل الصلة العلية بين المشرقين والمغربيين

نحن أبناء مصر قد عرفنا جمعية المستشرقين من عهد غير بعيد
وما زلنا الى الآن غير واقفين على أحوالها كما ينبغى وذلك لان

المؤلفان الخاصة بها والكتب التي نطبعها باللسنة المشرقية لم
تبل في بلاد الشرق حظوة الاشتهار

ولهذا فاني بأتمنى أن تكون احدى اجتماعات هذا المؤتمر المقبلة
في احدى مذائن المشرق حتى يتيسر لعلمائنا أن يروا بأنفسهم من ايا
هذه الأعمال ويقدر واما ينجم عنهما من الفوائد لعموم بني الانسان فينضم
الى هذه العصابة التي هي طليعة الافكار السامية والمقاصد النبيلة
الفائحة جيم غفير من أهل التدقيق والتحقيق فينال المستشرقون
من موازرتهم ومعاونتهم فوائد تذكر فنشكر

واني أعترف لكم بأني لم أقف تمام الوقوف على أهمية جمعيتكم
الزاهرة الابلعدان ارتبطت بالارسانية العلمية الفرنسية وابصر القاهرة
فانها فتحت امامي الطريق وكانت فيها مكاشفتي بهذه المزايا المقيمة العديدة
وغير خاف ان الشرق في هذا الزمان لا يخلو من رجال
أفاضل قد نبغوا في العلوم على اختلافها و ضربوا من فنون
العرفان بسهم وافر وحلاهم الله بالذكاء والنظري والقطانة الطبيعية
ولكن بعضهم معتكفون محجبيون فهم غير معروفين ولهم من
النهيا حظ قليل كما ان مؤلفاتهم وبنات أفكارهم منفردة عن
بعضها مستورة في خبايا الزوايا فليس في الامكان ان تأتي بكل
ما فيها من الثمرات وهي بالحالة التي هي عليها الآن

ولما وقفت على الغاية الجميلة التي توحيتموها ما لبثت ان
انجذبت اليكم عواطفى وتوجهت نحوكم رغائى فكأنت أعظم أمنية
تخالج قوادى هى ان يسنى لى مشاركتكم فى أعمالكم وقد نلت
ولله الحمد المنى فى هذا اليوم السعيد بمحض فيض المكارم العباسية
وعناية مولاي الانم عزيز الديار المصرية

ولقد كان بؤدى أن أجيئكم بمواد تليق بهذا البناء الفخيم الذى
أخذتم على أنفسكم اقامته لنفع بنى الانسان ولكن بضاعتى الى الآن
قليلة فى جانب أعمالكم ومع ذلك فإوفدت اليكم صفر اليد بن خالى الوطاب
نعم لقد كان يحق لكم أيها السادة الاما جد أن تنتظروا منى
فى هذا النادى المشهود تصنيفا من الطبقة الاولى فى الاهمية
والخطارة أو أن أتخفكم بطرفة فريدة نادرة أكون عثرت عليها
أثناء البحث والمراجعة ولكنى لسوء حظى ليس معى الامتاع قليل
ولى فى ذلك عذر أبديه لكم وهو أن انتدأى لهذا المؤتمر لم يتقرر
الافى أوائل شهر يوليو الماضى فلم يكن لى وسعة من الزمن للشروع
فى عمل كبير أو الاشغال بأمر ذى بال ولكنى مع قصر الوقت قد
بذلت ما فى طاقتى واستخدمت هذا الزمن القليل بما لا يجيب ظنكم
فى هذا العاجز ولا يذهب بانتظاركم أدراج الرياح واليكم الآن بيان
الاعمال التى أنشرف بعرضها على المؤتمر وهى

(أولاً) - كتاب علي المحقق الشريف سمعته (مفتاح القرآن) وخصصته لتسهيل مراجعة الآيات الكريمة ومعرفة مواقعها، وأما كتبها من غير أدنى تعب أو إمعان نظر أو أعمال روية وفكر ولا يخفاكم أن هذا التصنيف ليس من المستحدثات المبتكرة في هذا الزمان فقد تعرض لهذا الموضوع الشيخ محمد مراد النقشبندی وعبده الله بإشادتكم هي أمير الحج والموسيقار لوجل الألمان وقد جاءت مولفاتهم بفوائد عظيمة ولكنها كلها لا تفي إلا ببعض الغرض المقصود وذلك لان الأسلوب الذي جروا عليه في تحرير تلك المؤلفات يستغرق وقتاً طويلاً في البحث والمراجعة

وهذا الكتاب المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو عمادنا نحن معاشر المسلمين في جميع أعمالنا وأبوابنا مرجعنا في كل أمورنا ومعاملاتنا وهو دليلنا وإمامنا في طول حياتنا ولذلك يحفظه بعضنا كله عن ظهر قلب ويقضون عمرهم في هذه الرياضة المقرونة بالتقوى والاجر ويعرفون عندنا بالحفاظ ولكن كثير منهم فضل لا يتكبر وهم يقومون بحمد عظيمة لامثالنا الذين لم يتيسر لهم مجاراتهم في اجتهاد القوة الحافظة وإبلاغها إلى نهايتها فراجعهم ونستفهم منهم عن مواقع الآيات الكريمة في السور الشريفة بدلا من ان نضيغ الوقت الطويل في البحث والمراجعة على غير طائل في كثير من الاحيان وهم يعرفوننا

في الحال بطولنا ولكن الانسان لا يتيسر له العثور على الحافظ
دائما بل كثيرا ما يرتك الحافظ وتعرض عليه الاجابة بسبب التباين
للمواقع بين كثير من الآيات الفرقانية

وكثيرا ما يحتاج المستشرقون في أعمالهم وخصائفهم الى
مراجعة الكتاب العزيز فن منكم لم يضع أوقاتا ثمينة ولحظات
نفيسة للعثور على الآية المطلوبة ؟

وقد تكفل فلوجل في كتابه الذي سماه (نجوم الفرقان في أطراف
القرآن) ببيان عدد السور والآيات التي توجد فيها كل كلمة من كلام
الله القديم ولما كانت الكلمة الواحدة كثيرا ما تكرر في عدد عظيم من
السور والآيات كان من اللازم على كل من يستخدم نجوم الفرقان أن
يصرف وقتا طويلا ويتجشم عناء ثقيلًا في البحث والمراجعة

وفضلا عن ذلك فقد التزم الرجل أن يرقم أعداد (نور) السور
والآيات بالحروف والاشارات الافرنكية فلذلك لا تتسنى مراجعة كتابه
الاعدد زهيد من الباحثين الذين لهم شأن في هذه المواضع أعنى الافرنج
المشتغلين باللغة العربية دون سواهم والقليل من أبناء المشرق الذين لهم
إلمام باحدى اللغات الافرنكية وهذا ما جعله قليل الانتشار في ديار مصر

أما الشيخ محمد مراد النقشبندى وعبدالله باشا أمير الحج فقد
اقتصرا في كتابيهما (ترتيب زيبا) (أى الترتيب الجليل) على بعض بيانات

اجمالية بخصوص السور والآيات ولو أدخلت الاساليب المستحدثة
في هذين الكتابين وبوشر طبعهما بعناية خصوصية واتقان زائد
ربما جاءت مراجعتهما بكثير من الفوائد

وقد اطلعت في المكتبة الخديوية على نسخة من كتاب
النقشبندی وتحققت أن المراجعة فيه من أصعب الصعوبات
ومع ذلك فان العلماء المسلمين لا يزالون يستخدمونه لعدم وجود
ما هو أفضل منه وأوفى بالمراد وخصوصا في بلاد الأتراك لأنه في
مصر يكاد يكون مجهولا بالكلية

وقد رأيت في مكتبة حضرة الفاضل الاجل السيد محمد الهادي بزم الكلب
المسمى (أنهار الجمان من متابع آيات القرآن) الذي ألفه الوزير عبد الله باشا الشهر بامم
(جته جي) في أواخر سنة ١١٦٤ في عصر السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى
خان قال فيه «ما احتجت الى وجدان آيات القرآن في أكثر الرمان نسخ الحاطرى الفاتر
أن أجمع كتاب مع قلة البضاعة مشتملا على جداول في بيان مواضع الآيات» وقد رتبها
على حروف الهجاء ثم أشار في الجداول الى بيان مواقعها في الجزء والحزب والعشر
وعدد الآيات في العشر واسم السورة . وقد وضع في أول الكتاب جدولاً فيه الأرقام
التجويدية وتفسيرها بالأرقام الهندية والأرقام التجويدية هي عبارة عن حروف هجائية
بحسب حساب الجمل وهي في الجداول من ١ الى ٧١ وفي آخر الكتاب هذه الجملة
(تم ترتيب زينا بعون الله العلي الاعلى - مؤلفه جته جي عبد الله باشا رحمه الله عليه وعلى
ماله من شاء - كتبه محمد بن ابراهيم البليانبولي في بلدة قسطنطينية في مدرسة قجوجي
مراد باشا في ٥٥ حسنة ١٢٦٤) وفي أول صحيفة من الكتاب عبارة تفيد ان النسخة

الاصليّة محفوظّة في كتبخانه مدرسة (لاله لي) بدار الخلافة العظمى
هذا وقد رأيت مصحفا مطبوعا على الحجر في مدينة طهران سنة ١٢٧٩ وفي
آخره فهرست ببيان مواقع جميع الكلمات القرآنية في هذه النسخة وهو على نسق
(نجوم القرآن في أطراف القرآن) الذي طبعه فلوجل الألماني وقد نسجوا على متواليه
بالتمام وأشير الى ذلك في المقدمة الموضوعية في آخر القرآن الكريم وفي أول الفهرست
وقد ألف العالم الحافظ الشيخ محمد بن شريف كتابا في هذا
الموضوع سماه (مصباح الآيات الجليلية القرآنية ومفتاح التفاسير
الجميلة القرآنية) وخصه لبيان أسماء السور والاجزاء وعدد
الصحيفة الموجودة فيها الآيات المبحوث عنها ثم عدد الجزء وعدد
الصحيفة في ثمانية تفاسير (الرازي والقنوي وابن تيمجد وشيخ
زاده وروح البيان وأبي السعود والتبيان والمواكب) ولهذا
الكتاب من ايا خصوصية لا تنكر ولكن لا حاجة للقول بأنه يستوجب
على الباحث فيه أن يستعمل نفس النسخ القرآنية والتفاسير التي
استخدمها المؤلف وهو أمر متعسر بل متعذر لان المصحف الشريف
قد طبع مئات ومئات من المرات في أشكال مختلفة (سواء كان
مجموعا في مجلد واحد أو منقسما الى ثلاثين جزءا) فضلا عن ذلك
فان الذي يستعمل في أبحاثه بكتاب ابن شريف يلزمه أن يراجع
هذه الثلاثين جزءا وكل جزء منها يتبدى صحائفه بعدد ١ فان هذا الحافظ
يسرد الآيات ثم يقول انها في صحيفة كذا من جزء كذا من سورة

كنا وتفسيرها في الصحيفة الفلانية من الجزء الفلاني من تفسير
الرازي أو القنوي الخ ﴿١﴾ وقد طبعت الأجزاء القرآنية والمصحف الكريم
وهذه المتناسير مرات كثيرة بما يوجب ولاشك تغيير صحائفها وحينئذ
فالدلالة عليها لا تفيد الأمان كان عنده نفس الطبقات التي استعان
بها المؤلف وقد أشار إلى السنوات التي ظهرت فيها في فاتحة كتابه
واقدمت على الدوام متأزما من وجود هذه الصعوبات التي تعرض
في طريق الباحث بواسطة أحد هذه الكتب وكنت أفكر في طريقة
نزول بها هذه العوائق حتى أسعدني حسن حظي بالعثور على نسخة
من كتاب قديم بخط اليد لمؤلفه محمد علي الكربلائي تمت كتابتها
في غرة شعبان سنة ١١٦٢ هجرية ورأيت فيها سبعة الخانات
التي لم تشكّل بها الكتب الموجودة من هذا القبيل فسمرت عن
ساعد الجدي في تنسيق مواد هذا الكتاب وتهذيبه وترتيبه على
أسلوب حديث منتظم مرتبط ببعضه وقد يسرني بحول الله تعالى
ذلك العمل وفق المرام ثم أضفت إليه بيانات كثيرة أرجو أن تتم بها
قائده وتزيد في وضوحه وظهور ثمراته

قسم المؤلف كتابه إلى قسمين رتب في الأول الآيات باعتبار
أوائلها وأبان مواقعها في الكتاب العزيز وخصص الثاني لترتيب
الآيات باعتبار أواخرها أعني الحرف الأخير فالذي قبله فالذي قبله

وهكذا حتى تسهل بذلك المراجعة على من لم يتذكر من الآيات
الاخرها فقط وأما الآيات المعروفة بـ (ممتسابة القرآن) فقد أوردتها
في كلا القسمين من أولها الى الموضع الذي يظهر فيه فرقي بينها
وبحسب الكلمة الفارقة بين الآيتين المتشابهتين كان ترتيب
أمثال هذه الآيات وراء بعضها . ثم انه رمز بحروف الجمل بالحبر
الاجزالي عدد الجزء والحزب ووضع بعدها هذه الحروف الثلاثة
(أ - و - ر) بحسب اسود للدلالة على ان الآية في أول الحزب
أو وسطه أو آخره ثم رمز بإشارات مختزلة الى أسماء السور القرآنية
ووضع جدولاً بهذه الاختصارات ولكن لم يرتبه على حسب
حروف الهجاء بل بحسب الترتيب المتبع في المصحف ولذلك فراجعة
هذا الجدول تستوجب صعوبة زائدة فضلاً عن أن كتابته جاءت
متوالية وراء بعضها من غير فصل ولا فقرات بينها وأشباه ذلك من
العلامات المميزة

وقد كنت حررت جدولاً بأسماء السور تسهل مراجعته
للغاية ثم عدلت عنه لاني آثرت وضع أسماء السور بأكلها حتى
أريح الباحث من العناء في تفسير الاختصارات والرجوع الى
الجدول لتأويلها وبذلك يمتنع الاختلاط الذي ربما يحدث بسبب
ان أسماء بعض السور تبتدئ بحرفين أو ثلاثة حروف هي واحدة

في كل منها ولان أسماء بعض السور الاخرى تتركب من حرفين
واحد أو حرفين فقط

ولاشك أن هذا الكتاب هو أفضل بكثير من نظائره ولكنه
فضلا عما وقع في النسخة التي يبيد من الاغلاط التي لاتعد
ولا تحصى لا يزال ينقصه أمور بيانية كثيرة لاتعلم فائدته فندبت
نفسى لسد ما فيه من الخلل واصلاح ما وقع به من الغلط (وسأودعه في
المكتبة الخديوية ليطلع عليه من يريد) وأظن أنى وصلت بمعونة الله
تعالى الى الغرض المطلوب وحيث قد بعد ان كان يحتوى على بيان
اسم السورة وعدد الجزء والحزب وان الآية في الاول أو الوسط أو
الآخر أصبح الآن يشتمل على البيانات الآتية وهى

أولا - عدد الجزء (والقرآن ينقسم الى ثلاثين جزءا) . ثانيا - عدد
الحزب (وكل جزء فيه أربعة أحزاب) (١) . ثالثا - موقع الآية في
أول الحزب أو وسطه أو آخره . رابعا - اسم السورة . خامسا -
عدد السورة (لان أهل المشرق لما يعرفون السور بأسمائها ولكن أهل أوروبا

(١) تقسيم الجزء في مصر انما هو الى حزبين بحسب البدعة الحسنة التي أحدثتها
الحجاج الثقفي وأما الترك والهم فيقسمونه الى أربعة أحزاب وقد اخترنا طريقتهم لما
فيها من زيادة التسهيل في البحث والمراجعة لتكون مراجعة الآية في ربع الجزء
أسهل منها في نصفه وفي ذلك وفر في الزمن بمقدار النصف وهو مناسب وتدعو اليه

لايسيرون الاعدد ترتيبها) . سادسا - عدد ترتيب كل آية بحسب القران المطبوع في الآستانة العلية على نسخة الحافظ عثمان . سابعا - عدد ترتيب الآيات بحسب الطبعاَت العربية والترجات الافرنكية التي ظهرت في أوروبا

ولى أمل وطيد بأن يحىء على هذا وافيا بجميع الشرائط اللازمة لمراجعتة بكل سهولة وفائدة في بلاد المشرق والمغرب وأظن انه يكون مفيدا على الدوام حتى فيما يتعلق بالنسخ القرآنية الكثيرة الخالية من بيان أعداد الآيات فإنه يشير بالضبط والتدقيق الى موقع كل آية ببيان عدد الجزء والحزب واسم السورة ويبين موضع الآية في أول الحزب أو وسطه أو آخره

وإذ لم يكن لي منسع كاف من الوقت لم أتمكن من تبويض هذا التصنيف الذى يستدعى زيادة التدقيق لما هو محفوظ به من الصعوبات وانما أقدم لكم الآن منه كراسين على سبيل التمثيل والمثال ومتى عدت الى وطنى أتمته وأكمله بحيث يتيسر طبعه فى أقرب وقت بحوله تعالى (وقد تمّ له كماله كله بحمد الله)

(نابيا) - نسخة معدة للطبعة الثانية من رسالتى الموسومة بـ (موسوعات العلوم العربية) وهى تكاد تكون غير الاولى بالترّة

وقد خصصتها لهذا المؤتمر بعد أن حلقتها ونقحتها وشحنها بكثير من
الإضافات المهمة التي لم يسبق ظهورها إلى الآن
ولا أذكر لكم على الطبعة الأولى من هذه الرسالة التي نفذت
عن آخرها سوى الكتاب اللطيف الذي أتحفني به جناب العلامة
المسيو باربييه دومينار عقيب ظهور هذه الطبعة وقد أعلمني
فيه بأنه أوسع لها مقاما كريما وخصني بعز يد الشناء والتفاني على
اتمام هذا البحث الدقيق وسأشركه في هذا في ملحقات الطبعة
الثانية إن شاء الله

(ثالثا) - معجم (فاموس) جمعت فيه الكلمات العربية
المضعفة التي تكرر فيها المقطع الأول مثل مرمر وبربر ومرمر
وربرب ومسمم ومشمس الخ وإني بفضل الله أول من جمع باللغة
العربية أكثر من ١٠٢٥ كلمة من هذا القبيل وفائدة هذا الصنيع
يعرفها المشتغلون برد اللغات إلى أصولها والباحثون عن كيفية
ابتداء الإنسان بتقليد أصوات الطبيعة وحكايتها والتدرج منها
إلى غيرها من المعقولات والخياليات وغير ذلك ولا أظن أنه يوجد
تصنيف مماثل في اللغات الأوروبية لأن مادتها في هذا الموضوع
غير غزيرة

(رابعاً) - معجم صغير ضمته كل ما عثرت عليه من الكلمات

الخاصة بالكلاب وكان من نيتي أن ألقه بالكتاب الذي أجمعه
على هذا الصنف من الحيوان ولكني رأيت أن الاصوب جعله
رسالة قائمة بذاتها بعد ان عنيت بتهديتها بقدر ما سمح لي به الوقت
وأضنت اليها قصيدة للسيوطي لم يسبق طبعها جمع فيها أسماء
الكلب وسماءها (التبرى من معرفة المعري) وذلك لان أبا للعلاء
المعروف ب(ملتن الشرق) دخل ذات يوم عند أحد الكبراء فوطئ
من غير ارادته قدم بعض الحاضرين فتألم الرجل وقال «من هذا
الكلب» فأجابته المعري في الحال بهذه العبارة «الكلب من
لا يعرف للكلب سبعين اسما»

(خامسا) - مجتم خصته لتحرير الاعلام الجغرافية وردها
الى أصولها المتعبرة المعروفة عند أهلها فان نقلها من لغتها
الاصلية والنطق بها بالعربية أو الفرنسية أو أية لغة افرنكية
قد أوجب تطرّق الفساد اليها ووقوع التعريف فيها بما يوجب
ارتكاب متن الشطط والتورط في الغلط أثناء ذكرها في التراجم
ومثل ذلك ان المدينة المعروفة عند العرب باسم المصيصة تعرف
عند الافرنج بلقظ موبسويوست واقليم ماوراء النهر يسمى ترانزوكسان
والجهة المعروفة برأس التين في بلاد توتس تسمى عند الافرنج
زوكسانين وكاتين وكاتين ونهر ملوية في مراکش يسمى

مالوآنا ومدينة شمشاط تسمى ارياموزات ونهر دينسبر يسمى في كتب العرب القديمة نهر آزو أو نهر طنابرس وجبل الحرث (بفتح الحاء والراء) يسمى بالفرنسية ارارات وقد أخطأ المترجمون في نقله الى العربية فقالوا عرارات أو نقلوه بلفظه مهملين الاصل المتعارف في كتب قومهم (وكثير من أمثال ذلك مما ذكرت نموذجاً منه في رسائل المؤرخة أنشاء كلامي على برنزي ونابولي ورومة وفلورانس وبيزه وپورينو وطرف الغار) ومثل ذلك بلاد الانكليز تعرف في كتب العرب القديمة بهذا الاسم (انكلطرية وانكلطرية والانكثير) ولكل الآن نتقرب كثيراً من اللفظ الفرنسي فنتقول انجلترة ولوندره لانجلند ولندن ونقول فلورانس لافرنزا

ولا أظن أحداً من أهل المشرق والمغرب تفوته فائدة هذا التصنيف الذي غاية تصحيح كثير من الاعطال فطالما رأيت في كتب مترجمة في التاريخ والجغرافية اسم قرطبة المعروفة عندنا وفي كتبنا منقولة بحسب نطق الافرنج لها هكذا (كوردو) وهو اسم لا يعرفه العربي مطلقاً ومثل ذلك مدينة الأبييض (تصغير أبيض) في بلاد السودان أخطأ المترجمون في نقلها الى العربية بحسب النطق الفرنسي فقالوا العبيد ووردت في خريطة رسمية محفوظة في المكتبة الخديوية (البياد) ومثل ذلك اني رأيت في بعض كتب الجغرافية التي كان التدريس بموجبها في المدارس الامرية

لفظة سوتا (الدلالة على مدينة ساحلية في مراکش) بدلا من سبتة لان مؤلفي تلك الكتب راعوا اللفظ الفرنسي وأهملوا اللفظ العربي الاصلى وهو سبتة وأقول هنا ان هذا اللفظ منقول عن كلمة لاتينية (سپتا) معناها الحظيرة والسياح

ولا حاجة لبيان المزايا التي تترقب على وجود كتاب من هذا القبيل يكون سببا في تحقيق الاعلام الجغرافية والارشاد الى صحبها والتنبيه على حقيقتها والاشارة الى الفساد الذي اعتورها حتى لا يخط المترجم بين الاسماء وبعضها أو يدل على السميات باسماء غير معروفة بها وبذلك يمتنع وجود الخطا في الاجمات التاريخية والجغرافية واني أرجو أن أكون وصلت الى الغاية المقصودة وعلى كل حال فقد فتحت هذا الباب وهو حسي

هذا ولما علم صاحب السعادة سليمان باشا أباطه بان الحكومة المصرية نبتت للنيابة عنها في هذا المؤتمر تكرم وقدم لي كل الكتب النفيسة التي يحظ اليد المحفوظة في خزائنه الثمينة ولكن ضيق الوقت لم يسمح لي الا باختيار بعض طرف لا تحف المؤتمر بنسخ منها بعد أن عنيت بتتقيقها وتهذيبها

سادسا - وسابع - فأول ما نتقيته منها كتابان للقريني الشهير أولهما اسمه (ضوء السارى في معرفة خبر تميم الدارى) وهو يختص باقطاع النبي صلى الله عليه وسلم ببلدين من الشام الى

تميم هذا قبل أن يفتح المسلمون هذه الديار والثاني (تاريخ الغلاء
الواقع بمصر) من أيام القراعنة الى زمان المؤلف وقد جاء في
صك الإقطاع لتيم مائنه (هذا ما أنطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخ) فهذه الكلمة (أنطى) مستعملة بدل أعطى بحسب لهجة
اليمانيين أهل تميم وقد رأيت في مجمع أبي السرور الصديقي الذي
سأتكلم عنه انه يقال نطشان بدل عطشان ورأيت في كتب
اللغة في ترجمة نطش أنه يقال فلان عطشان نطشان على سبيل
المتابعة وعلمت من المؤثوق بهم ان بعض عرب البادية في بلاد الشام
لا يزالون الى الآن يستعملون أنطى بدلا من أعطى ولعلهم من
الذين وربما كانوا من ذرية تميم صاحب الإقطاع فإنه انتقل الى
ورثته من بعده

وقد تكلم المقرئ على هذا الإقطاع وصحته ببراعة علمية
وتحقيق دقيق حتى انه يوجب للقارئ الملل ولكنه برهان جديد
على فضل الرجل وواسع اطلاعه

ومن سوء الحظ أن النسخة الثانية التي تكلم فيها المقرئ
على تواريخ القحط والغلاء ينقص منها الصفحات الأخيرة ولكن
هذا لا يذهب بشئ من الفوائد الجليلية التي تضمنتها وأنا أظن أن
هذه النسخة هي جزء من خطته المشهورة فقد أشار في مقدمتها

الى انه سيتكلم في القسم السابع منها على أسباب خراب مصر
وانحطاطها ثم لم يرد شيء من ذلك في الكتاب المطبوع في بولاق أو
النسخ التي بخط اليد المحفوظة في مصر وأوروبا واذ كان هذا الظن
كانت هذه الرسالة ذات فائدة عظيمة وقيمة خطيرة

(نامنا) - وما انتقيته من مكتبة سعادة أباظه باشا معجم
أبي السرور الصديقي وهو يتضمن الكلمات العرفية الدارجة في مصر
التي تنطبق على أصول اللغة العربية النحوية وقد اختصره من
المعجم الذي ألّفه الشيخ يوسف المغربي وسماه (رفع الاصر عن
كلام أهل مصر) وبلغني أنه يوجد منه نسخة عند بعضهم في مصر
ونسخة أخرى بمكتبة ليدن

وقد عنى صاحب المختصر بتجريد هذا الكتاب من الالفاظ
اللغوية والشواهد والاشعار والاستطرادات والحكايات التي لاعلاقة
لها بالموضوع وسماه (المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات
العرب) ولما كان المستشرقون يهتمون بنوع خصوصي باللغة
العربية الدارجة كنت واثقا من أن نشر مثل هذا الكتاب يقابل
بعض القبول وبصيه شيء من الترحاب ولاجل ذلك أدخلت فيه
بعض اصلاحات وتعديلات لاتمام الفائدة فأبدلت الريب المتبع
في صحاح الجوهري وقاموس النبروز ابا دى الذي يترتب عليه ارساله

المباحث وتعقيد المطالب بالاسلوب الهجائي الذي جنح اليه
الزنجشري في أساس البلاغة والقيومي في المصباح المنير وهو الاسلوب
المتبع في جميع المعاجم الاروباية وسميته (ترتيب المقضب فيما
وافق لغتكمصر من لغات العرب) وفي هذا السفر مزاي كثيرة
لمعرفة تاريخ علم اللغة العربية لانه يدلنا على أن اللغة العرفية كانت
في الزمان القديم متقاربة من اللغة العربية الفصحى وبه نعرف مقدار
ابتعادنا عن هذه في كل يوم بكيفية محسوسة ظاهرة ومما يزيد
في الطين بلة ويوجب ازدياد هذا الابتعاد كثرة علاقاتنا مع أهل
أوروبا فان اختلاطنا بهم ألزمتنا بنقل جملة كلمات وتعبيرات ينبغي
المبادرة بدرسها والنظر فيها فان كثيرا منها له نظائر في العربية الصحيحة
يجمل بل يلزم تفضيلها على غيرها واستعمالها ومالم يكن له مقابل
في العربية يمكن الاستغناء عنه بنحت ألفاظ جديدة بحسب قواعد
اللغة وأصول القاب والابدال فان ذلك أولى من استعمال ألفاظ
وعبارات محرفة فاسدة أصبحت لا تنسب الى لغة من اللغات
وقد اجتهد صاحب العالم الفاضل الاستاذ الشيخ محمد راشد
بكتابة رسالة عن الكلام الدارج الآن في مصر القاهرة وشجنها
بأعمال الزجل والمواويل والأغاني والادوار والموشحات المستعملة
عند العامة وبلسانهم ولاشك أن المقارنة بين هذين الكتابين
توقفكم على الحركة اللغوية الحاصلة في بلادنا

واليكم الآن نسختا من أربع رسائل انتقيتها أيضا من مكتبة
سعادة أباطه باشا وهي

(تاسعا) - معجم يحتوي على ٥٩٤ اسم يعبر بها عن الأسد
استخرجها من قاموس الفيروز ابادى العلامة الشريف عبد الله
ابن محمد بن حسين المغربي وقد نحا في ترتيبها نحو صاحب القاموس
ولكننى استبدلت هذا الترتيب بالاسلوب الهجائي السهل للأسباب
التي شرحتها فيما قبل

(عاشرا) - معجم يحتوي على كلمات الاضداد مثل جبر
وبسل وزحك وأسد وسجيد الخ وقد طبع الموسيو هو سما (كتاب
الاضداد) لابن الانبارى فى مدينة ليدن ولكن المعجم الذى أقدمه
لكم الآن له قيمة خاصة به وقد استخرجه الشريف عبد الله
المذكور من القاموس أيضا

(حادى عشر) - معجم الكلمات اللغوية النصيحة التى يصح
استبدال السين فيها بالشين ألفه العلامة الفيروز ابادى صاحب
القاموس وسماه (تجبير الموشين فيما يعبر فيه بالسين والشين) وهذا
الكتاب النادر لا تنكر قيمته وأهميته

(ثانى عشر) - التصميذة الفارقة بين الضاد والظاء
لناظمها الشيخ الامام على بن عبد الله المروزى وقد كانت النسخة

التي عثرت عليها سقيمة للغاية محترفة مشوهة فاجتهدت في اصلاحها وتهذيبها حتى أصبحت واضحة الفوائد ظاهرة المزايا ويمكن الاستفاح بمراجعتها وسأضيف اليها جهد ولا هجاءيا عند طبعها لتتمتع معها وتسهيل البحث فيها

(ثالث عشر) - ثم اني أرجع الآن الى المقريري وأذكر لكم انه حل لغزا في (الماء) وقد عثرت على تفسيره في نسختين بخط اليد في الكتبخانة الخديوية الاولى تمت كتابتها في رمضان سنة ١١١٢ (وهي محفوظة بنمرة ٨٣ فنون متنوعة) والثانية في رجب سنة ١٠٩٩ (وهي محفوظة بنمرة ٤١٨ مجاميع) وفي النسخة الاولى مقدمة موجزة قال المقريري فيها ان أحد الكبراء أمره بحل هذا اللغز العسير وانه توصل الى ذلك مع قلة بضاعته وقال في آخر الحل انه كتبه في بضع ساعات من يوم الثلاثاء ١٤ محرم سنة ٨٢٣ من غير مراجعة أي كتاب ومن غير تعليق مسودات وهذه النسخة أجود بكثير من الأخرى ولكنها خالية من متن اللغز مجموعا على حديثه كما في صدر النسخة الثانية وقد تحكك المقريري وتحكك في الحل حتى جاء جوابه غير مقرون بالاقناع والسداد حررت التفسير وضبطته بحسب هاتين النسختين ولما كان الحل سقيمة عقيما لم أرمن فائدة في ترجمته (الى الفرنسية)

ولكنني حكمت بغير ذلك على نفس الغزقربجته لكم لاططتكم
علما بمثال من غرابة أغانزا العربية (والترجمة في القسم
الفرنساوي)

(رابع عشر) - وأقدم لكم الآن أيها السادة نسخة
من قصيدة تحتوي على الكلمات العربية التي اتفق لفظها
واختلاف معناها تظمها العلامة الفاضل الشيخ أبو الحسن علي بن
محمد بن عبد الصمد الهمداني المشهور بعلم الدين السخاوي وهذه
النسخة لم تكلفني أدنى عناء لان الاصل الذي نقلتها عنه كان
يخط الاستاذ الكبير والعلامة الشهير عبد القادر بن عمر البغدادي
وهو كتبها بخطه وأصلها معتمدا على نسخة قديمة سقيمة
قد مسخها النساخ وأجحف بحققها الزمان وقد أتم البغدادي
نسخته في يوم السبت ٣ رجب سنة ١٠٧٤ من الهجرة واست
في حاجة لاثبات فضل الرجل والاعلام بمقامه فانه فوق كل مدح
يشهد له مصنفه الحافل المعروف بجزارة الادب المحتوى على أربعة
أجزاء قد أودعها من طرف العلوم وتحف الفنون ما يجعل له
المكانة الاولى بين أرباب المعارف (١) وأقول ان عنايته بهذه
القصيدة أصدق دليل على أهميتها وقد اشتغل كثير من الشعراء

(١) وقد وضع العلامة الطلياني المتبحر في العلوم والعات الشريعة السيور أغناطوس
جو بدى قاموسا مفيدا جدا يبين أسماء الشعراء المخصوص عليهم في هذا الكتاب

بمسألة الكلمات المتنفة لفظا المختلفة معنى ولكن الجمهور منهم اقتصر على كلمة واحدة فان الازرى نظم قصيدة تكررت فيها كلمة (عجوز) ثنتين وستين مرة مع اختلاف المعاني وقد شرحها أبوحيان وأضاف اليها ١٣ معنى جديدة ونظم ابن تمام السبكي قصيدة فيها ٧٣ معنى (للعين) والحصكفي أورد في إحدى قصائده عشرة معان (للهلال) وقد أضيفت اليها معان أخرى وقد أورد ابن معصوم في كتابه (أنوار الريح في أنواع البديع) هذه القصائد كلها أما السبكي الذي نحن بصدده منظومته فقد أورد فيها أكثر من ٢٠٠ كلمة من هذا القبيل

(خامس عشر) - وأتكلم الآن على وصف مجالس المعدادات والندابات في مصر والمجموعة التي جمعت فيها أشعارهن ومراثيهن (١) نعم إن هذا الموضوع مخوف بالهموم والاحزان ولكن

(١) الذي دعاني للاهتمام بهذا الموضوع ما رأيته من منابة أهل البحث والتدقيق من الأفرنج بكل ماله صلة بأحوال المشرق ولما كان كثير منهم قد تبع في الخطأ من حيث لا يشعرون ويجعل للأمور عللا وأسبابا يعزونها الى الدين الاسلامي عن قصور فهم أو تبادرا الى تخيلته بحسب ما يصورها له الوهم من غير أن يكون له من المعرفة والاطلاع ما يجعله قادرا على تمييز الفكر الصحيح من القول السقيم أحببت أن أستوفى في هذه التنبذة كل ما وصل اليه على من بعض عاداتهم فضلا عن القائمة الادبية الجليلة التي قد لا يتنبه لها الانسان لأول وهلة وهي المحافظة على الاشعار التي تنوح بها المعدادات والندابات أثناء الرثاء

البحث فيه يكشف القناع لارباب الاطلاع من علماء الاخلاق عن بعض أمورهم معرفة هذه العادات قد سبقني غيري الى الاشارة اليها غير اني لا أعلم أن أحدا درسها كما ينبغي أوجع البراني التي أقدمها لكم الآن

ولست أول من قال (لا يعرف صدق الاخاء في أيام الهناء والرخاء بل عند وقوع المحن والبلاء) ولكني قد أكون أول من يؤكد لكم بان نساء العامة في مصر ربما كن المتفردات بالعمل بهذه الموعظة البالغة ومراعاتها بكل دقة كأنما هي فرض من الفروض وذلك لانهم في كل خميس (وهو يوم تجدد الحداد) يتجمعن زرافات زرافات ويسمين في بعض أزقة العادمة ساكنات ساكنات كأنما على رؤسهن الطير حتى يصلن الى دار صديقاتهن التي طرق الموت بابها واختطف واحدا من أربابها

فان في كثير منها معاني دقيقة وأنظارا حكيمة قد لا يجدها الباحث في المراق الشهيرة التي يعمل الشعراء فيها فكثيرهم ويصرون الاوقات البقيسة الطويلة ينفقونها وحكيما بحسب ما تنقضية صباغاتهم وممارستهم بخلاف أقوال العامة فانها خصوصا في مثل هذا الموضوع صادرة عن الضمير مباشرة وليست الا ترجمة لما يكمه القواد من مواطن الاشجان ولما كانت هذه الاشعار غير مدققة في ديوان رأيت من الفائدة ضم اشئتها مع عدم الادعاء بالاحاطة بها وذلك أفضل من اهمالها ادلا بعيد أن يأتي يوم تزول فيه هذه العادات وينسى معها أثر هذه الاشعار الواجب حياطتها بالحفظ والتدوين

وكلهن يتدثرن بلبس سوداء ويضعن على رؤسهن مناديل زرقاء
فان ذلك هو اللبس الرسمي المقر عندهن في مجالس الحداد
وقبل أن أتكلّم على المعدادات والندابات اللائي خصصت
لهن هذا الفصل أقول كلمة ثانية على العصبية التي يرتبط بها
نساء العامة بالسليقة والغريزة عندما تحل شدائد الحياة بأحدهن
أو يقلب الدهر لها ظهر المجنّ

فليس من النادر أن يرى الانسان أبة امرأة تأخذ في الولوجة
عند ماتمريحنازة في طريقها وفي بعض الاحيان تقف أمام الدار
التي خج الموت أهلها وهي لم يسبق لها الدخول فيها ولم تعرف
أحدا من ذويها ولكنها لا تلتفت الى ذلك بل تنساق الدموع
سراعا من ما أقبلها ثم لا تلبث أن يتولاها الصباح والعيول وذلك
لأنها تتذكر بالمنظر الذي يترامى أمامها أنها فقدت بعض أهلها
فأخرج بفقده فؤادها جرحا لا يندمل بل ان الآلام القديمة التي
كان يظن أن طول العهد محاهها من ذكراها تتجدد في الحال لان
الضعف من طبيعتها والجزع من جبلتها فلا يمكنها أن تغالب
نفسها وتكتم الحزن في صدرها بل كثيرا ما تدخل الى الدار التي
حصلت فيها الوفاة وتشارك أهلها في أحزانهم ومصائبهم
أما المعدادات والندابات فليس لهن الآن من أثر في ربوع

أوروبا ولكنهن في مصر عبارة عن طائفة منتظمة مازالت محافظة على كل ما لها من الخنوة والتأثير والمرأة منهن في حياتها الاعتيادية وأعمالها الخصوصية تشابه غيرها من النساء على السواء ولكنها متى تفرغت لوظيفتها دبت فيها حياة أخرى وظهرت في نشأة ثانية بظهور جديد فتضطرب وتتفعل وتتحرك ذات اليمين وذات الشمال كن أصابه المس أو الصرع أو الخبال حتى يخال للرائي أنها أشبه بأولئك الكاهنات في هياكل القدماء عند ما تأخذهن الرعدة والرعدة بسبب حضور الهائف الالهى الذى جاء يوحى اليها أو امره ويلقى عليها متاصده فان صوت الندابة وهى في وسط عصابة من النساء قد هاجتهن الاحران وولتهن الاشجان يزيد في غصتهن بما فيه من التقاطيع والتراجيع التى تذوب منها القلوب وتنفطر لها الابدان وتتشقق من هولها المرائر بل ان كل كلمة من كلماتها ينقبض لها صدر الحاضرات ويوجب زيادة الكآبة في نفوسهن فتأخذهن الصيحة بالرجفة وتهب عليهن أنفاس الندابة كأنها إعصار فيه نار تحترق منه الافئدة ثم ان الندابة تقطع عن الرثاء في أويقات معينة فيكون سكوتها موجبا لزيادة الجزع بين الحاضرات ويعبرن عنه بدموع متناثرات وترديد صحبات متواليات

وكما أن العامة في ليل الأفراح يلحون على المغنى بان يطربهم بدوز مشهور أو لحن مأثور فكذلك كل امرأة في مجالس الحداد تلتص من السداية أن تذكر رثاء يختص بفقيدها العزيز فتجيبها الى ذلك في الحال ومتى أتمت الرثاء وجب على تلك التي طلبته أن تغالى في الصياح بصوت محزن صادر من فؤاد جريح وأما الجماعة فيشاركها لاسناد عويلها ومقاسمتها في حزنها

وتستمر هذه المجالس من الصباح الى وقت الظهر في الايام الثلاثة الاولى التي تعقب الوفاة ثم تتكرر في كل خميس الى انقضاء الاربعين (وهو ختام الحداد) وفي خلالها يستريح النساء بعض برهات قصيرة يتفرغن فيها لشرب القهوة والدخان ومتى حل الظهر تفرقن شذرمدر وتبدد شملهن في كل أرجاء المدينة فيذهبن بعد أن فعل التأثيرهن ما يوجب انحناء الضلوع وبجحة الصوت وضعف العيون ولكنهن ينصرفن مضاجبات للصمت والخشوع مقسعات بأنهن قدقن بأكبر الواجبات

ولاتنظرن أهبالسادة أنى توخيت المباينة في هذا الوصف لاحداث بما تعبرون عنه بالتأثير الأدبي كلافان من أتيح أو يتاح له منكم حضور أحد هذه المجالس في مصبر يقر ويعترف بأنى ما وصلت قط الى

الحقيقة ولا بدى من أن أكون مقتدرا على الانشاء وخصوصا
الاسلوب الوصفى ككتابكم المجيدين (مثل تيوفل جوتييه وأمير)
حتى أتوصل للتأثير على عقولكم وأفئدتكم كما تفعله الحقيقة
وانى لا سارع فأخبركم بأن الاعتماد على الانفعال فى المآتم
بهذه الدرجة الزائدة التى تقابل الصرع والجنال ليست فى شئ
بالكلية من ديننا الحنيف فان النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا
بأن نجعل الحزن فى قلوبنا وأن نمثل لاحكام الله والاحاديث
فى هذا الشأن كثيرة وليس هذا محل ارادها

وأرى من الواجب على أن آتى الآن على ذكر ملحوظ دقيق
عن لى أثناء طبع هذه الخطبة فيما يتعلق بأصل هذه الاصطلاحات
فى المآتم وما هى الطريق التى أوصلتها الى الامة المصرية حتى
جعلتها متمسكة بها لهذا الحد الذى هو مناقض لاحكام الشرع
الشريف والسنة النبوية الكريمة

فأما مسألة الجنائز وسير الكفارات والفقهاء والفقراء وأولاد
الكتاب وجاهير المعزين أمام النعش وجماعات النساء خلفه
صائحات نائحات راخيات الشعور داعيات بالويل والثبور فذلك
كله مأخوذ عن قدماء المصريين مع بعض تعديل قليل وكل من
اطلع على ما أورده العلماء عن الفراعنة من هذا القبيل أخذه

العجب من محافظة أهل وادى النيل على عاداتهم مع توالى القرون
وتغاقب الدهور

وأما مسألة إقامة الحزان مدة الثلاثة أيام التى تعقب
الوفاة واختتام الحداد بحلول اليوم التتم للاربعين فأتى أحكم
بأنها مأخوذة عن النصرانية وذلك لانتنا لآثرى لها أثرا فى البلاد
الاسلامية المحضة بل لانجد فى سيرة السلف الاسلامى أصلا ما
تستمد منه فإن السنة جاءت بتعزية أهل الميت فى يوم الوفاة
على القبر بعد الدفن ومن لم يتأت له ذلك يذهب الى بيت الميت
لتعزية أهله وتسليتهم فوجب القول بأنها خاصة بأهل مصر وحيث
انهم لم تكن فى أخلاق الفراعنة ولا مألوفاتهم ووجب الجزم بأنها
جاءت عن طريق النصرانية ويانه أن المسلمين لما افتتحو مصر
دخل فى دينهم فريق من قبضها وبقي هذا الفريق محافظا على أكثر
عادته (ولاتزال آثارها باقية بيننا الى اليوم)

ومن جملة هذه العادات ولاشك عادة الحداد مدة الثلاثة أيام
ثم فى اليوم التتم للاربعين فإن المسيحيين يعتقدون أن سيدنا عيسى
عليه السلام قال لتلاميذه قبل الصلب انه سيقوم من القبر بعد
ثلاثة أيام فاستمروا يتربصون ظهوره فى هذه المدة وهم فى غاية
الحزن والقلق حتى حصلت قيامته فى أوائل اليوم الثالث وراه

بعض النساء وأخبرن به بقية الذين آمنوا وهم يعتقدون أيضاً أنه
بقي بعد القيامة يظهر تارة ويختفي أخرى في أوقات غير معلومة
وأيام ليست معينة حتى حل اليوم المئتم للاربعين من يوم الصلب
فارتفع الى السماء في أجل المظاهر وأرفع الدرجات (انظر الامحاحات
الاخيرة من الاناجيل وأعمال الرسل) ولا يزال الاقباط الى يومنا
هذا يقيمون الحداد على موتاهم مدة الثلاثة أيام الاولى وفي اليوم
المئتم للاربعين وبعده يعتبر أن الميت فاز بالثاني وحظى باكرام
الموتى كما حصل لسيدنا عيسى عليه السلام

أمامسألة اقامة الحداد في الاخسة فلا أراها الاسلامية
اذتسحب في ليلة الجمعة تلاوة القرآن الكريم والتقرب من الموتى
بالادعية والتوسلات والاذكار التي يقصد بها أن الميت ينال
النجاة وحسن العقبي ولان الناس يتمكنون من السهر وتعزية
بعضهم في هذه الليلة التي يضحون بعدها وهم خلو من
الاعمال منقطعون في الغالب للريضة التعبدية ولا بأس من التنبيه
بهذه المناسبة أيضاً الى ان المسيحيين يقولون ان الحوار بين قد
اجتمعوا في يوم خميس عقيب ظهور سيدنا عيسى عليه السلام من
القبر وتحدثوا في شأن دينهم الجديد وفيما ينبغي عليهم اجراؤه من
حيث الثبات على معتقداتهم أو النكوص على أعقابهم فتراى

لهم حيث أنك سيدنا عيسى عليه السلام وأكد عليهم بوجوب المحافظة
على ما جاء به ودعوة الخلائق اليه

وأقول هنا ان العادات التي أتيت على ذكرها هي الجارية
في المدن الكبيرة وانها قد يحدث فيها اخلاقيات وتنوعات في الاقاليم
والايراف سواء كان عند المسلمين أو عند الاقباط

﴿سادس عشر﴾ - ولقد كان أشار على المسيو بوريان رئيس
الارسالية العلمية الفرنسية بمصر والمسيو كازنوفوا أحد أعضائها
بجمع نبذة على عادات المصريين في الاحتفال بزيادة النيل وأن
أورد فيها بعض أقوالهم في هذه الازمنة الحديثة كما صنع ذلك
بعض علماء العادات المصرية فيما يختص بإيام الفراعنة فاجتهدت
في جمع كثير من المواد وأضفت اليها بعض الاستعلامات الرسمية
ثم انفق لي العنور على كتاب مطبوع اسمه (قطائف اللطائف)
وليس فيه اسم المؤلف وقد تضمن كل ما كنت جعته بل وزيادة
فرايت أن الغير لسعده قد سبقني فيما كنت أظنه ملكا لي خاصا
بي ولكني لما علمت ان هذا الكتاب قد قامت بتأليفه وترصيفه
احدى السيدات الشرفيات زال عني ما كنت أجده وشمرت عن
ساعد الجهد في تربة القطعة الخاصة بتفاصيل جبر الخليلج في مصر
فقلا عن الفاضلة مؤلفته اجلالا للروابط الادبية والعلاقات

التأليفية التي بين المشتغلين بالمباحث المفيدة (والترجمة في القسم
الفرنساوى)

هذا وانى أشكركم أيها السادة على تفضلكم بالإلتفات
والاصغاء الى ما ألقىته عليكم وأختم خطبتي بأنى أتمنى المستشرقين
الفوز بالنجاح في جميع الاعمال وانى قد أخذت على نفسى بأن
أكون فى بلادى من أول العاملين على تبيان تحسناتهم وانظهار
فضائلهم وكلماتهم

بعض أقوال الأفاضل والمجرائد

«صورة ما كتبه حضرة الفاضل اللوذعي الجليل محمد بك ذهني»

«مقنن عموم المعارف ومراقب المطبوعات والمجرائد»

«في ولاية أزمير إلى حضرة صديق الطرفين»

«الأديب المهذب محمد أفندي كامل تيمور»

«من تجار الاسكندرية»

عزيزي كنت شائقا إلى مطالعة كتاب «السفر إلى المغرب» نائما إلى اقتطاف
بائع ثمراته من آن ما تكررتم ووعدهم برسالة وها هو قد وافقني من بضعه أسابيع
فتهاقت إذ ذلك للاستلام من البريدتهاقت القراءة إلى نور السراج ولم أصدق أنه يدي
الأو أكبت على مطالعته الكتاب ليسبق له مثيل مدتحيا في فاقمة في يوم واحد بحيث لم
أشعر إلا وسواد الصفحات قد انقلب بياضا في النهاية وأنا غير متبته إلى ذلك فالقبة
كما فريدا في باب قد فاز بقصبة السبق في هذا المجال على ما وضع في هذا الباب مما
مثر عليه من المصنفات وذلك لترتيب ما هو جامع من الأبحاث والمواضع ترتيبا
تدرجيا وللأسلوب الرائع الذي آثره حضرة المؤلف اللوذعي الأريب في التحرير
والإفصاح من أفكاره الفلسفية ووصف مشاهد وتأمل من العالم الشاهقة والمباني
الشامخة مع التنقيب الشديد والقصص الدقيق الذي تكبده لتحقيق ما وضعه العرب من
الأحماة للبلدان الأوروبية في قديم الزمان ثم الفيرة العظيمة التي أبدتها حضرة للدفاع
من حقوق الإسلام التي مسها الأفرق الشنيع الضارب أطنابه بين أقواج المسلمين
ما صعد إليهم نصرها امتناعا من قوادس سليم لإجماع كلتهم وإعلاء شأنهم واحتفالهم العظيمة
الحسنة لطح مساوى الأخلاق واقتنائها مكارمها

فاستلذت جلدًا من لطيف عباراته ورشيق اشاراته الى حد لا يقدر على وصفه الكلام ولا عرفان حضرة المؤلف بمن اشتهر وافي ضنائه التحرير واثرا المعارف على حدائنه الحسن وبؤذ لو كان الكتاب أطول لكي أرتشف من حياضه زلال المعرفة استفادة وقد أريت هذه الرسائل متفاخرًا الى بعض شباننا المترين من أهل الكسل، والبطالة الذين يذهبون أوقاتهم سدى في سبيل الملاعب والملاهي راجيًا أن تكون الوسيلة العظمى لنهيمهم على التحلي بالمعارف والفضائل . ولعمري ان هذا المؤلف لقد أدكى في صميم القواد نار الاشتياق لاقتناء ما وعد حضرة من الرحلة التي لا ريب في أنها تكون أكثر تفصيلا منه عيطفي حينئذ بأسبابه نار التوقان ويرد غليل الاشتياق فمن الآن أن التمس من مكارمكم التي عودتوني بها أن تشتروه بل تحفظوه آذ بروز في ساحة المطبوعات فترسلوه الى العقير على جناح السرعة وعاية رجائي ان تسعفوني أيضا بجميع آثار المؤلف التي صدرت الي يومنا هذا

قال الكاتب الفاضل والمنشى الجميد البارع أمين أفندي شميل
صاحب جريدة الحقوق الزهراء في العدد ٣٥ الصادر في يوم السبت ٢٨
اكتوبر سنة ٩٣ مانصه

الرحلة الزكيمه في المكاس الاورويه

هي ست عشرة مسألة حررها حضره المهيب العاضل والكاتب الحرير أحمد بلزكي مترجم مجلس النظاري في سياحته باور وباوزيارته بالاحص مدينة لوندن الشهيرة مندو نامن قبل الحكومة المصرية لحضور المؤتمر المشرق في الدول التاسع طودع فيه من يديع الاخبار وجميل الفوائد والاثار وذكر ما هي عليه تلك البلاد من التقدم والرفاهية والنزوة وبركات المدينة والراحة في كل جهاتها ما يبصر المطالع ويستعظمه

السامع وقد جاءت شاهدة على ما تناظم نثرها وناثر نظمها من اتساع المطالع وتوزيع الميل الى نشر القوائد الالامعة بما سمعه وراة وشعره واستحسنه ونبه أفكاره الى ما في تلك الاماكن من الثاور والبديع والجليس والرفيع اذا قدس ميلادنا الشرقية ومعاننا العظيمة توجد بينهما بعد شاسع وارتفاع واسع وقد أجاد حضرته في كل ما ذكره عن المدن التي رآها وتركت في قلبه حبا يكاد يقوله

عالمه بعض حيك كل قلبي * فان تردى الزيادة هات قلبا
وقد يظن القارئ انه أطنب في أوصافه وبالغ في تعظيمه ولا نظنه الا أوجز فأعجز فان
في المدن التي رآها من الأولى الى المدينة لوندرة عاصمها انكثرا ما يقصر اللسان عن
مدحه والقلم عن ترقيمه فلا يقدر المطنب على الايقاء والمطيل على الابعاء فان ما جمته
تلك الديار من محاسن الوجود ووجود المحاسن لا يتصوره عقل من لا ينتقل اليها وينظر
غرائبها وعجائبها وما اليها مما وصلت اليه قدرة الانسان

وما هله في لندن وباريس واسبانيا حقائق تاريخية قديمة وحديثة لا يختلف
فيها اثنان ولذلك قد استحق هذا الكاتب البليغ شكران الرفيع والوضيع واني أتخذ
هذه الفرصة لانه أفكار المصريين وغيرهم من سكان الممالك المحروسة العثمانية بان
ما شاهد من غرائب الصنعة وبيدع الاختراعات وجايل النظام في أو ر بالبركن كله
يفعل حكوماتها وعسل دولها وانما هو عن اجتهاد رجالها وهم علمائها واتحاد قلوب
أهاليها الوصول الى قمة السعادة فابوا الاقطار وحسمائة سنة حتى وصلوا الى ما هم
عليه فقد كانوا أقل منادرجة وتمتد تجاذبهم أنواع الغيرة والحسد وتروى بهم الاميال
الاعتقادية الى تجديدا النزاع كما سكن ونقد والعمل على المتطاط التقدم كما ظهر حتى رأوا
ان في ذلك تأخرا وخرا باقلالوا من اختلافهم ونمذوا عنهم تلك الالهواء المضرة ورفعوا
انظارهم الى ما حولهم من المدن الشرق ونظروا وتاملوا كوكبلاطينه فأرادوا التمشيه
بهم وجعلوا ابتراء أعينهم مقاصدهم غير المقاصد الاولى ولم يوردوا ينظرون الى ما خلقهم

وكانت أول بعثتهم إلى الامام فلبشوا عليها إلى أن توصلوا إلى النقطة المتنازعة التي
تستخدم عليهم وكانوا فهم الدافعين حكوماتهم إلى تلك المرابح وتتميم تلك المرغبات
ثم استطرد - ضرة الكاتب الفاضل إلى نصيحة أهل الشرق وتبنيهم إلى
وجوب التعاون والتناصر والاستنارة بنبراس الحرية الحقيقية وهذا
نفسه وكل قارئ على ما لاح من مبادئ التقدم وتعميم التعاليم ثم قال
وتتمت كلامه اهذ بالامتنان لحضرت ركي بك على ما أنتخبناه من درر رحلته
ورسائله المذكورة نفعنا جميع الامة بعدالة أفكاره ونافع تأليفه

وجاء في جريدة الآداب الزاهرة الصادرة بتاريخ ٣ ربيع الثاني مائة

(السفر إلى الوتر)

هو عنوان للثالث السفر الجليل الذي رتبته براع حصره الفاضل مثال الاجتهاد
ودليل الساعين في طريق النهضة المصرية الحديثة (أحمد أفندي ركي) مترجم مجلس
الطار والمائب عن الحكومة المصرية في مؤتمر المشركين الدول التاسع الذي انعقد
ببلويدة السنة الماضية

قد طالعنا هذا الكتاب الجليل والعيناء مصداقنا امتار به حصره مؤلفه البارع
من الحكاية نارشاد العواطف وإلهام الامتعال المعساني الماشي من رؤية المناظر الجديدة
الشائقة وتوخى التحقيق والتدقيق في الاعلام الجغرافية والعلمية وهو البحث الجليل الذي
يبدل على سعة اطلاع حضره المؤلف وحاطته بكتب المتقدمين من العرب ولوورد هنا
أمثلة من تلك التحقيقات تختص باسمه البلدان التي لها أسماء معلومة في كتب المتقدمين
ثم عمد إلى تسميتها بما ينطبق على غثيل اسمها عند سكانها الآن فبيلد برندزي الشهيرة في
إيطاليا بانها من السفن التجار به التي تختر البحر الادرياتيكي تسمى في كتب العرب
برندس وياولي نابل ونابل الساحلية ونابل الكمان ويزة بنت وخصفة خنرة وبارز

بریس و تراغبارا الطرف الاغرائخ و اما الاحصائيات التي وردت في الكتاب فهي في غاية الفائدة والنفع وقد سهدت لخدمة المؤلف استنتاج الحقائق واستقصاء الاسرار الاجتماعية ومن ذلك ما نقله عن تقويم تروج النفوس (ونقات الاحصائية الواردة في صحيفة ۹۶ و ۹۷) بعد ان ترجم المؤلف انفعالاته من مناظر ايطاليا وفرنسا بما يخالف معه القارئ انه كان رفيقاه في السفر وعطف في رسائل باريز الى الكلام على النساء البارزيات شخص لباوندرة في مثال الضخامة والفتخامة وروى لنا عنها أمور اختلب عقل القارئ أهمها اجتماع الضدين وتوفر النقيضين فيها وانقل الى الكلام على اسبانيا والبرتغال ولم يهمل لخدمة المؤلف وصف المناظر الطبيعية والابنية الفخيمة والقصور والاثار الباذخة في كل جهة من جهتها

- * وحسن الاسلوب الذي انبعه في كتابه هذا لا يسعنا معه الا الاقرار بهجز هذا اليراع عن استقصاء نفضائه وتقر بظنه هنا بما عثل للقارئ جزءا من أهميته ونفاسته فليعد لنا حضرة صديقنا الفاضل في هذا التصور الذي نامل منه ان يتخذ دليلا على ما نملك من استحسان رسائله لدرجة لم تمكن معها الا من تخرب عيب واحدا في هذه الرسائل وهو ان لا عيب فيها

جاء في جريدة الزراعة الغراء الصادرة في ۲۸ نوفمبر سنة ۱۸۹۳ ما نصه

(السفر الى المونستر)

اهلنا نحضر تصديقا لاديب الفاضل والكتاب المدقق احمد زكي أفندي مترجم مجلس النظارة العالي هذا الكتاب الذي وضعه بعد عودته من اور وبا حيث كان منقوبا بصريا فدي مؤتمرا مشرقيا وقد طالعنا مطالعة المنتقد الواضع لديه كفتي الاستحسان والاستهجان تاركين جانبا هوى القلب الخافق سرور الذي أثره هذا الصديق الفاضل وقد حثنا الآن نظهر رأينا فيه

مزايالكاتب - يظهر لمن يطالع كتاب السفر الى المؤثر ان فيه كاتبه المفاضل
معمودة على اثرات مواطنيه في كل ما رأى من مشاهد التمدن الاوربي ومظاهرها الحضارة
الغربية لانه يعلم ان القسم الاعظم منهم لم يردوا غير ماء النيل من مياه المعورة . فوجد
أحسن كل الاحسان في عدم الوقوف عند حد الاخبار بعمارأى وما سمع بل قد وضع ما آه
وما سمعه على قوالبارائه وأجال فيها نظره الخديدي الذكاء فمكتمه أن يضع لدى مطالع
كتابه مشهد العالم الاوربي بعناصر تقدمه ومجايزه ورفه وسهائه . والشهادة لله ان سفر
سفر صديقتنا الزكي الى المؤثر كأنه معرض تشريح للحضارة الاوربية او هو رسم
فوتوغرافي مقول عما رسم على تخييلة كاتبنا الركي من مشاهد اوربويا من ثباتها تم
والكتاب فصيح العبارة لطيف الاشارة من أحسن ما كتب في باب السياحات فهو اذا
شبه بكتابات السعودى وان بطوطة في اسلوب كتابته فاشابهه في شئ من جهة الصلة
بالحقيقة والقوائد الجملة والبعد عن الاوهام وقد علمنا من ترتيب الكتاب ان كاتبه كان اذا
تلقى بلد او حقل في مدينة يزور كل ما هو عظيم وداشأن فيها ويودعه مذكرة الاله
كثيرا ما يرى في الكتاب اثر الاقتصار والاختصار كذلك كثير مما تعلم وجوب ذكره
وليس مذكورا وكثير من ابجائه مما يقيد تفصيله ليس مفصلا الا اننا نجد عذرا للكاتب
في وقته القصير بجانب كثرة اشغاله واتساع جولانه وجسامته مهماته
وكان يود ان يترك القلم مع هواه في الكلام على اثر من بهواه ولكن الضمائر قصير
والخاطر حصيل كمالا توفقه حتى يذكر الكتاب الركي صفته الوطنية وغيرها الشرقية
الظاهرين في كل عبارة من عبارات الكتاب . وسنعود الى مشاركتة في الكلام على
البحث الذى هو اول طارق لبابه وهو المتعلق بلغة الامراء وآثارهم في الاندلس

جماهير جريدة الشرائع الغراء الصادرة في ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٩٣

السفر الى المؤتمر

هو عنوان كتاب مجموع الرسائل التي بعث بها حضر تمام المترجمين ونخبة الشبان المصريين الكنايب الفاضل والاصول المدقق أحمد أفندي زكي مترجم رئاسة مجلس النظائر حين كان ببيلاد أورو وبأذعهدت اليه رئاسة الوفد المصري الى مؤتمر المستشرقين بمدينة لوندرة جمعه حفظه الله بعد عودته بالسلامة وطبعه على نفقته بالمطبعة الكبرى فجاء كتابا جليلا يقوم برها ناقطا للشبان يتحدثون به في مقام الفخر بأعمالهم بل لجماير ذمماح الذين يتحدثون في السويداء رجالا وفي الكنايب بالابل قدوة حسنة لمن يريد خدمة بلاده وسد أفواه حساده وما عساني أن أقول في سفر بصور للحال أورو وبأغلبها أكمل التصوير مادياها وأديها من الطبيعيات كوصف البلاد والمساقم والجبال والآبار والبساتين والطسوق والطقوس والاهوية والاطعمة والاشربة ثم المصنوعات من قدعية وحديثة وجيدة وريثة فلا تثار وأعمالها وتوار يخ تأسيسها من عجيبها وغربها وعظيمها وصغيرها فالتيجارة ورواجها وكسادها والصناعة والاقبال عليها أو العدول عنها والزراعة وأصنافها وهياتها ومناظرها فحال البلد العام غناها أو فقرها ووفرة حاصلاتها أو قلة موجوداتها فطباع كل شعب حسبها وريثتها من اشلاف الافراد أو اختلافهم ونماصهم أو تقاطعهم ونشاطهم أو لادتهم واقبالهم على العمل أو اعراضهم عنه ثم أفكارهم صحيحها وفسدها واخلاقهم لينها وجانيها وأعمالهم خيرها وشرها ثم غرائب ما ندهم على العموم من المعامل وتشغيلها والمخارج وأصنافها على ما هو عليه مع ذلك كله من دقة المعاني وجزالتها وصدوية الالفاظ وسلاستها ولا غرابة فقد كتب بقلم بليغ عربي واحساس شرق مصري ودافع قوى وطني فياجبذ الوينج

شباننا المصريون على منواله انى هذا قليد تنافس المتنافسون ولئلا هذا اذ لم يعمل
العاملون وقدور، وحضرت الكاتبة ادامة الله خير قدوة للشبان في كتابه هذا بطبع
رحلته الكبرى ما ظنك بها اذا كانت هذه حال الصغرى * وان غدا لناظرة قريب
أكثر اتقى مصر من أمثاله انه مسموع عجيب

ولقد يسرنا ان نظارة المعارف العمومية قد اشتركت في فتحتمن السفر
المذكور لتوزيعها على طلبة المدارس اعادة لهم وتعميمها لبعض ما تلقى حضرة المؤلف
وتخصصه الغيرة في الاقدام على مثل ذلك فلا علمنا من يسهرون على تقديم البلاد ونجاح
شبانها آمين

قالت جريدة المقتطف الاغتر الصادر في أول اكتوبر سنة ١٨٩٣ ما نصه

السفر الى تونس

هو مجموع الرسائل التي كتبها حضرة لبارع في ميادين المعارف أحمد أفندي ذكر
مترجم مجلس النظار في سياحته باورو وانا بما من الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين
الدولى التاسع الذى عقد فى العام الماضى وقد أطلال الكلام فيها على لندن وباريس
وسدائن اسبانيا فجماعت كتابا كبيرا فى أربع مائة صفحة جملة لاشتات الفوائد (١)
وفى رسالته عن اسبانيا والبرتغال (أى البرتغال) فوائد كثيرة وسكات بديمة عن
ذلك ما وقع له فى طلب أجرة المركبة منه ستمائة ريال (٢)

ويتلو ذلك بدية بديسة فى امتراج العرب بالحكم فى اسبانيا وسأنى على ذكرها
فرصة أخرى وجملة القول ان هذه الرسائل شاهدة لحضرة مؤلفها بسعة الاطلاع ودقة
البحث وانه لبق من الحفاوة والاكرام ما يقتر به شبان مصر

(١) تم وأورد بعض نقول من المقدمة صحيفة ٤

(٢) تم وأورد القصة المسطورة فى صحيفة ٣٩٩

Du *Journal Officiel* du 6 novembre 1893.

Sous le titre : « *Départ pour le Congrès* », Ahmed effendi Zéki, chef du bureau de traduction à la présidence du Conseil des Ministres, vient de réunir en un volume publié en langue arabe par l'imprimerie nationale de Bouïaq, ses impressions de voyage au cours de sa mission à Londres, où il avait été envoyé, l'année dernière, au Congrès des Orientalistes.

Le livre de Zéki effendi se distingue par un style élégant, mis au service d'un talent de description de bon aloi, et, par son intérêt soutenu, qui assure à l'avance son succès de lecture.

De l'*Egyptian Gazette* du 14 novembre 1893
(La traduction française a paru dans la partie française du même numéro).

Under the title of *Al Safar illa Al Motamar* (the journey to the Congress), Ahmed Zeki Bey, the head of the translating department at the President of the Council of Ministres, has pu-

published in Arabic an account of his recent travels in Europe, which is very interesting from both scientific and literary points of views. In an elegant and clear style, the author gives his impressions of his journey when he proceeded to London to represent the Egyptian Government at the IXth Congress of Orientalists held in that city.

The work abounds with ethnographical and literary notes and gives a very correct idea of the state of civilisation in several countries of Europe, of their industrial and commercial progress and of the manners and customs of their inhabitants. Specially worthy of attention are the author's remarks respecting the beauties of Paris, the grandeur of London, his visit to the South Wales coal mines and the description of his journey through Spain and Portugal.

We compliment Ahmed Bey Zeki on the able manner in which he has compiled his work which shows great originality of thought on his part and which, as a book written by an Egypt-

ian for the benefit of his fellow countrymen, is one deserving of an extensive circulation among Egyptians.

Du *Phare d'Alexandrie* du 15 novembre 1893.

Bibliographie. — Les jeunes et vieux égyptiens qui n'ont pas eu l'occasion de contempler les merveilles de la civilisation européenne, feront bien de lire attentivement l'ouvrage qui a pour titre : *Départ pour le Congrès*.

L'auteur, M. Ahmed Zéki effendi, dont les divers et nombreux travaux littéraires et scientifiques ont déjà obtenu tant de succès, a réuni dans un remarquable ouvrage en langue arabe, les impressions recueillies au cours de son récent voyage en Europe.

Délégué par le Gouvernement égyptien au Congrès des Orientalistes à Londres, M. Ahmed Zéki, en homme intelligent, a su mettre à profit les courts instants dont il a pu disposer pendant son séjour en Europe. En lisant : *Départ pour le Congrès*, on demeure étonné de la somme de

travail fournie par l'auteur, pour recueillir tant de notes intéressantes, pour s'assimiler tant de détails de mœurs, tant d'observations d'un si haut intérêt.

Les récits, tout vibrants d'émotion, concernant la grandeur de Londres, les magnificences de Paris, les curiosités artistiques et archéologiques du Portugal et surtout de l'Espagne où l'on rencontre tant de vestiges de la civilisation arabe, tout est pensé et dit avec un grand charme infini.

M. Zéki sait communiquer son enthousiasme au lecteur.

Dans son ouvrage, M. Zéki s'adresse plus spécialement aux Égyptiens, ses compatriotes, et, à ce titre, le travail de l'auteur est non seulement une belle œuvre, mais une bonne action.

Nous recommandons vivement la lecture de : *Départ pour le Congrès*, à toute personne éprise d'art, de science et de littérature. On y rencontrera toutes les qualités, qui sont l'apanage des bons écrivains.

قالت جريدة الهلال الاغربي العدد الصادر في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٣ مانه

السفر الى المومتزر

هو كتاب يتضمن الرسائل التي جادت بها امرجة حفصة صديقتنا الكاتبة الالهية
وفعلوا احد اقدمى زكري رئيس قلم ترجمة مجلس النظاراتساء رحلته في بلاد اور وبامندوبا
النيابة عن الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين الدولي التاسع الذي التأم في لندن
او اخرا العام العابر. وقد ابرغ الوسع في وصف العواصم التي مر بها واقام فيها واصفاد قيفا
لم يتعاد فيه شارد. ولا وارودة بمحاميها المطالع معرفته عن احوال تلك البلاد. ومن مزايا تلك
الرسائل انه كتبها بقلم مصري ينظر الى الاشياء بعيني مصري بحيث يتفلسل بانفعال
المصريين ويكتسب للمصريين. وأول مدينة تزل فيهم واصفها بانول ثم رودة النظامي
فقلورا نسا فييرة فيجنوة فتورينو فودان فباريس فلندرا وبعض مدائن
الانكلية ثم بلاد الغال ووصف بلاد الاندلس وآثار العرب فيها او غير ذلك من العوائد التي
لا يعثر عليها الا بالاسفار الشاقة والابحاث الطويلة

وقد أسهب الوصف بنوع خاص في مدينة باريس فلم يتعاد شيا لم يصفه وصفا
دقيقا من احوالها المدنية والسياسية والعلمية والتاريخية ومتاحها ومعارضها
وأبنيتها وعوايد أهلها وأخلاقهم رجالا ونساء حتى غدلت المدينة كدينا مثل العيان. وقد
أجاد في الكلام عن الاندلس وتأثير المتمدن العربي على الاسبان وأورد كثيرا من الاسماء
العربية التي اختلطت بانه هولا الاقوام ووردها الى أصلها العربي لغويا وتاريخيا
وبالجملة فانه قد أشبع الكلام واقاد فيه افادة يستوجب عليها الشناء ويليق من
اجلها ان يكون قد وثق بالاتي الاقدام والاجتهاد ودقة البحث
على ما نستأدنه بعد ان وفيما ببعض الواجب من الشناء ان نذكر طرفا لما رأينا فيه

وحها المقدنا جابه لطلبه . ونحن على يقين أنه لا يستكشف من مباح ملاحظتنا العلماءه
من يحون البحث عن الحقيقة ولا يستظم الرجوع الى الحق فنقول .
قد رأينا في وصف مدينة لندن انجازا يكاد يبلغ حد الاحلال على حين انما كان يتظر
الافاصه في وصفها أكثر من سواها لما حوته من الآثار والمتاحف والعظيمة ولا سيما
اهما مقر المؤتمر ومحط رجال حصره الكاتب في رحلته هذه فانه لم يذكركم تحفه الشهير
المعروف بالتحف البريطاني الا بطريق العرض عند كلامه عن متاحف باريس ولم يشبع
الكلام فيه ولاد كرشيا عن مسرحها (معرض الحيوان) ولا منبتها (معرض النبات)
ولا غير ذلك مما يستغرق في وصفه المجلدات الضخمة وخصوصا متاحف البرطاني
الدائم الصيت فانه من أعظم متاحف الدنيا اذ لم نقل أعظمها وفيه آثار العالم على
اختلاف الزمان والمكان

وقد قال انما كلامه عن لندن تحت عنوان «توبيدالا سكلر» صفحة ١٠٨ (١)
«وأما جيش السلام فلا تكلم عليه الآن واعلم اقول ان جماعة من البوديين الوثنيين جاؤا
الى لندن بقصد توبيدالا سكلر (ان صح التعبير) ليعمل الاكلين كلهم على مذهب
بوجه) وبأنى ان اهمه هيكلاتهم فيه شعائرهم الدينية في حط وبت شبل المعمور بالوف
من الخلائق وعلمت ان أعمالهم سائر في طريق التقدم وان بعضهم رجال البوليس
الاكليري قد دخلوا في زميرهم»

نقول ولا نعلم بوجود هذا الجيش في لندن ولا نرى ما يناسبه اليه ولعله أراد «جيش
المخلص» Salvation Army وليس جيش السلام أما جيش الخلاص فهو بريئ
من تلك التهم ادلا علاقة له بالبوديين ولا مذهبهم وأما هو فعبارة عن جماعة من المسيحيين
يدعون أنفسهم المبشرين المسيحيين Mission Christian وهم أخلاط من تباينة
جميعات مسيحية تألفوا سنة ١٨٦٥ لتبشير أسافل الناس وقد نظموا أنفسهم على هيئة
جيش له قائد (جنرال) وضباط وصف ضباطان وعساكر وقائده أو رئيسه الآن

(١) من الطبعة الأولى ويقال لها ١٣٩ في هذه الطبعة

الجنرال «بوث» أو «بوذ» ولعل ذلك ما التبس على حضرة السكاكيب بمنه بوذ. وقد مر على هذا الجيش الآن زهاء ثلاثين سنة كاملة على خطته وله نفقات خصوصية من أنواع محدودة وقامى مشقات عظيمة في سبيله ولكنه كان يكتسب أموالا طائلة يجمعها بين أموال المحسنين تتجاوز مئات الألوف من الجنيهات ولم يقتصر انتشاره في لندن بل تجاوزها إلى الضواحي والمستعمرات ومدن كثيرة من أوروبا فكان منه فروعا في كوينهاجن وبرلين وهمبورج وغيرها وفي جنوبي أفريقيا وأستراليا

ولا يزال الجنرال بوث قائما بأعمال هذا الجيش عاملا على نصرته إلى هذه الغاية وقد شهدنا من هذا الجيش أثناء زيارتنا عاصمة بلاد الإنكليز سنة ١٨٨٦ جماعات يطوفون الشوارع يعزفون بالموسيقى العسكرية ورأيناهم يقفون على ملتقى الطريق في المنزهات العمومية يعطون الناس ويحثونهم على الصلاح وربما كان بين وعظهم من لاتبليغ به هذه المهنة وسبب ذلك ما قد سناه من أن الجيش تألف له بداية السوة وأساقفة القوم فانتظم في سلكه جماعة منهم فثوه هو وأمامهم في خط «ويت شبل» على أن ما ذكرنا لا يحط شيأ من قدر حضرة صديقنا الفاضل ولا يقل شيأ من قيمة مؤلفه الجليل ونحن نعلم أنه كتب ما كتبه في أضييق الاوقات وأقصر القصر والعصمة لله وحده سبحانه وتعالى

ايضاح الحقيقة

عماردي في النبذة المتقدمة

لما اطاعت على ما كتبه الهلال الاغر أرسلت إليه رسالة مطروقة
أخلصناها في كلمات وجيزة وسطور قليلة
الاعتراض الأول وهو الأيجاز في وصف لونه يتفيه الاطلاع

على الكتاب ومقارنة الجزء المخصص فيه لها وحدها وهولاشك كثير جدا بالنسبة لغيرها من البلدان الكثيرة التي زرتها وهذا لا ينافي أن هذا الوصف مهما طال ومهما كثر فليس يستحق الذكر بجانب جسامتها والتي قد سبقت الى الاشارة الى ذلك في صفحات ١٠٣

١٠٧ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٠٨ و ٢١٥ (١)

أما ما يتعلق بالمتحف البريطاني فأننى لم أذكره فقط بطريق العرض أثناء الكلام على متاحف باريس بل قد ذكرته وأشرت اليه في جمينية ٢٠٦ في رسالة لوندرة ولما كان وصف هذا المتحف قد أسهب فيه حضرة العالم الفاضل أمين بك فكرى في «ارشاد الالباء الى محاسن أوروبا» مارأيت وجوبا لاعادة الكلام عليه بل آتت الدخول في مواضع أخرى لم ترد في الغالب في كتاب حضرة كما أتى اذا اضطررت للكلام على موضوع قد سبق له الخوض فيه أجتهد في شرح أمور جديدة وبيانات لم ترد في كتابه حتى يكون لمن قد قرأ كتابه الايق فائدة في تلاوة كتابي أيضا . وكل من قابل بين الكتائين يعلم أن أحدهما لا يغنى عن الآخر ولا بد من الحصول عليهما معا . ومن رأي أن القارئ العربي يكفيه أن يعلم عن المتحف البريطاني ماورد في ارشاد الالباء وأنه من الواجب أن يجد معلومات جديدة ومزايا أخرى في

(١) اعلم أن النقول والنصوص الموجودة في هذه الصفحات هي الواردة في الطبعة الاولى

«السفر الى المؤتمر» وهو الامر الذي دعوت اليه في خاتمة كتابي هذا لتشكل الفائدة. (ص ٤٦٦)

أما الاعتراض الثاني فهو مبني على كون صاحب الهلال الأغر ظن أنني جهلت أهل جيش السلام من البوذيين الوثنيين وتصور أن الذي أوجب عندي (أنا) حصول الالتباس أن قائد جيش السلام يسمى (بون) ثم بي على ذلك الشرح الذي علقه على عصابة هذا الجنرال وأحوالها بما فيه فوائد جمة كنت أدخر شرحها لرحلتي الكبرى فجاء، الله خيرا على هذا الاستجمال

غير أنني لم أقصد ما فهمه حضرته بالمرّة ولم يدبر في خلدي شيء من البتة التي تصور أنني نسبتها لهم لان قولي « وأما جيش السلام فلا أتكلم عليه الآن وإنما أقول ان جماعة من البوذيين الوثنيين جاؤا الى لوندرة بقصد تبويد الانكليز (ان صح التعبير أى جعل الانكليز كلهم على مذهب بوذة) وبلغتني أن لهم هيكلا الخ» وذلك لانه لو تدبر كتاباتي في الرسائل لرأى أنني عند ما تزدهم على المواضيع وتتوارد المطالب أجنح الى هذا الاسلوب من التعبير «وأما الامر الفلاني فلا أذكر عنه شيئا الآن - أو - فاني أؤخر شرحه لفرصة أخرى - أو - ما أشبه ذلك من العبارات » ثم أعقب هذه الجملة بقولي « وإنما أتكلم على الامر الفلاني » الذي يكون غير

الاول ولكنه يكون منظوياً تحته في باب واحد وله به تمام الارتباط وشواهدى على ذلك كثيرة في الكتاب أكتفى بذكر واحد منها لتكون الاطالة لاطائل تحتها وهو « أما زهنتنا في لوندرة فلا أتمكلم عليها الآن وانما أذ كرأني شفيت الغليل برؤية شبه مدينة البندقية في احدى ضواحيها وهو محل متسع الخ » فقد أغفلت الكلام على التزهة في لوندرة وذكرت شيئاً عن التزهة في ضواحيها وهذا له تمام المشابهة في كوني أغفلت الكلام عن جيش السلام وتكلمت على تبويد الاككير (عسب مندهاله ود) لان سياق الكلام كان على « أفكار الانكليز واعتقاداتهم وآرائهم ومقالاتهم »

هذا وان في قولي « ان جماعة من البوذيين الوثنيين جاؤا الى لوندرة الخ » كفاية تامة للتعريف بمن أريد وانى لأقصد أهل جيش السلام الذين هم من طوائف النصارى كما هو اعتقادى الحقيقى الظاهر في عبارتى وهنأرى وجوب الرجوع الى الاحق من حيث التسمية لان الترجمة التى قال بها صاحب الهلال الاغر « جيش الخلاص » هى في الحقيقة أفضل وأدل على المراد من ترجمتى لاسمهم بقولى « جيش السلام » لكن لتنظة الخلاص هى خاصة بالاصطلاح المسيحى فلذلك أعذر على كونها فاتتني مع كون الكثير من الكتاب يذكرون « جيش السلام » ويريدون به كتيبة الجنرال بوث وأهل طريقته وهذه الترجمة متداولة معروفة

وقد أخبرني حضرته انه قرأ العبارة هكذا « وانما أقول انه
جماعة من البوذيين » فلما وضع هو الضمير في لفظة « انه » توهم اني
خلطت وهذه الجماعة النصرانية بالطائفة البوذية وليس الامر كذلك
فاني ما قلت الا « أن » في الطبعة الاولى والطبعة الثانية هذه
هذا ما رأيت ذكره بالاختصار يانا للحقيقة التي أراي متقفا مع
حجزة الفضل صاحب الهلال الاغر على تحريها وتفضيلها على
عواطف الوداد وروابط الاجتهاد وانى أشكره في هذا المقام على توجيهه
هذا الاسلوب المقيد في الانتقاد فاني لأزال أجاهر بانى ممن يقتض
بمجة الانتقاد ويرى وجوبه على الدوام فيما يتعلق بكل كتاب يظهر
في عالم المطبوعات لان « الحقيقة بنت البحث » وياحبنا الانتقاد
الصادر عن طوية خالصة ونية صافية بمقتضى قواعد العلم ونواميسه
المعتبرة فإنه مما يوجب ارتقاء المعارف ورفع مقام الكتاب أرشدنا
الله جميعا الى السداد والصواب





كانت براعة الاستملال في هذا الكتاب الرسالة الفائقة التي كتبها تاج المنشئين ونفر الكاتيين الأستاذ الاجل الشيخ عبد الكريم سلمان والحمد لله الذي وفق له براعة ختام من أحسن ما تستطيعه العقول وتنتهى اليه المطالب ويكمل به اختتام هذا الكتاب على أجل منوال فقد جادت قريحة الذي لا يضح أن ينتهى الشعر الا الى بابيه ولا تقف مطايا العلم الا عند رحابه حضرة الفاضل الخليل اسمعيل بك صبرى وكيل محكمة الاستئناف الاهلية بهذه القصيدة الفائقة وهي

آهجر النوم في طِلاب العلاء * وصلِ الصبحِ دأباً بالمساء
والتمس بالمسير في كل قطر * رتبة العارفين والحكام
ان غصّ الشباب فقهه السر * حال شيخ في أعين العقلاء
ومقام الحسام في التمديزى * بالذى حازمتن من جلاء
فدع الغمد يبدل العين من قض * لا ما كان في زوايا الخفاء
ان أمضى الرجال من كان سهما * نافذا في حشاشة الغبراء
واللييب اللييب من داوى الار * ض لعسلم يناله أوترا

انما الارض والنساء كتاب * فاقراوه معاشر الازكياء
واقرنوا العلم بالسرى رب علم * لم تحزه قرائح العلماء
واطلبوا لما كان من قصر العيش * ش بحت الركاب في الانحاء
وطبن المرء مهدهم بقاياها * يكون بيت له رفيع البناء
رمعيب ان تصرف العرفى المه * تدوتسى البيت الوسيح الغناء
هذه القللك يستحث خطاها * هزج الريح فى صحارى الماء
كم اطالت مدى الرحيل ووالد * ه فعلت بالخير والسراء
وهنلال السماء يزاد نورا * كلما خاض بحة الظلماء
لوفى عزمه لما فاز بالقيد * ح المعلى فى القبة الزرقاء
خلق المرء لتتقل فى الار * ض والسعى لالمحض التواء
فحسرك بكم طبعك أوكن * ح جرافى مجاهل البيداء
حذار حيلة تمتل تميم * لا حزايا الاسفار للقراء
قد اجدت فيها براعة منشي * ها اختيار الاخبار والانباء
فأجل فى جالها نظرات * فهى بكر الاداب والانشاء
وتفهم حديدتها مافسر * ليس من يسمع الحديث كرائى



جدول

اجمالي ميان الاعمال المقدسة للمؤثر

كتب أصلية ألفتها	كتب قديمة صححتها ونقحتها
١ - مفتاح القرآن	ضوء السارى لمعرفة خبر نعيم المارى
٢ - النسخة المحررة للطبعة الثانية من موسوعات العلوم العربية	١ - المقريزى
٣ - معجم الكلمات المضعفة	٢ - ذكر الغلاء الواقع بأرض مصر له ترتيب المقتضب فيما وافق لغة مصر من لغات العرب (أصله)
٤ - معجم الكلمات النكبية ويأليه التبرى من معرفة المعرى	٣ - (الصدى وقد غيرت ترتيبه)
٥ - معجم تحرير و ضبط الاعلام	٤ - أسماء الاسد
٥ - الجغرافية العربى والفرنساوى	٥ - الاضداد مستخرجة من القاموس
٦ - وصف مجالس الندابات ومجموعة فيها أكثر من ٢٠٠٠ بيت من مرثييهن	٦ - تحرير الموشن فيما يعرفه بالسين والشين الغير وزابادى
	٧ - القصيد الفارقة بين الضاد والظاء
	٨ - حل لغز الماء للمقريزى (وترجمته بالفرنساوى)
	٩ - قصيدة علم الدين السخاوى فيما اتفق لفظه واختلف معناه
	١٠ - الاحتفال بزيادة النيل وجبر الخبيج (وترجمته الى الفرنساوى)

(استدراكات)

(ب) سهوت اب اذ كرفى حاشية صحيفة ٢٣ ان لفظه دار الصناعة كانت مستعارة أيضا في الديار المصرية فحسبت ان يتصور القارئ ان مصر فام يكن لها شأن كبير في ذلك فاخترت نقل ما أورده المقررى في صحيفة ١٨٩ من الجزء الثانى من خططه المشهورة المطبوعة في بولاق سنة ١٢٧٠ هجرية تحت عنوان (ذكر المواضع المعروفة بالصناعة)

قال بعد ان عرف لفظ الصناعة من حيث اللفظ (وأما في العرف فالصناعة اسم لمكان قد أعد لانتاء المراكب البحرية التي يقال لها السفن واحدها سفينة وهي عصر على قسمين تيلية وحرية فالحرية هي التي تنشأ لغزو العدو ونحن بالسلاح ولات الحرب والمقاتلة فتمر من نغرا لاسكندرية ونغردمياط وتندس والفرما الى جهاد أعداء الله من الروم والفرنج وكانت هذه المراكب البحرية يقال لها الاسطول ولا أحب هذا اللفظ عربيا وأما المراكب التيلية فانها تنشأ لتمر في النيل صاعدة الى أعلى الصعيد ومنحدرة الى أسفل الأرض لجبل الغلال وغيرها) ثم قال في صحيفة ١٩٠ مانصه (وأول ما أنشئ الاسطول عصر في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعصم عند منازل الروم ذيماط في يوم عرفة سنة ثمان وثمانين ومائتين وأمير مصر بوئذ عنبة بن اسحاق فلذكروا وقتلوا جميعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والأطفال ومضوا الى تندس فألموا باشتموها فوقع الاهتمام من ذلك الوقت باسم الاسطول وصار من أهم ما يعمل عصر وأنشئت الشواني برمم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر الخ) وقال في صحيفة ١٩٥ مانصه (قال ابن أبي طي في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله انه أنشأها دار الصناعة التي بالنفس وأنشأها ستمائة مراكب ليرمئها في البحر على ميناء

وقال المسبجى (١) ان العزيز ياقس المعزهو الذى بنى دارالصناعة التى بالمسج وعمل
المراكب التى لم ير مثلها فيما تقدم كبراً ووثاقه وحسناً وقد ذكر المقرئى فى صحيفه ٩٦؛
و٩٧ تفاصيل أخرى عن دارالصناعة بالجزيه أى جزيره الروضه ودارصناعتهمصبر.
(٢) قلت فى صحيفه ٩٧ أن بهاء الدين العالمى وصف النساء فى الارحونه
الشهيره التى كتبها على رحلته فى بلخ وأوردها فى أوائل الجزء الثانى من الكشكول
وحقيقه الرحلة أنها كانت فى هراة والارجوزه اسمها الفاخره وهى وارده فى الجزء
الاول صحيفه ٧٣ و٧٤ و٧٤ من الجزء الاول من كشكوله المطبوع فى بولاق سنة
١٢٨٨ وهذه هى الايات

نساؤها مثل الطباء النافرة * ذوات الحياض مراض ساحرة
يسلبن حلم الناسك الاقواء * يسطن جسمه الى الدواهى
من كل خوده مذبذبة الالفاظ * تقتل من نشاء بالالحاظ
أضيق من عيش اليبب نعورها * أضعف من حال الاديب خصورها
فأنك قد شهدت خدائها * بما بنا تقسه له عينها
تربو بطرف ناعس فذاك * يقسد دين الراهد السالك
والصدغ واو ليس واوالعطف * والشدى رمان عزيز القطف
والجسم فى رفته حكالماء * واالقلب مثل صخرة صماء
ولعظها وتفرها والره . . ف * صخر حلال أفعوان حقف
وقدها وتهدها واتحد * غصن ورمان طرى ورد
والشعر والرضاب والاحقان * صوارم مدامه نيمان
غميد حميدات خصالهن * طوي لمن نال وصالهن

(١) اعلم أن حقيقه اسمها بالباء الموحده بهدالسين المهملة وقد وردت غلطاً بالياء الخشنه
الثنائيه فى جميع المواضع فى طبع حطط المقرئى فليحذر ذلك

(٣) مسألة تساؤل الانكليز بعضهم بعضا عن الوجود والصلابة في الكائن في يوم
الاحد (صحيفة ١٤٣) تشابه تساؤل المصريين بعضهم بعضا في شهر رمضان
(انتصايح والافطر؟) يريدون مقظرا
(٤) يقول المغاربة في تعظيم السيدات (اللا) فربما كان ذلك أصلا للعبارة المكتوبة
في بورصة مدينة بورتو التي أوردتها في صحيفة ٣٩٦

وقد رجعت مذكراتي فأريت ان العبارة المكتوبة على زجاج البورصة هي
(هز لانا السلطانة مريم ٢) وانني أوردتها الايات التي رأيتها على طرازات الزجاج في
دار البورصة المذكورة وذلك بناء على طلب أحد الاصدقاء القضاة وهي
« سعد الرجاء وساعد الاقبال * ودنا الهنا وأجابت الآمال »
وأقول ان أصل هذا البيت بحسب ما أوردته السعد في مقدمة شرح التلخيص هي
سعد الزمان وساعد الاقبال * ودنا المنا وأجابت الآمال
وهي أجود وأمن في بابها
تم انه يوجد في شبانك البورصة المذكورة وردات من الزجاج وفي
وسطها هذه العبارة

(عز نصره)

وهذه المناسبة أوردتها ما عدي من النصوص العربية المعتبرة التي تدل على أن
بورقوى المعروفة عند العرب باسم برتقال الباء الموحدة والراء المهملة والتاء
القوية والقاف يتلوها ألف ولام والذي دعاني للتجمل بإيراد هذه النصوص في هذا المقام
مع أنني كنت وعدت في صحيفة ٣٩٥ بأنني سأوردتها في الرحلة أن بعض الادباء قد
طالبن بها فلم أمتدوحة عن تجميل الجواب
قال في الجزء الثاني من البيان المغرب في أخبار المغرب العمرا كشي الذي طبعه

العلامة المحقق دوزي في مدينة أيدن سنة ١٨٤٩ مانصه بالحرف «الأن خرج»
«الحاجب المنصور أبو عامر بوضع برتقال على نهر دويرة وقد كان»
«المنصور تقدم في إنشاء أسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من»
«ساحل غرب الأندلس وجهزه رجال البحرين وصنوف المترجلين ورجل»
«الاقوات والاطعمة والعدد الأسلحة استظمر ارا على نفوذ العزيمة»

وقال في الانيس المطرب وروض القرطاس في أخيه ارملوك المغرب وتاريخ مدينة
طس المطوع في مدينة أوبسالا *Upsala* سنة ١٨٤٣ مانصه بالحرف
الواحد « وفي سنة أربع وخمسين ومائة فتح الأمير سبير من أبي بكر سنتريش»
« ويطلبوس ورتقال وناقورة والانسبونة وجميع بلاد العرب»
« وفي هذا أكبر كفاية وأوفي غاية والله محيط بالخلصين من عباده

(٥) يقول مؤرخو الأفرنج ان الذي بقى مع بلاي أو بلايه أو بلايو *Pelage*
أو *Pelayo* ٤٠٠ رجل فقط لا ٣٠٠ كما ذكرته عن مؤرخي العرب
واكثر الطرفان متفقين على تمام القصة المذكورة في صحيفة ٤٢١

(٦) قد قلت في صحيفة ٤٢٨ أثناء الكلام على «ابن القوطية أحمد مشاهير كتاب
الأندلس» ان العرب أطلقوا اسم التوطية *La Goda* بالاسبانية و *La Gothe*
بالفرنساوية على سارة *Sara* حبيبتنا الملك القوطي وبتيرا *Witiza* أو *Vitiza*
المعروف عند العرب باسم غيطش تور بما كان الرجل من نسلها»

والحمد لله فقد تحقق هذا الظن وصار الآمن اليقينيات طليست أيها الحبيب
للأبحاث التاريخية ما أوردته من هذا الخصوص العلامة ابن حنبل كان في ترجمته أي بكر محمد بن
القوطية قال

(والقوطية بضم القاف وسكون الواو وكسر الطاء المهملة وتشديد الياء المتناة
من تحتها وبعدها هاء سا كهذه النسبة إلى قوط بن حام بن نوح عليه السلام نسب إليه

حاملة أبي بكر المذكور وهى أم ابراهيم بن عيسى
ابن مزاحم جندبى بكر المذكور وهى ابنة وبة بن غيطشة وكان من ملوك الاندلس
مؤكثت القوطية المذكورة وفدت على هشام بن عبد الملك متطلبة من عمها اربطاس
المذكور فترجىها بشام عيسى بن مزاحم المذكور وهو من موالى عمر بن عبد
العزير الاموى رضى الله عنه وسافر معها الى الاندلس فكان ذلك سبب انتقال عيسى بن
مزاحم الى الاندلس وانسأله بها وغلب اسمها على ذريته وعرّفوا بها
الى اليوم الخ

(٧) قلت فى صحيفة ٤٣٠ انى لم تعرف الاصل الا فرسكى فى جملة اعلام أندلسية
منها انجلينو ومردنيش وأقول الآن ان انجلينو مأخوذ من أنجيل Angel عني
الملك بفتح اللام فى اللغة الاسبانية وهم يقولون بالتصغير Angelino وعنه أخذ
المفرد العربى ولا يزال هذا الاسم مستملا فى التسمية عند الافرنج عموما وأما مردنيش فاق
أطن انه مأخوذ من Martin مرتين و Martinis مرتين ثم صارت مردنيش
(٨) بمناسبة ما ذكرته فى صحيفة ٤٣٣ من ان بعض الاندلسيين

أضافوا الى أسمائهم الواو والسين والياء والسين وان ذلك شبيه باللاتينية
التي تنتهى الاعلام وأغلب الاسماء فيها بهذه الاداة Us أو Is أقول الآن
انه يوجد فى نفس اللغة العربية ألفاظ تدخل عليها الواو والسين والياء
والسين لزيادة التأكيد مثل قدمهم و قدموس والقط والقطوس والاس
والاسيس والبقس والبقسيس والقس والقسيس وانى أورد ذلك الآن
بجمله كلمات من هذا القبيل ترى معناها محفوظا فيها بعد حذف
الحرفين الاخيرين منها فأحرص على ذلك وراجع كتب اللغة بكل

عناية وتدقيق وهي: بقوس . جوسوس . جهوس . خوقوس . خربيس
عربيس . حقوس . خندوس . دحوس . خربيس . خاموس
خلبيس . خلنوس . درديس . درعوس . دعبوس . درهوس . دلغوس
دلبيس . ضبوس . طرطيس . طرموس . طغوس . طاهيس
طرموس . عبوس . عريس . هنريس . مرموس . عربيس
مسطوس . عيطوس . عفروس . كهوس . عطيس . عطوس . عطمين
عمروس . فرطوس . فالطوس . فجليس . قروبوس . قرطوبوس . عرقوس . فرعوس
قرفوس . قنطريس . هيجوس . هلبيس . هاطوس .

واعلم ان من تتبع كتب اللغة تعلم ان الكلمات التي في آخرها سين تدل في
أطراف الغالب على القوة والشدة والصلابة

(٩) تكلمت في صحيفة ٤٦٩ على اقطاع عمم الدارى وأقول الآن اني رأيت
بمعد ذلك في الكتبخانة الخديوية رسالة للسيوطي على هذا الاقطاع في مجموعة عمرة ٥٣
ولكن شتان بين كتابة السيوطي والمقريري في هذا الموضوع الدقيق

(١٠) تكلمت في صحيفة ٤٧٣ على لغز الماء الذي أورد المقريري حله وأقول
الآن اني رأيت هذا العر تحت عنوان (لعزى ٣١٢) في صحيفتي ٢٣ و ٢٤ من
كتاب الكثر المدفون والفقك المشعون المطبوع في بولاق سنة ١٢٨٨ فلتنم
لهذا فواء الاعجاز وكذلك هو في الكشكول

(١١) فاني أن أذكر أثناء الكلام على الكتب التي ترتب فيها آيات القرآن
الكريم ان الحاج صالح ناظم بن محمد بن اسمعيل رتب كتاب اسمه (ترتيب زيبا) ورأيت
نسخة منه مطبوعه على الحجر في القسطنطينية سنة ١٢٨٤ وفيه جدول رمزيه لاسم
السور ثم جدول آخر لآيات مرتبه بحسب حروف الهجاء في أوائلها فقط ثم جدول
ثالث لعدد الآيه وهو كتاب مختصر مفيد

تصحيحات

	صفحة	سطر
(وقعت فيه كلتا Naples الفرنسية و Neapoli الطليانية كل منهما محل الأخرى	٣٦	١٦
الصحفر صوابه الصفر	٣٨	١٨
ثانيتها » ثانياها	٥٥	١٥
فيها تجيزت » فيها تجيزت	٧٠	١٧
تقطن » تقطن	٧٨	١١
(لندرس = Londres)	١٠٧	١٦
London » Londres	١٠٧	١٧
البرزوق » البرزوق	١٣٧	١٣
تبويد » تبويد	١٣٩	١٢
ولم أُر » ولم أو	٢٤٦	١٣
وهن » وهي	٤٠٥	١٦

فهرست الكتاب

المقدمة

مقدمة الكتاب ٤٠ - مقدمة الطبعة الثانية ٥ - كتابة الأستاذ الشيخ هبیب
الكریم سلمان ٦

الرسالة الأولى

مبدأ الرحلة

فراق الوطن ١٧ - احتفال الاخوان ١٨ - شرف المتول بين يدي ولي النعم ٢٠
ركوب البحر وزيادة الاشبجان ٤٠ - تمب البحر ٢١ - وصول برنيزي ٢٤
الطريق من برنيزي الى نابولي ٢٥

الرسالة الثانية

وصول أوروبا

فوائد السفر ونسيانته ٢٩ - نابولي ورؤية أول مدينة من أوروبا ٣٠ -
مودلو وصف الطريق الى نابولي ٣٠ - بحالة على نابولي ٣١ - المحيطة في
الحماسن ٣٥ - المتاع وعذابه في المسقر ٣٦ - الطريق لرومة ٣٧

الرسالة الثالثة

رومة

الاندھاش من رؤية رومة ٣٨ - نخامة رومة ٣٨ - فرام أهلها بالتجميل
والتجميل ٣٩ - كائس رومة ٤٠ - بعض مشاهد رومة ٤١ - تخليد ذكر

الأعيان والامجاد ٤١ - تأسفة على منظماء مصر واهمال ذكراهم ٤١ - نهوض
ابطال يافى طريق التقدم ٤٣ - أمورنا في القبط باوروبا ٤٤

الرسالة الرابعة

فلورانس

تأسفة لفراق رومة ٤٦ - عذاب المتاع ٤٦ - وصول فلورانس ٤٧ - عليك
بالشباب ٤٧ - هيئة فلورانس ومحاسنها ٤٨ - استعداد الطليانية للفنون
المستظرفة ٤٩ - عناية الافرنج بالصنائف ٥٠ - التشوق للوطن ٥١

الرسالة الخامسة

مدينة بيزا

تأسفة على عدم رؤية مدينة البندقية ٥٣ - محالة على بيشة ٥٤ - نظام المكتبة
والناحف ٥٥ - البرج المائل وغرائب الصدى ٥٦ - جبانة بيشة ٥٧ -
كنيسة سحجة ٥٨ - أحسن بيشة ٥٨

الرسالة السادسة

مدينة جنوة

فراق بيشة ووهف الانفاق ٦٥ - اهم جنوة ٦٦ - منظر جنوة ٦٦ - براهين
الوطنية في أوروبا ٦٦ - المعلمة والطربوش في أوروبا ٦٤ - الصلح
في اتخاذ الملابس الافرنجية ٦٦ - معامل الشفقنى ٦٨ - أول رؤية مسلم
بأوروبا ٦٨

الرسالة الباعسة

من تورينو الى مودان الى باريس

فراق جنوة وفراقتها ٦٩ - منظر تورينو ٧٠ - دليل كجور ٧٠ - آمل
مصرفي تورينو ٧٣ - تقن جبل سنيس ٧٤ - وصف جنربفرتة ٧٦

الرسالة الثامنة

باريس

الانهار من رؤية باريس ٨٦ - أهمية المرأة في الوجود ٨٧ - المرأة في
فرنسا ٩١ - أحسن باريز في غابة بولونيا ٩١ - وجوب حجب النساء ٩٥ - زيارة
سفير الدولة العلية ٩٧

الرسالة التاسعة

من باريس الى لوندرة وخلاصة وجيزة على المؤتمر

وصف معر المانش والاكل الاسكليزي ٩٩ - دخول انكلتره ١٠٢ - وصول
لوندرة ١٠٢ - بعض ربات ١٠٣ - أعمال المؤتمر بغاية الانجاز ١٠٤ -
تغز على الاسلوب الاسكليزي ١٠٨ - ضباطة عند غنى اسكليزي ١٠٨ - البنديفة
في لوندرة ١١١ - معرض النار بيع الطيرى ١١١

الرسالة العاشرة

لوندرة

ظلمة لوندرة وجسامتها ١١٣ - حركة لوندرة ١١٤ - وابورات

- لوندرة ١١٤ - فوائد الشركات ١١٥ - اجتهاد الافراد نجاح المجموع ١١٦ -
 استئثار الانكليزي كل شيء ١١٧ - تصوير الوطنية الحقة باوروبا ١١٨ -
 احصائيات ناطقة يجسامه لوندرة ١٢١ - وسائل النقل ١٢١ - وصف
 الهطادات بلوندرة ١٢٥ - تخصيص حركة لوندرة ١٢٦ - سكة حديد
 الواسية ١٢٧ - شركات الاستدعاء بالكهربائية ١٣١ - شركة حماية الحيوانات
 ١٣٢ - شركات المطاعة والكتبخانات ١٣٣ - شركات التوريد ١٣٣ -
 التوادن وغرابه تنوعها ١٣٤ - مطاعم لوندرة وقها وبها ١٣٥ - أماكن
 الاجتماع العمومية ١٣٦ - الحمامات ١٣٧ - التيارات والملاهي ١٣٨ -
 جرائمها وبها ناهيا ١٣٨ - الكويكرز ١٣٨ - نبيذ الانكليز ١٣٩ -
 الاستراحة يرم الاحداث ككرة ١٤٠ - الخطباء في هايد بارك وغيره ١٤٢ -
 التناقض بانكثرة ١٤٤ - لانكلم من لاتعرفه بلوندرة ١٤٥ - عوميات على
 البريد ١٤٥ - عوميات على التلغراف ١٤٧ - عوميات على التلفون ١٤٧
 المدارس ١٤٨ - الاعلانات وهولها ١٥٠ - العميان في لوندرة ١٥٣
 مواطنيه ١٥٤ - وداع وسياحة بانفراد ١٥٥ - أخلاق الانكليز
 ١٥٥ - ولوع الانكليز بالرياضات ١٥٦ - حرصهم الكلى على الوقت ١٥٨ -
 يحشمهم في بعض عبارات ١٥٩ - الثقة والصدق ١٥١ - مادي الرواج ١٦٠ -
 شدتسكهم بعادانهم ١٦١ - احذر النساء ١٦١ - مبادئ لوندرة ١٦٢ - المطبخ
 الانكليزي ١٦٣ - تيمر المساكن ١٦٤ - المرتفعات والمبازل العمومية ١٦٤ -
 وصف الستى ١٦٥ - بلوندرة روح التجارة ١٦٦ - السعادة بالاجتهاد ١٦٧ - الفنى
 والفن ١٧١ - الرسالة الحادية عشرة

تحويل في بعض مسدائن الانجيز

- وصف المطر والضباب ١٧٢ - مدينة برمنغام ١٧٤ - مدينة درى ١٧٥ -

مدينة منشور ١٧٥ - لفر بول وفندق ادلوق ١٧٨ - الجمعية الاسلامية الانكليز
١٧٨ - الرمهر في سبتمبر ١٧٩ - نار السعير ١٧٩ - عوميات ١٨٠

الرسالة الثانية عشرة تجول في بلاد الغال

نظر في الانسان ١٨٢ - السبب في عدم تغرب المصريين ١٨٢ - السبب في
ولوح الانكليز بالسياحة ١٨٤ - استعماد المصريين بالسياحة ١٨٥ - الاندفاع
للسياحة ١٨٦ - دخول بلاد الغال ١٨٨ - لتجولن ومناظرها ١٨٩ - عوميات
على لتجولن ١٩٠ - طباع أهل الغال ١٩١ - نساء الغال ١٩١ - معامل
الصوف ١٩٢ - منبع نهر الذي ١٩٢ - وصف مناجم الفحم الحجري ١٩٣ -
عمر صحيح ١٩٨ - مدينة شستر ١٩٩

الرسالة الثالثة عشرة

العودة الى لوندرة ٢٠١

الرسالة الرابعة عشرة

مبارحة لوندرة ٢٢٠ - التنصيب والتساهل المطلقين ٢٢٠ - نفقات أمين
مدينة لوندرة ٢٢٢ - مصاريف الانتخابات ٢٢٣ - القيام من لوندرة ٢٢٤ -
عوميات على دوور ٢٢٥ - حالنا المقارن وطنه والقادم عليه من لا يزال بعيدا عنه
٢٢٧ - مظرا المظرفي البصر ٢٢٨ - دخول فرنسا ٢٢٨ - عوميات على اميان
٢٣٠ - تجار اميان وصناعتها ٢٣٣ - التعليم باميان ٢٣٣ - عوميات على اميان
٢٣٤ - تكيئة المجاذيب والاميان ٢٣٥ - الكنيسة الجامعة باميان ٣٦

الرسالة الخامسة عشر

العودة إلى باريس

كلمتان على باريس ٢٤٥ - متاحف باريس ٢٤٢ - تصور باريس ٢٥٦ -
معلمين باريس ٢٧٠ - خزائن الكتب بباريس ٢٧٣ - العماثر الدينية في باريس ٢٨٤ -
بنايات باريس ٢٩٥ - بعض الاعمدة والبوابات والقناطر وبرج ايفل ٣٠٩ - بستان
الاسنان ٣٣٠ - المدارس والمحلات الخيرية والاعانات ٣٣٤ - التيارات والملاهي
والمنزهات ٣٤٣ - التماثيل والميادين والزهرات المربعة (الاسكوير) والارصفة
والقناطر ٣٥٢ - المطبعة الاهلية وبنك فرنسا وبنك الرهونات ٣٥٨ - الاسواق
والمطاعم ومعارض الصباغة والزراعة ونحو ذلك ٣٦٠ - ضواحي باريس ٣٦٤ -
أهل باريس ٣٦٦

الرسالة السادسة عشر

وداع باريس وذكر الاندلس والبرتغال بوجه الاجال

وداع باريس ٣٧٣ - التحسر على الاندلس ٣٧٥ - استمرار الحسرة ٣٨٠ - معرفة
التحولات في ٣٨١ - اشتباك الخير والهموم بالوطن ٣٨١ - التغلب على الصعوبة
٣٨٢ - زيارة بعض المدن ٣٨٣ - مدينة سرقسطة والجمعية العلمية ٣٨٣ - اللغة
الاعجمية الاندلسية ٣٨٦ - تعريف الكلمات العربية ٣٨٧ - تجول في بعض
مدن ٣٨٩ - مدريد ومقابلة سفير الدولة العلية ٣٨٩ - طليطلة ٣٩١ - دخول
ملك البرتغال وذكر كراشموه وشتمه ٣٩٢ - التشرف عقابته جلالة الملك ٣٩٣ - القول
للمس بارو ٣٩٣ - مدينتي قلريه وبرتقال ٣٩٥ - إشكال على القول للمس ٣٩٦ -
نه البرتغال والتعريف فيها ٣٩٧ - ذكر النقود باسبانيا والبرتقال ٣٩٨ - العودة الى
لانيس ٤٠٠ - مقابلة جلالة ملكة الاندلس ٤٠٠ - اشيلية ٤٠١ - مدينة

غزاة وقصر الحمراء ٤٠٣ - مع من تألق الاندلسيين ٤٠٨ - تقدم الامم لسيدي ٤١٢ -
 معارف الاندلسيين ٤١١ - اسوة حسنة للمفكرين ٤١٢ - مرآة الشرع ٤١٣ -
 أسباب دمارهم وفيها أعظم عبرة ٤١٣ - أخلاق الاسبانيين الآن ٢٥٥ -
 كالة هذا رساله في امتزاج العرب بالعجم في اسبانيا والاشتهاد بالاسما
 والانتقاب ٤٦٦

الخاتمة

وفيها ذكر قرطبة وسجدتها الجامع - ومرسيليا وآثارها - وتولون والجامع الذي
 كان أقيم فيها ويس والكرنفال بها - وموناكو ومنت كارلو - ثم الرجوع إلى الجزائر -
 والعود إلى الوطن

الخطبة المؤتمرية

وهي الاشارة بالتلخيص إلى المصنفات والكتب المقدمة إلى المؤتمر ٤٤٨ - جدول
 من الاعمال المقدمة للمؤتمر ٥٠٦

بعض أقوال الأفاضل والجرائد

ما كتبه حضرة محمد بن دهي مقدس عيون المعارف ومراتب المطبوعات في أرمير ٤٨٥
 كتاب الجرائد المحقوق والآداب والراة والشرائع والمقتطف والجزيدة الرسمية
 الفرنسية وجزيدة الايديسيان عازت الانكليزية والفاردي الكسادري والهلال (مع
 ايضاح عليه) ٤٨٦ - ٥٠٣

فصيدت حضرة ناسماعيل شاذي وكيل محكمة الاستئناف الاهلية ٤٥٤
 استندرا كت ٥٠٧
 اصلاح حظ ٥٠٩